المجموع من كلام الحنفية

في شرح

كتاب التوحيد

المؤلف

شهاب الدين بن صالح بن سيد

التاجيكي اليماني المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، من يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإني لما رأيت فوائد كتاب التوحيد للإمام العالم العامل الرباني محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه، فقصدت أن أجمع له شرحا من خلال تقريرات علماء الحنفية مع قصور يدي في الصناعة واعترافي بقلة البضاعة، وإنما فائدة عملي ومنتهى مقصودي جمع أقوال علماء الحنفية وجمع ما فرقوه وتقريب ما بعدوه متبعا في ذلك لا مخترعا، ليكون تذكرة لنفسي وللطلاب وعدة ليوم الحساب وسميته "**المجموع من كلام الحنفية في شرح كتاب التوحيد**". ونقلت من كلامهم ما رأيته حقا وصوابا، والحق يقبل ممن كان، وليس كل من نقلت شيئا من كلامه من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به، و للعبد الضعيف في موضوع قبول الحق رسالة باسم "**الحق وقبوله في ضوء الشريعة**".

والله سبحانه أسأل أن يوفقني لإتمامه ويختم لي بالسعادة عند اختتامه، ويجعل سعيي فيه خالصا لرضاه وتعبي فيه سببا تنجيني من عقابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين أجمعين، آمين.

✍ كتبه الفقير إلى عفو ربه:

شهاب الدين بن صالح بن سيد التاجيكي

المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.

وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية.

وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦] الآية.

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه و سلم على حمار فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟".

فقلت: الله ورسوله أعلم!

قال: "فإنّ حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا". فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا". أخرجاه في الصحيحين.



قال ابن الفارس رحمه الله: "(كتب) الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة". [مقاييس اللغة، ١٥٨/٥]

قال القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: "الكتاب: مصدر وكثير إما يراد به المكتوب والكتاب المؤلف. إما عبارة عن الألفاظ المعينة الدالة على المعاني المخصوصة وهذا هو الظاهر". [دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٨٤/٣]

معنى التوحيد لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: (وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة. وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله. [مقاييس اللغة، ٩٠/٦]

قال علي بن محمد بن علي الجرجاني: "التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد". [التعريفات، ص: ٩٦]

قال محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: "وحده توحيدا: جعله واحدا". [القاموس المحيط، ص: ٤١٤]

قال إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار: "(وحد) الله سبحانه أقر وآمن بأنه واحد والشيء جعله واحدا". [المعجم الوسيط، ١٠١٦/٢]

قال الزبيدي: "ووحده توحيدا: جعله واحدا، وكذا أحده، كما يقال ثناه وثلثه". [تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٦٦/٩]

معنى التوحيد اصطلاحا:

١ - **قال الإمام أبو جعفر الطحاوي إمام الحنفية في عصره (٣٢١هـ)**-مبينا عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية على الإطلاق: أبو حنيفة (١٥٠هـ)، وأبو يوسف (١٨٢هـ)، ومحمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ)، رحمهم الله تعالى، معرفا للتوحيد:

(نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره).

٢-وقال الإمام البدر العيني (٨٥٥هـ) والعلامة أبو الطيب السندهي (١١٤٠هـ)، واللفظ للأول :

(توحيد الله تعالى هو الشهادة بأن الله إله واحد، والتوحيد في الأصل مصدر ((وحد، يوحد))، ومعنى: ((وحدت الله)): اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته، لا نظير له ولا شبيه له، وقيل: التوحيد: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات).

٣ - **وقال الشيخ برخور دار علي:**

(التوحيد: أن نقول: لا إله إلا الله، مع اعتقاد القلب، والتصديق به، وإفراد الله بالعبادة، فلا يعبد غيره) .

٤ - **وقال التفتازاني الملقب عند الحنفية بالعلامة الثاني (٧٩٢هـ):**

(حقيقة التوحيد: اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها) .

٥ - ٦ - **وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) وتبعه الفتني (١٣٢٧هـ) :**

(التوحيد: اعتقاد حصر وجوب الوجود، وقصر خلق السماوات والأرض وسائر الجواهر لله سبحانه وتعالى، واعتقاد حصر تدبير السماوات والأرض وما بينهما له تعالى؛ فلا يكون غيره سبحانه واجبا ولا خالقا ولا مدبرا، وأنه لا يستحق العبادة غيره جل وعلا) .

٧ - **وقال الإمام ولي الله أيضا:** (توحيد الله تعالى: الإقرار بوحدانيته، واتصافه بالمحامد، وتنزيهه عن النقائص، وطرد الإشراك به عبادة واستعانة وذبحا ونذرا وحلفا).

٨ - ١٠- **وذكر الناصري (٦٥٢هـ) وابن أبي العز (٧٩٢هـ) والقاري (١٠١٤هـ):**

أن التوحيد يتضمن ثلاثة أمور: ربوبية الله، وصفاته، وعبوديته.

١١ - ١٢-وقال الجرجاني (٨١٦هـ) في بيان أركان التوحيد التي هي تعريف له وتبعه الشيخ البركتي :

(وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله بالربوبية، والإفراد بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة).

١٣ - **وقال الشيخ عبد الحميد الآلوسي (١٣٢٤هـ)** :

(التوحيد نفي العبد الآلهة الباطلة، والتصديق بأن الله تعالى وحده لا شريك له واحد في ذاته، واحد في صفاته) .

١٤ - **وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٩٧٧م)**:

(معنى لا إله إلا الله: أنه ليس ... أحد جدير بأن يعبده الناس ويسجدوا له بالطاعة والعبادة إلا الله. فما لهذا الكون من مالك ولا حاكم إلا هو وحده، وكل شيء مفتقر إليه، مضطر إلى استعانته).

الحاصل: أنه تبين لنا من هذه التعريفات:

أن التوحيد: اعتقاد العبد: أن الله واحد في ذاته وملكه؛ لا ند له، وواحد في صفاته وأفعاله لا مثل له، وواحد في إلهيته وعبادته؛ لا شريك له .

وهذا التعريف للتوحيد هو الحق الجامع المانع طردا وعكسا. [نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين الأفغاني (١ / ٨٧-٩٢)]

أقسام التوحيد[١] :

قسم علماء الحنفية التوحيد إلى نوعين وإلى ثلاثة أنواع.

قسموا التوحيد إلى نوعين وعبروا عنهما بـ:

١ -التوحيد في الإثبات والمعرفة.

٢ -والتوحيد في الطلب والقصد.

وعبروا عنهما أيضا بـ:

١ -التوحيد العلمي الخبري.

٢ -والتوحيد الإرادي الطلبي.

---

[١] قال فضيلة الشيخ العلامة عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري حفظه الله: "قد ثبت بالإجماع الاستقرائي على أن أهل السنة متفقون على هذا التقسيم، وأول من نص على ذلك فيما بلغنا هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، ثم تبعه على ذلك تلميذه أبو يوسف يعقوب قاضي القضاة في عهده، ثم تتابع الأئمة على ذلك". [البيان المفيد في شرح كتاب التوحيد، ص: ١٠]

قال ابن أبي العز وملا علي القاري رحمهما الله تعالى: "التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أفصح القرآن عن هذا [النوع] كل الإفصاح، كما في أول "الحديد" و"طه" وآخر "الحشر" وأول "الم تنزيل، السجدة" وأول "آل عمران" وسورة "الإخلاص" بكمالها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ [سورة الكافرون: ١] ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، وأول سورة "تنزيل الكتاب" وآخرها، وأول سورة "يونس" وأوسطها وآخرها، وأول سورة "الأعراف" وآخرها، وجملة سورة "الأنعام".

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٨٩، ومنح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص: ٤٧-٤٨]

وقسموا التوحيد إلى ثلاثة أنواع:

قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله في شرح قول الإمام أبي حنيفة والطحاوي رحمهما الله تعالى:

قال الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ) في كتابه الفقه الأبسط (ص٥١): "والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء".

فقوله: "يدعى من أعلى لا من أسفل ..." فيه إثبات العلو لله، وهو من توحيد الأسماء والصفات، وفيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من نفاة العلو.

وقوله: "من وصف الربوبية" فيه إثبات توحيد الربوبية.

وقوله: "والألوهية" فيه إثبات توحيد الألوهية.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي (**ت٣٢١هـ**) **في مقدمة متنه في العقيدة المشهور بالطحاوية:** "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره ...".

فقوله: "إن الله واحد لا شريك له" شامل لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.

وقوله: "ولا شي مثله" هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: "ولا شيء يعجزه" هذا من توحيد الربوبية.

وقوله: "ولا إله غيره" هذا من توحيد الألوهية.

فهذه أقسام التوحيد الثلاثة صريحة واضحة في نصي هذين الإمامين رحمهما الله. [القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص: ٤٢-٤٣]

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: " التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٧٨]

قال العلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم؛ ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلا الثنوية والمجوس.

وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك، فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم، ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم، ومجيرهم واحد، لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره؛ كما قال سبحانه وتعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾، [سورة لقمان: ٢٥] ...

ولا يستقيم التوحيد للربوبية فضلا عن توحيد الألوهية إلا بتوحيد الصفات المترتب على الذات؛ لأن صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا...،

وأما توحيد الألوهية فهو إفراد العبادة لله الواحد الصمد؛ لأن "الإله" من يقصد للعبادة ويعامل بما يجب على المكلفين ... [فتح المنان، ص: ٢٩٢-٢٩٣، ط. دار التوحيد للنشر].

أقول: تقسيم علماء الأحناف للتوحيد كتقسيم بقية أهل السنة والجماعة سواء.

ليس التوحيد بالقياس:

قال ابن مندة في كتابه التوحيد: أخبرنا محمد بن أبي جعفر السرخسي ثنا محمد بن سلمة البلخي ثنا بشر بن الوليد القاضي عن أبي يوسف القاضي أنه قال: "ليس التوحيد بالقياس ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنَّه عالم قادر قوي مالك ولم يقل: إني عالم قادر لعلة كذا أقدر، بسبب كذا أعلم، وبهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال الله تعالى في كتابه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١] الآية، وقال:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥]، وقال:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] الآية.

قال أبو يوسف: لم يقل الله: انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق، ولكن قال: انظر كيف خلقت ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ ﴾ [سورة النحل: ٧٠] وقال: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٢١]، أي: تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبديها ويعيدها وأنك مكوَّن و لك من كونك. وإنما دل الله عز وجل خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه، ليعلموا أنه مكونهم، لا هم كانوا، ثم تسمى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخالق وأنا القادر وأنا المالك، أي: هذا الذي كونكم يسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم بها يوصف.

ثم قال أبو يوسف: يعرف الله بآياته وبخلقه ويوصف بصفاته ويسمى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدَّى إلى الخلق رسوله.

ثم قال أبو يوسف: إن الله عز وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنَّ لك رباً وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [سورة الإسراء: ١١٠] وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر: ٢٤] فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس؛ لأنَّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس وهو خالق الخلق بخلاف الخلق ليس كمثله شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك الله عز وجل أن تؤمن بكلّ ما أتى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨] فقد أمرك الله عز وجل بأن تكون تابعا سامعا مطيعا ولو يوسع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذا لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١]فافهم ما فسر به ذلك". [التوحيد لابن مندة، ٣/٣٠٤-٣٠٦، بتحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي]

ورواه أيضا الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة" ولأهميته عنده خصه بفصل مستقل فقال: "فصل في النهي عن طلب كيفية صفات الله عز وجل" وذكره بإسناده من طريق السرخسي به.

[الحجة في بيان المحجة، ١/١٢٢-١٢٤، وانظر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، لشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله، ص: ٣٧-٣٩. قال الشيخ عبد الرزاق حفظه الله: "وأثر أبي يوسف هذا الذي رواه هذان الإمامان عظيم القدر مشتمل على أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات"]

أهمية توحيد الألوهية:

ذكر الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله عدة وجوه لأهمية توحيد الألوهية، وهي كالتالي:

الوجه الأول: وجه إجمالي يجمع ميزات توحيد العبادة على وجه الإجمال، والوجوه التي بعده تفصيل وشرح له، فهو أم الوجوه.

قال الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) والعلامة القاري (١٠١٤هـ) واللفظ للأول :

(اعلم أن التوحيد [توحيد العبادة] :

١ – أول دعوة الرسل .

٢ – وأول منازل الطريق .

٣ – وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل .

قال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

وقال هود عليه السلام لقومه:﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٦٥ ، هود : ٥٠] .

وقال صالح عليه السلام لقومه :﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٧٣ ، هود : ٦١] .

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٨٥ ، هود: ٨٤] .

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[النحل : ٣٦] .

وقال تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء : ٢٥] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ".

٤ – ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف ((شهادة أن لا إله إلا الله)) .

لا النظر ، ولا القصد إلى النظر ، ولا الشك .

كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم .

بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان .

ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه ، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك ولم يوجب أحد منهم على وليه :

أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين ؛ وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا باتفاق المسلمين ، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة[1] ؛ لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك ...

٥ – فالتوحيد أول ما يدخل [المرءُ] به في الإسلام.

٦ – وآخر ما يخرج به من الدنيا ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة ».

٧ – وهو أول واجب وآخر واجب.

٨ – فالتوحيد أول الأمر وآخره ؛ أعني : توحيد الإلهية ؛ فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية.

وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له).

الوجه الثاني: أن توحيد العبادة هو المطلب الأعلى والهدف الأسمى والمقصد الأسنى المطلوب من الناس والمأمور به...

الوجه الثالث: أن توحيد العبادة غاية خلق الجن والإنس...

الوجه الرابع: أن توحيد العبادة غاية إرسال الرسل عليهم السلام ...

الوجه الخامس: أن توحيد العبادة غاية إنزال الكتب السماوية...

[1] وفي جهود علماء الحنفية (١/١٢٣): "وجود الصلاة" والتصحيح من شرح العقيدة الطحاوية.

الوجه السادس: أن توحيد العبادة غاية الجهاد فقد استدل علماء الحنفية على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » الحديث ...

الوجه السابع: أن توحيد العبادة غاية فتح البلاد، فيطبق بعد الجهاد على العباد ؛ ليعبدوا رب العباد، ويخلعوا كل ما يعبد من دون الله من الأصنام والأوثان والطواغيت والأنداد...

الوجه الثامن: أن توحيد العبادة أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

الوجه التاسع: أن توحيد العبادة كما هو أول دعوة الرسل كذلك هو آخر [دعوة][1] الرسل ووصيتهم صلى الله عليهم وسلم؛ دل عليه قوله تعالى:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ ﴾... الآية [البقرة : ١٣٢] وقوله تعالى:﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾... الآية [البقرة : ١٣٣].

الوجه العاشر: أن توحيد العبادة أول واجب في الإسلام...

الوجه الحادي عشر: أن توحيد العبادة - كما هو أول واجب - كذلك هو آخر واجب، فهو أول الأمر وآخر الأمر؛ فتوحيد العبادة، كما هو أول ما يدخل به العبد في الإسلام كذلك يجب عليه أن يخرج به من الدنيا...

الوجه الثاني عشر: أنه لا يدخل العبد في الإسلام بأية كلمة إلا بكلمة توحيد العبادة، التي هي كلمة الإسلام: وهي كلمة: ((لا إله إلا الله)) دون غيرها من الكلمات...

الوجه الثالث عشر: أن توحيد العبادة مستلزم ومتضمن لتوحيد الربوبية دون العكس...

فمن لم يحقق توحيد العبادة، واكتفى بتوحيد الربوبية-كان كافرا من الكافرين ومشركا من المشركين...

---

[1] أضفت ما بين المعقوفتين لأن السياق يدل عليه.

ثم قال: هذه كانت أحد عشر كوكبا ؛ والشمس والقمر:

ميزات وخصائص كبرى لتوحيد العبادة وهي تدل على أهميته إلى الغاية ؛ وأنه هو الغاية العظمى والمقصد الأسنى، والهدف الأسمى والمطلب الأعلى، الجامع المتضمن لتوحيد الربوبية، المستلزم لتوحيد الأسماء والصفات. [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ١/١٢١-١٤٨]

الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

الانحراف في فهم حقيقة هذين القسمين من أقسام التوحيد ومدلولها أدى إلى عدم التمييز بين التوحيد الذي أمر الله به، والشرك الذي نهى الله عنه وحذر منه، فكان لابد من بيان أوجه الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ليعرف التوحيد الخالص والدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل في كتبه، وهي كالتالي:

١-الاختلاف في الاشتقاق اللغوي، فالربوبية مشتق من اسم الرب والألوهية مشتق من لفظ الإله.

٢-الاختلاف في التعريف، فتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله بأفعال العباد.

٣-فرق في الإقرار، فالمشركون مقرون بتوحيد الربوبية كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾. [سورة الزخرف: ٨٧]

وتوحيد الألوهية أنكره المشركون، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾. [سورة الصافات: ٣٥]

٤-فرق في المدلول، فتوحيد الربوبية مدلوله علمي، وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي.

٥-فرق في اللزوم والتضمن، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وأما توحيد الألوهية فهو يتضمن توحيد الربوبية.

٦-فرق في الكفاية، فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده للدخول في الإسلام، وأما الألوهية فالإقرار به هو أصل الإسلام والإقرار به يتضمن الإقرار بالربوبية.

٧-أن متعلق الربوبية، الأمور الكونية: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونحوها. ومتعلق توحيد الألوهية: الأوامر والنواهي، من الواجب والمحرم والمكروه. [موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الجزء الثاني، الصفحة: ٧٩٧-٧٩٨، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم بن محمد البريكان، ص: ١١٣، ط. دار ابن القيم]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "كتاب التوحيد".

ش: كتاب مضاف والتوحيد مضاف إليه، والمضاف والمضاف إليه خبر للمبتدأ المحذوف، تقديره: هذا كتاب التوحيد.

أي أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل. [القول السديد في شرح كتاب التوحيد، بقلم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، ص: ١٣]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ش: وقوله: (**خَلَقْتُ**) أي أوجدتُ. وأصل الخلقِ التقدير. [الصحاح في اللغة، ١/١٨٤ والفروق اللغوية ١/٤٣٥، والقاموس المحيط ١/١١٣٧، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٣/١٢٣، وتاج العروس ٢٥/٢٥١، ولسان العرب ١٠/٨٥، ومختار الصحاح ١/١٩٦]

قال السمين الحلبي رحمه الله: "وأصل الخلق التقديُر المستقيم. ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، كقوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ** ﴾ [سورة التغابن: ٣] ومثله: ﴿ **بَدِيعُ**

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة البقرة: ١١٧] وإذا كان بمعنى الإبداع فهو يختصّ بالباري تعالى، ولذلك فرق بينه وبين غيره في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾ [سورة النحل: ١٧] ويستعمل في إيجاد شيء من شيء". [عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الجزء الأول، الصفحة: ٦٠٦]

وقوله (ٱلۡجِنَّ): الجن عالم غيبي، نؤمن بوجودهم، لأن وجودهم ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال ابن فارس: (جن) الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر. [معجم مقاييس اللغة، ١٢١/١]

قال البيضاوي: "الجن: أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية". [تفسير البيضاوي، ٣٩٧/٥]

قال ابن عاشور: "وما ذكر الله الجن هنا إلا لتنبيه المشركين بأن الجن غير خارجين عن العبودية لله تعالى... وتقديم الجن في الذكر في قوله: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن، ليعلموا أن الجن عباد لله تعالى". [التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ٢٨/٢٧]

وقوله (وَٱلۡإِنسَ). قال السمين الحلبي رحمه الله: "الإنس: الجيل المقابل للجن... سموا بذلك لأنهم كانوا يؤنسون أي يبصرون بخلاف الجّن، فإنهم كانوا يخفون أي يستترون فلا يبصرون". [عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الجزء الأول، الصفحة: ١٤٥]

وقوله: (إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ).

قال الزمخشري: "أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها". [الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ٤/٤٠٦]

وقال الماتريدي: هذه الآية[١] علم منها معنى قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات ، الآية : ٥٦] أي إلا لأمرهم بالعبادة فيعلم المطيع من العاصي، وهو-كما قال الشهاب- كلام حسن دقيق. [حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (المسماة) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، المؤلف: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، ٨/٣٨٥]

قال العلامة العيني الحنفي رحمه الله: قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٦٥]: أي ليوحدوني. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العيني الحنفي، ١٣/١٩٨]

وقال أيضا: "العبادة بمعنى التوحيد". [المصدر السابق، ٢/٢٠٦]

وقال العلامة المعصومي الخجندي: " والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، بتحقيقي أسأل الله أن يعينني على نشره، ص: ١٥٩]

وقال أيضا: " العبادة في اللغة الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف". [المصدر السابق، ص: ١٦٤]

وقال أيضا: "والعبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده". [المصدر السابق، ص: ١٦٦]

---

[١] يشير إلى آية سورة البينة: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ البينة: ٥

وقال أيضا: "العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس، فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضا". [المصدر السابق، ص: ٢٧٠]

قال القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: " العبادة: فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه. وفي التلويح العبادة: فعل يباشره العبد بخلاف هوى نفسه ابتغاء لمرضاة الله تعالى. وهي على ثلاثة أنواع بدني محض كالصلاة والصوم ، ومالي محض كالزكاة ، ومركب منهما كالحج". [دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٢/٢١٦]

قال الشيخ محمود شكري الآلوسي رحمه الله: العبادة : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ كالتوحيد؛ فإنه عبادة في نفسه، والصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، والاستغاثة به، وغير ذلك مما رضيه وأحبه، فأمر به، وتعبد الناس به). [فتح المنان، ص: ٢٩٥]

أقول: الحكمة والغاية من خلق الجن والإنس تحقيق توحيد الله وعبادته بكل أنواعها.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦، الآية.

ش: قوله (**بَعَثْنَا**): أرسلنا.

قوله (**فِي كُلِّ أُمَّةٍ**): في كل طائفة. **قال السمين الحلبي رحمه الله**: "والأمة: الجماعة من الناس يجمعهم أمر ما، دين أو زمان أو مكان واحد، سواء كان ذلك الجامع اختياريا أو قهريا والجمع أمم". [عمدة الحفاظ، ١/١٣٣-١٣٤]

قوله (رَّسُولًا): الرسول في اللغة هو الذي أمره المرسِل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض، إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام. [التعريفات، للجرجاني، ص: ١٤٨]

الرسول: إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. [التعريفات الإعتقادية، لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ص: ١٨٠]

قوله (وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ): اجتنبوا أي ابتعدوا.

قال ابن منظور: "الطاغوت ما عبد من دون الله عز وجل، وكل رأس في الضلالِ طاغوت، وقيل: الطاغوت الأصنام، وقيل: الشيطان، وقيل: الكهنة، وقيل: مردة أَهل الكتاب". [لسان العرب، ٨/٤٤٤]

قال ابن فارس: "(طغي) الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان". [معجم مقاييس اللغة، ٣/٤١٢]

قال الراغب: "والطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله". [المفردات في غريب القرآن، المؤلف: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، ص: ٥٢٠-٥٢١]

قال الآلوسي رحمه الله: "وقال الراغب: هو عبارة عن كل متعد، وكل معبود من دون اللّه تعالى. وسمي به الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن الخير. ويستعمل في الواحد والجمع". [روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، ١٢/٢٤٢]

قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي بأن اعبدوا الله ووحدوه. ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال". [تفسير القرطبي، ١٠/١٠٣]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "قوله: (ولقد بعثنا في كل أمة) أي: في كل جماعة (رسولا) كما بعثناك إلى أهل مكة (أن اعبدوا الله) أي: وحدوا الله، وأطيعوه (واجتنبوا الطاغوت) أي: اتركوا عبادة الطاغوت، وهو الشيطان، والكاهن، والصنم". [بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى : ٣٧٣هـ)، ٢/٤٦٤]

قال المعصومي الخجندي رحمه الله: "أن أول ما فرض الله تعالى على بني آدم الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾. [سورة النساء: ٦٠]

فصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم .

ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون سواه. وتخلص كل أنواع العبادة لله، وتنفيها عن كل معبود سواه.

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت. والعبادة: الإطاعة: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾. [سورة يس: ٦٠]

فالإنسان لا يكون مؤمنا بالله إلا بعد الكفر بالطاغوت؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ١٧٩-١٨٠]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء: ٢٣، الآية.

قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ : أي أمر ووصى.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: " قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ يعني : أمر، ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أي أمر ربك ألا تطيعوا أحدا إلا إياه، يعني: إلا الله تعالى يعني: لا تطيعوا أحدا في المعصية وتطيعوا الله في الطاعة، ويقال: لا توحدوا إلا الله. وفي قراءة ابن مسعود ووصى ربك ألا تطيعوا إلا إياه". [بحر العلوم، ٣/١]

وقال السمين الحلبي رحمه الله تعالى: " قوله :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ أي حكم وبت. قال ابن عرفة: القضاء إحكام الشيء والفراغ منه، وبه سمي القاضي. والقضاء من الله حكم على عباده يطيعونه به ويعصونه به، ومن ذلك: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أي حكم بذلك تعبدا. قال: فلو كان القضاء إمضاء وإرادة لما عبد أحد غيره، كما أنه قضاء الموت فليس أحد ينجو منه لأنه قضاء إمضاء وإرادة". [عمدة الحفاظ، ٣/ ٣٧١-٣٧٢]

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "القضاء يكون كونيا وشرعيا وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات ونحو ذلك. أما القضاء الكوني ففي قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ [سورة فصلت: ١٢] والقضاء الديني الشرعي في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾". [شرح العقيدة الطحاوية، ٤٤٤/١]

أقول: القضاء الكوني لابد أن يقع والقضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع. والمراد بالقضاء في هذه الآية القضاء الشرعي، لأن الواقع يدل عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾.

الإحسان في اللغة: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير. [دستور العلماء، ٣٨/١، والتعريفات، ص: ٢٧]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله:" ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾، أي: أمر بالإحسان إلى الوالدين برا بهما وعطفا عليهما". [بحر العلوم، ٣/١]

قال القرطبي رحمه الله تعالى: "الإحسان إلى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أمرهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما. و(**إِحْسَـٰنًا**) نصب على المصدر، وناصبه فعل مضمر من لفظه؛ تقديره وأحسنوا بالوالدين إحسانا". [تفسير القرطبي، ١٣٢/٧]

قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: "﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا** ﴾ أي وأن تحسنوا إلى الوالدين وتبروهما، ليكون الله معكم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾. [سورة النحل: ١٢٨]

وقد أمر سبحانه بالإحسان إليهما للأسباب الآتية :

(أ) شفقتهما على الولد، وبذل الجهد في إيصال الخير إليه، وإبعاد الضر عنه، جهد المستطاع، فوجب مقابلة ذلك بالإحسان إليهما والشكر لهما.

(ب) إن الولد قطعة من الوالدين كما جاء في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال: "**فاطمة بضعة مني**". [أخرجه البخاري، ٢٦/٥، رقم: ٣٧١٤ ومسلم، ١٤١/٧، رقم: ٦٤٦١]

(ج) إنهما أنعما عليه، وهو في غاية الضعف، ونهاية العجز، فوجب أن يقابل ذلك بالشكر حين كبرهما،...

والخلاصة، إنه لا نعمة تصل إلى الإنسان أكثر من نعمة الخالق عليه، ثم نعمة الوالدين، ومن ثم بدأ بشكر نعمته أولا بقوله: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ ، ثم أردفها بشكر نعمة الوالدين بقوله: ﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا** ﴾". [تفسير المراغي، ١٥/٣٣-٣٤]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: ﴿ **وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾. [سورة النساء: ٣٦]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "﴿ **وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ قال بعضهم: هذا الخطاب للكفار، واعبدوا الله يعني وحِّدوا الله ﴿ **وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾ أي: لا تثبتوا على الشرك.

ويقال: الخطاب للمؤمنين اعبدوا الله، يعني اثبتوا على التوحيد ولا تشركوا به.

ويقال: اعبدوا الله يعني أطيعوا الله فيما أمركم به، وأخلصوا له بالأعمال، ولا تشركوا به شيئا.

ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين وللمنافقين وللكفار، فأمر المؤمنين بالطاعة، والمنافقين بالإخلاص، والكفار بالتوحيد.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كل عبادة في القرآن إنما يعني بها التوحيد". [بحر العلوم، ١/٣٨٣]

قال الخازن: "واعبدوا الله" يعني وحِّدوه وأطيعوه وعبادة اللّه تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح. "ولا تشركوا به شيئاً" يعني وأخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لأن من عبد مع اللّه غيره أو أراد بعمله غير اللّه فقد أشرك به ولا يكون مخلصا". [تفسير الخازن، لـ "علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن"، ١/٣٧٣]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾. [سورة الأنعام: ١٥١]

قوله ﴿ تَعَالَوْاْ ﴾ : أي هلموا وأقبلوا.

قوله ﴿ أَتْلُ ﴾ : أي أقرأ وأقصّ عليكم.

قوله ﴿ حَرَّمَ ﴾ : أي منع.

الحرام لغة: المنع. واصطلاحا: ما طلب الشارع الكف عنه على وجه الحتم والإلزام، ويثاب تاركه امتثالا، ويعاقب فاعله اختيارا. [تيسير علم أصول الفقه، للجديع، ص: ٢٢]

قال الجرجاني: "المحرم ما ثبت النهي فيه بلا عارض وحكمه الثواب بالترك لله تعالى والعقاب بالفعل والكفر بالاستحلال في المتفق". [التعريفات، ص: ٢٦٢]

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ تَعَالَوْاْ ﴾ أي: هلموا وأقبلوا: ﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا، ولا ظنا، بل وحيا منه وأمرا من عنده: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ وكأن في الكلام محذوفا دل عليه السياق،

وتقديره: وأوصاكم ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. [تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٩-٣٦٠]

قال الخازن: "قوله عز وجل : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ لما بين اللّه تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا أن الله أمرهم بتحريم ما حرموه على أنفسهم فكأنهم سألوا وقالوا: أي شيء حرم اللّه؟ فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: تعالوا، تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمّ. وقيل أصله أن تدعو الإنسان إلى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكأنه دعاه إلى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال، والمعنى: تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعني أقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون أنتم بل هو وحي أوحاه الله إلي ألا تشركوا به شيئا.

فإن قلت: ترك الإشراك واجب فما معنى قوله أن لا تشركوا به شيئا لأنه كالتفصيل لما أجمله فيقوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز.

قلت الجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أن يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا له.

الوجه الثاني: أن يكون محل النصب، واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم أن تشركوا وتكون لا صلة. وقيل: إن حرف "لا" على أصلها ويكون المعنى: أتل عليكم تحريم الشرك أي لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لأن قوله وبالوالدين إحسانا محمول على: أوصيكم بالوالدين إحسانا.

الوجه الثالث: أن يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم، ثم قال: عليكم أن لا تشركوا على الإغراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الإشراك الذي حرمه اللّه ونهى عنه هو أن يجعل اللّه شريكه من خلقه أو يطيع مخلوقا في معصية الخالق أو يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله :

﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]". [تفسير الخازن، ٢/١٧١]

وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾:

الشرك في اللغة:

قال ابن فارس: "(شرك) الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة.

فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه. وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكا لك". [معجم مقاييس اللغة، ٢٦٥/٣]

الشرك في الاصطلاح:

قال العلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله: "فالشرك عند علماء الحنفية–له عدة تعريفات:

التعريف الأول: هو ما قاله الإمام ابن أبي العز (٧٩٢هـ) رحمه الله :

هو الاعتقاد في الصالحين أنهم شفعاء عند الله، واتخاذهم وسيلة إلى الله عز وجل، وعبادتهم على هذا الأساس وهذا أصل شرك العرب؛ فإنهم لم يعتقدوا في الأصنام أنها مشاركة لله في الخلق والتدبير فإنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية لله عز وجل...

التعريف الثاني: ما قاله الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) رحمه الله:

(حقيقة الشرك: أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة– أي الكرامات وكثرة العبادة ونحوها– الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفا بصفة من صفات الكمال: مما لم يعهد في جنس الإنسان؛ بل يختص بالواجب جل مجده، لا يوجد في غيره–إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره... ؛ ونحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من أنواع الخرافات؛ كما ورد: أن المشركين كانوا يلبون بهذه التلبية: ((لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)).

فيتذلل عنده أقصى التذلل ويعامل معه معاملة العبادة مع الله تعالى) .

قلت : هذا التعريف لا يختلف عن الأول؛ وحاصله: أن الشرك: اعتقاد الإنسان في معظم: أن الله تعالى خلع عليه خلعة يستحق بها أن يعامل معاملة الله تعالى من أقصى التذلل له؛ وأقول: إن استدلال الإمام ولي الله في صدد تعريفه للشرك بتلبية المشركين–يدل على أن الشاه ولي الله رحمه الله يرى: أن شرك المشركين لم يكن لاعتقادهم في آلهتهم: أنها مالكة خالقة أربابا للكون، بل كانوا يعتقدون أن

آلهتهم مملوكة لله وأن الله هو المالك الخالق المدبر للكون؛ وإنما شركهم: زعمهم أن هؤلاء معظمون مقربون عند الله فهم شفعاؤهم عنده واسطة بينهم وبين الله، وعلى هذا الأساس كانوا يعبدونهم بأنواع من العبادات.

التعريف الثالث: وهو أيضا قاله الإمام ولي الدهلوي (١١٧٦هـ):

(الشرك أن يثبت لغير الله سبحانه وتعالى شيئا من صفاته المختصة به: كالتصرف في العالم بالإرادة التي يعبر عنها بكن فيكون ؛ أو العلم الذاتي من غير اكتساب بالحواس...)؛ ثم قال رحمه الله: (وإن كنت متوقفًا في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم–فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان؛ خصوصًا من سكن منهم بأطراف دار الإسلام؛ كيف يظنون بالولاية؟ وماذا يخيل إليهم منها ...؛ ويذهبون إلى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعًا من الشرك ...).

قلت: هذا التعريف من أوضح التعاريف للشرك عند الحنفية ، وهو نص صريح على أن القبورية أهل شرك؛ فإن هذا الإمام قد مثل للشرك وأهله بالقبورية وما يرتكبون عند زيارة القبور: من النذور والاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمات.

التعريف الرابع: ما قاله الإمام الشاه عبد القادر الدهلوي (١٢٣٠هـ) :

الشرك هو: أن يعتقد في غير الله صفة من صفات الله تعالى، كالعلم بكل شيء، أو فعل كل شيء؛ أو أن بيد فلان خيرا وشرا، أو يصرف لغير الله من التعظيم ما لا يليق إلا لله تعالى كالسجدة وطلب الحاجة، أو اعتقاد أن فلانا له الاختيار أي التصرف.

قلت: هذا التعريف للشرك دليل قاطع على أن ما يرتكبه القبورية من أنواع الاعتقاد في الأموات الذين ينذرون لهم ويستغيثون بهم في الملمات، واعتقادهم علم الغيب والتصرف في الكون فيهم– هم عين الشرك الأكبر، وأنهم أهل الشرك.

التعريف الخامس: ما قاله الإمام محمد إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ) ، وتبعه أبو الحسن الندوي واللفظ للثاني:

(اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدا بالله ويساوي بينهما بلا فرق؛ بل حقيقة الشرك: أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية وجعلها شعارا للعبودية–لأحد من الناس؛ كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة واعتقاد أنه حاضر وناظر في

كل مكان؛ وإثبات التصرف- في الكون- له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركا ...).

قلت : هذا التعريف لا يحتاج إلى تعليق وفيه عبرة للقبورية !؟!

التعريف السادس : ما قاله العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) :

(إن الشرك: هو دعاء غير الله في الأشياء التي تخص به سبحانه أو اعتقاد القدرة لغير الله فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه)؛ وقال: (الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه)؛ ثم قال مبرهنا عليه:

(وقد علم كل عالم أن عبادة الكفارة للأصنام- لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم؛ وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور [وأهلها] ....)؛ ثم ذكر رحمه الله أن القبورية أشد خوفا وعبادة للأموات منهم لله تعالى. [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ١/٣٦١-٣٦٦]

أقسام الشرك:

بعض العلماء قسموا الشرك إلى قسمين:

١ -الشرك الأكبر.

٢ -الشرك الأصغر.

وبعض العلماء قسموا الشرك إلى ثلاثة أقسام:

١ -الشرك الأكبر.

٢ -الشرك الأصغر.

٣ -الشرك الخفي.

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة ، أهمها ما يلي:

١ -أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢ -أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣ -أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤-أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب. [أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، (١ / ٨٢-٨٣)]

أقوال علماء الحنفية في بيان أنواع الشرك:

[١]- قول الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الملقب عند الحنفية بالإمام الرباني ومجدد الألف الثاني (١٠٣٤هـ):

ذكر للشرك نوعين:

الأول: الشرك في وجوب الوجود.

الثاني: الشرك في العبادة.

ولما كان النوع الأول غير واقع والثاني هو الواقع في المشركين عامة والقبورية خاصة – اهتم ببيان الشرك في العبادة ردا على القبورية فقال:

(ما أشد سفاهة من لا يشركون بالله شيئا في وجوب الوجود ومع ذلك يشركون به تعالى في العبادة ..... ، بل الأهم والأحوج إليه والأنفع في هذه الطرق نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات؛ فإن المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبي من الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات؛ أيضًا ينفون شريك وجوب الوجود ...... ، ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة.

وفارغون عن نفي شريك استحقاق العبادة، لا يتحاشون من عبادة الغي، ولا يتكاسلون من عمارة الدير، الأنبياء هم الذين يهدمون الدير وينهون عن عبادة الغير، والمشرك في لسان هؤلاء الأكابر- من يكون أسيرا لعبادة غير الحق سبحانه، وإن كان قائلا بنفي وجوب الوجود، فإن اهتمامهم في نفي عبادة ما سوى الحق سبحانه المتعلق بالعمل والمعاملة المستلزم لنفي شريك وجوب الوجود؛ فمن لم يتحقق بشرائع هؤلاء الأكابر عليهم الصلوات والتسليمات المنبئة عن نفي استحقاق ما سوى الله للعبادة – لا يتخلص من الشرك، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة)؛ ثم ذكر أن المقصود من بعثة الرسل إنما هو تحقيق توحيد العبادة والنجاة من الشرك في عبادة الله عز وجل...

[٢] – قول الإمام أحمد الرومي أحد عظماء الحنفية الذي له جهود عظيمة في إبطال عقائد القبورية (١٠٤٣هـ) ، [٣]- قول الشيخ سبحان بخش الهندي، [٤]- قول الشيخ محمد السورتي،

فهؤلاء العلماء ذكروا ستة أنواع للشرك منها الشرك في العبادة، وقالوا في بيان هذا النوع من الشرك – واللفظ للأول–:

(والثالث من أنواع الشرك – شرك تقريب:

وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله؛ كشرك متقدمي عبدة الأصنام، فإنهم لما رأوا أن عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة ونهاية الحقارة – سوء أدب عظيم – تقربوا إليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده ......).

ثم بوبوا فقالوا ؛ واللفظ للأول أيضًا:

(المجلس السابع عشر في بيان عدم جواز الصلاة عند القبور والاستمداد من أهلها واتخاذ السروج والشموع عليها) .

ثم أطنبوا في الرد على عقائد القبورية وحققوا أن هذا النوع من الشرك – وهو عبادة غير الله – موجود في القبورية ، وأتوا بتحقيقات دقيقة وتدقيقات عميقة في إبطال عقائد القبورية مما فيه عبرة للقبورية وسخنة الأعين للخرافية وقرة عيون السنية .

[٥]– قول الشيخ محمد أعلى الفاروقي أحد علماء الحنفية.

لقد ذكر عدة أنواع للشرك في مبحث طويل رد فيه على القبورية:

منها الشرك في العبادة.

ومنها الشرك في الطاعة أي في التحليل والتحريم.

ومنها الشرك في التسمية.

ومنها الشرك في العلم ، ومنها الشرك في القدرة.

ثم قال في بيان سبب عبادة الأوثان:

(ولا بد من بيان سبب عبادة الأوثان؛ إذ عبادة الأحجار من جم غفير عقلاء، ظاهر البطلان)؛ ثم ذكر عدة أسباب ، منها التقرب إلى الله وقال في بيان ذلك:

(وعابدو الأوثان فيهم من كانوا لا يقولون: إنهم شركاء الله في الخلق وتدبير العالم؛ بل كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فثبت أن الأكثر منهم كانوا مقرين بأن الله إله العالم واحد، وأنه ليس

في الإلهية- بمعنى خلق العالم وتدبيره- شريك ونظير كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

ثم تصدى للرد على القبورية وبيان كشف زيغهم وإبطال عقيدتهم في الشفاعة، والتوسل الشركيين، فقال: (والفرقة الرابعة هي فرقة عباد الشيوخ وأنصارها:

يقولون: حيث إن الرجل الكبير مستجاب الدعوات مقبول الشفاعات بسبب كمال الرياضة والمجاهدة فإنه ينقل قوة عظيمة وبسطة من هذه الدنيا إلى روحه، فكل من يجعل صورته برزخا أو يسجد على قبره ويتذلل أو يذكره في مكان عبادته، أو ينذر نذًرا باسمه، أو يفعل نحو ذلك-فإن روح ذلك الشيخ- بسبب كماله-تطلع على هذا الأمر وتشفع له في الدنيا والآخرة)؛ وقال أيضًا في بيان إبطال توسل القبورية:

(ومن جملتهم الأشخاص الذين يدعون الآخرين لدفع البلاء عنهم ويتوسلون بالآخرين في تحصيل المنافع، ويعدون الآخرين عالمين بالغيب وذوي قدرة مطلقة مستقلين بذاتهم. وهذا نوع من الشرك في العلم والقدرة).

قلت (القائل هو العلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله): هذا النص في غاية من الأهمية لإبطال عقائد القبورية وبيان أنهم يرتكبون أنواعًا من الشرك كالشرك في العبادة حيث يعبدون القبور وأهلها بنذور وسجود ونداء واستغاثة لدفع البلاء وتحصيل المنافع وأن القبورية يرتكبون شفاعة شركية ووسيلة خرافية.

وأنهم يعتقدون فيمن يدعونهم ويستغيثون بهم من الأولياء-أنهم عالمون بالغيب وقادرون بقدرة مطلقة مستقلين بذاتهم، وأن القبورية لأجل هذه العقائد الشركية مرتكبون شركا في العلم وشركا في القدرة.

تنبيه: قوله: ((مستقلين بذاتهم))-ليس قيدا لتحقيق الشرك، بل بيان أن القبورية قد وصلوا في شركهم إلى حد-اعتقد بعضهم: أن للأولياء قدرة مطلقة، مستقلين بذواتهم، وهذا تكذيب للقبورية أيما تكذيب !؟!؛ إذ ليس هذا إلا شركًا في الربوبية والصفات؛ فالقبورية أشركوا بالله حتى أشركوا في الربوبية فضلا عن الشرك في العبادة.

[٦]- قول الإمام ولي الله رحمه الله.

لقد بوب الإمام ولي الله الدهلوي أحد كبار أئمة الحنفية (١١٧٦هـ) ليرد على مزاعم القبورية ويبطل عقائدهم ببيان أنواع الشرك فقال:

((باب أقسام الشرك)).

ثم ذكر تعريف الشرك وقد تقدم نصه ثم قال: ((ورد في الحديث: أن المشركين كانوا يلبون بهذه الصيغة: ((لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)).

ثم ذكر: أن المشرك يتذلل عند معبوده الباطل أقصى التذلل، ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى؛ ثم ذكر للشرك عدة أنواع سماها الشرك ومظانه على ما يلي:

١ - الشرك في السجود.

٢ - الشرك في الاستعانة.

٣ - الشرك في النذور.

وقال: ((ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم يتوقفون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور، ويتلون أسماءهم رجاء بركتها، فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى :﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن : ١٨]؛ وليس المراد من الدعاء العبادة، كما قال بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى: ﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ ﴾ ...؛ [الأنعام : ٤١] ؛ ثم ذكر نوعين آخرين للشرك:

٤ - تسمية بعض شركائهم بنات الله وأبناء الله.

٥ - الشرك في الطاعة وهو طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله الله.

ثم ذكر في إبطاله قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] ، وحديث عدي بن حاتم المعروف.

ثم قال: ((وسر ذلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء الفلاني يؤاخذ به أو لا يؤاخذ به، فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها، وهذا في صفات الله)).

ثم ذكر أن من فعل هذا الشرك فهو مشرك بالله تعالى، ثم ذكر أنواعًا ثلاثة أخرى للشرك:

٦ – الشرك في الذبح والإهلال باسم غير الله.

٧ – تسييب السوائب والبحائر تقربا إلى غير الله.

٨ – الشرك في الحلف بغير الله .

وقال: (ومنها أنهم كانوا يعتقدون في أناس أن أسماءهم مباركة معظمة وكانوا يعتقدون أن الحلف بأسمائهم على الكذب يستوجب حرما في ماله وأهله، فلا يقدمون على ذلك؛ ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بأسماء شركائهم بزعمهم، فنهوا عن ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقد فسره بعض المحدثين على معنى التغليظ والتهديد، ولا أقول بذلك، وأن المراد عندي: اليمين المنعقدة، واليمين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا)).

ثم ذكر نوعا آخر للشرك:

٩ – الشرك في الحج لغير الله.

وقال في شرحه وبيانه:

(ومنها الحج لغير الله تعالى:

وذلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم-يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد »).

وقال: (كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فسد النبي صلى الله عليه وسلم الفساد، لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله، والحق عندي أن القبر ومحل عبادة ولي من أولياء الله والطور كل ذلك سواء في النهي) .

وذكر نوعا آخر للشرك، وهو:

١٠ – الشرك في التسمية بأن يسمي ابنه عبد العزى وعبد الشمس ونحو ذلك.

ثم قال بعد ذكر هذه الظاهرة للشرك:

(فهذه أشباح وقوالب للشرك نهى الشارع عنها).

وذكر أن شرك الطاعة التي هي عبادة الأحبار والرهبان قد وقع فيه بعض المقلدين الجامدين للأئمة الذين لا يتركون التقليد وإن ظهر الدليل على خلاف قول إمامهم.

[٧]- قول الشاه محمد إسماعيل المجاهد (١٢٤٦هـ).

[٨] - وقول الشيخ أبي الحسن الندوي.

لقد مشى على طريقة الإمام ولي الله حفيده العلامة إسماعيل الدهلوي وتبعه الشيخ أبو الحسن الندوي في بيان أنواع الشرك الموجودة في القبورية فقالا واللفظ للثاني:

(استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس.

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر)، ثم ذكر بعد عنوان: ((مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة)) - ما يلي:

١ - الشرك بدعاء الأولياء والاستغاثة بهم.

٢ - الشرك بالاستعانة من الأولياء.

٣ - الشرك بالنذر والذبح للأولياء.

٤ - الشرك في التسميات بأن ينسب الأولاد إلى الأولياء بمعنى أنهم من عطاء غير الله ككثير من الأسماء الشركية؛ نحو عبد النبي، وهبة علي، وهبة حسين، وهبة المدار وهبة سالار وذلك طمعا في رد البلاء عنهم.

٥ - الحلف بأسماء الأولياء.

٦ - إرسال الظفيرة باسم ولي من أولياء الله.

٧ - تعليق القلادة لولي من الأولياء.

٨ - إلباس الولد لباسا خاصا باسم ولي من الأولياء.

٩ - صفد الابن بقيد في رجله باسم ولي من الأولياء.

١٠ - السجود لغير الله.

١١ - اعتقاد علم الغيب في غير الله.

١٢ - إثبات قدرة التصرف لغير الله.

ثم قالا: (كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركا).

قلت: في هذا النص أبلغ الرد على القبورية في صميم اعتقاداتهم الباطلة.

[٩]- قول آخر للشاه المجاهد المذكور (١٢٤٦هـ) وقد شن الغارة على القبورية لإبطال عقائدهم الوثنية.

فذكر أن الشرك أولًا على نوعين؛ ١- الشرك في الربوبية.

٢ - الشرك في الألوهية.

ثم ذكر أنه تفرع منها أربعة أنواع أخرى وهي:

١ - الشرك في العلم بمعنى علم الغيب.

٢ - الشرك في التصرف.

٣ - الشرك في العبادة.

٤ - الشرك في العادة يعني في الأعمال العادية.

[١٠]- وتبعه أيضًا الشيخ أبو الحسن الندوي في بيان هذه الأنواع الأربعة، وشدد النكير على القبورية لإبطال عقائدهم الخرافية.

[١١]- قال العلامة السيد محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ):

(إن الشرك نوعان:

١ - شرك في الربوبية: بأن يجعل معه لغيره تدبيرا ما ...

٢ - وشرك في الألوهية: بأن يدعي غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ...) .

[١٢]- قول العلامة حسين علي (١٣٦٢هـ) أحد عظماء الحنفية.

[١٣]- قول غلام الله الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن (١٩٨٠م).

فقد تصديا لإبطال عقائد القبورية وبيان أن القبورية ارتكبوا عدة أنواع من الشرك، فذكرا من تلك الأنواع ما يلي:

١ - الشرك في العلم.

٢ - الشرك في التصرف.

٣ - الشرك في الدعاء.

٤ – الشرك الفعلي.

ثم ذكرا تعريفات كل نوع منها، وكشفا عن تمويهات القبورية وخرافاتهم.

١٤ – قول الأستاذ أبي الأعلى المودودي (١٩٧٩م) رحمه الله.

لقد قسم الأستاذ المودودي رحمه الله الشرك أولًا إلى قسمين:

١ – الشرك الاعتقادي.

٢ – الشرك العملي.

وقسم الشرك الاعتقادي إلى أربعة أقسام:

١ – الشرك في الذات.

٢ – الشرك في الصفات، وهو إثبات صفة من صفات الله تعالى لغيره سبحانه كاعتقادهم الغيب في غيره تعالى.

أو أن غيره تعالى يسمع كل ما يسمع ويبصر كل شيء أو منزه عن كل عيب ونقص وخطأ.

٣ – الشرك في الاختيار وهو إثبات التصرف والنفع والضر والإغاثة والحفظ والإجابة والخير والشر فوق الأسباب العادية لغيره تعالى، والتصرف في التشريع من التحليل والتحريم والتقنين.

٤ – الشرك في الحقوق وهو الشرك في العبادة.

كالسجود والركوع والقيام والنذر والذبح والقربان ورجاء رفع الحوائج والمشكلات والدعاء وقت نزول المصائب والبلايا لغير الله سبحانه.

وكذا كل ما يدخل في العبادة بجميع أنواعها وصورها.

وهكذا الطاعة لغير الله تعالى طاعة مطلقة.

كل ذلك من قبيل الإشراك بالله تعالى في حقوقه وعبادته.

قلت: الشرك في الاختيار هو في الحقيقة داخل في الشرك في الصفات.

فالأولى أن يقال: الشرك في الذات، الشرك في الصفات، الشرك في العبادات؛ غير أن الشرك في الذات أمر ذهني يتصوره العقل فقط وليس له وجود في الخارج فلا تعرف طائفة كائنة من بني آدم ارتكبت الشرك في الذات.

[١٥]– قول شيخ القرآن الفنجفيري (١٤٠٧) رحمه الله.

[١٦]- قول الشيخ الرستمي حفظه الله.

لقد تصدى الشيخ محمد طاهر الفنجفيري الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن وتبعه تلميذه الشيخ عبد السلام الرستمي، للرد على القبورية وإبطال عقائدهم الوثنية فكشفا الستار عن كثير من أسرارهم ونبها على مفاسدهم وأضرارهم، وبينا عدة أنواع للشرك، فقالا، واللفظ للثاني:

(بحث أقسام الشرك: اعلم أن الشرك في التفصيل له أنواع كثيرة؛ لأن الإشراك بالله تعالى في كل صفة مختصة به تعالى-نوع من الشرك، وكذا الإشراك في كل حق من حقوقه تعالى-نوع مستقل [من أنواع الشرك]؛

والصفات والحقوق الإلهية كثيرة؛ فالأنواع للشرك بجنبها كثيرة، لكنها في الأصل ترجع إلى نوعين :

(١) شرك اعتقادي، (٢) وشرك فعلي، والأول على أربعة أقسام:

(١) الشرك في العلم ((علم الغيب))،

(٢) والشرك في التصرف والاختيار،

(٣) والشرك في الدعاء؛ يعني النداء والاستغاثة.

(٤) والشرك في العبادة .

فنذكر هذه الأقسام بالنهج الذي ساقه القرآن) .

[١٧]- وقد ذكر الشيخ الرستمي أنواعا أخرى بترتيب آخر، وهي:

١ - الشرك في المالكية.

٢ - الشرك في الربوبية لا يعني الشرك في ((الحكم)) أي الطاعة.

٣ - الشرك في التصرف .

٤ - الشرك في الاستعانة .

٥ - الشرك في الاستعاذة .

٦ - الشرك في الاستجارة .

٧ - الشرك في البركة .

٨ - الشرك في الصفات .

٩ - الشرك في العلم .

١٠ – الشرك في العبادات القولية.

١١ – الشرك في العبادات العملية.

١٢ – الشرك في الدعاء.

١٣ – الشرك في الألوهية. ويعني به الشرك في الربوبية.

الحاصل: أن هذه عدة أنواع للشرك. ذكرتها عن علماء الحنفية الذين ردوا على القبورية وهي تدل دلالة قاطعة على أن القبورية قد ارتكبوا أنواعا من الشرك الأكبر بالله سبحانه، وذلك بعبادتهم للقبور وأهلها . [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للعلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله، (١ / ٣٨٠-٣٩٦)]

قال محمد سلطان المعصومي رحمه الله: "ثم إن الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا إنما يصدر غالبا ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وهكذا حال أكثر الناس...". [مفتاح الجنة لا إله إلا الله، ص: ٧١]

وقوله ﴿ شَيْـًٔا ﴾: نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء: لا نبيا، ولا ملكا، ولا وليا، بل ولا أمرا من أمور الدنيا، فلا تجعل الدنيا شريكا مع الله، والإنسان إذا كان همه الدنيا كان عابدا لها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميلة، تعس عبد الخميصة). [القول المفيد على كتاب التوحيد، ٣٥/١]

يقول العلماء: نكرة في سياق النهي تعم كل ما عبد من دون الله عز وجل، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو صالحا من الصالحين أو شجرا أو حجرا أو قبرا أو غير ذلك؛ كله يعمُّه كلمة: "﴿ شَيْـًٔا ﴾" فهي كلمة عامة؛ يعني:أي شيء من الأشياء لا يجوز أن يُصرف له شيء من عبادة الله سبحانه وتعالى. وأيضا: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ يشمل كل أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فليس هناك شيء من الشرك يتسامح فيه لا أكبر ولا أصغر، لأن قوله تعالى: ﴿ شَيْـًٔا ﴾ كلمة عامة تنفي جميع الشرك

كبيره وصغيره، كما أنها تمنع أن يشرك مع الله أحد كائنا من كان، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والصالحون، ولا الجمادات، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا القبور، ولا أي شيء؛ لا يجوز أن يصرف شيء من العبادة لغير الله، لا النذور، ولا الذبائح، ولا الطواف، ولا الدعاء، ولا الخوف، ولا الرجاء، ولا الرغبة، ولا الرهبة؛ لا يجوزلك سواءً كان شركا أكبر أو شركا أصغر، سواء كان شركا جليا ظاهرا أو شركا خفيا في القلوب. [إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ١/٣٢]

قال حقي: "﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ **تَعَالَوْا** ﴾ أمر من تعالى والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم فتكلم به كل من تطلب أن يتقدم ويقبل إليه شخص سواء كان الطالب في علو أو سفل أو غيرهما ﴿ **أَتْلُ** ﴾ جواب الأمر أي أقرأ ﴿ **مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ** ﴾ أي الذي حرمه ربكم، أي الآيات المشتملة عليه ﴿ **عَلَيْكُمْ** ﴾متعلق بحرم ﴿ **أَنْ** ﴾ مفسرة ﴿ **لَا** ﴾[1] ناهية ﴿ **تُشْرِكُوا بِهِ** ﴾ تعالى ﴿ **شَيْئًا** ﴾ من الأشياء فتقدير الكلام ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا به شيئا اعلم أنهذه الآيات الثلاث إلى قوله: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ تشتمل على عشر خصال جامعة للخير كله لم ينسخهنّ شئ من جميع الكتب فهن محرمات على بني آدم كلهم لم يختلفن باختلاف الأمم والاعصار من عمل بهن دخل الجنة ومت تركهن دخل النار. أولاهن قوله: ﴿ **أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ قدم الشرك لأنه رأس المحرمات ولا يقبل الله تعالى معه شيئا من الطاعات". [تفسير حقي، ٤/٧٣]

قال الآلوسي رحمه الله: "وبدأ سبحانه بأمر الشرك لأنه أعظم المحرمات وأكبر الكبائر". [روح المعاني، ٤/٢٩٧]

قال الشيخ المراغي: "﴿ **أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾: أي ومما أتلوه عليكم في بيان هذه المحرمات وما يقابلها من الواجبات–ألا تشركوا بالله شيئا من الأشياء وإن عظمت في الخلق كالشمس والقمر والكواكب، أو في القدر كالملائكة والنبيين والصالحين، فإن عظمتها لا تخرجها عن كونها مخلوقة لله،

---

[1] في المصدر "ألا" والصحيح ما أثبت، لأن السياق يدل عليه.

مسخرة له بقدرته وإرادته: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾. [سورة مريم: ٩٣]

ويلزم هذا أن تعبدوه وحده بما شرعه لكم على لسان رسوله لا بأهوائكم ولا بأهواء أحد من الخلق أمثالكم". [تفسير المراغي، ٨/٦٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية".

ش: قوله "ابن مسعود": هو عبد الله بن مسعود بن غافل – بمعجمة وفاء – ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن صحابي جليل من السابقين الأولين وأهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان من كبار علماء الصحابة أمر عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه.

قوله "**وصية**": الوصية: تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع، سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع. والوصية والوصايا اسمان كذا في التعريفات. [أنيس الفقهاء، ١/١١١]

الوصايا: جمع الوصية وهي في اللغة مصدر كالوصاية بالفتح أو الكسر تقول: وصات[١] الشيء بالشيء إذا أوصلته به ووصيت الأرض إذا اتصل نبتها ذكره الجوهري .

وفي الشرع: إيجاب شيء من مال أو منفعة لله تعالى أو لغيره بعد الموت. [دستور العلماء، ٣/٣١٤]

قوله "**خاتمه**": **قال ابن فارس**: "(ختم) الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخِرِ الشيء. يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة. فأما الختم، وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره، في الأحراز. والخاتم مشتق منه؛ لأن به يختم". [معجم المقاييس، ٢/٢٠٠]

---

[١] كذا في الأصل ولعلها: "وصيت".

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "وهذا الأثر رواه الترمذي وحسنه و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني بنحوه وقال بعضهم: معناه من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتب وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ: (قل تعالوا – إلى آخر الآيات) شبهها بالكتاب الذي كتب ثم ختم فلم يزد فيه ولم ينقص. فإن النبي صلى الله عليه و سلم لم يوص إلا بكتاب الله كما قال فيما رواه مسلم: [وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله]. وقد روى عبادة بن الصامت قال: [قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ حتى فرغ من الثلاث الآيات ثم قال من وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه] رواه ابن أبي حاتم و الحاكم وصححه و محمد بن نصر في الاعتصام.

قلت (القائل هو العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله): ولأن النبي صلى الله عليه و سلم لم يوص أمته إلا بما وصاهم الله تعالى به على لسانه وفى كتابه الذي أنزله: ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ٨٩] وهذه الآيات وصية الله تعالى ووصية رسوله صلى الله عليه و سلم". [فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص: ٥٤-٥٦]

قوله ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾:

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "ومعنى الآية: إن هذا الإسلام ديني الذي ارتضيته طريقا مستقيما ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ يعني: لا تتبعوا اليهودية والنصرانية. ويقال: هذا صراطي مستقيما. يعني: طريق السنة والجماعة فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يعني: الأهواء المختلفة. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي عليه السلام خط بالأرض خطا مستقيما، ثم خط بجنبيه

خطوطا، ثم قال: هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل يعني: الطريق الذي بجنبي الخط، يعني به: الأهواء المختلفة. ثم قال: ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ يعني: فيضلكم عن دينه ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يعني يجتنبون الأهواء المختلفة". [بحر العلوم، ٢/ ٩٠]

قال الخازن: " قوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ يعني وأن هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه ويعني فاعملوا به.

وقيل: إن الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمين ما وصى به مفصلا أجمله في هذه الآية إجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من دين الإسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين وأمرهم باتباع جملته وتفصيله ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ يعني الطرق المختلفة والأهواء المضلة والبدع الرديئة.

وقيل السبل المختلفة مثل: اليهود والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده، روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال: خطلنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية. ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة".[تفسير الخازن، ٢/١٧٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه و سلم على حمار فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟"... الخ.

ش: قوله "معاذ بن جبل رضي الله عنه": معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم وهو فتى، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب.

وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله، بعد غزوة تبوك، قاضيا ومرشدا لأهل اليمن، وأرسل معه كتابا إليهم يقول فيه: (إني بعثت لكم خير أهلي) فبقى في اليمن إلى أن توفى النبي صلى الله عليه وسلم وولي أبو بكر، فعاد إلى المدينة. ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام. ولما أصيب أبو عبيدة (في طاعون عمواس) استخلف معاذا. وأقره عمر، فمات في ذلك العام. [الأعلام للزركلي، ٢٥٨/٧]

قوله "**رديف**": (ر د ف): الرديف الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة. [المصباح المنير، ٣٨٤/٣] وهو الذي يركب خلف الراكب. [مختار الصحاح، ص: ٢٦٧]

قوله "**حمار**": يقال له: عفير. فإن اسم الحمار اسم جنس سمي به عفير ليتميز به عن غيره. [عمدة القاري، ٣١٦/٢١]

قوله: "**ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله**".

قال الطيبي: الحق نقيض الباطل؛ لأنه ثابت والباطل زائل، ويستعمل في الواجب واللازم والجدير والنصيب والملك، وحق الله تعالى بمعنى الواجب واللازم، وحق العباد بمعنى الجدير لأن الإحسان إلى من لم يتخذ ربا سواه جدير في الحكمة أن يفعله، قال هذا هو الوجه، وقيل: حق العباد على الله تعالى ما وعدهم به من الثواب والجزاء، ومن صفة وعده أن يكون واجب الإنجاز فهو حق بوعده الصدق، وقوله

الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد، أو المراد أنه كالواجب في تحققه وتأكده، أو قال حقهم على الله على جهة المقابلة والمشاكلة لحقه عليهم، فالله تعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر، إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل لأنه كاشف لا موجب...المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، عطف عليها عدم الإشراك لأنه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله، ولكنهم يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك، والجملة حالية، والتقدير: يعبدونه في حال عدم الإشراك به". [مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى : ١٤١٤هـ)، ٨٩/١]

قوله: "**الله ورسوله أعلم**". يقال هذا في حال حياة الرسول ﷺ، وأما بعد وفاته ﷺ يقال "الله اعلم".

قوله "**أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا** ": من الأشياء أو الإشراك. وفي رواية لمسلم: ((أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟)) والإشارة إلى ما تقدم من قوله: يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وفي رواية للبخاري: ((إذا فعلوه)).

قال القاري:أي لا يعذبهم عذاباً مخلداً، فلا ينافي دخول جماعة النار من عصاة هذه الأمة كما ثبت به الأحاديث الصحيحة-انتهى.

قلت: لا حاجة إلى هذا التأويل فإن عدم التعذيب إنما هو لمن عبده ولم يشرك به شيئاً، والمراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي مع الإقرار باللسان والتصديق بالقلب كما علمت، ومن كان كذلك لا يعذب مطلقاً ويدخل الجنة أولاً معافى، ومن هاهنا ظهر أن الوعد المذكور في الحديث إنما هو بعد ملاحظة جميع ما ورد في الشرع من الأوامر والنواهي، ومراعاة جميع الفرائض والواجبات الشرعية، ثم الاتكال فيما وراء ذلك من فضائل الأعمال وفواضلها أي السنن والنوافل، وهذا لأن الإنسان أرغب في دفع المضرة من جلب المنفعة، فإذا علم أن الإقرار والتصديق والعمل بالفرائض والاجتناب عن

المعاصي يكفي له في نجاته من العذاب وتخليصه منه ذهب يقنع ويتكاسل عن السنن والمستحبات ولا يجتهد في تحصيل الدرجات العليا، وهذا أمر كأنه جبل عليه، ولا شك أن الاكتفاء بالفرائض والواجبات والتقاعد عن السنن والنوافل نقيصة وحرمان عن المدارج العالية، فمنع النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذا أن يخبر به لئلا يتكلوا وليجتهدوا في معالي الأمور، والدليل على أن المراد من الاتكال الآتي في الحديث الاتكال عن السنن والنوافل ما رواه الترمذي في صفة الجنة عن معاذ بن جبل أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–قال: ((من صام رمضان وصلى الصلاة وحج البيت–لا أدري أذكر الزكاة أم لا– إلا كان حقاً على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي ولد بها، قال معاذ: ألا أخبر بها الناس؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة، والفردوس أعلا الجنة وأوسطها، قال: فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس))، ففيه ذكر الفرائض أيضا والتحريض على الدرجة العلياء، ويدل عليه أيضا ما رواه أحمد عن معاذ، وسيأتي في آخر الفصل الثالث، فظهر أنه لم يرد في الحديث المجمل الاتكال عن الفرائض كيف وترك الفرائض لا يرجى من عوام المؤمنين وشأن الصحابة أرفع". [مرعاة المفاتيح، ١/٨٩–٩٠]

قوله "**أفلا أبشر الناس؟**": أي إذا كان كذلك أفلا أبشرهم بما ذكرت من حق العباد، والبشارة: إيصال خبر إلى أحد يظهر أثر السرور منه على بشرته. [مرعاة المفاتيح، ١/٢٥٧]

قوله: "**لا تبشرهم فيتكلوا**".

يتكلوا: أي يعتمدوا ويتركوا الاجتهاد في حق الله تعالى. [مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٩٠، رقم: ٢٥]

لماذا رواه معاذ رضي الله عنه مع كونه منهيا عنه؟

قال أبو الحسن المباركفوري و الطيبي رحمهما الله، والقول للثاني: وإنما رواه معاذ مع كونه منهيا لأنه علم أن هذا الإخبار يتغير بتغير الأزمان والأحوال، والقوم يومئذ كانوا حديثي عهد بالإسلام ولم يعتادوا بتكاليفه، فلما استقاموا وتثبتوا أخبرهم به بعد ورود الأمر بالتبليغ والوعيد على الكتمان

والتضييع، ثم إن معاذا مع جلالة قدره لم يخف عليه ثواب من نشر علما، ووبال من كتمه ضنا فرأى التحديث به واجبا، ويؤيده ما ورد في الحديث الذي يتلوه: فأخبر به معاذ عند موته تأثما. انتهى[المصدر السابق، ١/٩٠]

قوله: "**أخرجاه في الصحيحين**". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ٤/٣٥، رقم الحديث: ٢٨٥٦، ومسلم في صحيحه، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك، ١/٤٣، رقم الحديث: ١٥٣.

فوائد الحديث:

الأولى: فيه أنه يجب أن يخص بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه.

الثانية: فيه جواز ركوب الاثنين على دابة واحدة، [إذا لم يشق عليها].

الثالثة: فيه منزلة معاذ رضي الله عنه وعزته عند رسول الله ﷺ.

الرابعة: فيه تكرار الكلام لنكتة وقصد معنى.

الخامسة: فيه جواز الاستفسار من الإمام عما يتردد فيه واستئذانه في إشاعة ما يعلم به وحده.

السادسة: فيه الإجابة بلبيك وسعديك. [هذه الفائدة مأخوذ عن غير هذه الرواية].

السابعة: فيه بشارة عظيمة للموحدين. [عمدة القاري ٣/٤٢٨، ما بين المعقوفتين من إضافاتي]

الثامنة: أول حق لله على المكلفين إفراده بالعبادة.

التاسعة: تواضعه صلى الله عليه وسلم.

العاشرة: الأسلوب الاستجوابي في التعليم من أساليب الإسلام.

الحادية عشرة: الجمع بين هذا الحديث وبين حديث من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام يوم القيامة من النار: أن حديث اللجام يفيد تحريم الكتم عموما في جميع المسائل، أما حديثنا هذا فيفيد جواز كتم العلم إذا ترتب على إظهاره مفسدة متحققة.

الثانية عشرة: أن عرق الحمار طاهر.[الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، ص: ٢٩-٣٠]

❀❀❀

الباب الأول

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**"، أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: "**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله ؛ قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**". رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**".



الباب لغة: الفرجة التي يدخل منها إلى الدار، ويطلق على ما يسد به ويغلق، من خشب ونحوه.

واصطلاحا: اسم لطائفة من المسائل مشتركة في حكم، وقد يعبر عنها بالكتاب وبالفصل، وقد يجمع بين هذه الثلاثة. [تاج العروس من جواهر القاموس، ١/١٢٥]

وقوله (فضل): **قال ابن فارس**: "الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء. من ذلك الفضل: الزيادة والخير. والإفضال: الإحسان".

قال الجرجاني: (الفضل) الإحسان ابتداء بلا علة. [التعريفات ص: ٢١٥، والمعجم الوسيط، ٢/٦٩٣]

ويأتي الفضل بمعنى الفائدة والأجر والمزية، يقال: فضل الذكر: فائدة وأجر ذكر الله تعالى.

وقوله (**وما يكفر من الذنوب**): وتكفير الذنوب، محوها.

وقوله (**الذنوب**): **قال ابن منظور**: "الذنب الإثم والجرم والمعصية والجمع ذنوب وذنوبات جمع الجمع". [لسان العرب، ١/٣٨٩]

وقال عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: "الذنب...وبفتح الأول وسكون الثاني (المعصية) بالفارسية (گناه) وهو ما يحجبك عن الله تعالى وجمعه الذنوب. [دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ١/٨٩-٩٠]

هذا الباب في بيان فضل التوحيد وفي بيان تكفير الذنوب بسبب التوحيد. وتكفير الذنوب من فضائل وثمرات التوحيد والعطف هنا عطف الخاص على العام وليس عطف المغايرة.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ الأنعام: ٨٢.

قوله ﴿ **يَلۡبِسُوٓاْ** ﴾: يخلطوا.

قوله: ﴿ **بِظُلۡمٍ** ﴾. **قال الجرجاني رحمه الله**: "الظلم وضع الشيء في غير موضعه. وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد". [التعريفات، ص: ١٨٦]

أنواع الظلم:

١-ظلم لا يغفره الله، وهو الشرك.

٢-ظلم يغفره الله.

٣-ظلم لا يتركه الله.

قال صلى الله عليه وسلم: "الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يتركه الله فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال الله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣. وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم. وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يدين لبعضهم من بعض". [رواه البزار في مسنده، ٢٩٠/٢، رقم: ٦٤٩٣. قال الشيخ الألباني رحمه الله: حديث حسن، الجامع الصغير وزيادته، ٧٤١/١، رقم: ٧٤٠٨]

والمراد بالظلم في الآية الشرك، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم.

عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما نزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قلنا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿ لم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ بشرك أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. [رواه البخاري، ١٧٢/٤، رقم: ٣٣٦٠]

وعنه رضي الله عنه أيضًا، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣. [رواه البخاري، ٢٣/٩، رقم: ٦٩٣٧]

وقال الملا علي القاري في شرح هذا الحديث: "(**عن ابن مسعود قال لما نزلت**) بالتأنيث لكون ما بعده من فاعله آية، والتقدير لما نزلت آية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ﴾ ، بكسر الموحدة أي لم يخلطوا ﴿ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ تمامه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ أي في الآخرة ﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام-٨٢] أي في الدنيا (**شق ذلك**) أي صعب ذلك الكلام أو الحكم (**على أصحاب رسول الله** ﷺ)أي ظنًا منهم أن المراد بالظلم مطلق المعاصي كما يتبادر إلى الفهم لاسيما من التنكير الذي يفيد العموم. (**وقالوا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه**) أي ظلًما قاصرا أو متعديا مع أن الثاني أيضًا يرجع إلى ظلم النفس لقوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ﴾الإسراء: ٧، (**فقال رسول الله** ﷺ **ليس ذاك**) أي ليس معناه كما فهمتم (**إنما هو**) أي الظلم (**الشرك**). ففي التنكير إشارة إلى أن المراد أي نوع من الكفر أو أريد به التعظيم أي بظلم عظيم، كما يدل عليه قوله: (**ألم تسمعوا قول لقمان لابنه**) أي وهو مؤمن ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ أي لا تخلط الإشراك بالإيمان بالله وسائر ما يجب الإيمان به... [مرقاة المفاتيح، ٩/ ٣١٨-٣١٩]

قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ . أي لهم الأمن والأمان من العذاب لا لغيرهم.

قوله: ﴿ مُّهۡتَدُونَ ﴾ هم مهتدون إلى الحق ومن عداهم في ضلال مبين.

قال البيضاوي رحمه الله: "والمراد بالظلم ها هنا الشرك لما روي أو أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقال أينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم: ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ لقمان: ١٣، وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به". [تفسير البيضاوي، ٢/٤٢٥-٤٢٦]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "...﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ قال بعضهم: هذا قول الله تعالى لما حكى قول إبراهيم للنبي صلى الله عليه وسلم قال: على أثر ذلك ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ يعني: لم يخالطوا تصديقهم بالشرك ولم يعبدوا غيره. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ من الضلالة. وقال بعضهم: هذا كله قول إبراهيم لقومه ". [بحر العلوم، ٢/٥٤]

قال حقي رحمه الله: "﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي أحد الفريقين الذين آمنوا ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم ﴾ أي لم يخلطوه ﴿ بِظُلۡمٍ ﴾ أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للأصنام من تتمات إيمانهم واحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ وهذا معنى الخلط ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ فقط من العذاب ﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ إلى الحق ومن عداهم في ضلال مبين". [تفسير حقي، ٣/٤٧٤]

وقال الملا علي القاري: "وفي تفسير السلمي: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الآية: ٨٢] أي: لم يرجعوا في النوائب والمهمات إلى غير الله في جميع الحالات، أولئك لهم الأمن من الآفات وهم مهتدون إلى معرفة الذات والصفات حيث رجعوا إلى من إليه المرجع والمآب وفي المنافع والمضرات. [تفسير الملا علي القاري المسمى "أنوار القرآن وأسرار الفرقان" تأليف نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي الشهير بـ" الملا علي القاري"، المتوفى ١٠١٤ هـ، الجزء الثاني، ص: ٤٤- ٤٥]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له** ...".

قوله "**عبادة بن الصامت**": عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه.

وقوله "**شهد**...". لماذا قال: شهد ولم يقل علم؟ الجواب: لأن الشهادة أبلغ في الانكشاف من مطلق العلم، ومن ثم لم يكف أعلم عن أشهد في أداء الشهادة.

قال ابن الفارس: "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام".

وقال الجرجاني: "الشهادة هي في الشريعة إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر فالإخبارات الثلاثة إما بحق للغير على آخر وهو الشهادة أو بحق للمخبر على آخر وهو الدعوى أو بالعكس وهو الإقرار ". [التعريفات، ص: ١٧٠]

وقال القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: "الشهادة: في اللغة الحضور. قال النبي [الغنيمة لمن شهد الواقعة] أي حضرها. والشاهد أيضا يحضر القاضي ومجلس الواقعة.

وفي الشرع: الشهادة إخبار بحق الشخص على غيره عن مشاهدة القضية التي يشهد بها بالتحقيق وعن عيان لا عن تخمين وحسبان أي عن معاينة تلك القضية.

والإشارة إليها بقوله [إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع]". [دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ١٦٢/٢]

وقال زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٩٧٠هـ): "وأشهد معناه أعلم وأتيقن ألوهية الله تعالى وحده لا شريك له وعبودية محمد ورسالته صلى الله عليه وسلم...واختير لفظ الشهادة دونهما؛ لأنها أبلغ في معناها وأظهر منهما لكونها مستعملة في ظواهر الأشياء وبواطنها، بخلاف العلم واليقين فإنهما يستعملان غالبا في البواطن فقط،

ولذا لو أتى الشاهد بلفظ أعلم أو أتيقن مكان أشهد لم تقبل شهادته ". [البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ٢٩٥/٣]

وقال عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده سنة الوفاة (١٠٧٨هـ): "أي أعلم وأتيقن ألوهية الله تعالى وعبودية محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته". [مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ١٥١/١]

وقوله "**لا إله إلا الله**". أي لا معبود بحق إلا الله.

قال الملا علي القاري رحمه الله: "**(لا إله)** لا هي النافية للجنس على سبيل التنصيص على نفي كل فرد من أفراده **(إلا الله)** قيل: خبر لا، والحق أنه محذوف، والأحسن فيه لا إله معبود بالحق في الوجود إلا الله. [مرقاة المفاتيح، ١١٠/١]

قال محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي، المتوفى سنة (١٣٨١) هـ رحمه الله: وهذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى جبريل ومحمد عليهما السلام، فضلا عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

وهذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا "السر والولاية"! والإله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ والدرويش والولي وذلك أنهم يظنون أن الله تعالى جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله تعالى، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة!! والواسطة هي الإله، فقول المؤمن: **لا إله إلا الله** إبطال للوسائط، وغالب الذين غلوا في تعظيم الأولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت من السادة، قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم، وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة. واعلم أن لا إله إلا الله، هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالما بمعناها ومعتقدا إياها، فقد دخل في الإسلام وصار من أهل دار السلام: الجنة.

وأما من قال: لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا رب إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو الله موجود، أو نحو ذلك فلا يكون مسلما، ولا يكون من أهل دار السلام، وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة، ولكن يشترك في القول بها سائر الناس من المشركين والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم سوى الدهرية المادية كما يشهد القرآن بذلك. فقد ثبت بهذا التحقيق أن الذكر النافع المنجي من عذاب الله تعالى إنما هو: لا إله إلا الله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "**أفضل الذكر لا إله إلا الله**". فما يتداوله العوام، ومن يدعي العلم والدين من الطغام، من قولهم: الله موجود، أو لا رب إلا الله، أو: لا خالق إلا الله أو نحو ذلك، فليس من خصائص دين الإسلام، بل يشترك فيه المشركون واليهود والنصارى والمجوس، فتنبه وتدبر، ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق!

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١]...

فإن هذه المسألة عظيمة مهمة جدّا، وهي: أن تعلم أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم، وسببه أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وأنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد أشرك، ومن نذر لغيره فقد أشرك، ومن حلف بغيره فقد أشرك.

فالله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره ، وأسه ورأسه ألا وهو: شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناها. [مفتاح الجنة لا إله إلا الله، ص: ٣٩-٤٢]

وقوله "**وحده لا شريك له**". و"**وحده**" تأكيد لإثبات وحدانية الله تعالى وهي تعادل "**إلا الله**" و"**لا شريك له**" تأكيد لنفي الألوهية عن غير الله تعالى وهي تعادل "**لا إله**". وقال الملا علي القاري: **(لا شريك له)** تأكيد بعد تأكيد. [مرقاة المفاتيح، ١٧٦/١]

وقوله "**وأن محمدا عبده ورسوله**".

وقال أبو حنيفة رحمه الله: "ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده ورسوله ونبيه وصفيه ونقيه ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط". [الفقه الأكبر، ص: ١٣]

وقال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي الحنفي رحمه الله: "وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين. وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء". [العقيدة الطحاوية، ص: ٥٥]

وقال حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي الحنفي: "جمع بين أشرف أسمائه وبين أشرف وصف للمخلوق وأرقى وصف ملتزم للنبوة لمقام الجمع". [مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح ونجاة الأرواح، ١٣٧/١]

وقال عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: "العبد: من يعبد ربه ويطيع أمره ونهيه". [دستور العلماء، ٢١٦/٢]

وقال الجرجاني: "العبودية الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود". [التعريفات، ص: ١٩٠]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى. وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ

﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩] وقال تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣] وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة. ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى". [شرح الطحاوية، ص: ١٧٧-١٧٨ ، ط. مكتبة المعارف]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "وقدم العبودية لتقدمها وجودا على الرسالة وللدلالة على عدم استنكافه عن ذلك المقام، بل للإشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام مفتخر بذلك المرام". [منح الروض الأزهر شرح فقه الأكبر، ص: ١٨٠]

وروى عبد الرزاق عن بن جريج عن عطاء قال: وبينا النبي صلى الله عليه و سلم يعلم التشهد، فقال رجل: وأشهد أن محمدا رسوله وعبده. فقال النبي صلى الله عليه و سلم: "قد كنت عبدا قبل أن أكون رسولا قل وأشهد أن محمدا عبده ورسوله". [مصنف عبد الرزاق، ٢ / ٢٠٥، رقم: ٣٠٧٦ . وقال ابن حجر في الفتح (٣١٥/٢): ورجاله ثقات إلا أنه مرسل]

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله: "وقدمت العبودية على الرسالة لما قدمناه أنها أشرف صفاته، ولهذا وصفه الله تعالى بها في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾". [البحر الرائق، ٢٩٥/٣]

وقال محمد بن فراموز الشهير بملا خسرو (المتوفى : ٨٨٥هـ): "وقدمت العبودية على الرسالة؛ لأنها أشرف صفاته ولذا وصفه سبحانه بها في مقام الامتنان بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾، ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾". [درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٣٢٩/١]

والشهادة برسالة محمد ﷺ تتضمن عدة أمور:

١-تصديقه ﷺ فيما أخبر به من أمور الغيب.

٢-وطاعته ﷺ فيما أمر به.

٣-واجتناب ما نهى عنه وزجر.

٤-وأن لا يعبد إلا بما شرع.

٥-ومحبته ﷺ أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦-والمتابعة لسنته ﷺ.

قال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله تعالى: "فيا أيها الناس! اتبعوا هذا النبي لعلكم تهتدون إلى ما فيه سعادتكم في الدارين.

ومما يدخل في اتباعه ﷺ: تعلم لغته التي هي لغة الكتاب الإلهي الذي أوحاه الله تعالى إليه وأمر جميع من اتبعه ودان بدينه أن يتعبده به، وأن يتلوه في الصلوات وغير الصلوات مع التدبر والتأمل في معانيه وذلك موقوف على إتقان لغته وهي العربية الفصيحة، فيجب على المسلمين أن يبلغوا الدعوة إلى كل قوم بلغتهم، حتى إذا ما هدى الله تعالى من شاء منهم ودخل في الإسلام، علموه أحكامه ولغته، كذلك كان يفعل الخلفاء الفاتحون في خير القرون وما بعدها، إلى أن تغلبت الأعاجم على العرب وسلبوهم الملك، كأبي مسلم الخراساني، فإنه منع من تعلم العربية وعزر من يتكلم بها أو يعلمها.

والحال أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ إلى الناس كافة وأوجب عليهم أن يتعلموا لسانه بقدر ما يطيقونه، ولا شك أن لكل فرد من أفراد بني آدم أهلية تعلم العربية وتعلم معناها، ولهذا أمر الله تعالى رسوله أن يخاطبهم ويأمرهم وينهاهم فيتبعوه ويمتثلوا أمره. وجملة القول: أن إقامة دين الإسلام متوقفة على فهم لغة كتابه المنزل من رب العالمين وسنة نبيه المرسل رحمة للعالمين". [تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، ط. دار ابن الجوزي، ص: ٥١-٥٢]

وقوله "**وأن عيسى عبد الله ورسوله**".

قال الملا علي القاري رحمه الله: "(**وأن عيسى عبد الله**) لم يضمر ليكون أصرح في المقصود، وهو تعريض بالنصارى وتقرير لعبديته، وإشعار إلى إبطال ما يقولون له من اتخاذ أمة صاحبة (**ورسوله**) تعريض باليهود". [مرقاة المفاتيح، ١/١٧٦]

وقال المباركفوري رحمه الله: "قوله: (**وأن عيسى عبد الله**) قال النووي: هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، وقال الطيبي: في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله (**عبده ورسوله**) تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وانتمائهم إلى ما لا يحل من قذفه أمه". [مرعاة المفاتيح، ١/٩٥، رقم: ٢٧]

وقوله " **وكلمته ألقاها إلى مريم**".

وقال أبو سعود الحنفي رحمه الله: "(وكلمته) عطف على رسول الله أي مكون بكلمته وأمره الذي هو كن من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وجعلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام...". [تفسير أبي سعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى : ٩٨٢هـ)، ٢/١٨٩]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: (**وكلمته**) سمي عيسى بالكلمة، لأنه حجة الله على عباده، أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه، فالإضافة للتشريف. وقيل: لكونه موجدا بـ "كن"، وقيل: لما

انتفع بكلامه سمي به كما يقال: فلان سيف الله وأسد الله. وقيل: لما خصه به في صغره حيث قال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ مريم: ٣٠، (**ألقاها إلى مريم**) استئناف بيان أي أوصلها الله تعالى إليها وحصلها فيها". [مرقاة المفاتيح، ١/١٧٦-١٧٧ ، و مرعاة المفاتيح، ١/٩٥]

وقوله "**وروح منه**".

قال ابن فارس رحمه الله: "الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد. وأصل ذلك كله الريح. وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها. فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح، وكذلك الباب كله". [معجم مقاييس اللغة، ٢/٣٧٦]

وقال أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الروح النفس التي يحيا بها البدن يقال خرجت روحه أي نفسه ويقال خرج فيذكر والجميع أرواح ". [كتاب العين، ٣/٢٩١]

وقال السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي رحمه الله: "أجمع المسلمون على أنه [أي الروح] حادث حدوثا زمانيا، كسائر أجزاء العالم". [جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ص: ١٦٩]

وقال أبو سعود الحنفي رحمه الله: "(وروح منه) قيل: هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح، ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى.

وقيل: سمي روحا لإحيائه الأموات، وقيل: لإحيائه القلوب، كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقيل: أريد بالروح الوحي الذي أوحي إلى مريم بالبشارة، وقيل: جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح". [تفسير أبي سعود، ٢/١٨٩]

وقال محمد ثناء الله العثماني المظهري الحنفي: "وروح منه عطف على الخبر أي ذو روح صادر منه تعالى بخلقه كسائر الحيوانات لا يمكن أن يكون إلها وأسند إلى نفسه تشريفا. وقيل: سمى روحا لأنه كان يحيي الموتى أو القلوب الميتة. وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبرئيل في درع مريم فحملت بإذن الله سمى النفخ روحا، لأنه ريح تخرج من الروح وأضافه إليه تعالى لأنه كان بأمره من غير مادة. وقيل: وروح منه يعنى رحمة منه وقد كان رحمة لمن اتبعه وآمن به. وقيل: الروح الوحي إلى مريم بالبشارة والى جبرئيل بالنفخ والى عيسى أن كن فكان. وقيل: أراد بالروح جبرئيل وهو معطوف على الضمير المستتر في ألقاها ويجوز العطف للفصل يعنى ألقاها الله سبحانه إلى مريم وألقاه جبرئيل بأمره، أسند الإلقاء إلى الله سبحانه لكونه آمرا وإلى جبرئيل لكونه فاعلا أو إلى الله لكونه خالقا والى جبرئيل لكونه كاسبا". [تفسير المظهري، ٩٥٦/١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "(وروح منه) أي مبتدأ من محض إرادته، فإن سائر الأرواح البشرية هي كالمتولدة عن أرواح آبائهم لاسيما على مذهب من زعم أن الأرواح أجسام سارية في البدن سريان ماء الورد. وقيل: سمي بالروح لما كان له من إحياء الموتى بإذن الله فكان كالروح، أو لأنه ذو روح وجسد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة عن حي، وإنما اخترع اختراعا من عند الله تعالى، أو لأنه أحدث في نفخ الروح بإرساله جبريل إلى أمه فنفخ في درعها مشقوقا إلى قدامها فوصل النفخ إليها فحملت به مقدسا عن لوث النطفة والتقلب في أطوار الخلقة من العلقة والمضغة ووصفه بقوله: "منه" إشارة إلى أنه مقربه وحبيبه تعريضا لليهود". [مرقاة المفاتيح، ١٧٧/١]

وقال المباركفوري رحمه الله: "(وروح منه) قيل: سماه بالروح لما كان له من إحياء الموتى بإذن الله، فكان كالروح، أو لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة عن حي وإنما اخترع اختراعاً من عند الله تعالى، قال الطيبي: الإضافة في أمته للتشريف، وعلى هذا تسميته بالروح ووصفه بقوله ((منه)) إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام مقربه وحبيبه، وتعريض باليهود بحطهم من منزلته،

وتنبيه للنصارى على أنه مخلوق من المخلوقات، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] ، فمعنى قوله "روح منه" أي كائن منه وحاصل من عنده وهو خالقه وموجده بقدرته، كما أن معنى الآية أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته ثم سخره لخلقه". [مرعاة المفاتيح، ٢٦٧/١ . وفيه ذكر الآية إلى "جميعا" ولم يذكر "منه"]

وذكر رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي رحمه الله: "... أن مسلما كان يتلو القرآن فسمع منه بعض القسيسين هذا القول: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١] فقال: إن هذا القول يصدِّق ديننا ويخالف ملة الإسلام؛ لأن فيه اعترافا بأن عيسى عليه السلام روح هو بعض من الله، فكان على بن حسين بن الواقد مصنف كتاب النظير حاضرا هناك فأجاب: بأن الله قال مثل هذا القول في حق المخلوقات كلها: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ فلو كان معنى روح منه روح بعض منه أو جزء منه فيكون معنى جميعا منه أيضاً على قولك مثله، فيلزم أن يكون جميع المخلوقات آلهة فأنصف القسيس وآمن". [إظهار الحق، ٩٢/١-٩٣]

وقوله "**والجنة حق**". قال الراغب رحمه الله: "والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض". [مفردات القرآن، ص: ٢٠٤]

قال ابن فارس رحمه الله: "الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر و التستر. فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوَم. والجنة البستان، وهو ذاك لأن الشجر بورقه يستر". [معجم مقاييس اللغة، ٤٢١/١]

وقوله "**والنار حق**". والمقصود بالنار، النار التي توعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف شرعه ودينه من الكفار والمشركين، ومن عصاة المؤمنين.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: " والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا، ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدا". [الفقه الأكبر، ص: ١٧]

وقال الطحاوي رحمه الله: "والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له". [العقيدة الطحاوية، ص: ٦٣]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "أما قوله:"إن الجنة والنار مخلوقتان"، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن".

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "(والجنة والنار مخلوقتان اليوم) أي موجودتان الآن قبل يوم القيامة، لقوله تعالى في نعت الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي وصف النار: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤]. وللحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". ولحديث الإسراء: "أدخلت الجنة وأريت النار"، وهذه الصيغة موضوعة للمضي حقيقة، فلا وجه للعدول عنها إلى المجاز إلا بصريح آية أو صحيح دلالة". [منح الروض الأزهر في شرح فقه الأكبر، ص: ٢٨٤-٢٨٥]

وقال المباركفوري: "وفيه تعريض بمن ينكر دار الثواب والعقاب". [مرعاة المفاتيح، ٩٦/١]

وقوله " **أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**".

قال الملا علي القاري رحمه الله: "(**أدخله الله الجنة**) ابتداء وانتهاء والجملة جواب الشرط، أو خبر المبتدأ (**على ما كان**) حال من ضمير المفعول من قوله: "أدخله الله" أي كائنا على ما كان عليه

موصوفا به (**من العمل**) حسنا أو شينا، قليلا أو كثيرا، صغيرا أو كبيرا، وفيه رد على المعتزلة والخوارج". [مرقاة المفاتيح، كتاب الإيمان، ١/١٧٧]

وقال المباركفوري رحمه الله تعالى: "(**أدخله الله الجنة**) ابتداء وانتهاء، والجملة جواب الشرط أو خبر المبتدأ (**على ما كان**) حال من ضمير المفعول من قوله: "أدخله الله" أي كائنا على ما كان عليه موصوفا به (**من العمل**) من صلاح أو فساد، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: "على ما كان من العمل" أي يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات، كذا في الفتح.

قال القسطلاني: في الحديث أن عصاة أهل القبلة لا يخلدون في النار لعموم قوله: ((من شهد أن لا إله إلا الله))، وأنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة؛ لأن قوله (**على ما كان من العمل**) حال من قوله (**أدخله الله الجنة**)، ولا ريب أن العمل غير حاصل حينئذ بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من الثواب والعقاب، لا يقال: إن ما ذكر يستدعي أن لا يدخل أحد من العصاة النار؛ لأن اللازم منه عموم العفو وهو لا يستلزم عدم دخول النار؛ لجواز أن يعفو عن بعضهم بعد الدخول وقبل استيفاء العذاب.

وقال الطيبي: التعريف في العمل للعهد والإشارة به إلى الكبائر، يدل له نحو قوله "وإن زنى وإن سرق" في حديث أبي ذر، وقوله (**على ما كان**) حال، والمعنى: من شهد أن لا إله إلا الله يدخل الجنة في حال استحقاقه العذاب بموجب أعماله من الكبائر، أي حال هذا مخالفة للقياس في دخول الجنة ، فإن القياس يقتضي أن لا يدخل الجنة من شأنه هذا كما زعمت المعتزلة، وإلى هذا المعنى ذهب أبو ذر في قوله ((وإن زنى وإن سرق)) ، ورد بقوله : ((وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)) انتهى. [مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٢٧٠-٢٧١]

وقوله "أخرجاه": أي أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، ٤/٢٠١، رقم: ٣٤٣٥ ومسلم، ١/٤٢، رقم: ١٥٠.

وقوله "**ولهما**" أي عند البخاري ومسلم.

وقوله "**في حديث عتبان**": عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي: صحابي، من البدريين. آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر. وكان ضعيف البصر ثم عمي. ومات سنة ٥٠ هـ في خلافة معاوية. ويعد في أهل المدينة. له عشرة أحاديث. [الأعلام، ٤/٢٠٠]

وقوله "**فإن الله حرم على النار**"، قال العيني رحمه الله: المراد من التحريم هنا تحريم التخليد جمعا بينه وبين ما ورد من دخول أهل المعصية فيها وتوفيقا بين الأدلة... وظاهر الحديث يقتضي أن مجرد القول يدفع العذاب ولو ترك الصلاة. وإنما الجواب أن من قالها مخلصا، فإنه لا يترك العمل بالفرائض، إذ إخلاص القول حامل على أداء اللازم أو أنه يحرم عليه خلوده فيها. [عمدة القاري، ٦/٤٤٤]

وقوله "**من قال لا إله إلا الله**"، أي من قالها خالصا من قلبه وعالما بمعناها وعاملا بمقتضاها. قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]

وقال ابن عطاء: "عالم قول لا إله إلا الله يحتاج إلى أربعة أشياء، تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة، فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مراء، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق، لأن حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة". [تفسير الملا علي القاري، ٤/٥٠٤، وتفسير السلمي، ٢/٢٤٨]

قال أبو سعود رحمه الله: "أي إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه". [تفسير أبي سعود، ٦/١٥٧]

قال محمد سلطان المعصومي الخجندي رحمه الله: "واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى التي ألزمهم: ﴿ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦] وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس

المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: "**من قال: لا إله إلا الله مخلصا**"

وفي رواية: **خالصا من قلبه،**

وفي رواية: **صادقا من قلبه دخل الجنة** ". [مفتاح الجنة "لا إله إلا الله"، ص: ٣٨]

وقوله "**يبتغي بذلك وجه الله**". يبتغي أن يطلب بذلك وجه الله، فيه رد على المرجئة الغلاة القائلين بأنه يكفي في الإيمان النطق فقط من غير اعتقاد...وفيه أنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد. [عمدة القاري، ٦/٤٤٤ و ٤٤٧]

وفيه إثبات صفة الوجه لله تعالى. **قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى**: "وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف". [الفقه الأكبر]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله ؛ قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**". رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وقوله "**عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه**".

أبو سعيد هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثا. توفي سنة ٧٤هـ-٦٩٣م في المدينة. [الأعلام، ٨٧/٣]

وقوله " **قال موسى: يا رب علمني شيئا** "، أي من الأذكار.

وقوله " **أذكرك وأدعوك به**"، أي أعبدك بذكره أو بمضمونه.

وقوله " **قل يا موسى: لا إله إلا الله**"، فإنه متضمن لكل ذكر ودعاء سواء مع زيادة دلالة على توحيد ذاته وتفريد صفاته. قال الطيبي: "فإن قلت طلب موسى ما به يفوق على غيره من الذكر أو الدعاء فما مطابقة الجواب للسؤال. قلت:كأنه قال طلبت شيئاً محالا، إذ لا ذكر ولا دعاء أفضل من هذا".

وقوله " **قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا**"، أي كل عبادك الموحدين، يقول هذا، أي هذا الكلام أو هذا الذكر.

وقوله " **قال: يا موسى لو أن السموات السبع**"، قال الطيبي: حاصل الجواب أن ما طلبت من أمر مختص بك فائق على الأذكار كلها محال لأن هذه الكلمة ترجح على الكائنات كلها من السموات وسكانها والأرضين وقطانها، اهـ.

والأظهر أن حاصل الجواب أن هذه الكلمة أفضل الذكر كما ورد في الحديث المتقدم. وإنما خصوصية الخواص باعتبار فهم معانيها وتحقيق مبانيها، والتحقق بما فيها والتخلق بما يتعلق بها من القيام بحقها والإخلاص في ذكرها والمداومة عليها، والمحبة والميل إليها، والتلذذ والسرور بها، ...وغير ذلك من بقية أحكامها.

وقوله "**وعامرهن غيري**"، أي من يعمر فيهن غير الله.

قيل: عامر الشيء حافظه ومصلحه ومدبره الذي يمسكه من الخلل، ولذلك سمي ساكن البلد والمقيم به عامر، من عمرت المكان إذا أقمت فيه.

وقوله "**لمالت بهن**"، أي لرجحت عليهن وغلبتهن، لأن جميع ما سوى الله تعالى بالنظر إلى وجوده كالمعدوم، إذ كل شيء هالك إلا وجهه، والمعدوم لا يوازن الثابت الموجود، وهذا معنى قوله ﷺ في حديث البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء.

وهذا الحديث أصرح صريح على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر إذ لا ثواب أعظم من ثوابها.

إن أعز الأشياء أكثرها وجودا، كالعشب والملح والماء دون الؤلؤ والياقوت والزعفران...ومنها الكلمة الطيبة وكلمة الشهادة التي هي أشرف الكلمات وأنفس العبادات وأفضل الأذكار وأكمل الحسنات وهي أكثر وجودا وأيسر حصولا. والعوام يتركونها ويتبعون مواظبة الأسماء الغريبة والدعوات العجيبة التي غالبها لا أصل لها في الكتاب والسنة.

فكأن الله تعالى أجرى على لسان سيدنا الكليم ما يكون سببا للجواب من الرب العظيم لتظهر جلالة هذه الكلمة عند الخواص والعوام ويعتنون بها في كل زمان ومقام، لتحصيل المقصود والمرام وما ذلك إلا لأنها قطب دائرة الأذكار ومركز نقطة الأسرار. [أنظر مرقاة المفاتيح، ٢١٨/٥-٢٢٠]

وقوله "**رواه ابن حبان والحاكم وصححه**"، أي رواه ابن حبان في صحيحه، ١٠٢/١٤، رقم: ٦٢١٨، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. والحاكم في المستدرك، ٥٢٨/١، رقم: ١٩٣٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**".

وقوله "**أنس رضي الله عنه**"، هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ=٧١٢ م. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. [الأعلام، ٢٤/٢-٢٥]

وقوله "**بقراب الأرض**"، بضم القاف، ويكسر والضم أشهر، أي بما يقارب ملأها.

وقوله "**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا**"، (ثم لقيتني) أي مت حال كونك (لا تشرك بي شيئا) أي معتقدا توحيدي مصدقا برسولي محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وهو الإيمان.

قال القاري: قوله (**لا تشرك بي شيئا**)، الجملة حال من الفاعل أو المفعول على حكاية الحال الماضية لعدم الشرك وقت اللقي (**لأتيتك بقرابها مغفرة**) تمييز أيضا وعبر به للمشاكلة وإلا فمغفرة الله أبلغ وأوسع لا يجوز الاغترار به وإكثار المعاصي، فالمراد الحث على الاستغفار والتوبة، وإن الله يقبل توبة التائب ويغفر له وإن كثرت ذنوبه.

قال الطيبي: ثم هذه للتراخي في الإخبار وإن عدم الشرك مطلوب أولى، ولذلك قال: "لقيتني"، وقيد به وإلا لكان يكفي أن يقال خطايا لا تشرك بي.

قال القاري: فائدة القيد أن يكون موته على التوحيد، انتهى. [مرعاة المفاتيح، ٣٦/٨ ، ومرقاة المفاتيح، ٢٤٧/٥]



الباب الثاني

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟

فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت.

قال: فما صنعت؟

قلت: ارتقيت.

قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟

قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة ".

قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عرضت علّي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك.

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال:هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون.

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: أنت منهم.

ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: سبقك بها عكاشة".

❀ ❀ ❀

وقال المؤلف رحمه الله "**من حقق التوحيد**".

التحقيق: إثبات المسألة بدليلها. [دستور العلماء، ١٨٩/١، والتعريفات، ٧٥/١، والتوقيف على مهمات التعاريف، ١٦٤/١]

تحقيق التوحيد هو تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وهذه الأمور الثلاثة تتنافى مع التوحيد.

وقال رحمه الله "**دخل الجنة بغير حساب**"، أي بغير حساب ولا عذاب.

وقال رحمه الله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

قوله: "**إبراهيم**"، هو إبراهيم بن آزر، خليل الله، أحد أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقوله: "**أمة**"، أي إماما يقتدى به.

وقوله: "**قانتا**"، أي مطيعا لربه.

قال الجرجاني و القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري: "القانت: القائم بالطاعة الدائم عليها". [التعريفات، ص: ٢١٩، و دستور العلماء، ٣٩/٣]

قال ابن سيده: والقانت: القائم بجميع أمر الله تعالى. وقيل: القانت: العابد، ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢] أي من العابدين. [تاج العروس، ٤٦/٥]

وقال أبو الليث السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣ هـ) رحمه الله تعالى: "قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾، أي: إماما يقتدى به ﴿ قَانِتًا ﴾ أي: مطيعا لربه.

وروى عامر عن مسروق أنه قال: ذكر عند عبد الله بن مسعود معاذ بن جبل فقال عبد الله بن مسعود: كان معاذ بن جبل أمة قانتا. فقال رجل: وما الأمة؟ قال الذي يعلم الناس الخير، والقانت الذي يطيع الله ورسوله.

وقال القتبي: إنما سماه أمة، لأنه كان سبب الاجتماع. قال: وقد يجوز أنه سماه أمة لأنه اجتمع عنده خصال الخير.

ويقال: إنما سماه أمة، لأنه آمن وحده حين لم يكن مؤمن غيره. وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « يجيء زيد بن عمرو بن نفيل يوم القيامة وحده». وقد كان أسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يكن بمكة مؤمن غيره، وتابعه ورقة بن نوفل، وعاش ورقة بن نوفل إلى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه الوحي.

ثم قال: ﴿ حَنِيفًا ﴾ مسلما أي: مستقيما مائلا عن الأديان كلها ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، أي: مع المشركين على دينهم. وأصله ولم يكن فحذفت النون لكثرة استعمال هذا الحرف". [بحر العلوم، ٢/٤٩٠]

وقال أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (المتوفى : ٧١٠هـ):

"﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ ، إنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار، أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير. ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ ﴾، هو القائم بما أمره الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن معاذا كان أمة قانتا

لله فقيل له: إنما هو إبراهيم عليه السلام. فقال: الأمة الذي يعلم الخير. والقانت المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك.

وقال عمر رضي الله عنه: لو كان معاذ حيا لاستخلفته، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون".

﴿ حَنِيفًا ﴾ ، مائلا عن الأديان إلى ملة الإسلام. ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ، نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم ". [تفسير النسفي، المسمى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ١٨٦/٢]

وقال شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي الحنفي رحمه الله: "﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ ، قال ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما: أي كان عنده عليه السلام من الخير ما كان عند أمة، وهي الجماعة الكثيرة، فإطلاقها عليه عليه السلام لاستجماعه كمالات لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة جمة:

وليس على اللّه بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وهو صلى اللّه عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي نصب أدلة التوحيد ورفع أعلامها وخفض رايات الشرك وجزم ببواتر الحجج هامها، وقال مجاهد: سمي عليه السلام أمة لانفراده بالإيمان في وقته مدة ما، وفي صحيح البخاري أنه عليه السلام قال لسارة: ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك.

وذكر في القاموس أن من معاني الأمة من هو على الحق مخالف لسائر الأديان، والظاهر أنه مجاز بجعله كأنه جميع ذلك العصر لأن الكفرة بمنزلة العدم، وقيل: الأمة هنا فعلة بمعنى مفعول كالرحلة بمعنى

المرحول إليه، والنخبة بمعنى المنتخب من أمه إذا قصده أو اقتدى به أي كان مأموما أو مؤتما به فإن الناس كانوا يقصدونه للاستفادة ويقتدون بسيرته.

وقال ابن الانباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بالتأنيث التناهي في المعنى الموصوف به. وإيراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحل الله تعالى للإيذان بأن حقية دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه. وفي ذلك أيضا رد لقريش حيث يزعمون أنهم على دينه، وقيل: إنه تعالى لما بين حال المشركين وأجرى ذكر اليهود بين طريقة إبراهيم عليه السلام ليظهر الفرق بين حاله وحال المشركين وحال اليهود.

﴿ قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ مطيعا له سبحانه قائما بأمره تعالى ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن كل دين باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا، صرح بذلك مع ظهوره قيل: ردا على كفار قريش في قولهم: نحن على ملة أبينا إبراهيم، وقيل: لذلك وللرد على اليهود المشركين بقولهم: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] في افترائهم وزعمهم أنه عليه السلام كان على ما هم عليه". [روح المعاني، ٤٨٣/٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠]، لأنه كان وحده مؤمنا وغيره كافرا ولكماله واستجماع حاله من شمائل وفضائل لأفكار لا توجد معرفة إلا في جماعة كما قيل:

وليس على اللّه بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٠]، مطيعا لأمره قائما بحكمه مداوما على ذكره ﴿ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٠]، ملا عن غير دينه ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]، بربه لكمال تبريه من الشرك جلية وخفية". [تفسير الملا علي القاري، ٣/١١٣]

وقال محمد ثناء الله العثماني المظهري الحنفي رحمه الله: "﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ قال في القاموس: الأمة بالضم الرجل الجامع للخير والإمام ومن هو على الحق ومخالف لسائر الأديان، والنشاط، والطاعة، والعالم، وغير ذلك من المعاني ذكرت منها ما يناسب المقام – وكان إبراهيم عليه السلام رجلا جامعا لفضائل لا تكاد توجد في أشخاص كثيرة – وجعله الله إماما للناس وكان هو على الحق مؤمنا وحده مخالفا لسائر الأديان، إذ كان حينئذ سائر الناس كفارا – وكان متصفا بالنشاط والطاعة فكان نشاطا وطاعة على طريقة زيد عدل وكان عالما بالله وأحكامه – قال ابن مسعود كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا – فهو فعلة بمعنى المفعول كالرحبة من أمه إذا قصده – وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ أي مطيعا لله قائما بأوامره ﴿ حَنِيفًا ﴾، مائلا من الباطل، وقيل: مستقيما على دين الإسلام، وقيل: مخلصا ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، رد لما زعمت قريش أنهم على دين إبراهيم". [تفسير المظهري، ٢١٠٥/١]

وقال أبو سعود (**المتوفى: ٩٨٢ هـ**) **رحمه الله:**" ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة جمة حسبما قيل:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر، وأبطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة، أو لأنه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار. وقيل: هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة، من أمه إذا قصده أو

اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] وإيراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان بأن حقية دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ مطيعا له قائما بأمره ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن كل دين باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لا ردا على كفار قريش فقط في قولهم : نحن على ملة أبينا إبراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] في افترائهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] إذ به ينتظم أمر إيراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا". [تفسير أبي سعود، ٤/١٦١-١٦٢]

وقال ابن طولون الحنفي (المتوفى: ٩٥٣ هـ) رحمه الله: "قال الراغب: الأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان [واحد]. سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا، أو اختيارا.

ثم قال بعد ذلك: وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ أي: قائما مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة. وكما روي أنه (يحشر زيد بن عمرو أمة وحده).

وذكر صاحب الكشاف في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ وجهين: أحدهما نحو الذي أشار إليه الراغب، أي: كان وحده أمة من الأمم، لكماله في جميع صفات الخير، كقول بعضهم:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

قال مجاهد: كان مؤمنا وحده، والناس كلهم كفار.

والوجه الثاني: أن يكون أمة بمعنى مأموم، أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى مؤتم به، كالرحلة وما أشبهها، مما جاء من (فعلة) بمعنى مفعول، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال ابن مسعود عند ذكر معاذ رضي الله عنهما: (إن معاذا كان أمة قانتا لله). ثم قال: (الأمة معلم الخير.

والقانت: المطيع لله ورسوله، وأصل القنوت: لزوم الطاعة والخضوع. وفسر بكل منهما قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقيل: القنوت: القيام، وبه فسر قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: (طول القنوت). لكنه ليس مطلق القيام، بل القيام مع الخضوع. فيكون هنا معنى القانت: القائم بما أمره الله به.

والحنيف: المائل إلى ملة الإسلام، غير الزائل عنه.

والحنف: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة... تحنف الرجل: إذا تحرى طريق الاستقامة.

وكانت العرب تسمي كل من اختتن أو حج: حنيفا، تنبيها على أنه على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

ومنه ما جاء في بعض روايات بدء الوحي: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء، في كل سنة شهرا).

وكان ذلك ما تحنف به قريش في الجاهلية. والتحنف: التبرر.

قال السهيلي: لأنه من الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام.

ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك بنفي الشرك عنه، ردا على قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، وهم مشركون، وهو عليه الصلاة والسلام، لم يكن مشركا، بل كان حنيفا على دين الإسلام.

أخبرنا شيخنا أبو الفضل سليمان بن حمزة، وعيسى بن عبد الرحمن المقدسيان، بقراءتي على كل منهما، قالا: أخبرنا جعفر بن علي المقرئ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن عبد الغفار بن أشتة، حدثنا محمد بن علي الحافظ، أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الفقيه، حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، وأحمد بن سفيان، وفياض بن زهير، قالوا: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر. ح: وأخبرنا أعلى من هذا بدرجة: البرهاني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري بقراءتي عليه بمنى شرفها الله تعالى، أخبرنا علي بن هبة الله بن سلامة الفقيه، أخبرتنا الكاتبة شهدة بنت أحمد الإبري، أخبرنا الحسين بن أحمد بن طلحة، أخبرنا علي بن محمد بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:

أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت -يعني الكعبة- لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام، فقال: (قاتلهم الله! والله ما استقسما بالأزلام قط). هذا لفظ الرواية الثانية. ولفظ الرواية الأولى: (قاتلهم الله! أم والله لقد علموا أنهما لم يستقسما قط). أخرجه البخاري في صحيحه، عن إبراهيم بن موسى، عن هشام بن يوسف، عن معمر به. ورواه أيضا بنحوه من حديث كريب، عن ابن عباس. وهو في صحيح مسلم من هذا الوجه.

وتحتمل الآية هنا الرد أيضا على اليهود والنصارى، في دعوى كل طائفة منهم أن إبراهيم عليه السلام كان منهم، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا**

﴿ مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]. لأن كلا من ملة اليهود والنصارى مشتملة على الشرك، كما أخبر الله سبحانه عنهم.

قال ابن عباس، وقتادة، والسدي، وغيرهم من أهل التفسير: اجتمع يهود المدينة ونصارى نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيا. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا ﴾ الآية". [تفسير إن إبراهيم كان أمة لابن طولون، ص: ١٤-٢١ ، ط. دار ابن حزم]

أخبرنا الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام حقق التوحيد بهذه الصفات الأربعة، بتعليم الخير وإمامته في الدين وخشوعه وطاعته لربه سبحانه وتعالى وإعراضه عن الشرك بكله وإقباله على التوحيد. يجب علينا أن نتحلى بهذه الصفات، حتى نستحق دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩]. قوله "**لا يشركون**": أي لا يعبدون مع الله أحدا، سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، أو وليا من أولياء الله، أو جنيا أو شجرة، أو ضريحا.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ ، يعني: لا يشركون معه غيره، ولكنهم يوحدون ربهم". [بحر العلوم، ١٨٦/٣]

وقال أبو سعود رحمه الله: "﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ ، شركا جليا ولا خفيا، ولذلك أخر عن الإيمان بالآيات، والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها للإشفاق والإيمان وعدم الإشراك". [تفسير أبي السعود، ٧/٥]

وقال الآلوسي رحمه الله: "﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ، فيخلصون بالعبادة له عز وجل فالمراد نفي الشرك الخفي كالرياء بالعبادة كذا قيل، وقد اختار بعض المحققين التعميم أي لا يشركون به تعالى شركا جليا ولا خفيا ولعله الأولى، ولا يغني عن ذلك وصفهم بالإيمان بآيات اللّه تعالى.

وجوز أن يراد مما سبق وصفهم بتوحيد الربوبية ومما هنا وصفهم بتوحيد الألوهية، ولم يقتصر على الأول لأن أكثر الكفار متصفون بتوحيد الربوبية ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] ولا يأباه التعرض لعنوان الربوبية، فإنه في المواضع الثلاثة للإشعار بالعلية، وذلك العنوان يصلح لأن يكون علة لتوحيد الألوهية كما لا يخفى". [روح المعاني، ٢٤٤/٩]

وقوله: "**عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟...**".

حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي. قال أحمد بن حنبل: حصين الثقة المأمون من كبار أصحاب الحديث. مات سنة ست وثلاثين ومائة. [طبقات الحفاظ، ١٠/١]

وقوله: "**سعيد بن جبير**". هو سعيد بن جبير الاسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا. ولما خرج عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. [الأعلام ٩٣/٣]

قوله "**الكوكب**"، أي النجم.

قوله "**أنقض**"، أي سقط.

قوله "**البارحة**"، أي أقرب ليلة مضت.

قوله "**أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت**"، أراد أن ينفي عن نفسه اتهام العبادة والسهر في الصلاة مع أنه لم يكن فيها. [شرح النووي على مسلم، ٩٣/٣] وهذا لشدة حرصه على الإخلاص.

قوله "**الشعبي**"، هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا.واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. توفي رحمه الله سنة (١٠٣ هـ). [الأعلام، ٢٥٠/٣-٢٥١]

قوله "**بريدة بن الحصيب**"، هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الاسلمي: من أكابر الصحابة. أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه. وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها (سنة ٦٣ هـ). له ١٦٧ حديثا. [الأعلام، ٥٠/٢]

قال بدر الدين العيني الحنفي رحمه الله: قوله "**لا رقية**"، بضم الراء وسكون القاف وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات.

قوله "**إلا من عين**" هو إصابة العائن غيره بعينه وهو أن يتعجب الشخص من الشيء حين يراه فيتضرر ذلك الشيء منه.

قوله "**أو حمة**" بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة وهو السم. وقال الجوهري حمة العقرب سمها وضرها. وقال ابن سيده هي الإبرة التي تضرب بها العقرب والزنبور وأصل حمة حمو أو حمى والهاء عوض عن الواو أو الياء وجمعها حمون وحمات كما قالوا برة وبرون وبرأت قاله كراع وقال كأنها مأخوذة من

حميت النار تحمى إذا اشتدت حرارتها وفي (كتاب اليواقيت) للمطرزي حمة بالتشديد. وقال الجاحظ من سمى إبرة العقرب حمة فقد أخطأ وإنما الحمة سموم ذوات الشعر كالدبر وذوات الأنياب والأسنان كالأفاعي وسائر الحيات وكسموم ذوات الإبر من العقارب.

ومعنى قول سهل بن حنيف "**إلا من نفس**" هو العين يقال أصابت فلانا نفس أي عين. والنملة في حديث أنس قروح تخرج في الجنب. وقال ابن الأثير: وقد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية وفي بعضها النهي، والأحاديث في القسمين كثيرة ووجه الجمع بينهما أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة. وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها وإياها أراد بقوله "ما توكل من استرقى" ولا يكره منها ما كان بخلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله والرقى المروية.

وقال أيضا معنى قوله: "**لا رقية إلا من عين أو حمة**" لا رقية أولى وأنفع وهذا كما قيل لا فتى إلا علي. وقد أمر غير واحد من الصحابة بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم. وقال الخطابي: لم يرد به حصر الرقية الجائزة فيهما، وإنما المراد لا رقية أحق وأولى من رقية العين والحمة لشدة الضرر فيهما.

قوله "**فذكرته لسعيد بن جبير**" القائل بذلك هو حصين بن عبد الرحمن.

قوله "**ومعهم الرهط**"، وهو من الرجال ما دون العشرة وقيل إلى الأربعين ولا يكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه ويجمع على أرهط وأرهاط وأراهط جمع الجمع.

قوله "**والنبي ليس معه أحد**"، قيل النبي هو المخبر عن الله للخلق، فأين الذين أخبرهم؟ وأجيب بأنه ربما أخبروا لم يؤمن به أحد ولا يكون معه إلا المؤمن.

قوله "**حتى رفع لي سواد**"، هذا رواية الكشميهني حتى رفع بالراء والفاء وبلفظ لي وفي رواية غيره حتى وقع في سواد بواو وقاف وبلفظ في قوله "**بغير حساب**"، قيل هل يدخلون وإن كانوا أصحاب معاصي ومظا لم؟

وأجيب بأن الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة لا يكونون إلا عدولا مطهرين من الذنوب، أو ببركة هذه الصفات يغفر الله لهم ويعفو عنهم.

قوله "**ثم دخل**"، أي الحجرة ولم يبين للصحابة من السبعون.

قوله "**فأفاض القوم**"، ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وناظروا عليه.

قوله "**هم الذين لا يسترقون**"، قال أبو الحسن القابسي: يريد بالاسترقاء الذي كانوا يسترقون به في الجاهلية، وأما الاسترقاء بكتاب الله فقد فعله وأمر به وليس بمخرج عن التوكل.

قوله "**ولا يتطيرون**"، أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها كما كانت عادتهم قبل الإسلام، والطيرة ما يكون في الشر والفأل ما يكون في الخير وكان يحب الفأل.

قوله "**ولا يكتوون**"، يعني لا يعتقدون أن الشفاء من الكي كما كان عليه اعتقاد أهل الجاهلية.

قوله "**وعلى ربهم يتوكلون**"، والتوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب.

قوله "**فقام آخر**"، قال الخطيب: هذا الرجل سعد بن عبادة. وقيل: إن الرجل الثاني كان منافقا، فأراد النبي الستر له والإبقاء عليه، لعله أن يتوب فرده ردا جميلا. قال الكرماني: لو صح هذا بطل قول الخطيب، والله أعلم.

قوله "**سبقك بها عكاشة**"، أي في الفضل إلى منزلة أصحاب هذه الأوصاف الأربعة. وقيل: يحتمل أن يكون سبقك عكاشة بوحي أنه يجاب فيه، ولم يحصل ذلك للآخر. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٣١ / ٣١٦-٣١٨)]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "**(قال: سبقك بها)** أي بهذه الدعوة أو هذه المسألة **(عكاشة)** وقد استجيب له. والمعبر فيها هي الأولوية كما ورد: إن الصبر عند الصدمة الأولى. ولعل وجه الامتناع من الدعاء أن لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يؤذن له في ذلك المجلس بالدعاء إلا لواحد.

وفيه حث على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين لأن في التأخير آفات.

وقيل: كان الرجل منافقا فأجابه ﷺ بكلام محتمل ولم يصرح بأنك لست منهم لحسن خلقه، انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك لآخر.

وقال القاضي عياض: قيل: إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة.

وفي شرح الطيبي رحمه الله: قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة أنه يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإن صح هذا بطل قول من زعم أنه منافق". [مرقاة المفاتيح، كتاب الرقاق، باب التوكل والصبر، ٩/٤٨٠-٤٨١، رقم الحديث: ٥٢٩٦]

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (الأسماء المبهمة، ١٠٦/٢): أن هذا الرجل هو سعد بن عبادة رضي الله عنه ولا يصح... أما ما قيل أنه منافق فلا يصح ولا دليل عليه لكون المنافق يمنعه نفاقه من طلب اللحوق بتلك المنازل إذ يلزم ذلك التصديق والإقرار بالرسالة وهم كفار في الباطن. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٨٣]

وقوله "**عكاشة**"، هو عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم: صحابي من أمراء السرايا. يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في حرب الردة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الاسدي. [الأعلام، ٢٤٤/٤]

قال ابن إسحاق: "وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب فقال: " **قاتل بهذا يا عكاشة** ".

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل

عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة". [السيرة النبوية لابن كثير، ٤٤٦/٢]

فوائد الحديث:

١-ابتعاد السلف عن الرياء وأسبابه.

٢-طلب الحجة على المذهب.

٣-جواز الرقية من العين والحمة، والرقية المشروعة: هي ما كانت من القرآن والأدعية المشروعة وبلسان عربي.

٤-عمق علم السلف.

٥-العمل بالكتاب والسنة مقدم على كل مذهب.

٦-فيه فضيلة السلف وحسن أدبهم وتلطفهم في تبليغهم.

٧-تفاوت أتباع الأنبياء من حيث القلة والكثرة وانعدام الإتباع لبعضهم.

٨-ليست الحجة محصورة في الأكثرية.

٩-فضيلة موسى وقومه.

١٠-فيه تفضيل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.

١١-حرص الصحابة على الخير.

١٢-جواز المناظرة للوصول إلى الحق.

١٣-إن من أحرز هذه الخصائل الأربع المذكورة في الحديث فقد حقق التوحيد ودخل الجنة.

١٤-جواز طلب الدعاء من أهل الفضل.

١٥-الجمع بين حديث الشعبي وحديث ابن عباس أن الأول يفيد جواز الرقية إذا توفرت فيها شروط الجواز. وحديث ابن عباس يمنع منها إذا لم يكن كذلك. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٥٢-٥٣]

١٦-فيه الثناء على من أخذ بالدليل.

١٧-وفيه أيضا معنى التآلف للمخالف الذي أخذ بالمفضول دون الفاضل عند من قال أن ترك الرقية أفضل من استعمالها، كما هو مذهب سعيد بن جبير رضي الله عنه.

١٨-وفيه إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة وإظهار الحق، والله أعلم.

١٩-وفيه فضل من لم يشرك بالله شيئا منذ بدء نشأته، وهذا على وجه العموم وإلا قد يكون من تاب من الشرك أفضل ممن لم يشرك.

٢٠-وفيه فضيلة عكاشة رضي الله عنه. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٧٣ و ٨٠ و ٨١ و ٨٣]

٢١- وفيه حث على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين لأن في التأخير آفات. [مرقاة المفاتيح، ٩/٤٨١]



الباب الثالث

الخوف من الشرك

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، الآية.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: "أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من مات وهو يدعو لله ندا، دخل النار". رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار".

❁ ❁ ❁

وقال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال خفت الشيء خوفا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة". [معجم مقاييس اللغة، ٢/٢٣٠]

قال القاضي عبد رب النبي والجرجاني رحمهما الله: "الخوف: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب" . [دستور العلماء، ٢/٦٦ ، التعريفات، ١/١٣٧]

الخوف: توقع مكروه أو فوت محبوب، ذكره ابن الكمال.

وقال الحرالي: "حذر النفس من أمور ظاهرها يضره".

وقال التفتازاني: "غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء".

وقال الراغب: "توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب كذلك، وضده الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية. [التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي، ص: ٣٢٨]

وقد سبق معنا تعريف الشرك في مقدمة الكتاب. ولما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى التوحيد وفضله وتحقيقه، نبه في هذا الباب على ضده وهو الشرك، فيجب علينا أن نخاف من الشرك، لأنه ينقض التوحيد ويبطله.

وقال العلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله: "...بعض الآيات الصريحات في التحذير من الشركيات مع ذكر بعض النصوص الحنفيات في تفسير تلك الآيات فأقول والله المستعان:

الآية الأولى: في ضرب مثل للمشرك بأنه هالك ما بعد هلاك وممزق كل ممزق.

قال الله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج: ٣١].

قال الزمخشري (ت ٥٣٨) والنسفي (ت ٧١٠) والمهايمي (ت ٨٣٥) والعمادي (٩٥١) والبروسوي (١١٣٧) والباني بتي (١٢٢٥) والميرغني (١٢٦٨) والألوسي (١٢٧٠) وحسين علي (١٣٦٢) والمودودي (١٩٧٩م) والصابوني (؟)، واللفظ للأول:

(قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية؛ بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزقا في حواصلها؛ أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة).

الآية الثانية: في بيان أن الشرك أعظم الظلم وأظلمه وأكبر الكبائر على الإطلاق.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

قال هؤلاء العلماء الحنفية الذين ذكرت أسماءهم في تفسير الآية الأولى واللفظ للمودودي (قال المودودي ما تعريبه):

إن الظلم في الأصل معناه هضم حق آخر والمعاملة بدون الإنصاف والشرك ظلم عظيم لأن فيه استواء أشخاص لا دخل لهم في الخلق والرزق والنعم بالله سبحانه وتعالى في العبادة.

فالشرك ظلم لا يتصور بعده ظلم آخر؛ وللخالق سبحانه على عبده المخلوق حق العبادة فيعبده وحده لا شريك له ولكن المشرك يضيع حق الله فيعبد غيره؛ ثم هو في هذا الظلم يستخدم عدة من القوى التي أعطاها الله في جسمه وما سخر الله له من النعم في السماء والأرض مع أن الله وحده خالق لهذه القوى والنعم؛ فلا يستحق أحد أن يستعمل له تلك القوى والنعم دون الله الذي خلقها ثم للعبد على نفسه حق آخر وهو:

أن لا يذل نفسه ولا يبذلها في عبادة غير الله تعالى لئلا يستحق أليم عقاب الله تعالى ولكن المشرك يذل نفسه بعبادة غير الله تعالى ويوقعها في عذاب الله الأليم بسبب هذا الظلم العظيم وهكذا المشرك يمضي جميع عمره في الظلم إلى أن لا يخلو نفس من نفساته من الظلم العظيم الذي هو الشرك بالله العظيم.

الآيتان الثالثة والرابعة: في أن كل ذنب وظلم يرجى مغفرته بدون التوبة ما خلا الشرك.

قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]،[1] وقال أيضا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

قلت: هاتان الآيتان من قبيل القضايا التي قياساتها معها؛ فقد حذر الله تعالى المشركين بأنهم لا يغفر لهم بدون التوبة أبد الآبدين، وعوض العائضين، ودهر الداهرين ، ثم علل ذلك بأن المشرك قد افترى على الله افتراء عظيما ما بعده افتراء وأنه ضل عن التوحيد ضلالا بعيدا ما بعده ضلال فاستحق

---

[1] وفي الأصل: [النساء: ١١٦]، وهذا خطأ.

بشركه الذي هو ظلم عظيم وذنب أكبر وافتراء أقبح وضلال أبعد أن لا يغفر له بدون التوبة فيكون من الخالدين في العذاب الأليم أبد الآبدين.

هذا حاصل ما ذكره المفسرون من الحنفية في تفسير هذه الآية ...

وإليكم بعض نصوصهم:

١ - **قال الإمام أبو الليث السمرقندي (٣٧٣)**: (يعني اختلق على الله كذبا عظيما ويقال: فقد أذنب ذنبا عظيما).

٢ - **وقال النسفي (٧١٠)**: (كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما).

٣ - **وقال العمادي (٩٨٣)**: (افترى واختلق مرتكبا إثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا).

٤ - **وقال المهايمي (٨٣٥)**: وكيف يغفر للمشرك بالله تعالى ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ﴾ أي قصد ﴿إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ تقتضي الحكمة التعذيب عليه بأعظم الوجوه وهو التخليد في النار.

٥ - **وقال البروسوي (١١٣٧)**: "افترى واختلق مرتكبا إثما فلا تتعلق به المغفرة قطعا".

٦ - **وقال الباني بتي (١٢٢٥)**: "يعني ارتكب الكذب والفساد كذبا وفسادا عظيما يستحقر دونه الآثام وهذا وجه الفرق بينه وبين سائر الآثام ".

٧ - **وقال الميرغني (١٢٦٨)**: "وأي إثم أكبر من الشرك فإنه لا يصح معه عمل".

٨ - **وقال الآلوسي**: "استثناء مشعر بتعليل عدم غفران الشرك ... أي ارتكب ما يستحقر دونه الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا".

٩ - **وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٩٧٩م)**: "ليس القصد من هذه الآيات أن للإنسان أن يرتكب الذنوب ما خلا الشرك بل القصد منها:

أن الشرك الذي صغروا وحقروا أمره هو أعظم من جميع الذنوب بحيث أن سائر الذنوب يرجى مغفرتها ما خلا الشرك فإنه ذنب لا يغتفر أبدا؛ وقد كان أحبار اليهود يهتمون بصغار المسائل الاجتهادية التي استنبطها أئمتهم ولكنهم يستخفون بشأن الشرك ويرونه هينا بحيث أنهم لم يكونوا يتنزهون من الشرك ولا ينهون أقوامهم من الخيالات الشركية وأعمالها؛ ولا يرون بأسا في تولي المشركين أيضا".

قلت: لقد صدق الأستاذ المودودي –رحمه الله تعالى– في التحذير من الشرك وغفلة أحبار اليهود في الاستهانة بشأن الشرك واهتمامهم بصغار الأمور وتعصبهم لآراء أئمتهم؛ فلقد تبعهم في هذا علماء السوء المبتدعة المقلدة المتعصبة الذين اتخذوا أئمتهم في التشريع من التحريم والتحليل أربابا يقدمون أقوالهم وآراءهم الاجتهادية الفقهية على صريح الكتاب والسنة ويتعصبون لهم كأنهم أنبياء أرسلوا إليهم ووصلوا في طاعتهم إلى حد عبدوهم من دون الله ؛ فترى هؤلاء المتعصبة المقلدة ولا سيما بعض من ينسب إلى الحنفية منهم: كالكوثرية والديوبندية يبغضون السنة أشد البغض؛ فرفع اليدين عندهم أشد من وقع السيوف والتأمين بالجهر أشد من الرصاصة في قلوبهم؛ فأخلوا بتوحيد العبادة ومتابعة الرسول – صلى الله عليه وسلم– فإلى الله المشتكى وإليه الملتجى.

الآية الخامسة: في بيان أنه لا يجوز الاستغفار للمشرك بعد موته لأن الله تعالى لا يغفر للمشرك فلا يجوز الاستغفار له إذ ليس له إلا النار .

قال عز من قائل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة :١١٣] ، قال الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٩٧٩م) :

(إن الاستغفار لأي شخص مذنب يتضمن لأمرين:

(١) أن للمستغفر شفقة ورحمة ومحبة لهذا المذنب . (٢) أن ذنبه قابل للمغفرة .

وهذان الأمران لا يتحققان إلا في عبد وفى بتوحيد الله ولكنه ارتكب ذنبا دون الشرك، ولكن المشرك الذي هو باغ على الله بالعلانية، فالمحبة له وعد إجرامه قابلا للمغفرة– باطل أصلا؛ بل محبتنا له وعد شركه قابلا للمغفرة– يجعلان وفاءنا بالتوحيد مشوها؛ فلو أقدمنا للاستغفار للمشرك لمجرد أنه من أهل قرابتنا– لكان معناه أن القرابة عندنا أحق وأثمن من توحيد ربنا وتعظيمه والوفاء بحقه وأن محبتنا لله ولدينه ليس إلا سطحيا لم تخالط شيئا بشاشة قلوبنا ولم تصل إلى أعماقها؛ وبهذا كله تبين أن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى لا ينبغي أن يصدر عن عبد وحد الله عز وجل لأن ذلك خلاف الوفاء بالتوحيد ومناف للإيمان؛ ويجب علينا أن نحب من يحبه الله وأن نعادي من عادى الله؛ ثم في الآية نكتة لطيفة وهي:

أن الله تعالى لم يقل " لا تستغفروا للمشركين "بل قال " ما كان للنبي ... " أي لا ينبغي الاستغفار لهم فليس هذا يزين بكم.

فأفاد هذا الأسلوب:

أنكم لو امتنعتم عن الاستغفار لهم بعد المنع – فهذا ليس فيه كبير عمل؛ بل الكمال في أن تمتنعوا عما لا يليق بكم ولا يزين لكم؛ بحيث يكون محرك محبتكم لله ووفاءكم له – مثيرا لشعوركم وإحساسكم – على أن لا تحبوا المشرك الباغي على الله، وأن لا تعدوا إجرامه قابلا للمغفرة.

الآية السادسة: في بيان أن جميع أعمال الشرك حابطة وهباء منثورا .

قال جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولقد ذكر الله تعالى ثمانية عشر من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٣–٨٨] .

قال الزمخشري (٥٣٨هـ) والنسفي (٧١٠هـ):

واللفظ للأول: (﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ ﴾ مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم، كما قال تعالى وتقدس: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾).

وقال أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ) والألوسي (١٢٧٠هـ) واللفظ للثاني:

(﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ ﴾ أي [أولئك الأنبياء والرسل] المذكورون، ﴿ لَحَبِطَ ﴾ أي لبطل وسقط عنهم مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي ثواب أعمالهم الصالحة ؛ فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم) .

وقال البروسوي (١١٣٧هـ) والباني بتي (١٢٢٥هـ) والصابوني واللفظ للأول :

(أي ولو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم ﴾ أي بطل وذهب ﴿ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الأعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم؟ وهذا غاية التوبيخ والترهيب للعوام والخواص).

وقال الشيخ حسين علي (١٣٦٢): (الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ ﴾ يرجع إلى جميع هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين سبق ذكرهم صراحة أو كناية؛ فصدور الشرك من الأنبياء محال، ولكن لو فرض ذلك المحال وأشركوا بالله لضاع جميع أعمالهم الصالحة، والقصد من هذا التعبير بيان غاية شناعة الشرك ونهاية قباحته).

وقال الأستاذ المودودي رحمه الله (١٩٧٩م):

(يعني لا قرار للعمل الصالح البتة مع الشرك؛ فالذي أشرك بالله وعمل أعمالا كثيرة وظن أنها صالحة ونافعة له فهو ليس بمستحق لأجرها، وأن حياته تمضي كلها في خسران على خسران).

الآية السابعة: في بيان أن المشرك قد حرمت عليه الجنة أبد الآبدين ومخلد في النار دهر الداهرين قال عز من قائل: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال الزمخشري (٥٣٨هـ) والنسفي (٧١٠هـ) والعمادي (٩٨٢هـ) والبروسوي (١١٣٧هـ) والباني بتي (١٢٢٥هـ) والألوسي (١٢٧٠هـ) واللفظ للأخير:

(إنه أي الشأن ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ أي شيء في عبادته سبحانه أو فيما يختص به من الصفات والأفعال؛ كنسبة علم الغيب وإحياء الموتى بالذات إلى عيسى عليه الصلاة والسلام [أو إلى غيره].

﴿ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، لأنها دار الموحدين والمراد يمنع دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم .

﴿ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ فإنها معدة للمشركين؛ وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب أثر بيان حرمانهم الثواب؛ ولا يخفى ما في هذه الجملة من الإشارة إلى قوة المقتضي؛ لإدخاله النار).

الآية الثامنة: في بيان أن المشرك نجس؛ قال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[التوبة : ٢٨].

قال العلامة الآلوسي (١٢٧٠هـ) مفتي الحنفية ببغداد: (﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ أخبر عنهم بالمصدر للمبالغة كأنهم "عين النجاسة". أو المراد: (ذو نجس) لخبث بواطنهم وفساد عقائدهم؛ أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ...؛ ويجوز أن يكون (نجس) صفة مشبهة ؛ وإليه ذهب الجوهري .

ولا بد حينئذ من تقدير "موصوف" مفرد لفظا مجموع معنى ؛ ليصح الإخبار به عن الجمع: أي "جنس نجس" ونحوه).

ثم ذكر أن أكثر الفقهاء ذهبوا إلى أن أعيانهم طاهرة، ثم قال: (وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير".

قال: "وإلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما مال الإمام الرازي".

وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية ولا يعدل عنه إلا بدليل منفصل؛ قيل: "على ذلك فلا يحل الشرب في أوانيهم ولا مؤاكلتهم ولا لبس ثيابهم"؛ ولكن صح عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف خلافه.

واحتمال كونه قبل نزول الآية –فهو منسوخ– بعيد والاحتياط لا يخفى" ، ثم قال:

(﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ تفريع على نجاستهم؛ والمراد النهي عن الدخول إلا أنه نهى عن القرب للمبالغة). قلت : وعلى هذا المنوال فسر الآية كثير من مفسري الحنفية.

الحاصل: أن هذه الآيات تحذر من الشرك غاية التحذير لعواقبه الوخيمة. اهـ [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٥٧١/٢-٥٨٣، نقلت كلام العلامة الأفغاني رحمه الله نصا لعظم نفعه]

وقوله رحمه الله: وقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾[النساء: ٤٨]، الآية.

وقوله "**يغفر**"، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي: الغفر: التغطية. [الصحاح في اللغة، ٢١/٢]

وقال الزبيدي رحمه الله: " يغفره غفرا: ستره. وكل شئ سترته فقد غفرته.

وتقول العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه: أي أحمل له وأغطى له. وغفر المتاع: جعله في الوعاء". [تاج العروس، ٢٤٦/١٣]

وقال سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف: "المغفرة: هي وقاية شر الذنب". [كتاب التعريفات الإعتقادية، ص: ٣٠٧]

وقال القاضي عبد رب النبي والجرجاني والمناوي رحمهم الله واللفظ للأول: "المغفرة: أن يستر القادر قبيحا صادرا ممن تحت قدرته حتى أن العبد إذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال له غفران". [دستور العلماء، ٣/٢١٠، والتعريفات، ص:٢٨٦، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٦٦٨]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: " قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ، أي دون الشرك ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ يعني لمن مات موحدا... وهذه الآية رد على من يقول : إن من مات على كبيرة يخلد في النار، لأن الله تعالى قد ذكر في آية أخرى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة هود : ١١٤] يعني ما دون الكبائر، فلم يبق لهذه المشيئة موضع سوى الكبائر. ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ يعني اختلق على الله كذبا عظيما. ويقال: فقد أذنب ذنبا عظيما". [بحر العلوم، ١/٣٨٩-٣٩٠]

وقال الآلوسي رحمه الله: "﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ عطف على خبر إن لا مستأنف، وذلك إشارة إلى الشرك، وفيه إيذان ببعد درجته في القبح أي يغفر ما دونه من المعاصي وإن عظمت وكانت كرمل عالج ، ولم يتب عنها تفضلا من لدنه وإحسانا ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أن يغفر له ممن اتصف بما ذكر فقط، فالجار متعلق بيغفر المثبت، والآية ظاهرة في التفرقة بين الشرك وما دونه بأن الله تعالى لا يغفر الأول البتة ويغفر الثاني لمن يشاء، والجماعة يقولون بذلك عند عدم التوبة فحملوا الآية عليه بقرينة الآيات والأحاديث الدالة على قبول التوبة فيهما جميعا، ومغفرتهما عندها بلا خلاف من أحد ". [روح المعاني، ٣/٥٠-٥١]

وقال النسفي رحمه الله: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ إن مات عليه ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما دون الشرك وإن كان كبيرة مع عدم التوبة، والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة، وأن وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب". [تفسير النسفي، ٢٣١/١]

وقال أيضا: "...لأن الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء إن شاء عذب عليهما وإن شاء عفا عنهما لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى". [المصدر السابق، ٢٢٤/١]

وقال المظهري الحنفي: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ تعالى في وجوب الوجود أو العبادة إذا مات وهو مشرك، وأما إذا تاب عن الشرك وآمن فيغفر له ما قد سلف منه من الشرك وغيره إجماعا، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، يعنى كأنه لم يصدر عنه ذلك الذنب قط قال اللّه تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يعنى ما سوى الشرك من الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة صدرت عنه خطأ أو عمدا وان مات مذنبا لم يتب ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ تعميم المغفرة لما دون الشرك وتقييدها بالمشية مبطل لمذهب المرجئة حيث قالوا: بوجوب المغفرة لكل ذنب، وقالوا: لا يضر ذنب مع الإيمان كما لا ينفع عمل مع الشرك، ومذهب المعتزلة حيث قيدوا مغفرة الذنوب بالتوبة، فان الآية تدل على نفى التقييد بالتوبة لأن سوق الكلام للتفرقة بين حال المشرك والمذنب والتقييد بالمشية يبطل القول بوجوب المغفرة للتائب ووجوب التعذيب لغيره". [تفسير المظهري، ٧٩١/١-٧٩٢]

وقال أبو سعود الحنفي رحمه الله: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ ،كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه، فإنهم

كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾، أي على التحريف ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما أوليا، فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار، ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا، بل لا وجه له أصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان، لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر، وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ عطف على خبر إن، وذلك إشارة إلى الشرك، وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح، أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلا من لدنه وإحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾، أي لمن يشاء أن يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه، فإن مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية، فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر، ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سواء السبيل، كيف لا وإن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها، فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق، للإجماع على مغفرتها بالتوبة، ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والإيمان.

﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة تقبيح الإشراك وتفظيع حال من يتصف به ولإظهار المهابة من الكفر ﴿ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ أي افترى واختلق، مرتكبا إثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا". [تفسير أبي سعود، ٢/٩٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: " ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ أي لعبد لقيه مشركا به لحكمه عن خلود عذابه عدلا ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي ما عدا الشرك صغيرا كان أو كبيرا هنالك ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾إحسانا وفضلا وهذا كله في حق من لم يتب عن فعله وإلا فالتائب من الذين كمن لا ذنب له من أصله". [تفسير الملا علي القاري، ١/٤٣٠]

فوائد الآية:

١-إثبات صفة المشيئة لله تعالى.

٢-فيها رد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة.

٣-أصحاب الكبائر من الموحدين تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم.

٤- المشرك مخلد في النار، لا يغفر له أبدا.

قال الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦ هـ) رحمه الله تعالى:

"الفرق بين الشرك وسائر الذنوب: اعلم أن هنالك أنواعا من الذنوب والآثام، يقترفها الناس إذا جمحت بهم النفوس وغلبهم الهوى فمنهم من لا يميز بين حلال وحرام، ومنهم من يقترف سرقة أو عملا من أعمال الفسوق أو يترك الصلاة والصيام أو لا يأتي بما فرض الله عليه من حقوق الأهل والعيال، أو يسيء إلى والديه، ويغلظ القول لهما ولكن الذي تورط في الشرك قد أسرف، وظلم نفسه ظلما مبينا، لأنه قد جنى جناية لا يغفرها الله، أما الذنوب والآثام الأخرى، فربما يغفرها الله ويتجاوز

عنها، ولكن الشرك لابد أن يوفى حسابه". [رسالة التوحيد المسمى ب "تقوية الإيمان"، ص: ٨٩، ط. دار وحي القلم]

وقوله: وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قوله "**اجنبني**"، أي باعدني.

قوله "**الأصنام**"، جمع الصنم.

قال الزبيدي: "الصنم: واحد الأصنام، وقد تكرر ذكره في القرآن والحديث.

وقال الجوهري: هو (الوثن)، وهو صريح في أنهما مترادفان. وفرق بينهما هشام الكلبي في كتاب الأصنام له، بأن المعمول من الخشب أو الذهب والفضة أو غيرها من جواهر الأرض صنم، وإذا كان من حجارة فهو وثن. وقال ابن سيده : هو ينحت من خشب ، ويصاغ من فضة ونحاس. وذكر الفهري أن الصنم ما كان له صورة جعلت تمثالا. والوثن ما لا صورة له. قلت: وهو قول ابن عرفة، وقيل: إن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت و (يعبد)، والصنم الصورة بلا جثة.

وقيل: الصنم: ما كان على صورة خلقة البشر. والوثن: ما كان على غيرها، كذا في شرح الدلائل.

وقال آخرون: ما كان له جسم أو صورة فصنم، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن. وقيل: الصنم من حجارة أو غيرها. والوثن: ما كان صخورة مجسمة". [تاج العروس، ٣٢/٥٢٤-٥٢٥]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ ﴾ ، وذلك أن إبراهيم لما فرغ من بناء البيت، سأل ربه أن يجعل البلد آمنا، وخاف على بنيه، لأنه رأى القوم يعبدون الأصنام، والأوثان. فسأل ربه أن يجنبهم عن عبادة الأوثان فقال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ ﴾ يقول: احفظني وبني ﴿ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ يعني: لكي لا نعبد، وفيه دليل أن المؤمن لا ينبغي له أن يأمن على إيمانه، وينبغي أن

يكون متضرعا إلى الله، ليثبته على الإيمان، كما سأله إبراهيم لنفسه ولبنيه بهذا الإسلام. وأخاف أن تنزعه مني فما دام هذا الخوف معي ، رجوت ألا تنزعه مني". [بحر العلوم، ٤٣٦/٢]

وقال أبو سعود: "﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ ﴾ بعدني وإياهم ﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ واجعلنا منها في جانب بعيد أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام ، وقرئ وأجنبني من الإفعال، وهما لغة أهل نجد، يقولون: جنبني شره وأجنبني شره، وأما أهل الحجاز فيقولون: جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى، والظاهر أن المراد بنيه أولاد الصلبية". [تفسير أبي سعود، ٤٠/٤]

وقال الملا علي القاري: "﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ ﴾ من بعدي وأولادي من صلبي ﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ واجنبني وجنبني منه لغات بمعنى اجعلني في جانب عنه. وفيه دلالة على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله لهم وحفظه إياهم". [تفسير الملا علي القاري، ٢٤/٣]

قال الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (**المتوفى: ١٢٤٦** هـ) **رحمه الله تعالى**:

"**من يصلح للإقتداء؟!** ويجب أن لا يتخذ قدوة وإماما إلا من رسخت قدمه في التوحيد، واتباع السنة، وكان بمعزل عن الشرك والبدعة بعيدا عنهما كل البعد، لينتفع الناس بصحبته ويسري فيهم نور التوحيد وحب السنة". [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان"، ص: ٤٩]

وقوله رحمه الله: وفي الحديث: "**أخوف ما أخاف عليكم**: **الشرك الأصغر**، **فسئل عنه**، **فقال**: **الرياء**".

قوله "**الرياء**"، **قال القاضي عبد رب النبي**: "**الرياء** : زيادة العمل الخير على المعتاد لإراءة الناس فلهذا يتصور في الصلاة دون الصوم نعم يتصور في عدد الصوم.

وبعبارة أخرى الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [دستور العلماء، ١٠٦/٢]

وقال الجرجاني رحمه الله: "الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [التعريفات، ص: ١٥١]

وقال المناوي: "الرياء الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن الخالق وعماية عنه، ذكره الحرالي". [التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٣٨٠]

وقال الفيومي: "الرياء وهو إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا فالعمل لغير الله نعوذ بالله منه". [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٤/ ٢٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "**إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله! ما الشرك الأصغر؟**، فيه دلالة على أن التعبير بالشرك الأصغر وقع في هذا الحديث أولا، "**قال: الرياء**" أي جنس الرياء والسمعة من الظهور والخفاء. [مرقاة المفاتيح، ٥١٧/٩]

وقال العلامة سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله:

"**فصل: في حقيقة الرياء**" وهو طلب المنزلة في القلوب بإرادة الفضائل، وفي العرف بإظهار العبادات واشتقاقه من الرؤية، فحد الرياء هو: إرادة العباد بطاعة الله تعالى وكل عمل من عمل الآخرة لأجل الدنيا فهو رياء، لأن كل عمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى فهو داخل في الرياء، لأن الرياء هو العمل لغير الله تعالى وإن كان أصل الاشتقاق من الرؤية، ولكن المقصود منه العمل لغير الله تعالى.

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: والمراءاة إما **وصف** في البدن كالنحول والصفرة يريهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وقلة الأكل وبالصفرة على سهر الليل وإغارة العين وذبول الشفتين، وإما الزي والهيئة كإطراق الرأس وغلظ الثياب وتركها مخرقة. وإما **القول** كالوعظ والتذكير والنطق بالحكم، وحفظ الأخبار والآثار للاستعمال في المحاورة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وتضعيف الصوت بالذكر والقراءة، ليدل على شدة الحزن وغلبة خوف الله تعالى وهو كثير وأنواعه لا تحصى. وإما **العمل** كمراءاة المصلي بطول القيام وغيره، وكذلك بالصوم والحج والغزو والصدقة وغير ذلك من سائر العبادات، وإما الأصحاب والزائرون كالذي يتكلف

أن يستزير عالما من العلماء أو عابدا من العباد، ليقال إن فلانا زار فلانا ويقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان، ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته أو كالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرا.

والرياء إما في **أصل الدين** وهو النفاق وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر كلمة الشهادة وباطنه مشحون بالكذب. وإما في **أصول العبادة** كإقامة الصلاة المكتوبة في الجماعة مع تركها في الخلوة، وكذا الصوم وحضور الجمعة، ولولا خوف المذمة لا يحضرها وهو عظيم أيضا ولكن دون الأول، لأن صاحب هذا مصدق بأصل الدين أو أقام النوافل كحضور الجماعة والتهجد وصيام عرفة وعاشوراء وهو دون الأولين، لأن فيهما عظم ذم الخلق على عقاب الله تعالى وإيثار حمد الخلق على حمد الخالق وفي الثاني فقط وهو إيثار حمد الخلق على حمد الخالق.

وإما في وصف العبادات وهو ثلاثة:

الأول: يفعل ما في تركه نقصا كإحسان الركوع، وقوله: فعلته صيانة لهم عن الغيبة مكيدة للشيطان، لأن ضرره من نقصان صلاته وخدمة مولاه أعظم من ضرره بغيبة.

والثاني: بمقابلة، لكنه في حكم التكملة كزيادة القراءة على قراءته المعتادة.

والثالث: بزيادة خارجة عنها كقصد الصف الأول وكحضور الجماعة قبل القوم، وكل ذلك مما يعلمه الله تعالى ومنه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي به، والمراءاة بعين العادة محمودة إن يسلم عن الآفات، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ومذموم إن لم يسلم، ومباح كتحسين الثوب، وإما بالعبادة، فإن قصد به الرياء المحض فتبطل ويأثم لتلبيسه ولاستهزائه بالله تعالى ولظنه أن العبد أقدر على تحصيل غرضه من الله سبحانه وتعالى وإما قصد الأجر وحمد الناس، فهو الشرك المنافي للإخلاص.

وللمرائي له درجات:

مرتبته الأولى: التمكن من المعصية كتولية مال وجحود الودائع، أو يسلم إليه الأموال من الزكاة أو الصدقات ليفرقها، وغرضه أن يستأثر منها ما يقدر أو ملاحظة النسوان والصبيان كالمذكر، ومقصوده الملاحظة أو حضور مجلس العلم لهذا الغرض، وهذه المرتبة أعظمها وأشدها.

المرتبة الثانية: نيل حظ مباح من مال أو نكاح كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير، فهذا رياء محظور، لأنه طلب بطاعة الله متاع الدنيا، ولكن دون الأول، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

والدرجة الثالثة: خوف الازدراء وأن لا يعد من الزهاد، كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك السبق إلى الضحك والمزاح، فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار، فيتبع ذلك الاستغفار، وإظهار الحزن أو كالذي يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون أو يصومون الاثنين والخميس أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل أو لإلحاق العوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه.

وأول مراتب الرياء الباعث على العمل ثم مخففه ثم السرور باطلاع غيره مع كراهة الرياء ثم حب توقيره وإبدائه بالسلام، ومسامحته في المعاملات.

وللسرور باطلاع غيره درجات:

الأولى: فرحه بجميل نظر الله تعالى له حيث ستر معصيته وأظهر طاعته مع أنه قصد الإخفاء.

والثانية: بالاستدلال بما في الدنيا على ما في الآخرة، قال ﷺ: "ما ستر الله على عبد له في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة".

والثالثة: بظن رغبته المطلعين في اقتدائه.

الرابعة: بطاعتهم لله تعالى في مدح المطيع وحبه، وكل هذه المراتب محمودة.

والخامسة: بقيام منزلته في القلوب، حتى يعظموه، وهي المذمومة.

ومورد الرياء ثلاثة:

الأول بعد الفراغ من العمل، فإنه مجرد سروره بظهوره بلا إظهاره فغير محبط، ولو حدث به وإلا قيس أنه كذا، وإن دل ما في الأخبار على إحباطه منها: ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة سورة البقرة، قال: ذلك حظه منها محمول على أنه قال ذلك استدلالا على أن قلبه لم يخل عن عقد الرياء وقصده.

والثاني قبل الفراغ فمجرد السرور لا يحبط إلا عند طائفة منهم المحانسية والرياء الباعث على العمل مع ضمه به يحبط، قال ﷺ: "من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله" وهذا في الصلاة والصوم والحج دون الصدقة والتلاوة، فإن كل جزء منها منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي. فهذا بعض ما ذكره حجة الإسلام في الإحياء.

وإذا عرفت ما سبق أن الرياء شرك ومحبط للأعمال، وقد نهى عن إضاعة العمل بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٣]، وأن الرياء سبب لمقت الله تعالى وأنه من الكبائر المهلكات، وما هذا وصفه، فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشقة، ويجيب على العاقل قلع عروق الرياء عن باطنه، وهي: حب لذة الحمد والفرار من الذم والطمع بما في أيدي الناس، فأي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله تعالى لأجل حمدهم، ولا يزيد مدحهم رزقا ولا أجلا، ولا ينفعه يوم القيامة غير الحسرة والخزي والحرمان عن الثواب، وأي غرض له في الطمع بما في أيدي الناس، فإن الله تعالى مسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، والخلق مضطرون فيه، ولا معطي ولا مانع إلا الله تعالى ومن يطمع من الخلق لم يخل عن الذم والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة وأي غرض له بالفرار عن ذمهم، ولا يزيد ذمهم شيئا مما يكتبه الله تعالى عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعل من أهل النار إن كان من أهل الجنة.

فإذا تقرر في قلبه هذه الآفات وأسبابها وضررها فترت رغبته، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره فمن صادف في نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء، لكن مع ذلك غير خال عن ميل الطمع

إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كان لحبه فلميله لا يكون في زمرة أهل الرياء، لا يكلف الله النفس إلا وسعها، وليس في وسع العبد منع نزغات الشيطان بالكلية حتى لا تميل إلى الشهوات، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استشارتها من معرفة العواقب، وعلم الدين، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف ومن علاج الرياء، تذكر اطلاع الله على ضميره وتذكر تركه أن لو اطلع الناس عليه وأجمع العلماء على حرمة الرياء ووجوب الإخلاص". [تبيين المحارم، ص: ١٤٠-١٤٣]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**من مات وهو يدعو لله ندا، دخل النار**". رواه البخاري.

قوله "**ابن مسعود**"، هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقة في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء ملئ علما. وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. وكان يحب الإكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له ٨٤٨ حديثا. وأورد الجاحظ (في البيان والتبيين) خطبة له ومختارات من كلامه. [الأعلام، ١٣٧/٤]

وقوله "**ندا**"، جمعه الأنداد.

قال الفيومي: "والند بالكسر المثل والنديد مثله ولا يكون الند إلا مخالفا والجمع أنداد مثل حمل وأحمال" . [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٩ / ٢١٥]

قال الفراهيدي: "الند: ما كان مثل الشيء يضاده في أموره والنديد والند سواء وجمع الند أنداد". [كتاب العين، ١٠/٨]

قال أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: "الند خص بالمخالف المماثل في الذات أو القوة من نادِدت الرجل إذا خالفته كما أن المساوي خص للمماثل في القدر". [كتاب الكليات، ص:١٤٧٥]

قال الملا علي القاري: "أي مثلا ونظيرا في دعائك وعبادتك". [مرقاة المفاتيح، ٢٠٤/١]

يعني من مات مصرا على دعاء غير الله تعالى من صنم أو غيره، دخل النار.

وقوله "**رواه البخاري**"، أي خرجه البخاري في صحيحه، ٢٨/٦، رقم: ٤٤٩٧.

قال إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله: "إقبال المملوك على غير مالكه وولي نعمه قلة غيرة وعدم وفاء: أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو لله ندا وهو خلق". وقد دل هذا الحديث على أن إشراك العبد أحدا لله تعالى في علمه المحيط وقربه من كل أحد وقدرته على كل شيء، فيستغيث به ويستصرخه أكبر الكبائر، لأنه ليس في إمكان أحد أن يسعف بحاجته مثله، وأن يكون في كل مكان لا يغيب عنه شيء. ثم إنه إذا كان الواقع أن الله تعالى هو الذي خلقنا وهو ربنا ونحن نقر بذلك وجب علينا أن لا ننادي إلا إياه ولا نستعين إلا به وما لنا ولغيره؟ فمن كان من جملة عبيد ملك وصنائعه انقطع إليه كليا، وأطبق عينه عن كل ملك ورئيس، فضلا عن وضيع أو خسيس أيجمل بنا أن نكون أقل غيرة وأضعف وفاء من المملوك لمولاه المجازي؟". [رسالة التوحيد، المسمى بـ "تقوية الإيمان"، ص: ٩٤-٩٥]

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**".

قوله "لمسلم"، أي خرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، رقم الحديث: ٢٧٠ .

قوله "**جابر رضي الله عنه**"، هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه

صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا. وله (مسند – خ) مما رواه أبو عبد الرحمن. عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. والنسخة قديمة نفسية، في خزانة الرباط، الرقم ٢٢١ كتاني. [الأعلام، ١٠٤/٢]

قوله " **من لقي الله** "، يعني من مات.

قوله " **لا يشرك به شيئا**"، أي جليا أو خفيا، أي حال كونه غير مشرك، يعني يكون موحدا مؤمنا. [مرقاة المفاتيح، ٢٠٢/١]

قوله "**ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**"، يعني من مات مشركا دخل النار، فعلينا أن نخاف من جميع أنواع الشرك.

فوائد الحديث:

١-إثبات الجنة والنار. ٢-العبرة بالأعمال خواتمها.

٣-من مات على التوحيد لا يخلد في النار ومآله الجنة.

٤-من مات على الشرك وجبت له النار.



الباب الرابع

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**" .

وفي رواية: "إلى أن يوحدوا الله"، **فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**"، أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها: فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ؛ ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**".

يدوكون أي: يخوضون.

❁ ❁ ❁

لما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى التوحيد وفضله وتحقيقه والخوف من ضده، نبه في هذا الباب على أن من عرف ذلك، يجب عليه أن يدعو غيره إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، لأن التوحيد هو أساس الإسلام وإنه من أصوله وقواعده بمكان الذروة والسنام. فذلك أمر أطبقت عليه دعوات الرسل عليهم

الصلاة والسلام، فما منهم أحد إلا افتتح دعوته لقومه بقوله ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ، فالتوحيد هو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها وقطب رحاها وعمدتها، ترتكز كلها عليه، وتستند في وجودها إليه. وتبتدئ منه وتنتهي إليه، ولا عجب فهو يقوم على إفراد العبد ربه بما هو محض حقه من أنواع العبادة وصورها وإخلاص القصد والإرادة له في أدائها، واعترافه على نفسه وعلى غيره من المخلوقات بلزوم العبودية لهم في سائر الحالات، فالله وحده هو ربهم وملكهم والقاهر فوقهم والمتصرف فيهم بما يشاء لا دافع لقضائه ولا راد لمشيئته وهم جميعا عبيده المربوبون الفقراء المحدثون الضعفاء الذين لا غنى لهم عنه طرفة عين ولا قيام لهم بدونه لحظة من زمان. (من "التوحيد هو أساس الإسلام" إلى "من زمان"، نقلت من كتاب "دعوة التوحيد، ص: ٧")

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل". (شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٧٥، ط. مكتبة المعارف)

قوله "**سبيلي**"، أي طريقي ودعوتي.

قوله "**أدعو إلى الله**"، أي أدعو إلى توحيد الله ودينه.

قوله "**على بصيرة**"، على علم ويقين.

قوله "**ومن اتبعني**"، أي من اقتدى بي.

قال أبو الليث السمرقندي (المتوفى ٣٧٣ هـ) رحمه الله: "﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ يعني : هذه الملة، ديني الإسلام، ويقال: هذه دعوتي ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾ الخلق ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ تعالى. ويقال: أدعوكم إلى توحيد الله وعبادته ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي: على يقين وحقيقة. ويقال: على بيان ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ يعني: من اتبعني على ديني ، فهو أيضا على بصيرة ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ تنزيها لله عن الشرك ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ على دينهم". (بحر العلوم، ٢/ ٤٠٠)

قال النسفي (المتوفى ٧١٠ هـ) رحمه الله: "﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان. ثم فسر سبيله بقوله ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد للمستتر في ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾، ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾، عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعني، أو ﴿ أَنَا۠ ﴾ مبتدأ و ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ خبر مقدم و ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾عطف على ﴿ أَنَا۠ ﴾ يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ وأنزهه عن الشركاء ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ مع الله غيره". (تفسير النسفي، ٢/٩٣)

وقال أبو سعود (المتوفى ٩٨٢ هـ) رحمه الله: "﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ وهي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص وفسرها بقوله : ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء أو هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد للمستكن في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه ، أو مبتدأ خبره على بصيرة ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ عطف عليه ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ مؤكد لما سبق من الدعوة إلى الله". (تفسير أبي سعود، ٣/٤٧٧)

وقال الآلوسي رحمه الله: "﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي كذا قالوا ، والظاهر أنهم أخذوا الدعوة إلى الإيمان من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] لإفادة أنه يدعوهم إلى الإيمان بجد وحرص وإن

لم ينفع فيهم، والدعوة إلى التوحيد من قوله سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم ﴾ [يوسف: ١٠٦] لدلالته على أن كونه ذكرا لهم لاشتماله على التوحيد لكنهم لا يرفعون له رأسا كسائر آيات الآفاق والأنفس الدالة على توحده تعالى ذاتا وصفات، وفسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي أدعو الناس إلى معرفته سبحانه بصفات كماله ونعوت جلاله ومن جملتها التوحيد فالجملة لا محل لها من الإعراب، وقيل: إن الجملة في موضع الحال من الياء والعامل فيها معنى الإشارة. وتعقب بأن الحال في مثله من المضاف إليه مخالفة للقواعد ظاهرا وليس ذلك مثل ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣] واعترض أيضا بأن فيه تقييد الشيء بنفسه وليس ذاك على بصيرة أي بيان وحجة واضحة غير عمياء ، والجار والمجرور في موضع الحال من ضمير «أدعو» وزعم أبو حيان أن الظاهر تعلقه ب"أدعو" وقوله تعالى: ﴿ أَنَا۠ ﴾ تأكيد لذلك الضمير أو للضمير الذي في الحال، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ عطف على ذي الحال، ونسبة ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾ إليه من باب التغليب كما قرر في قوله تعالى : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف : ١٩] ومنهم من قدر في مثله فعلا عاملا في المعطوف ولم يعول عليه المحققون، ومنع عطفه على ﴿ أَنَا۠ ﴾ لكونه تأكيدا ولا يصح في المعطوف كونه تأكيدا كالمعطوف عليه.

واعترض بأن ذلك غير لازم كما يقتضيه كلام المحققين، وجوز كون من مبتدأ خبره محذوف أي ومن اتبعني كذلك أي داع وأن يكون ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ خبرا مقدما و﴿ أَنَا۠ ﴾ مبتدأ ﴿ وَمَنِ ﴾ عطف عليه، وقوله تعالى: ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أي وأنزهه سبحانه وتعالى تنزيها من الشركاء ، وهو داخل تحت القول وكذا ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ في وقت من الأوقات ، والكلام مؤكد لما سبق من الدعوة إلى اللّه تعالى". (روح المعاني، ٦٤/٧)

وقال الملا علي القاري (المتوفى سنة ١٠١٤ هـ) رحمه الله: "﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ ﴾ الطريقة ﴿ سَبِيلِيٓ ﴾ وهو الدعوة إلى الحقيقة من توحيد رب العباد وإعداد الزاد للمعاد ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ حبه وقربه ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بينة لائحة وحجة واضحة ﴿ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ أدعو أنا وأتباعي من غير مخالفة، وفيه إماء إلى أنه ليس له وأتباعه إلا الدعوة وأما مفتاح الهداية ففي قبضة رب العزة في البداية والنهاية... ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أنزهه تنزيها عن الشركاء ﴿ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فإني وأتباعي منهم براء". (تفسير الملا علي القاري، ٢/٥٢٣-٥٢٤)

وقال ابن أبي العز الحنفي، (المتوفى: ٧٩٢هـ) رحمه الله: "قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف: ١٠٨]. فإن كان قوله ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾معطوفا على الضمير في ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾، فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة إلى الله، وإن كان معطوفا على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حق". (شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٧٢)

قال محيي الدين محمد البركوي الحنفي (المتوفى: ٩٨١ هـ) رحمه الله: "اعلم أن السعادة العظمى والكرامة الكبرى في الدنيا والعقبى لا تحصل إلا بمتابعة خاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين". (زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٨)

أقول: ومن متابعة الرسول ﷺ الدعوة إلى التوحيد بالعلم واليقين والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

قال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله: "أن السلف اتفقوا على أن المؤمن لا يكون مهتديا بمجرد إصلاحه لنفسه، إذا لم يهتم بإصلاح غيره ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر". (تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، ص: ١٨٧)

قال المؤلف رحمه الله: " عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**"...

قوله "**ابن عباس رضي الله عنهما**" هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة،... ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغير هما ١٦٦٠ حديثا. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لوقائع العرب. وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.

وكان آية في الحفظ، أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها: "أمن آل نعم أنت غاد فمبكر" فحفظها في مرة واحدة، وهي ثمانون بيتا، وكان إذا سمع النوادب سد أذنيه بأصابعه، مخافة أن يحفظ أقوالهن. ولحسان بن ثابت شعر في وصفه وذكر فضائله. وينسب إليه كتاب في "تفسير القرآن– ط" جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيرا حسنا. وأخباره كثيرة. (الأعلام، ٤/٩٥)

قال الملا علي القاري رحمه الله: "(**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**) لأن فيهم مشركين (**وأن محمدا رسول الله**) فإن موحديهم قد يكونون لرسالته منكرين. قال ابن الملك: هذا يدل على وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام، قبل القتال لكن هذا إذا لم تبلغهم الدعوة، أما إذا بلغتهم فغير واجبة، لأنه صح أن النبي ﷺ أغار بني المصطلق وهم غافلون". (مرقاة المفاتيح، ٤/٢٢٤)

أقول: إذا كان الإنسان موحدا ولم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر.

قال صاحب عون المعبود العظيم آبادي رحمه الله: (بعث معاذا): بضم الميم أي أرسل. وكان بعثه سنة عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره البخاري في أواخر المغازي. وفيه أقوال أخرى ذكرها الواقدي وابن سعد، واتفقوا على أنه لم يزل باليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر ثم توجه إلى الشام فمات بها.

(**أهل الكتاب**): اليهود والنصارى. قال الطيبي: قيد قوله: قوما أهل الكتاب ومنهم أهل الذمة وغيرهم من المشركين تفضيلا لهم أو تغليبا على غيرهم.

(**فادعهم**): إنما وقعت البداية بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما. فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدا فالمطالبة بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كان ما يقتضي الإشراك، أو يستلزمه فيكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم.

(**فإن هم أطاعوك لذلك**): استدل به على أن الكفار غير مخاطبين بالفروع حيث دعوا أولا إلى الإيمان فقط ثم دعوا إلى العمل ورتب عليه بالفاء وفيه بحث ذكرها الحافظ في الفتح.

(**صدقة**): أي زكاة لأموالهم.

(**تؤخذ من أغنيائهم**): استدل به على أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائبه، فمن امتنع منهم أخذت منه قهرا.

(**في فقرائهم**): أي المسلمين. واستدل به على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد.

قال الخطابي: وقد يستدل به من لا يرى للمديون زكاة إذا لم يفضل من الدين الذي عليه قدر نصاب لأنه ليس بغني إذا خرج ماله مستحقا لغرمائه. وفيه دليل على أن تدفع إلى جيرانها وأن لا تنقل من بلد إلى بلد آخر انتهى.

وجوز البخاري والحنفية نقل الزكاة ومعهم أدلة صحيحة والله أعلم.

(**وكرائم أموالهم**): منصوب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره. والكرائم جمع كريمة أي نفيسة. وفيه دليل على أنه لا يجوز للمصدق أخذ خيار المال لأن الزكاة لمواساة الفقراء، فلا يناسب ذلك الإجحاف بالمالك إلا برضاه .

قال الطيبي: فيه دليل على أن تلف المال يسقط الزكاة ما لم يقصر في الأداء وقت الإمكان أي بعد الوجوب.

(**واتق دعوة المظلوم**): فيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ كرائم الأموال، الإشارة إلى أن أخذها ظلم.

(**حجاب**): أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع. والمراد مقبولة وإن كان عاصيا كما جاء في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعا: "**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه**". وإسناده حسن. وقد احتج به أنها تجب في مال المجنون والطفل الغني لعموم قوله "**من أغنيائهم**" قاله عياض، وفيه بحث.

وفيه دليل على بعث السعاة وتوصية الإمام عامله فيما يحتاج إليه من الأحكام وقبول خبر الواحد ووجوب العمل به. (عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٤/٤٦٧-٤٦٩)

قال محمد بن عبد الهادي السندي الحنفي (**المتوفى سنة: ١١٣٨ هـ**) **رحمه الله**: "قوله: "**واتق دعوة المظلوم**"، كناية عن النهي عن الظلم، حذرا عن دعوة المظلوم، وهذا لبيان الاهتمام بقبحه، وخوف لحوق ضرره في الدنيا، وإلا فهو واجب الترك لنهي الله تعالى عنه". (حاشية السندي على صحيح مسلم، ص: ٩٦)

قوله "أخرجاه"، أي خرجه البخاري (٢/١٠٤ رقم ١٣٩٥)، ومسلم (١/٥٠ رقم ١٩).

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو**

أن يعطاها: فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ؛ ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

يدوكون أي: يخوضون.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**ولهما**"، أي للبخاري والمسلم.

وقوله: "**سهل بن سعد رضي الله عنه**"، هو سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة: صحابي، من مشاهيرهم. من أهل المدينة. عاش نحو مئة سنة. له في كتب الحديث ١٨٨ حديثا. (الأعلام، ٣\١٤٣)

وقوله: "**يوم خيبر**"، أي غزوة خيبر، وكانت سنة سبع، ومن خيبر إلى المدينة أربع مراحل، يعني تبعد عنها ١٥٣ كم (٩٥ ميل) إلى الشمال من المدينة المنورة.

قوله: " **لأعطين هذه الراية** " أي: العلم التي هي علامة للإمارة.

قوله: "**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**"، فيه إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، كما يليق به تعالى. وصفة المحبة لله تعالى ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة. وأدلة إثباتها من الكتاب، قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: ٨، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٤، وقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ الصف: ٤.

قد أخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه يحب المتقين والمقسطين والمحسنين والتوابين والمتطهرين والمقاتلين في سبيله والمتبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم. ومحبة الله سبحانه وتعالى ليست كمحبة المخلوق، كما قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١.

وأدلة إثباتها من السنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**". (رواه البخاري في صحيحه، ٤\١٣٥، رقم الحديث: ٣٢٠٩).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**". (رواه البخاري في صحيحه، ٨\١٣٢، رقم الحديث: ٦٥٠٧).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**". (رواه البخاري في صحيحه، ٨\١٣١، رقم الحديث: ٦٥٠٢)

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:"**حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط**". (سنن الترمذي، ٥\٦٥٨، رقم الحديث: ٣٧٧٥)

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "**إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع**". (مسند أحمد، ٥\٤٢٨، رقم الحديث: ٢٣٦٨٣)

عن سهل بن سعد الساعدي ، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**". (سنن ابن ماجة، (٥ / ٢٢٥) رقم الحديث: ٤١٠٢)

وأقوال الأئمة في إثبات صفة المحبة لله تعالى:

الطاعات محبوبة لله والمعاصي مقدورة غير محبوبة، قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر: "والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره".

ووصف رحمه الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه حبيب رب العالمين، حيث قال: "ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيبه وعبده ورسوله ونبيه". (الفقه الأكبر)

وقال الطحاوي رحمه الله: "وأنه (أي محمد صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين". (العقيدة الطحاوية)

وحبيب على وزن فعيل بمعنى مفعول، أي محبوب رب العالمين.

وقال البابرتي رحمه الله في شرح قوله: (وحبيب رب العالمين)، لأنه لما ثبت ببركة متابعته لأمته أنهم أحباؤه، حيث قال تعالى بلسان نبيه: ﴿ **فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ آل عمران: ٣١، فلأن يثبت أنه حبيب الله أولى. (شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ محمد بن محمد بن محمود البابرتي، المتوفى ٧٨٦ هـ، ص: ٥٦)

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "والشأن كل الشأن في محبته سبحانه للعبد دون محبة العبد له تعالى، وإن كانت الثانية نتيجة للأولى، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ﴾ المائدة: ٥٤". (المبين المعين لفهم الأربعين، لـ"الملا علي القاري" ص: ٧٤٣، ط. دار اللباب)

وقوله: "**يفتح الله على يديه**"، أي بسببه. وقد فتح الله على يديه، وفيه علم من أعلام النبوة.

وقوله: " **فبات الناس يدوكون ليلتهم** "، والدوك: الخوض.

وقوله: "**فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم**"، أي: أتوه وقت الغدوة.

وقوله: "**كلهم يرجو أن يعطاها**"، أي الراية التي هي آية الفتح.

وقوله: "**فقال: أين علي بن أبي طالب؟**"، فيه: أنه وقع في هذا المقام مرادا وغير مريد، والله غالب على أمره في إعطاء المزيد لمن يريد.

وقوله: "**فقيل: هو يشتكي عينيه**"، . والمعنى أنه حصل عذر لديه.

وقوله: "**فأرسلوا إليه فأتي به**"، أي فجيء به.

وقوله: "**فبصق في عينيه**"، أي: ألقى بزاقه في عينيه.

وقوله: "**ودعا له فبرأ**"، بفتح الراء وقد يكسر أي: فصح علي من جهة عينيه وعوفي عافية كاملة.

وقوله: " **كأن لم يكن به وجع** "، أي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر أصلا.

قوله: "**فأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك** "، أي امض على رفقك ولينك.

وفيه الإيمان بالقدر، لحصول الراية لمن لم يسع، ومنعها عمن سعى.

وفيه فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: "**حتى تنزل بساحتهم**"، أي حتى تبلغ فناءهم من أرضهم.

قوله: "**ثم ادعهم إلى الإسلام**"، هذا هو الشاهد في الحديث وهو الدعوة إلى شهادة أن لا أله إلا الله، أي توحيد الله قبل القتال كما في الحديث، إذ الإسلام هو الاستسلام والخضوع لله بالعبودية.

قال برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، (المتوفى ٥٩٣هـ): "وإذا دخل المسلمون دار الحرب فحاصروا مدينة أو حصنا دعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا كفوا عن قتالهم وإن امتنعوا دعوهم إلى أداء الجزية، فإن بذلوها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. ولا

يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام إلا أن يدعوه. ويستحب أن يدعو من بلغته الدعوة فإن أبوا ذلك استعانوا بالله عليهم وحاربوهم... ". (بداية المبتدى، ١\١١٤-١١٥)

قال أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني علاء الدين (المتوفى : ٥٨٧هـ): "وأما بيان ما يجب على الغزاة الافتتاح به حالة الوقعة، ولقاء العدو، فنقول: وبالله التوفيق: إن الأمر فيه لا يخلو من أحد وجهين، إما أن كانت الدعوة قد بلغتهم، وإما أن كانت لم تبلغهم، فإن كانت الدعوة لم تبلغهم فعليهم الافتتاح بالدعوة إلى الإسلام باللسان؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾، ولا يجوز لهم القتال قبل الدعوة ؛... ولأن القتال ما فرض لعينه بل للدعوة إلى الإسلام، والدعوة دعوتان: دعوة بالبنان، وهي القتال ودعوة بالبيان، وهو اللسان، وذلك بالتبليغ والثانية أهون من الأولى؛ لأن في القتال مخاطرة الروح والنفس والمال، وليس في دعوة التبليغ شيء من ذلك، فإذا احتمل حصول المقصود بأهون الدعوتين لزم الافتتاح بها، هذا إذا كانت الدعوة لم تبلغهم، فإن كانت قد بلغتهم جاز لهم أن يفتتحوا القتال من غير تجديد الدعوة ؛ لما بينا أن الحجة لازمة ، والعذر في الحقيقة منقطع، وشبهة العذر انقطعت بالتبليغ مرة ، لكن مع هذا الأفضل أن لا يفتتحوا القتال إلا بعد تجديد الدعوة لرجاء الإجابة في الجملة .

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقاتل الكفرة حتى يدعوهم إلى الإسلام فيما كان دعاهم غير مرة دل أن الافتتاح بتجديد الدعوة أفضل، ثم ، إذا دعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا كفوا عنهم القتال؛ لقوله عليه الصلاة والسلام {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها} وقوله عليه الصلاة والسلام { من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني دمه وماله} فإن أبوا الإجابة إلى الإسلام، دعوهم إلى الذمة، إلا مشركي العرب والمرتدين لما نذكره إن شاء الله تعالى بعد، فإن أجابوا كفوا عنهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام { فإن قبلوا عقد الذمة فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين وإن أبوا، استعانوا بالله

سبحانه وتعالى على قتالهم} ووثقوا بعهد الله سبحانه وتعالى النصر لهم بعد أن بذلوا جهدهم، واستفرغوا وسعهم، وثبتوا وأطاعوا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وذكروا الله كثيرا على ما قال تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾". (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١٥\٢٨٠-٢٨١)

قال محمد بن محمد البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ): "(ولا يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام إلا أن يدعوه) لقوله عليه الصلاة والسلام في وصية أمراء الأجناد { فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله } ولأنهم بالدعوة يعلمون أنا نقاتلهم على الدين لا على سلب الأموال وسبي الذراري فلعلهم يجيبون فنكفى مؤنة القتال، ولو قاتلهم قبل الدعوة أثم للنهي، ولا غرامة لعدم العاصم وهو الدين أو الإحراز بالدار فصار كقتل النسوان والصبيان (ويستحب أن يدعو من بلغته الدعوة) مبالغة في الإنذار، ولا يجب ذلك لأنه صح {أن النبي عليه الصلاة والسلام أغار على بني المصطلق وهم غارون}. {وعهد إلى أسامة رضي الله عنه أن يغير على أبنى صباحا ثم يحرق} والغارة لا تكون بدعوة.

قال (فإن أبوا ذلك استعانوا بالله عليهم وحاربوهم) لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث سليمان بن بريدة {فإن أبوا ذلك فادعهم إلى إعطاء الجزية، إلى أن قال: فإن أبوها فاستعن بالله عليهم وقاتلهم} ولأنه تعالى هو الناصر لأوليائه والمدمر على أعدائه فيستعان به في كل الأمور". (العناية شرح الهداية - (٧ / ٤٤٣)).

وقوله: "**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**"، أي في الإسلام. وحق الله: هو فعل الواجبات وترك المحرمات.

قوله: "**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**"، يراد به حمر الإبل وهي أعزها وأنفسها، ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وإنه ليس هناك أعظم منه.

قال النووي: تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا، إنما هو التقريب للأفهام وإلا فقدر يسير من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معه.

قال الملا علي القاري رحمه الله (المتوفى: ١٠١٤هـ): "والظاهر أن قوله: فوالله. إلخ، تأكيد لما أرشده من دعائهم إلى الإسلام أولا، فإنه ربما يكون سببا لإيمانهم من غير حاجة إلى قتالهم المتفرع عليه حصول الغنائم من حمر النعم وغيرها، فإن إيجاد مؤمن واحد خير من إعدام ألف كافر على ما صرح به ابن الهمام في أول كتاب النكاح معللا به على وجه تقديمه كله على كتاب السير والجهاد". (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (١١/ ٢٤٤، رقم الحديث: ٦٠٨٩)).

قال ابن الملك (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " يعني: هداية الله رجلا بك خير لك ثوابا من أن يكون لك حمر النعم فتتصدق بها، وهذا يدل على أن تعليم علم يهتدى به خير من بذل المال وإطعام الطعام صدقة. (شرح المصابيح لابن الملك، المؤلف: محمد بن عز الدين عبد اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرومي الكرماني، الحنفي، المشهور بـ"ابن الملك"، (٦/ ٤٣٧-٤٣٨)).

قال ابن حجر في الفتح: "وعند يونس بن بكير في المغازي عند بن إسحاق قال: "فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وحشي، فقال: دعوه فلإسلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف كافر".

وفيه فضل من اهتدى على يديه واحد. وفيه الحرص على الدعوة والإرشاد وليس الحرص على القتال.



الباب الخامس

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ الإسراء: ٥٧.

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الزخرف: ٢٦ – ٢٧، الآية.

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١، الآية.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، الآية.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله".

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

❁ ❁ ❁

بين المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب ما تتضمنه هذه الشهادة من نفي العبادة عن غير الله سبحانه وتعالى وإثباتها لله سبحانه وتعالى. فعطف الشهادة على التوحيد، هو من باب عطف الدال على المدلول، فالمدلول هو التوحيد والدال هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال المؤلف رحمه الله: وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الإسراء: ٥٧ ، الآية.

قال الجرجاني: "الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الغير". [التعريفات]

وقال أبو نصر الجوهري: "الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل. والتوسيل والتوسل واحد. يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل". [الصحاح في اللغة، ٢/٢٧٩]

قال الزبيدي الحنفي: "الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة". [تاج العروس من جواهر القاموس، ٣١/٧٥]

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية: "كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم". [صحيح البخاري، ٦/١٠٧، رقم الحديث: ٤٧١٤]

وقال رضي الله عنه أيضا: "كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن. واستمسك الإنس بعبادتهم فنزلت: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)". [صحيح مسلم ، (٨ / ٢٤٤) رقم الحديث: ٧٧٤٠]

وقال رضي الله عنه أيضا: "نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)". [صحيح مسلم، (٨ / ٢٤٤) رقم الحديث: ٧٧٤٢]

وقال بدر الدين العيني الحنفي رحمه الله: "والمراد بالوسيلة: القربة". [عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٧/٤٤٤]

وقال ابن حجر رحمه الله في الفتح: "قوله: فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة...وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية". [فتح الباري، ٨/٣٩٧]

قال أبو الليث السمرقندي (المتوفى ٣٧٣ هـ) رحمه الله تعالى: "قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، يعني: الملائكة ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ ، أي يعبدونهم ويدعونهم آلهة. قرأ ابن مسعود {تدعون} بالتاء على معنى المخاطبة. ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، يقول: يطلبون إلى ربهم القربة والفضيلة والكرامة بالأعمال الصالحة. ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ ، أكرم على الله تعالى، وأقرب في الفضيلة والكرامة". [بحر العلوم، ١٣/٣]

قال أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (المتوفى: ٧١٠هـ) رحمه الله: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله عز وجل ﴿ أَيُّهُمۡ ﴾ بدل من واو يبتغون و«أي» موصولة أي يبتغي من هو ﴿ أَقۡرَبُ ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير". [مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢٠٥/٢]

وقال الملا علي القاري (المتوفى ١٠١٤ هـ) رحمه الله تعالى: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الإسراء: ٥٧، هؤلاء الآلهة التي يدعوهم ويعبدونهم من كمال الغفلة هم بأنفسهم يطلبون إلى الله القربة بالطاعة والعبادة ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الإسراء: ٥٧، بدل من واو يبتغون، فأي موصولة، أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم إلى الرب فكيف بغير الأقرب، ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧، حجابه وعقوبته كآحاد الأمة وأفراد البرية، فكيف تزعمون أنهم آلهة ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧، حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى

الرسل والملائكة...يقال في المثل: تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون، أي فإنه لا يتعلق بمثله إلا المجنون. ويقال: الفقير إذا تعلق بالفقير كالضرير إذا قاد الضرير، سقطا جميعا في المسير". [تفسير الملا علي القاري، ٣/١٤٨]

وقال محمد ثناء الله المظهري (المتوفى ١٢٢٥ هـ) رحمه الله تعالى: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ أي يدعوهم المشركون آلهة ويعبدونهم من الجن ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ حيث آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون إلى الله القربة بالطاعة. وقيل: الوسيلة التوصل إلى شيء برغبة وهى أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة، فالوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعمل وتحرى مكارم الشريعة فهي القربة. وفى القاموس الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك الدرجة والقربة ووسل إلى الله تعالى توسلا عمل عملا تقرب به إليه ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ ، بدل من واو يبتغون، أي يبتغى من هو اقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب، كذا قال الزجاج. وقيل: معناه يطلبون أيهم اقرب إلى الله فيتوسلون به أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قال يحرصون أيهم يكون اقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ ، فكيف يزعمون إنها آلهة ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ ، حقيقا بان يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة.

وقال البيضاوي: المراد إن الذين زعمتم إنها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير لا يملكون كشف الضر ويبتغى أقربهم إلى الله الوسيلة. قال ابن عباس ومجاهد: عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم يطلبون إلى ربهم الوسيلة ... ويرجون رحمته ويخافون عذابه. وقال البغوي: أصاب المشركين قحط شديد حتى أكلوا الميتة والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فانزل الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم إنها آلهة من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم". [التفسير المظهرى، ج ٥ ، ص : ٤٥٠]

وقال شهاب الدين الآلوسي (المتوفى ١٢٧٠ هـ) رحمه الله تعالى: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ أي أولئك الآلهة الذين يدعونهم ويسمونهم آلهة أو يدعونهم وينادونهم لكشف الضر عنهم ﴿ يَبۡتَغُونَ ﴾ يطلبون باجتهاد لأنفسهم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ﴾ ومالك أمرهم ﴿ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ القربة بالطاعة والعبادة، فضمير يدعون للمشركين، وضمير يبتغون للمشار إليهم.

وقال ابن فورك: الضميران للمشار إليهم والمراد بهم الأنبياء الذين عبدوا من دون الله تعالى، ومفعول يدعون محذوف أي يدعون الناس إلى الحق أو يدعون الله سبحانه ويتضرعون إليه جل وعلا، وعلى هذا لا يتعين كون المراد بهم الأنبياء عليهم السلام كما لا يخفى وهو كما ترى.

وقرأ ابن مسعود وقتادة «تدعون» بالتاء ثالثة الحروف وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما «يدعون» بالياء آخر الحروف مبنيا للمفعول، وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه «إلى ربك» بكاف الخطاب، واسم الإشارة مبتدأ والموصول أو بيان والخبر جملة يبتغون أو الموصول هو الخبر ويبتغون حال أو بدل من الصلة.

وقوله تعالى: ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ ، فيه وجوه من الإعراب، فالزمخشري ذكر وجهين، **الأول**: كون أي موصولة بدلا من ضمير يبتغون بدل بعض من كل وهي إما معربة أو مبنية على اختلاف الرأيين، أي: أولئك المعبودون يطلب من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله تعالى بطاعته فكيف بالأبعد، وليس فيه إلا حذف صدر الصلة، والتقدير أيهم هو أقرب وهو مما لا بأس، ولا ينافي ذلك جمع يرجون ويخافون فيما بعد لعدم اختصاص ما ذكر بالأقرب أو لكون الأقرب متعددا.

والثاني: كون أي استفهامية وهي مبتدأ وأقرب خبرها والجملة في محل نصب بـ"يبتغون" وضمن معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح...

وقوله تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ ﴾ عطف على يبتغون أي يبتغون القربة بالعبادة ويتوقعون ﴿ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ تعالى ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ كدأب سائر العباد، فأين هم من ملك كشف الضر فضلا عن كونهم آلهة. ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ حقيقا بأن يحذره ويحترز عنه كل أحد من الملائكة والرسل عليهم السلام وغيرهم، والجملة تعليل لقوله سبحانه: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ وفي تخصيصه بالتعليل زيادة تحذير للكفرة من العذاب، وتقديم الرجاء على الخوف لما أن متعلقه أسبق من متعلقه، ففي الحديث القدسي «سبقت رحمتي غضبي».

وفي اتحاد أسلوبي الجملتين إيماء إلى تساوي رجاء أولئك الطالبين للوسيلة إليه تعالى بالطاعة والعبادة وخوفهم. وقد ذكر العلماء أنه ينبغي للمؤمن ذلك ما لم يحضره الموت فإذا حضره الموت ينبغي أن يغلب رجاءه على خوفه، وفي الآية دليل على أن رجاء الرحمة وخوف العذاب مما لا يخل بكمال العابد.

وشاع عن بعض العابدين أنه قال: لست أعبد الله تعالى رجاء جنته ولا خوفا من ناره، والناس بين قادح لمن يقول ذلك ومادح، والحق التفصيل وهو أن من قاله إظهارا للاستغناء عن فضل الله تعالى ورحمته فهو مخطئ كافر، ومن قاله لاعتقاد أن الله عز وجل أهل للعبادة لذاته حتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار لكان أهلا لأن يعبد، فهو محقق عارف كما لا يخفى". [روح المعاني، ٨/٩٤-٩٦]

فدلت الآية على أن معنى التوحيد هو ترك عبادة غير الله تعالى، وفيها رد على من يدعو ملكا أو رسولا أو نبيا أو وليا أو صالحا أو جنيا، فيقول هذا ليس بشرك والشرك عبادة الأصنام.

وقال العلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: "وحقيقة الوسيلة إلى الله: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الأخلاق والشريعة، فهي كالقربة.

ومن جملة الوسيلة إليه تعالى الجهاد في سبيله ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾، أي جاهدوا أنفسكم بكفها عن الأهواء وحملها على التزام الحق في جميع الأحوال، وجاهدوا أعداء الإسلام الذين يقاومون دعوته وهدايته للناس...

هذا هو التفسير المأثور عن السلف الصالحين ولم يؤثر عن صحابي ولا تابعي ولا أحد من علماء السلف أو عامتهم أن الوسيلة إلى الله تعالى تبتغى بغير ما شرعه الله للناس من الإيمان والعمل بموجبه.

ولكن قد حدث في القرون الوسطى التوسل بأشخاص الأنبياء والأولياء، وتسميتهم وسائل إلى الله تعالى والإقسام على الله بهم وطلب قضاء الحاجات، ودفع الضر وجلب النفع منهم عند قبورهم أو في حال البعد عنها، وشاع هذا وكثر، حتى صار كثير من الناس يدعون أصحاب القبور في حاجاتهم مع الله تعالى، أو يدعونهم من دون الله تعالى، والدعاء هو العبادة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الدعاء هو العبادة**"، وفي رواية: "**الدعاء مخ العبادة**"، والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨، و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ الأعراف: ١٩٤، ولكن بعض المصنفين يزعم أنهم يدعون والعوام يأخذون بمثل هذا القول المخالف لقول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم لعموم الجهل. [تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، ص: ١٦٤-١٦٥، ط. دار ابن الجوزي]

فمن خلال تقريرات العلماء علمنا أن معنى الوسيلة هنا: الطاعة والقربة، وليس معناها ما يظنه القبورية والمخرفون أن الوسيلة معناها: أن تجعل بينك وبين الله شخصا يرفع حوائجك إلى الله. وبهذا المعتقد والظنون الخاطئة أشرك المشركون قديما وحديثا.

قال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في بيان حقيقة الشرك ومظاهره وأنواعه: "والشرك هو إثبات الصفات الخاصة بالله تعالى لغيره، مثل إثبات التصرف المطلق في الكون بالإرادة المطلقة التي يعبر عنها بـ"كن فيكون"،-إلى أن قال-وهؤلاء المشركون لا يعرفون مع الله تعالى شريكا في خلق الجواهر-أي أصول المادة-وتدبير الأمور العظام ويعترفون بأنه لا قدرة لأحد إذا أبرم الله تعالى شيئا وقضى به أن يمانعه ويقف دونه. إنما إشراكهم في أمور خاصة ببعض العباد، إذ أنهم يظنون أن سلطانا عظيما من السلاطين العظام، كما يرسل عبيده وأصحاب الزلفى لديه إلى بعض نواحي مملكته للقيام

ببعض الأمور الجزئية، ويجعلهم متصرفين فيها-إلى أن يصدر منه قرار آخر-باختيارهم وسلطتهم، وأنه لا يقوم بشؤون الرعية وأمورهم الجزئية بنفسه، بل يكل ذلك إلى الولاة والحكام ويقبل منهم شفاعتهم وتزكيتهم للموظفين الذين يعملون تحت إشرافهم والمتصلين بهم والمتزلفين لديهم. كذلك قد خلع ملك الملوك على الإطلاق-تعالى شأنه-على بعض عباده المقربين خلعة الألوهية وجعل سخطهم ورضاهم مؤثرا في عباده الآخرين.

فكانوا-لأجل ذلك-يرون من الضرورة التزلف إلى أولئك العباد المقربين حتى يكون هذا وسيلة لصلاحية القبول في حضرة الملك الحقيقي وتنال شفاعتهم في حقهم عند الجزاء على الأعمال والحساب الحظوة والقبول لديه سبحانه.

ونظرا لهذه الملاحظة والتصور الذي رسخ في نفوسهم حدثتهم أنفسهم بالسجود أمامهم والذبح لهم والحلف بأسمائهم والاستعانة بقدرتهم المطلقة ونحت صورهم وتماثيلهم من الحجر والصفر والنحاس وغير ذلك وجعلها قبلة للتوجه إلى أرواحهم وتدرج الجهلة من هذا الطريق إلى أن بدءوا يعبدون هذه الصور والتماثيل ويعتقدون أنها آلهة بذاتها ووقع في المعتقدات خلط والتباس وفساد عظيم. [الفوز الكبير في أصول التفسير، ص: ٢٢-٢٤]

وقال المؤلف رحمه الله: وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ الزخرف: ٢٦ — ٢٧، الآية.

وقوله: "**إبراهيم**"، وهو إبراهيم بن آزر-ويقال له: تارخ- بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عامر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. [تأريخ الطبري، ٢٣٣/١]

وهو خليل الله، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء: ١٢٥. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما

اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ». [صحيح مسلم، (٢ / ٦٧) رقم الحديث: ١٢١٦]

وهو أبو الأنبياء، فإن كل أنبياء بني إسرائيل من ذرية إسحاق عليه السلام وهو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وسيد الرسل وسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل عليه السلام وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وأمر الله بإتباعه، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ النحل: ١٢٣.

وهو أواه حليم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ هود: ٧٥، وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٤.

وآتاه الله رشده: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١.

وهو أول من يكسى يوم القيامة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ – ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم. [صحيح البخاري، ٤/١٦٩، رقم الحديث: ٣٣٤٩]

وقوله: "**براء**"، أي بريء.

وقوله: "**فطرني**"، أي خلقني. وننوه إلى أن هناك فرق بين الخلق والفطر ولكل منها تميز دلالي فالخلق غير الفطر. "الخلق"قد يستعمله البشر بمعنى التصوير مثلاً وهو لفظ عام كما جاء على لسان عيسى عليه السلام﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ ، وهي تستعمل سواء للخلق

الابتدائي أو التصوير. أما "الفطر" فهو ابتداء الشيء وهذا خاص بالله تعالى. [لمسات بيانية، ٨٧٥، "المكتبة الشاملة"]

وقال أبو الليث السمرقندي (المتوفى : ٣٧٣هـ): "﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، يعني: بريء من معبودكم. ذكر عن الفراء أنه قال: براء مصدر صرف أسماء، وكل مصدر صرف إلى اسم، فالواحد، والجماعة، والذكر، والأنثى فيه سواء. قوله عز وجل : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ، يعني : إلا الذي خلقني ، فإني لا أتبرأ منه". [بحر العلوم، ١٠٨/٤]

وقال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى : ٩٨٢هـ): "﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ ، المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد، فإنه أشرف آبائهم، وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث. وقرىء بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما إما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي إنني بريء من عبادتكم أو معبودكم. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني". [تفسير أبي سعود، ٩٦/٦]

وقال إسماعيل الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١١٢٧هـ): "﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قريش وقت قول إبراهيم عليه السلام بعد الخروج من النار ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ : (تارخ الشهير بآزر، وكان ينحت الأصنام). ﴿ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ ، المكبين على التقليد وعبادة الأصنام كيف تبرأ مما هم

فيه بقوله: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾، وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلك الاستدلال، أو ليقتدوا به إن لم يكن لهم بد من التقليد، فإنه أشرف آبائهم وبراء بفتح الباء مصدر نعت به مبالغة ، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد يقال: نحن البراء، أما البريء فهو يؤنث ويجمع يقال: بريء وبريئون وبريئة وبريئات. والمعنى: بريء من عبادتكم لغير الله إن كانت مصدرية، أو من معبودكم إن كانت موصولة حذف عائدها. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ، استثناء منقطع إن كانوا عبدة الأصنام؛ أي: لكن الذي خلقني لا أبرأ منه، والفطر ابتداء خلق من غير مثال من قولهم: فطرت البئر إذا أنشأت حفرها من غير أصل سابق، أو متصل على أن ما نعم أولى العلم وغيرهم، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام ، أو صفة على أن ما موصوفة ؛ أي: إني بريء من آلهة ، تعبدونها غير الذي فطرني فإن إلا بمعنى غير لا يوصف بها إلا جمع منكور غير محصور وهو هنا آلهة كما هو مذهب ابن الحاجب". [روح البيان، ٨/٢٧٨-٢٧٩]

فجمع إبراهيم عليه السلام بين النفي والإثبات، ف﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، نفي عن عبادة الله ما سوى الله، ف ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ، إثبات العبادة لله سبحانه وتعالى. فدل على أن التوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله تعالى.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١، الآية.

وقوله: "**أحبارهم**"، هم علماء اليهود.

وقوله: "**رهبانهم**"، هم أصحاب صوامع النصارى، والمتعبدون منهم.

وقال أبو الليث السمرقندي: ثم قال عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ ﴾، يعني: علماءهم ﴿ وَرُهْبَـٰنَهُمْ ﴾ ، يعني: أصحاب الصوامع والمتعبدين منهم. ﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ،

يعني: اتخذوهم كالأرباب يطيعونهم في معاصي الله تعالى. قال الفقيه الزاهد: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القاري قال: حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا الحسن بن يزيد الكوفي، عن عبد السلام بن حرب، عن عطيف بن أعين، عن مصعب بن سعيد، عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ من سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال « أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوا، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموا». [بحر العلوم، ٢/٢٢٨]

وقال أبو سعود رحمه الله: "﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾ زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى ﴿ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾ وهم علماء اليهود، واختلف في واحده، قال الأصمعي: لا أدري أهو حبر أم حبر. وقال أبو الهيثم: بالفتح لا غير، وكان الليث وابن السكيت يقولان: حبر وحبر للعالم ذميا كان أو مسلما بعد أن كان من أهل الكتاب ﴿ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع أي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل ﴿ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم ونحوه تسمية إتباع الشيطان عبادة له كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ ﴾، وقوله تعالى : ﴿ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ ﴾. قال عدي بن حاتم : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان إذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال : « يا عدي اطرح هذا الوثن » فطرحته فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قلت: يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم، فقال عليه الصلاة والسلام: « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟» فقلت: بلى، قال: «ذلك عبادتهم».

قال الربيع: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الأحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله". [تفسير أبي السعود، ٤/٦٠]

وقال الآلوسي رحمه الله: "إنه سبحانه ذم أهل الكتابين بالاحتجاب عن رؤية الحق سبحانه حيث قال جل شأنه : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، وفيه إشارة إلى ذم التقليد الصرف". [روح المعاني، ٥/٢٩٦]

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في باب أقسام الشرك: " ٤- اتخاذ الأحبار أربابا من دون الله:

ومنها أنهم كانوا يتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه تعالى بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن ما أحله هؤلاء حلال لا بأس به في نفس الأمر وأن ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به في نفس الأمر، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾، الآية.

سأل عدي بن حاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن ذلك فقال: « كانوا يحلون لهم أشياء ، فيستحلونها ، ويحرمون عليهم أشياء ، فيحرمونها » .

وسر ذلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت أن الشيء الفلاني يؤاخذ به أو لا يؤاخذ به ، فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها ، وهذا من صفات اللّه تعالى .

نسبة التحليل والتحريم إلى الرسول: وأما نسبة التحليل والتحريم إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فبمعنى أن قوله أمارة قطعية لتحليل اللّه وتحريمه، وأما نسبتها إلى المجتهدين من أمته فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع أو استنباط معنى من كلامه.

واعلم أن الله تعالى إذا بعث رسولا وثبتت رسالته بالمعجزة ، وأحل على لسانه بعض ما كان حراما عندهم، ووجد بعض الناس في نفسه انجحاما عنه، وبقي في نفسه ميل إلى حرمته لما وجد في ملته من

تحريمه فهذا على وجهين: إن كان لتردد في ثوت هذه الشريعة، فهو كافر بالنبي، وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريما لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الألوهية، أو صار فانيا في اللّه باقيا به ، فصار نهيه عن فعل أو كراهيته له مستوجبا لحرم في ماله وأهله، فذلك مشرك باللّه تعالى، مثبت لغيره غضبا وسخطا مقدسين وتحليلا وتحريما مقدسين". [حجة الله البالغة، ١/١٣٣-١٣٤]

وقال العلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله:...قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، الأحبار هم العلماء والرهبان هم العباد، وهذه الآية قد فسرها رسول الله صلى الله عليه و سلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه. قال السدي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ سورة التوبة: ٣١، فصار ذلك عبادة لهم. وصاروا به لهم أربابا من دون الله. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ سورة آل عمران: ٨٠، فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا إله إلا الله. وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعى العلم في هذه القرون. [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ١٩٨، بتعليقي. أسأل الله أن يعين على نشره]

فدلت الآية على أن التوحيد هو إفراد الله بالطاعة وترك طاعة غير الله في التحليل والتحريم الذي يخالف شريعة الله سبحانه وتعالى.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، الآية.

وقوله: "**أندادا**"، الأوثان.

وقوله: "**يحبونه**"، وقال الزبيدي رحمه الله: " الحب نقيض البغض". [تاج العروس، ٢/٢١٢]

المحبة: الميل إلى الشيء السار. [المعجم الوسيط]

أقسام المحبة:

١_ محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المحب من إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصره وعده.

ومن صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله عز وجل .

وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه المحبة أصل الشرك، وأساسه.

٢_ محبة لله عز وجل: كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

٣_ المحبة الطبيعية: ويدخل تحت هذه المحبة ما يلي:

أ_محبة إشفاق ورحمة: كمحبة الوالد لولده، وكمحبة المرضى، والضعفاء.

ب_ محبة إجلال وتعظيم دون عبادة: كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.

ج_ محبة الإنسان ما يلائمه: كمحبة الطعام، والشراب، والنكاح، واللباس، والأصدقاء، والخلطاء، ونحو ذلك.

فهذه المحاب داخلة في المحبة الطبيعية المباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن صدت عن محبة الله، وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإن لم تعن على طاعة، ولا معصية فهي في دائرة المباحات. [الإيمان بالله، تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد]

وقال العلامة سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "ومن حب الله تعالى إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه وإيثار رضاه على هوى النفس ويفني عمره في طاعته...

واعلم أنه لا يمكن الوصول إلى محبة الله تعالى إلا بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾آل عمران: ٣١، ومحبة الله لعباده معلق بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ ما آتاه وانتهاء ما نهاه عنه فهو محروم عن المحبة، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض على الأمة، لأنه صلى الله عليه وسلم هو العطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأن الأمة". [تبيين المحارم، ص: ٧٣٦-٧٣٧]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا** ﴾ ، يعني بعض الناس وصفوا لله شركاء وأعدالا وهي الأوثان. ﴿ **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾، قال بعضهم: معناه يحبون الأوثان كحبهم لله تعالى، لأنهم كانوا يقرون بالله تعالى. وقال بعضهم: معناه، يحبون الأوثان كحب المؤمنين لله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾، لأن الكفار يعبدون أوثانهم في حال الرخاء، فإذا أصابتهم شدة تركوا عبادتها؛ والمؤمنون يعبدون الله تعالى في حال الرخاء والشدة، فهذا معنى قوله تعالى :﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾. فإن قيل: إذا كان المؤمنون أشد حبا لله فما معنى قوله : ﴿ **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾؟ قيل له: يحتمل أن بعض المؤمنين حبهم مثل حبهم وبعضهم أشد حبا، وفي أول الآية ذكر بعض المؤمنين، وفي آخر الآية ذكر المؤمنين الذين هم أشد حبا لله. والحب لله أن يطيعوه في أمره وينتهوا عن نهيه، فكل من كان أطوع لله فهو أشد حبا له . كما قال القائل :

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع". [بحر العلوم، ١/ ١٤٠]

وقال محمد سلطان المعصومي رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ الآية، الأنداد، الأمثال والنظراء، كما قال العماد بن كثير وغيره من المفسرين. فكل من صرف من العبادة شيئا لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه فقد اتخذه ندا لله لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، أي مع الله بعبادته له". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ١٩٨-١٩٩]

وقال أيضا نقلا عن شرح المنازل: "أخبر تعالى أن من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحدا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ٢٠٢]

وقال أيضا: "الشرك ينقسم إلى كبير وأكبر ومغفور وغير مغفور، فمن الغير المغفور الشرك بالله في المحبة والتعظيم، بأن يحب مخلوقا كما يحب الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. ومعلوم أنهم ما سووهم به سبحانه في الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، والملك، والقدرة، وإنما سووهم به في الحب، والتأله، والخضوع لهم والتذلل، وهذا غاية الجهل والظلم، فكيف يسوى من خلق من التراب برب الأرباب، والعبيد بمالك الرقاب، فأي ظلم أقبح من هذا؟ [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ٢٨٩]

ومن صرف محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع لغير الله سبحانه وتعالى، فقد أشرك به الشرك الأكبر. والشرك ضد التوحيد، كما قيل: الشيء يعرف بضده.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**".

وقوله: "في الصحيح" أي في صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله..." رقم الحديث: ٢٣.

وقوله: "**من قال لا إله إلا الله**"، **قال الملا علي القاري رحمه الله**: "(من قال لا إله إلا الله) يعني كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله للإجماع على أنه لا يعتد بتلك وحدها". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٢٧٦/٤]

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، الحديث، فلو قالوا:"لا إله إلا الله"، وأنكروا الرسالة، ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: "لا إله إلا الله" قائمين بحقها، ولا يكون قائما بـ"لا إله إلا الله" حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمدا رسول الله، لا يكون قائما بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به. فتضمنت التوحيد، وإذا ضممت شهادة "أن لا إله إلا الله" إلى شهادة "أن محمدا رسول الله"، كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمدا رسول الله إثبات الرسالة". [شرح العقيدة الطحاوية، ٣٣٥/١]

وقوله: "**وكفر بما يعبد من دون الله**"، وفيه معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾البقرة: ٢٥٦.

والكفر بما يعبد من دون الله شرط لعصمة الدم والمال.

وقوله: "**حرم ماله ودمه**"، أي لا يجوز أخذ ماله وقتله.

وقوله: "**وحسابه على الله**"، **قال الملا علي القاري رحمه الله**: "(وحسابه) أي جزاؤه ومحاسبته (على الله) بأنه مخلص أم لا. قال الطيبي: يعني من قال لا إله إلا الله وأظهر الإسلام نترك مقاتلته ولا

نفتش باطنه، هل هو مخلص أم لا؟ فإن ذلك إلى الله تعالى وحسابه عليه". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٢٧٧/٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قوله صلى الله عليه وسلم : «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله** » وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله"، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله . فإن شك ؛ أو توقف ؛ لم يحرم ماله ودمه".

وقوله: "**وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب**"، يعني أن ما يأتي بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله لأن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله أن لا يعبد إلا الله ولا يعتقد النفع والضر إلا في الله وأن يكفر بما يعبد من دون الله ويتبرأ منها ومن عابديها وما بعد هذا من الأبواب بيان لأنواع من العبادات والاعتقادات التي يجب إخلاصها لله تعالى وذلك هو معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله والله أعلم. [تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص:١٢٣]

الباب السادس

من الشرك لبس الحلقة والخيط

ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الزمر: ٣٨، الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: "ما هذه؟" قال من الواهنة. فقال: **انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا**". رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: "**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**".

وفي رواية: "**من تعلق تميمة فقد أشرك**".

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

❁ ❁ ❁

لما بين المؤلف رحمه الله تعالى معنى التوحيد وفضله بدأ ببيان ضده، ألا وهو الشرك، ومن أنواع الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه. ومعنى رفع البلاء: إزالته بعد نزوله. ومعنى دفع البلاء: منعه قبل نزوله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الزمر: ٣٨، الآية.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، يعني: ما تعبدون من دون الله من الآلهة، ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ ، يعني: إن أصابني الله ببلاء، ومرض في جسدي، وضيق في معيشتي، أو عذاب في الآخرة، ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ ، يعني: هل

تقدر الأصنام على دفع ذلك عني، ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ ، أي: بنعمة، وعافية، وخير، ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾ ، يعني: هل تقدر الأصنام على دفع تلك الرحمة عني. قرأ أبو عمر: كاشفات بالتنوين، ضره: بالنصب، ممسكات: بالتنوين، رحمته: بالنصب، والباقون: بغير تنوين، وكسر ما بعده على وجه الإضافة. فمن قرأ بالتنوين: نصب ضره ورحمته، لأنه مفعول به ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾، يعني: يكفيني الله من شر آلهتكم. ويقال: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾، يعني: أثق به، عليه توكلت أي: فوضت أمري إلى الله ، ﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ ، أي: يثق به الواثقون. فأنا متوكل ، وعليه توكلت. [بحر العلوم، ٣٩/٤]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى: ﴿قُلۡ﴾ تبكيتا لهم ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل، فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ أي أو أرادني بنفع ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾ فيمنعنها عني. وقرىء كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته. وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصيحة. ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك ﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى". [تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١٣/٦]

وقال أبو البركات النسفي رحمه الله: "﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ ﴾ بفتح الياء سوى حمزة ﴿ بِضُرٍّ ﴾ مرض أو فقر أو غير ذلك ﴿ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ دافعات شدته عني ﴿ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾ صحة أو غنى أو نحوهما ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾، ﴿ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ و ﴿ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ بالتنوين على الأصل: بصري، وفرض المسئلة في نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها، فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده، ثم يقول لهم بعد التقرير: فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك؟ فلما أفحمهم قال الله تعالى: ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ كافيا لمعرة أوثانكم ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾، وإنما قال ﴿ كَـٰشِفَـٰتُ ﴾ و ﴿ مُمْسِكَـٰتُ ﴾ على التأنيث بعد قوله ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾، لأنهن إناث وهن اللات والعزى ومناة ، وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم". [تفسير النسفي، ٣/٢٣٢]

وقال محمد ثناء الله العثماني المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: "﴿ قُلْ ﴾ يا محمد بعد اعترافهم لذلك أفرأيتم يعنى أخبروني بعد ما اعترفتم بأن خالق العالم هو الله لا غير، ما تدعون من دون الله ﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ﴾، قرأ حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها ﴿ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي بشدة وبلاء ﴿ هَلْ هُنَّ ﴾ يعنى أوثانكم ﴿ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ عنى أو إن ﴿ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ عنى. قرأ أبو عمرو « و يعقوب أبو محمد » كاشفات ممسكات بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته على المفعولية، والباقون بالإضافة. استفهام إنكار يعنى يلزمهم باعترافهم السابق إنكار كون

الأصنام قادرة على كشف ضر أو إمساك رحمة. قال مقاتل: فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾، يكفيني في إصابة الخير ودفع الضر ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي المؤمنون لعلمهم بأنه نافع ولا ضار إلا هو عبر المؤمنين بالمتوكلين لأن شأنهم التوكل على الله". [التفسير المظهري، ٨/٢١٦-٢١٧]

دلت الآية على أن دفع الضر من خصائص الله سبحانه وتعالى، فطلب دفع الضر من غير الله سبحانه شركا.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن عمران بن حصين رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: "**ما هذه؟**" قال من الواهنة. فقال: **انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا**". رواه أحمد بسند لا بأس به".

وقوله: "**عمران بن حصين رضي الله عنه**"، هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر (سنة ٧ هـ وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة. وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفي بها. وهو ممن اعتزل حرب صفين. له في كتب الحديث ١٣٠ حديثا. [الأعلام، ٥/٧٠]

وقال محمد بن عبد الهادي السندي الحنفي (المتوفى: ١١٣٨ هـ): قوله (**من الواهنة**) في النهاية، الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها. وقيل: مرض يأخذ في العضو وربما علق عليه من الخرز ما يقال لها خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء وإنما نهاه عنها لأنه إنما أخذها على أنها تعصمه من الألم فكانت عنده في معنى التمائم المنهي عنها. [حاشية السندي على ابن ماجه، ٦ / ٤٥٥]

وقوله: "**انزعها**"، اقلعها. وقال أبو نصر الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ): "نزعت الشيء من مكانه أنزعه نزعا: قلعته". [الصحاح، ٢/٢٠٢]

وقوله: "**تزيدك إلا وهنا**"، أي ضعفا. قال الزبيدي: "الوهن: الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه؛ وقوله تعالى : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ ، أي ضعفا على ضعف، أي لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة ". [تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٦٧/٣٦]

وقوله: "**فإنك لو مت وهي عليك**"، فيه أن الأعمال بالخواتيم، يعني إنه إن تاب عنها قبل الموت لم تضره.

وقوله: "**ما أفلحت أبدا**"، الفلاح هو الفوز بالمطلوب والظفر والسعادة. نفى صلى الله عليه وسلم عنه الفلاح، لأنه شرك.

هل هذا شرك أكبر أو أصغر؟ على حساب اعتقاد صاحبها، إن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله؛ فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقا غيره.

وإن اعتقد أنها سبب، ولكنه ليس مؤثرا بنفسه؛ فهو مشرك شركا أصغر لأنه لما اعتقد أن ما ليس بسبب سببا؛ فقد شارك الله تعالى في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سببا.

وقوله: "**رواه أحمد**". أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف. وصنف (المسند–ط) ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث... وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء. وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله– بعد المعتصم– ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدا إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل (سنة ٢٤١ هـ). [الأعلام للزركلي، ١ / ٢٠٣]

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: "من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له".

وقوله: "**وله**"، أي للإمام أحمد رحمه الله في المسند ٦٢٣/٢٨، رقم الحديث: (١٧٤٠٤).

وقوله: "**عن عقبة بن عامر رضي الله عنه**"، هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني: أمير. من الصحابة. كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. وولي مصر سنة ٤٤ هـ وعزل عنها سنة ٤٧ وولي غزو البحر. ومات بمصر. كان شجاعاً فقيها شاعراً قارئا، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن. قال ابن يونس: ومصحفه بمصر إلى ألآن (أي إلى عصر ابن يونس) بخطه على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره: وكتبه عقبة ابن عامر بيده. له ٥٥ حديثا. وتوفي سنة ٥٨ هـ. [الأعلام، ٢٤٠/٤]

وقوله: "**من تعلق تميمة**" الخ، قال السندي: "من تعلق تميمة"، قيل: المراد ما يحتوي على رقى الجاهلية أو الخرزات التي تعلقها العرب على أولادهم يتقون بها العين، فأبطله الإسلام. "فلا أتم الله له"، كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، فأبطل ذلك. "ودعة" واحد الودع وهي خرز أبيض تخرج من البحر بيضاء شقها كشق النوى، تعلق لدفع العين. "فلا ودع" ضبط بالتشديد وفي المجمع: أي لا جعله في دعة وسكون، أو لا دفع عنه ما يخافه. [حاشية المسند، ٦٢٤/٢٨]

وقال فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ): تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطله الإسلام، والحديث الآخر: "من علق تميمة فلا أتم الله له"، كأنهم يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وإنما جعلها شركا ؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه . [تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ٣٥٨/١٦]

وقوله: "**من تعلق تميمة فقد أشرك**"، أي من تعلق شيئا على نفسه، معتقدا أنه ينفع أو يدفع عنه ضرا، فقد أشرك بالله تعالى، لأن جلب النفع ودفع الضر من خصائص الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦".

وقوله: "**لابن أبي حاتم**"، أي خرج هذا الأثر ابن أبي حاتم في تفسيره باللفظ "عن عزرة قال: دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه ، ثم قال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ . [تفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٠٨/٧]

وابن أبي حاتم، هو: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل – ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير). توفي سنة ٣٢٧ هـ. [الأعلام، ٣٢٤/٣]

وقوله: "**حذيفة رضي الله عنه**"، هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين ؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو ؟ قال: لا أذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه. وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإلا لم يصل عليه. وولاه عمر على المدائن (بفارس) وكانت عادته إذا استعمل عاملا كتب في عهده (وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا) فلما استعمل حذيفة كتب في عهده (اسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم) فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين، فقرأ عهده. فقالوا: سلنا ما شئت، فطلب ما يكفيه من القوت. وأقام بينهم فأصلح بلادهم. وهاجم نهاوند (سنة ٢٢ هـ فصالحه صاحبها على مال يؤديه في كل سنة. وغزا الدينور، وماه سندان، فافتتحهما عنوة (وكان سعد بن أبي وقاص قد فتحهما ونقضتا العهد) ثم غزا همذان والري، فافتتحهما عنوة. واستقدمه عمر إلى المدينة، فلما قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها، فرآه على الحال التي خرج بها، فعانقه وسر بعفته. ثم أعاده إلى المدائن، فتوفي فيها. له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثا. [الأعلام، ١٧١/٢]

وقال النسفي رحمه الله تعالى: "﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾، أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن، الجمهور على أنها نزلت في المشركين، لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم ، وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره. ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من إثبات قدرة التخليق للعبد ، والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق إلا الله . [تفسير النسفي، ٩٢/٢]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ ، في إقرارهم بوجوده وخالقيته ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا أو بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، أو بالنور والظلمة ، وهي جملة حالية أي لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم ، قيل: نزلت الآية في أهل مكة ، وقيل: في المنافقين ، وقيل: في أهل الكتاب. [تفسير أبي السعود، ٤٧٦/٣]

وقال إسماعيل الحنفي رحمه الله تعالى: "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون حيث يثبت له شريكا في المعبودية تقول العرب في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك ، ويقول أهل مكة الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل أشركوا ويقول عبدة الأصنام: الله ربنا وحده والأصنام شركاؤه في استحقاق العبادة ، وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزيز بن الله ، وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابنه. وفي التأويلات وما يؤمن أكثرهم أكثر الخلق بالله وطلبه إلا وهم مشركون برؤية الإيمان والطلب إنهما منهم لا من الله فإن من يرى السبب فهو مشرك ومن يرى المسبب فهو موحد وإن كل شيء هالك في نظر الموحد إلا وجهه انتهى". [تفسير روح البيان، ٢١٥/٤]

وقال الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى: "وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته إلا وهم مشركون به سبحانه، والجملة في موضع الحال من الأكثر أي ما يؤمن أكثرهم إلا في حال إشراكهم. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: هم أهل مكة آمنوا وأشركوا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، ومن هنا

كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أحدهم يقول: لبيك لا شريك لك يقول له : قط قط، أي يكفيك ذلك ولا تزد إلا شريكا إلخ.

وقيل: هم أولئك آمنوا لما غشيهم الدخان في سني القحط وعادوا إلى الشرك بعد كشفه. وعن ابن زيد وعكرمة وقتادة ومجاهد أيضا أن هؤلاء كفار العرب مطلقا أقروا بالخالق الرازق المميت وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام.

وقيل: أشركوا بقولهم: الملائكة بنات الله سبحانه. وعن ابن عباس أيضا أنهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به من حيث كفروا بنبيه صلى الله عليه وسلم أو من حيث عبدوا عزيزا والمسيح عليهما السلام.

وقيل: أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا.

وقيل: هم الكفار الذين يخلصون في الدعاء عند الشدة ويشركون إذا نجوا منها، وروي ذلك عن عطاء.

وقيل: هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة.

وقيل: هم المنافقون جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر ونسب ذلك للبلخي، وعن الحبر أنهم المشبهة آمنوا مجملا وكفروا مفصلا. وعن الحسن أنهم المراءون بأعمالهم والرياء شرك خفي.

وقيل: هم المناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها.

وقيل: هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخالق، وقد يقال نظرا إلى مفهوم الآية: إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلا، وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود. [روح المعاني، ٧/٦٣-٦٤]

استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية: أن هذا شرك. ففيه: صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر لشمول الآية، ودخوله في مسمى الشرك. [فتح المجيد، ص: ١٤٦]

الباب السابع

ما جاء في الرقى والتمائم

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ؛ فأرسل رسولا: "**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت**".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**" رواه أحمد وأبو داود.

" **التمائم** ": شيء يعلق على الأولاد من العين ؛ لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و "**الرقى**": هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

و "**التولة**": شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: "**من تعلق شيئا وكل إليه**" رواه أحمد والترمذي.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدا بريء منه**".

وعن سعيد بن جبير قال: "**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**". رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال: "**كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن**".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ما جاء في الرقى والتمائم"، أي ما ورد عن السلف في حكمهما.

وقال المؤلف رحمه الله تعالى: في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ؛ فأرسل رسولا: "**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت**".

قوله: "**في الصحيح**"، هذا الحديث ورد في صحيح البخاري، في باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، رقم الحديث: (٣٠٠٥)، وفي صحيح مسلم، رقم الحديث: (٥٦٧١) .

قوله: "**عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه**"، هو قيس بن عبيد الله رضي الله عنه الأنصاري المزني. قال ابن عبد البر صاحب الاستيعاب: لا يوقف له على اسم صحيح، ولاسيما من يؤمن به ويعتمد عليه. وذكره ابن مندة في الكنى ولم يسمه، وروى عنه جماعة، مات بعد الحرة، وكان قد عمر طويلا. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٥١٢/٦]

قوله: " **في بعض أسفاره** "، قال العيني الحنفي رحمه الله: "لم يعينه أحد من الشراح". [العمدة، ٣٩/٢٢]

قوله: "**فأرسل رسولا**"، أي مقولا له. [المرقاة] قال ابن عبد البر في رواية روح بن عبادة عن مالك أرسل مولاه زيدا، قال ابن عبد البر: هو زيد بن حارثة. [العمدة]

قوله: "**لا يبقين**"، أي لا تتركن. قال الطيبي رحمه الله تعالى: قوله: "**لا تبقين**" إما صفة لـ"**رسولا**"، أي أرسل رسولا آمرا له أن ينادي في الناس بهذا، أو حال من فاعل "**أرسل**" أي أرسل رسولا آمرا له أن ينادي بهذا، والأول أظهر. ومعنى الاستثناء إنما يستقيم إذا فسر "**لا يبقين**" بـ "لا يتركن". والاستثناء مفرغ والمستثنى منه أعم عام الأحوال. [الكاشف عن حقائق السنن، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ٢٦٧٩/٨]

قوله: "**قلادة من وتر أو قلادة** "، كذا وقع هنا بكلمة أو للشك أو للتنويع ووقع في رواية أبي داود عن القعنبي بلفظ "ولا قلادة" وهو من عطف العام على الخاص. [العمدة]

قوله: "**وتر**" بالتاء المثناة من فوق في جميع الروايات... وقال ابن الجوزي وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي لئلا تصيبها العين بزعمهم فأمروا بقطعها إعلاما بأن الأوتار لا ترد من أمر الله تعالى شيئا.

الثاني: لئلا تختنق الدابة بها عند الركض ويحكى ذلك عن محمد بن الحسن من أصحابنا وعن أبي عبيد ما يرجحه، فإنه قال نهى عن ذلك لأن الدواب تتأذى بذلك ويضيق عليها نفسها ورعيها وربما تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن السير.

الثالث: أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس ويدل عليه تبويب البخاري كما ذكرناه. [العمدة]

قال الملا علي القاري رحمه الله: "**من وتر**" بفتحتين واحد أوتار القوس. [المرقاة]

قوله: "**إلا قطعت**"، أي قلعت، وإنما أمر بقطعها، لأن الأجراس كانت متعلقة بها، وهي من مزامير الشيطان ومانعة لمصاحبة الملائكة الرفقة التي فيها، أو لئلا يتشبث بها العدو، فيمنعها عن الركض.

وفي شرح السنة (للإمام البغوي رحمه الله): "تأول مالك بن أنس أمره (صلى الله عليه وسلم) بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد التمائم، ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصم من الآفات، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا. وقال غيره : إنما أمر بقطعها، لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس.

قال النووي: قال محمد بن الحسن وغيره: معناه لا تقلدوها أوتار القسي لئلا تضيق على عنقها فيخنقها، اهـ. وقد سبق أنها ربما رعت الشجرة أو حكت بها عنقها فتشبث بها. [المرقاة، ٢٥١٢/٦]

دل الحديث على أنه إذا قصد بتعليق القلائد دفع العين والضرر، فهذا شرك. وأما إذا قصد الزينة والعلامة، فهذا جائز، لا بأس به.

قال المؤلف رحمه الله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**" رواه أحمد وأبو داود.

قوله: "**عن ابن مسعود رضي الله عنه**"، هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء ملئ علما. وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. وكان

يحب الإكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له ٨٤٨ حديثا. وتوفي سنة: ٣٢ هـ. [الأعلام، ١٣٧/٤]

قوله: "**الرقى**"، أي رقية فيها صنم أو شيطان أو كلمة كفر أو غيرها مما لا يجوز شرعا، ومنها ما لم يعرف معناها.

قوله: "**التمائم**"، جمع التميمة وهي التعويذة التي تعلق على الصبي، أطلقه الطيبي، لكن ينبغي أن يقيد بأن لا يكون فيها أسماء الله تعالى وآياته المتلوة، والدعوات المأثورة. وقيل: هي خرزات كانت للعرب تعلق على الصبي لدفع العين بزعمهم، وهو باطل، ثم اتسعوا فيها حتى سموا بها كل عوذة، ذكره بعض الشراح وهو كلام حسن وتحقيق مستحسن.

قوله: "**التولة**"، بكسر التاء ويضم وفتح الواو نوع من السحر. فال الأصمعي: هي ما يحبب به المرأة إلى زوجها، ذكره الطيبي، أو خيط يقرأ فيه من السحر، أو قرطاس يكعب فيه شيء من السحر للمحبة أو غيرها...وهذه الأشياء كلها باطلة بإبطال الشرع إياها.

قوله: "**شرك**"، أي كل واحد منها قد يفضي إلى الشرك، إما جليا وإما خفيا. قال القاضي: وأطلق الشرك عليها، إما لأن المتعارف منها في عهده ما كان معهودا في الجاهلية، وكان مشتملا على ما يضمن الشرك، أو لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها وهو يفضي إلى الشرك. [المرقاة، ٢٨٧٨/٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "والمراد بالشرك اعتقاد أن ذلك سبب قوي وله تأثير، فإنه شرك خفي، وأما إن اعتقد أنه مؤثر، فإنه شرك جلي". [المصدر السابق]

وقال السندي رحمه الله: "**شرك**" أي من أفعال المشركين، أي لأنه قد يفضي إلى الشرك إذا اعتقد أن لها تأثيرا حقيقة. وقيل: المراد الشرك الخفي بترك التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى. [حاشية السندي على سنن ابن ماجة، ٣٦٠/٢]

قوله: "**رواه أحمد وأبو داود**"، أي رواه أحمد في المسند، ٣٨١/١، رقم الحديث: (٣٦١٥) و أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه رقم الحديث: (٣٨٨٥).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "التمائم": شيء يعلق على الأولاد من العين ؛ لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله: ""**التمائم**": **شيء يعلق على الأولاد من العين**".

اتفق العلماء على تحريم بعض أنواع التمائم، وهي الأنواع الآتية:

النوع الأول: التمائم التي فيها ذكر بعض الأسماء المجهولة والأبيات الشركية.

النوع الثاني: التمائم المجهولة.

النوع الثالث: التمائم التي لا نفع فيها في حقيقة الأمر كالخرز أو ما أشبهه.

مثل: ١-تعليق الخرز على الأولاد وعلى بعض السيارات.

٢-تعليق نعل صغير في مقدمة السيارة أو مؤخرتها.

٣-تعليق نعل الفرس في واجهة الدار أو الدكان.

٤-وضع بعض الحيوانات المجسمة في السيارات أو البيوت.

النوع الرابع: التمائم التي فيها شيء من القرآن.

من التمائم المنتشرة في العالم الإسلامي والتي انخدع بها كثير من المسلمين تمائم فيها شيء من القرآن، وهذه عادة أولياء الشيطان ، ﴿ **يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ الأنعام: ١١٢، فيروجون ما عندهم من الباطل بقليل من الحق، لمعرفتهم أن الحق مقبول. فلو سألت من يرتادهم ويتعلق تمائمهم التي يعملون، لقال لك بأنها من القرآن. نعم، لقد صدق فيها شيء من القرآن، ولكن ما فيها من الباطل أضعاف مضاعفة، ولهذه التمائم صور عديدة منها:

١-كتابة السور أو الآية وتكرارها مرات عديدة بهيئات مختلفة، فيجعلون أول السورة آخره وآخرها أولها.

وتارة تكتب السورة أو الآية بحروف مقطعة، كل حرف على حدته، ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرهما من الهيئات، مع مراعاة أحوال الكواكب، ولا شك في تحريم هذا النوع من

التمائم، وإن كان من القرآن، لأنه لم يؤت به على الوجه الذي نزل به إضافة إلى مراعاة أحوال الكواكب أثناء عمل تلك التمائم.

٢-وأشد من هذه الصورة تحريما ما جاء عند هؤلاء من كتابة السور، وحذف بعض الألفاظ منها ووضع كلمات أخرى ليست من القرآن ومن ذلك ما يسمى بحجاب القرينة حيث بدلوا وغيروا في سورة الفيل ونص هذه التميمة كالآتي:

ألم تر كيف فعل ربك بالقرينة، ألم يجعل كيد القرينة في تضليل، وأرسل على القرينة طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعل القرينة كعصف مأكول.

نعوذ بالله، إن هذا هو التحريف والتبديل والتلاعب بآيات الله. فإلى هذا الحد وصلت الجرأة بمروجي التمائم. وليس بمستغرب على من باع دينه بعرض قليل من الدنيا عمل مثل هذه التمائم الباطلة. وأين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٧٩.

تفصيل القول في حكم تعليق هذه الأنواع من التمائم.

من تعلق شيئا مما سبق ذكره معتقدا أنه الدافع الرافع بنفسه، فهذا هو الشرك الأكبر، فهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعا ورجاء لنفعه. وأكثر من يعلق هذه الأشياء نجدهم يتوكلون على ما علقوه وتعلقوه ويسندون كشف الضر وجلب الخير إليه، وأنه لو لاه لنزل به البلاء، ولأصابته العين، فلو لم يعتقدوا هذا الاعتقاد الباطل لما علقوه وتعلقوه، ومعلوم أن من لم يعتقد ذلك، لم يكن ليفعله ولا ليرضى به.

فإن اعترض معترض فقال: أنا أعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن أعتقد أن هذه الأشياء سبب من الأسباب التي يستدفع بها البلاء. قيل له:

إن الأسباب لا يجوز أن يتعاطى منها إلا ما شرعه الله ورسوله وما جاز فلا يركن إليه ولا يتكل عليه...

فلننظر في هذه الأشياء هل هي من الأسباب الجائزة؟

كلا، فإنها مما حرمه الله ورسوله، فمن جعلها أسبابا، فقد جعل ما ليس سببا شرعيا سببا. إذا، فتعليق التمائم على هذا الاعتقاد حرام، والفاعل آثم. بل إن هذا التعليق من جملة وسائل الشرك، فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك من الشرك الأصغر ووسيلة إلى الأكبر. فكيف يليق بك يا أخي المسلم تعليق هذه الأشياء التي أقل ما يقال فيها إنها من الشرك الأصغر. فانتبه، فإنك على شفا جرف، فانج بنفسك قبل الوقوع، وعلق قلبك بالله المالك للنفع والضر وحده لا شريك له. [نقلت عن "أحكام الرقى والتمائم" لفهد السحيمي، ص: ٢٣٠-٢٣٩، بتصرف]

قوله: "**لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه**".

وقد اختلف في تمائم القرآن أهل العلم على قولين:

القول الأول: أنه يحرم تعليق التمائم من القرآن مطلقا وهو قول عبد الله بن مسعود وأصحابه وهو قول إبراهيم النخعي والحسن البصري ورواية عن أحمد...

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن. وعن مغيرة، قال: قلت لإبراهيم: أعلق في عضدي هذه الآية: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الأنبياء: ٦٩، من حمى كانت بي؟ فكره ذلك.

وقال ابن منصور لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: هل يعلق شيئا من القرآن؟ قال: (التعليق كله مكروه).

ومن رجح هذا القول استدل بما يلي:

أ-بعموم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عقبة بن عامر من تعلق تميمة فقد أشرك، فإن لفظة تميمة نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، وبعموم حديث عبد الله بن مسعود "إن التمائم والرقى والتولة شرك".

ب-أن في تعليقها تعريضا لها للإهانة.

ج- سدا لذريعة، سواء ذريعة اشتباهها بالتمائم الشركية أو ذريعة تعليق القلوب بها، لكون التعليق فيه ملازمة مما يفضي لتعليق القلب به، بخلاف الرقى والدواء غير المعلق فإنه عارض.

القول الثاني: أنه يجوز اتخاذ التمائم منها وتعليقها، وهو قول جمهور العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية ورواية عن الإمام أحمد، وهو مذهب سعيد بن المسيب والضحاك وابن سيرين وعطاء وأبو جعفر الباقر. ومن المتأخرين: البيهقي وابن عبد البر وقال: (وهو أصح في الأثر والنظر). وهو ظاهر اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن حجر. بل قال ابن الملقن: (ولا بأس بتعليق التمائم والخرز الذي فيها الدعاء والرقى بالقرآن عند جميع العلماء).

وقال حرب لأحمد: فتعليق التعاويذ فيه القرآن أو غيره. قال: كان ابن مسعود يكرهه كراهية شديدة جدا. وذكر أحمد عن عائشة وغيرها أنهم سهلوا في ذلك ولم يشدد فيه أحمد.

واستدلوا بما يلي:

الأول: بعموم قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾الإسراء: ٨٢، قال الإمام الكرجي المعروف بالقصاب: (القرآن شفاء، كيفما استشفي به، بالقراءة على العليل أو بكتبه وسقيه والإفاضة عليه أو تعليقه في الصحف على بعض بدنه، لا ينكره إلا جاهل بمعنى التمائم، المنهي عنها).

الثاني: أن اسم التميمة لا يقع عليه. قال القصاب: (ومنها: أنه يستشفى به بالنشر والتعليق من أجل أن اسم التمائم لا يقع عليه، لأن التمائم هي: ما كانت بغير لغة العربية، من كلام لا يعرف).

ويؤيد كلامه أمران:

أحدهما: قول عائشة: ليست التميمة ما يعلق بعد نزول البلاء، ولكن التميمة ما علق قبل نزول البلاء، وقول عطاء: لا يعد من التمائم ما يكتب من القرآن.

والآخر: أنه لم يقل أحد بأن تعليق القرآن شرك. قال القرطبي: (إذ الاستشفاء بالقرآن معلقا وغير معلق لا يكون شركا..، فمن علق القرآن ينبغي أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره، لأنه تعالى هو المرغوب إليه والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن).

ومما يؤكد ذلك أيضا، أن من قال بالتحريم لم يذهب لأجل عموم الحديث الناهية، بل لأمر آخر كما يدل عليه قول إبراهيم النخعي: (قال: إنما يكره تعليق المعاذة من أجل الحائض والجنب).

وعن ابن عون عن إبراهيم: أنه كان يكره المعاذة للصبيان ويقول: (إنهم يدخلون به الخلاء).

الثالث: أنه قول بعض الصحابة ومنهم عائشة رضي الله عنها (فإذا فسرتها عائشة رضي الله عنها كان ذلك حديثا مسندا). وممن ذهب أيضا إلى ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص.

واشترط أصحاب هذا القول لجواز تعليق التعويذ بما يلي:

١-أن يكون في قصبة أو رقعة يخرز فيها.

٢-أن يكون المكتوب قرآنا، أو أدعية مأثورة.

٣-أن يترك حمله عند الجماع أو الغائط.

٤-ألا يكون لدفع البلاء قبل وقوعه، ولا لدفع العين قبل أن يصاب، فالتعليق الجائز عندهم هو ما كان بعد نزول البلاء، أما ما كان قبله فليس بجائز، وهذا شرط جمهورهم منهم مالك وأحمد، قال ابن رشد الجد: (فظاهر قول مالك من رواية أشهب من كتاب الصلاة إجازة ذلك، وروي عنه أنه قال: لا بأس بذلك للمرضى وكرهه للأصحاء مخافة العين وما يتقى من المرض).

وقال الميموني: سمعت من سأل أبا عبد الله عن التمائم تعلق بعد نزول البلاء؟ فقال: أرجو أن لا يكون به بأس. قال الخلال: قد كتب هو من الحمى بعد نزول البلاء والكراهة من تعليق ذلك قبل نزول البلاء هو الذي عليه العمل، انتهى. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، ص:١٧٤-١٧٩]

وقال المؤلف رحمه الله: و "**الرقى**": **هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.**

قال ابن الأثير رحمه الله: "والرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات". [النهاية في غريب الأثر، ٢/٦٢١]

قال العيني الحنفي رحمه الله: "وقال ابن الأثير: وقد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية وفي بعضها النهي، والأحاديث في القسمين كثيرة، ووجه الجمع بينهما أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها، وإياها أراد بقوله "ما توكل من استرقى"، ولا يكره منها ما كان بخلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله والرقى المروية. وقال أيضا معنى قوله: "لا رقية إلا من عين أو حمة" لا رقية أولى وأنفع، وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي، وقد أمر غير واحد من الصحابة بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم

ينكر عليهم. وقال الخطابي: لم يرد به حصر الرقية الجائزة فيهما وإنما المراد لا رقية أحق وأولى من رقية العين والحمة لشدة الضرر فيهما". [عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣١٧/٣١]

قال العظيم آبادي رحمه الله: قال الشيخ عبد الحق الدهلوي: الرقى جمع رقية وهي العوذة، وبالفارسية أفسون، وقيل ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء وهي جائزة بالقرآن والأسماء الإلهية وما في معناها بالاتفاق، وبما عداها حرام لاسيما بما لا يفهم معناه انتهى . [عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٧٠/١٠]

وقال ملا خسرو الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٨٥ هـ): "لا بأس بالرقى لأنه عليه السلام كان يفعل ذلك، وما جاء فيه من النهي محمول على رقى الجاهلية، إذ كانوا يرقون بكلمات كفر". [درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٧/٤]

وقال ابن عابدين الحنفي رحمه الله: " قالوا: إنما تكره العوذة إذا كانت بغير لسان العرب، ولا يدرى ما هو ولعله يدخله سحر أو كفر أو غير ذلك ، وأما ما كان من القرآن أو شيء من الدعوات فلا بأس به، اهـ". [رد المحتار، ٣٧٨/٢٦]

وقال ابن حجر رحمه الله: " أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ –أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته،

٢ –وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره،

٣ –وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطا، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة. ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك، فقال: "اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك". وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الرقي فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب، قال: فعرضوا عليه. فقال: "ما أرى بأسا من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه". وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقي يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطا والشرط الآخر لا بد منه". [فتح الباري، ١٩٥/١٠]

وقال المؤلف رحمه الله: و"**التولة**": **شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.**

والتولة أي بوزن عنبة ضرب من السحر، قال الأصمعي: هو تحبيب المرأة إلى زوجها.

قال في الخانية امرأة تصنع آيات التعويذ ليحبها زوجها بعد ما كان يبغضها ذكر في الجامع الصغير أن ذلك حرام ولا يحل، اهـ.

وذكر ابن وهبان في توجيهه: أنه ضرب من السحر والسحر حرام، اهـ. ومقتضاه أنه ليس مجرد كتابة آيات بل فيه شيء زائد". [حاشية رد المختار على الدر المختار، لابن عابد محمد علاء الدين أفندى، ٤٢٩/٦]

وقال المؤلف رحمه الله: "وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: "**من تعلق شيئا وكل إليه**" رواه أحمد والترمذي".

وقوله: "**عبد الله بن عكيم**"، هو عبد الله بن عكيم الجهني، قيل: له صحبة، وقد أسلم بلا ريب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى خلف أبي بكر الصديق... توفي ابن عكيم في ولاية الحجاج. [أنظر سير أعلام النبلاء، ٥١٠/٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "والصحيح أنه تابعي، سمع عمر وابن مسعود وحذيفة وروي عنه جماعة". [المرقاة، ٢٨٨٢/٧]

وقوله: "**من تعلق شيئا وكل إليه**"، قال الملا علي القاري رحمه الله: (من تعلق شيئا)، أي: من جعل شيئا معلقا على نفسه، وفي النهاية: من علق على نفسه شيئا من التعاويذ والتمائم وأشباهها معتقدا أنها تجلب إليه نفعا أو تدفع عنه ضرا. (وكل إليه) بضم واو وتخفيف كاف مكسورة أي: خلي إلى ذلك الشيء وترك بينه وبينه.

قال المظهر وغيره: أي من تمسك بشيء من المداواة واعتقد أن الشفاء منه لا من الله تعالى لم يشفه الله، بل وكل شفاءه إلى ذلك الشيء، وحينئذ لا يحصل شفاؤه، لأن الأشياء لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله تعالى، اهـ.

وقرره الطيبي وتبعه ابن الملك مع أن قوله: واعتقد أن الشفاء منه لا من الله اعتقاد كفر، فلا ينبغي أن يحمل الحديث عليه، لأن في مثله لا يقال: وكل إليه، بل هو كناية عن عدم حصول مقصود من

الشفاء وترك إعانته تعالى في دفع الداء والعناء،...وقد قال: إن شيئا منصوب بنزع الخافض، أي من تعلق بشيء سوى الله تعالى وكل إليه وجعل أمره لديه ومن توكل على الله كفاه أمر دينه ودنياه، وأغناه عن كل شيء مما سواه. [المرقاة، ٢٨٨٢/٧]

وقوله: "**رواه أحمد والترمذي**"، أي رواه أحمد في المسند ٨١/٣١، رقم الحديث: (١٨٧٨٦)، والترمذي في سننه، ٤٠٣/٤، رقم الحديث: (٢٠٧٢).

وقال المؤلف رحمه الله: وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدا بريء منه**".

قوله: "**رويفع**"، رويفع بن ثابت بن السكن النجاري الأنصاري المدني، نزل بمصر، وأمره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ، فغزا إفريقية، وتوفي ببرقة وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد. وقبره مشهور في الجبل الأخضر (ببرقة). [الأعلام، ٣٦/٣]

قوله: "**لعل الحياة ستطول بك**"، السين للتأكيد في الاستقبال.

قوله: "**فأخبر الناس**"، الفاء جزاء شرط محذوف، والتقدير فإذا طالت فأخبر، والمعنى لعل الحياة ستمتد حال كونها ملتصقة بك حتى ترى الناس قد ارتكبوا أمورا من المعاصي يتجاهرون بها، فإذا رأيت ذلك فأخبرهم. وفيه إظهار للمعجزة بإخبار عن الغيب من تغيير يحصل في الدين بعد القرن الأول، وإن هذه الأمور المذكورة مهتم بشأنها. [المرقاة، ٣٨٢/١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "وفيه دلالة على أن من الغيب ما يعلمه النبي عليه الصلاة والسلام بتعليمه تعالى إياه وبشارة له بطول عمره". [شرح المصابيح لابن الملك، ٢٥٦/١]

قوله: "**من عقد لحيته**"، قال الأكثرون: هو معالجتها حتى تنعقد وتتجعد، وهذا مخالف للسنة التي هي تسريح اللحية، وقيل: كانوا يعقدونها في الحرب زمن الجاهلية، فأمرهم عليه الصلاة والسلام بإرسالها لما في عقدها من التأنيث، أي التشبه بالنساء. وقيل: كان ذلك من دأب العجم أيضا، فنهوا عنه، لأنه تغيير خلق الله. وقيل: كان من عادة العرب أن من له زوجة واحدة عقد في لحيته عقدة صغيرة، ومن كان له زوجتان عقد عقدتين، كذا ذكره الأبهري.

قوله: "**أو تقلد وترا**"، بفتحتين أي: خيطا فيه تعويذ أو خرزات لدفع العين أو الحفظ عن الآفات كانوا يعلقون على رقاب الولد والفرس. وقيل: إنهم كانوا يعلقون عليها الأجراس. والمعنى أو تقلد الفرس وتر القوس. قيل: النهي عن العقد والتقليد لما فيهما من التشبه بأهل الجاهلية، لأن ذلك من صنيعهم. وقيل: كان عادة أهل الجاهلية أنهم يجعلون في رقاب دوابهم الوتر ويزعمون دفع العين.

قال أبو عبيدة: الأشبه أنه نهي عن تقليد الخيل أوتار القسي لئلا يصيبها العين مخافة اختناقها به لاسيما عند شدة الركض. وروي أنه عليه الصلاة والسلام أمر بقطع الأوتار من أعناق الخيل تنبيها على أنها لا ترد شيئا من قدر الله تعالى. قال الطيبي: يعني وأما الاختناق به فهو سبب عادي فيحترز عنه. "**أو استنجى برجيع دابة**"، أي: روثها (**أو عظم**): مطلقا. [المرقاة]

وبين النبي صلى الله عليه وسلم علة النهي عن الاستنجاء بهما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم** ». [صحيح مسلم، ٣٦/٢، رقم الحديث: (١٠٣٥)]

"**فإن محمدا بريء منه**"، وهذا من باب الوعيد والمبالغة في الزجر الشديد. [المرقاة، ٣٨٢/١]

الشاهد من الحديث قوله: "**من تقلد وترا**".

وقال المؤلف رحمه الله: وعن سعيد بن جبير قال: "**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**". رواه وكيع.

قوله: "**سعيد بن جبير**"، هو سعيد بن جبير الاسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق.وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا. ولما خرج عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. وتوفي سنة ٩٥ هـ. [الأعلام، ٩٣/٣]

قوله: "**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**"، أي قطع التميمة يعدل أجر عتق رقبة، لأنه أنقذه من رق الشرك، أو من أسر الشيطان والهوى، أو من النار. وفيه قطع التمائم وأنها شرك.

قوله: "**وكيع**"، هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره. ولد بالكوفة، وأبوه ناظر على بيت المال فيها. وتفقه وحفظ الحديث، واشتهر. وأورد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة، فامتنع ورعا. وكان يصوم الدهر. له كتب، منها " تفسير القرآن " و " السنن " و " المعرفة والتاريخ " و " الزهد - خ " في الظاهرية، ذكره عبيد. قال الإمام ابن حنبل: ما رأيت أحد أوعى منه ولا أحفظ، وكيع إمام المسلمين. [الأعلام، ٨/١١٧]

وقال المؤلف رحمه الله: وله عن إبراهيم قال: "**كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن**".

قوله: "**وله**" أي لوكيع.

قوله: "**عن إبراهيم**" هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب. ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله. مات سنة ٩٦ هـ. [الأعلام، ١/٨٠]

قوله: "**كانوا يكرهون التمائم كلها...**"، مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم من أصحاب ابن مسعود وهم من سادات التابعين وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم كما بين ذلك الحفاظ كالعراقي وغيره. [تيسير العزيز الحميد، ص: ١٤٣]

الباب الثامن

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النجم: ١٩، الآيات.

عن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة ؛ فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ ، **لتركبن سنن من كان قبلكم**". رواه الترمذي وصححه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله: "باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"، أراد المؤلف رحمه الله أن يبين حكم التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهما، أي القبور والأضرحة والمشاهد وغيرها، ويبين أن هذا شرك ومن أفعال المشركين.

معنى البركة في اللغة:

قال محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ): وأصل البركة: الزيادة والنماء. والتبريك: الدعاء للإنسان وغيره بالبركة. يقال: بركت عليه تبريكا أي قلت: بارك الله عليك. وقال الفراء في قول الله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ (هود: ٧٣) قال: البركات: السعادة.

قال أبو منصور: وكذلك قوله في التشهد: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي صلى الله عليه وآله فقد نال السعادة، المباركة الدائمة. [تهذيب اللغة، ١٣١/١٠]

قال أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥ هـ): (برك) الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء. [معجم مقاييس اللغة، ١/٢٢٧]

قال الراغب الاصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ): " برك: أصل البرك صدر البعير وإن استعمل في غيره، ويقال له بركة وبرك البعير ألقى ركبه واعتبر منه معنى الملزوم فقيل ابتركوا في الحرب أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب وبركاء الحرب وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابتركت الدابة وقفت وقوفا كالبروك، وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ، قال تعالى: ﴿ **لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ الأعراف: ٩٦، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة ، والمبارك ما فيه ذلك الخير، على ذلك ﴿ **وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ** ﴾الأنبياء: ٥٠ ، تنبيها على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية. وقال: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ** ﴾ ص: ٢٩، وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا** ﴾ مريم: ٣١ ، أي موضع الخيرات الإلهية ، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ** ﴾الدخان: ٣ ، ﴿ **رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا** ﴾ المؤمنون: ٢٩ ، أي حيث يوجد الخير الإلهي، وقوله تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا** ﴾ ق: ٩، فبركة ماء السماء هي ما نبه عليه بقوله : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ** ﴾ الزمر: ٢١، وبقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ** ﴾المؤمنون: ١٨، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة ، وإلى هذه الزيادة أشير بما روي انه لا ينقص مال من صدقة لا إلى النقصان المحسوس". [المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٤]

قال ابن الأثير رحمه الله (المتوفى: ٦٠٦ هـ): "(برك) في حديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم «وبارك على محمد وعلى آل محمد» أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، وهو من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه. وتطلق البركة أيضا على الزيادة. والأصل الأول. وفي حديث أم سليم «فحنكه وبرك عليه» أي دعا له بالبركة. وفي حديث علي «ألقت السحاب برك بوانيها» البرك: الصدر، والبواني: أركان البنية. [النهاية، ١/١٢٠-١٢١]

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٤٥ هـ): "برك: {تبارك}: من البركة، وهي الزيادة والنماء".

التبرك هو طلب البركة والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته، وأن البركة في القرآن والسنة: ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير وزيادته، أو اجتماعهما معا. فيمكن أن نقول بأن معنى التبرك بشيء ما: طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملابسته. [التبرك أنواعه وأحكامه، لناصر بن عبد الرحمن الجديع ص: ٣٩]

التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك. وتكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتا شرعيا، وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم. [التبرك المشروع والتبرك الممنوع، لعلي بن نفيع العلياني، ص:٢١-٢٢]

وقال محمود الآلوسي الحنفي رحمه الله: "**البركة** إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم". [غاية الأماني، ٢/٣٩]

التبرك شرعا: طلب البركة بفعل أو اعتقاد. [معجم التوحيد، ١/٣٤٣]

أنواع التبرك، التبرك نوعان :

نوع مشروع : وهو ما ورد الشرع بجوازه ، فهذا النوع من التبرك لا كلام فيه . وليس هو موضوعنا ههنا ، ومن أراد أن يطلع على كثير مما ثبت التبرك به شرعا، فليرجع إلى كتاب ((التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع)) ، وغيره .

فكل ما ثبت في شرع الله تعالى التبرك به، يجوز التبرك به ولا ينافي التوحيد ولا السنة .

ونوع ممنوع غير مشروع: وهو التبرك الذي لم يرد الشرع بجوازه ، أو ورد الشرع بخلافه ، فهذا النوع من التبرك هو بيت القصيد ههنا ، وهو صنفان :

الصنف الأول: **تبرك شركي**: وهو ما كان فيه طلب الخير والنماء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، أو أن يعتقد المتبرك [بصيغة اسم الفاعل] : أن المتبرك به غير الله تعالى يعطي الخير والنماء فوق الأسباب العادية ،... وهذا النوع من التبرك يرجع إلى عقيدة التصرف في الكون لغير الله سبحانه وتعالى ؛ وأن هذه العقيدة من أعظم أنواع الإشراك بالله تعالى في الربوبية ، وأن صاحب هذه العقيدة من أوضح أصناف المشركين .

قال العلامة الرستمي حفظه الله تعالى – وهو من كبار علماء الحنفية المعاصرة – محققا أن القبورية واقعون في شرك البركات ، مبينا معنى (بسم الله الرحمن الرحيم) :

(فالمعنى : ((متبركا باسم الله الرحمن الرحيم أقرأ)) ؛ فيه إشارة إلى أن البركة في اسمه تعالى ، وهو يبارك في الأشياء وحده لا شريك له في هذا ؛ وفي هذا رد على من يشرك [بالله تعالى في القبورية] في البركات ، ولذا ينذرون للأولياء ، وغيرهم من سوى الله تعالى ، ويقولون : ((إذا أعطينا نذورهم من الأنعام أو الحرث فينظر الأولياء إلى أموالنا بنظر الشفقة ، ويباركون فيه))، وبعضهم يقرءون أسماءهم في وظائفهم وخلواتهم للتبرك بها ، وما هذا إلا شرك في البركات .... فالذي يعتقد : أن فلان – الولي يبارك في أموالنا وفي حرثنا وفي أنعامنا – فهو مشرك بالله تعالى ؛ فالله تعالى هو ((المبارك)) باسم الفاعل وحده ، الذي يعطي له [أي عبده] نعيم الدنيا والآخرة ويزداد له في قليل ماله ؛ فهو [أي

العبد] يسمى : ((مباركا)) باسم المفعول ؛ كما قال الله تعالى : في شأن بيته المعظم :﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران : ٩٦] ؛ فالله بارك في هذا الموضع بأنه يزيد ثواب عمل فيه أضعافا مضاعفة ، وكذا فيه منافع كثيرة للناس ؛ فلذا سمي مباركا ، وقال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ الآية [مريم : ٣١] ؛ فبارك الله في عيسى عليه السلام بأن ينتفع به عباد الله ، وهو يدعوهم إلى الله وإلى توحيده ، وعبادته ، وجعل في عبادته منافع كثيرة لأتباعه ....

وما يقولون في أدعيتهم توسلا: ((ببركة فلان)) فلا معنى له ولا يجوز؛ لأن ذلك المصدر [البركة] إما مضاف إلى الفاعل ، فالمعنى: ((المبارك هو الفلان)) – فهذا شرك ؛ كما ثبت قبل ؛ وإما مضاف إلى المفعول – فالمعنى: ((المبارك هو الفلان)) – فلا معنى لهذا التوسل ، كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من العلم) .

قلت (القائل هو الشيخ شمس الدين الأفغاني رحمه الله): القبورية في تبركاتهم الباطلة على طريقة الوثنية الأولى؛ فقد صرح الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) بأن المشركين كانوا يتلون أسماء من يتغيثون بهم للتبرك ويعتقدون أن أسماءهم مباركة للحلف بها، وكانوا يقصدون مواضع يعظمونها للتبرك بها .

الصنف الثاني : تبرك بدعي :

وهو ما لم يكن فيه طلب الخير والنماء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ بل كان فيه طلب الخير والنماء من الله تعالى ، ولكن بواسطة شيء لم يرد الشرع به :

كطلب البركة من الله تعالى بواسطة غلاف الكعبة أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة استلام الحجرة النبوية أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة تمر المدينة النبوية ، ونحوها مما لم يرد به الكتاب والسنة ، وقد ذكرت عدة أمثلة للتبركات البدعية التي يرتكبها القبورية عامة والديوبندية خاصة .

والتبركات البدعية قناطر التبركات الشركية ، بل قد تكون شركية فعلا إذا اعتقد المتبرك : أن المتبرك به يقدر على البركة ؛ ولقد حذر علماء الحنفية من جميع التبركات البدعية أيضا كما حذروا من التبركات الشركية ، فقد صرحوا بوجوب إزالة كل ما يتبرك به القبورية تبركا بدعيا: من قبر ، ونصب وشجر وحجر ، ومسجد بني على قبر ، وقنديل ، وسراج ، وشمع على قبر ، وخرفة ، ومسمار ، وحائط ، وعين ، وعمود ، ونحوها وقالوا : إن الواجب هدم هذه الأشياء كلها ، وإزالة أثرها ، والمبادرة إلى محوها ؛ لأن الناس يقصدونها ، ويعظمونها ، ويرجون البرء والشفاء بها والتبرك بها ، حسما للفتنة التي قد عظمت بها ، وقطعا للبلوى التي اشتدت بها ، إذ هي سبب للعنة الله تعالى والطرد من رحمته سبحانه ؛ ولأنها أعظم شرا ومفسدة من مسجد الضرار ؛ ولأن هذه التبركات البدعية قنطرة للتبركات الشركية ، فوجب منع ذلك ، حماية لحمى التوحيد ، وسدا لذرائع الشرك ؛ لئلا تصير هذه الأشياء أوثانا تعبد من دون الله .

ولقد صرح علماء الحنفية أيضا بمنع التبرك والتمسح بحجر مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، واتفقوا على أن لا يقبل الركن اليماني ، ونصوا أيضا على أن يقبل الحجر الأسود للتعبد لا للتبرك ، فلا يجوز تقبيل الحجر الأسود للتبرك ، حماية للتوحيد ، وسدا لذرائع الشرك .

ولقد صرح علماء الحنفية أيضا بمنع التعلق بشجرة تشبه شجرة للمشركين ، ولو كان هذا التشبه بالاسم فقط ، فضلا عن التبرك بها ، والعكوف عليها ، فإن ذلك يتسبب إلى الوثنية ، واستدلوا بحديث ((ذات أنواط)) .

وكذلك صرحوا بمنع انتياب الناس إلى شجرة ذات حادث جلل فضلا عن التبرك بها ، ووجوب المبادرة إلى قطعها وإزالة أثرها ، واستدلوا بأثر عمر بن الخطاب في إزالة شجرة الرضوان ؛ كل ذلك حماية لحمى التوحيد وقطعا لوسائل الشرك .

قلت (القائل هو الشيخ شمس الدين الأفغاني رحمه الله) : الحاصل أنه إذا كان التبرك بأمثال الحجر الأسود والركن اليماني ، وذات أنواط ، وشجرة الرضوان وغيرها مما لم يرد بالتبرك به الشرع – فكيف

يجوز التبرك بالأتربة ، والمنبر والزيت المحروق في المسجد النبوي، وغير ذلك فضلا عن التبرك بالقبور عامة وأتربتها ، والقبور المعظمة خاصة ؛ كما سبق ذلك في تحقيقات علماء الحنفية ومنعهم وتحذيرهم من التبركات الشركية والبدعية، واستدلالهم بعمل الصحابة رضي الله عنهم في قصة دانيال وأمر عمر بن الخطاب بدفنه وتعمية أمره وأثره ، وأن أمثال هذه التبركات والتوسلات – من أفعال الوثنية الأولى .

نتيجة هذا البحث : لقد وصلنا في مبحث التبرك إلى نتائج :

١ – تعريف التبرك لغة واصطلاحا .

٢ – التبرك المشروع ، وهو ما ورد الشرع بجوازه .

٣ – التبرك الشركي ، وهو شرك بالله في التصرف والربوبية .

٤ – التبرك البدعي ، وهو دون التبرك الشركي في الإثم .

٥ – التبرك البدعي قنطرة للتبرك الشركي .

٦ – التبرك البدعي قد يصير تبركا شركيا.

٧ – تبركات القبورية كتوسلاتهم فيها شرك وبدعة .

٨ – التبرك غير المشروع من أفعال الوثنية الأولى .

٩ – القبورية في تبركاتهم الشركية والبدعية على طريقة المشركين السابقين .

١٠ – هذه التحقيقات لعلماء الحنفية فيها عبرة للقبورية عامة وللديوبندية الماتريدية النقشبندية خاصة . [من جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية – (٣ / ١٥٧٥-١٥٨١) بتصرف يسير]

أسباب وجود التبرك الممنوع في المجتمع الإسلامي:

قال الدكتور ناصر الجديع : "أبرز أسباب وجود التبرك الممنوع في المجتمع الإسلامي: الجهل بالدين، والغلو في الصالحين، والتشبه بالكفار، وتعظيم الآثار.

من العوامل الأخرى المعينة على وجوده وانتشاره: تأثير الفرق المبتدعة، كالصوفية والرافضة، والتمسك بالآثار الضعيفة أو الموضوعة، وقياس الممنوع من التبرك على المشروع منه، وسكوت العلماء من الإنكار، والاستسلام للعاطفة، والتعصب للهوى.

التبرك الممنوع يفضي إلى شرور كثيرة اعتقادية وعملية، وله آثار سيئة خطيرة.

أهم هذه الآثار: الشرك، الابتداع، اقتراف المعاصي وانتهاك الحرمات، الوقوع في عدة أنواع من الكذب، تحريف النصوص، إضاعة الواجبات والسنن، التغرير بالجهل وإضلال الأجيال.

من الوسائل المهمة لمقاومة التبرك الممنوع والقضاء عليه:

-نشر العلم الشرعي بين الناس على أوسع نطاق،

-والدعوة إلى المنهج الحق، وذلك ضمن تحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

-وإزالة وسائل الغلو في الأنبياء والصالحين وغيرهم، ومظاهر التبرك الحسية المبتدعة. [التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص: ٥١١-٥١٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ النجم: ١٩، الآيات".

قوله: "**أفرأيتم**"، أفرأيتم والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى...

ويستفهم منهم إنكارا لهم و ردا عليهم أخبروني عن حال آلهتكم التي اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الإلهية من الإيجاد والإعدام والنفع والضر وأمثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على أنفسكم ونهاية جهوليتكم بالإله الواحد الأحد الصمد

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. [تفسير روح البيان، لـ" إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي"، ١٩٢/٩]

قوله: " **اللات والعزى**".

قال محمود الآلوسي رحمه الله: "**اللات**"، كان رجل يلت السويق للحاج على حجر فلما مات عبدوا ذلك الحجر إجلالا له وسموه بذلك.

وعن مجاهد أنه كان على صخرة في الطائف يصنع حيسا ويطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس: أنه كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه. وأخرج الفاكهي عنه: أنه لما مات قال لهم عمرو بن لحي : إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتا. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت فلما توفي جعلوا قبره وثنا.

و"**العزى**" لغطفان وهي على المشهور سمرة بنخلة-كما قال قتادة-وأصلها تأنيث الأعز، وأخرج النسائي وابن مردويه عن أبي الطفيل قال: «لما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال: **ارجع فإنك لم تصنع شيئا**، فرجع خالد فلما أبصرته السدنة مضوا وهم يقولون: يا عزى، يا عزى فأتاها، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره، فقال عليه الصلاة والسلام : **تلك العزى**».

وفي رواية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إليها خالدا فقطعها فخرجت منه شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك، ورجع فأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : «**تلك العزى ولن تعبد أبدا**».

وقال ابن زيد: كانت العزى بالطائف، وقال أبو عبيدة: كان بالكعبة، وأيده في البحر بقول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين لنا العزى ولا عزى لكم. [روح المعاني، ١٤/٥٥]

قال النسفي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: "﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل، هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة؟ اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات، فاللات كانت لثقيف بالطائف. وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة، والعزى كانت لغطفان وهي ثمرة وأصلها تأنيث الأعز وقطعها خالد بن الوليد، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة. وقيل: لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق { ومناءة } مكي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها ﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ هي صفة ذم أي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ [الأعراف : ٣٨] أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أي جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه. و ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾ فعلى إذ لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل «بيض» وهو بوض مثل حمر وسود، {ضئزى} بالهمز: مكي من ضأزه مثل ضازه. ﴿ إِنْ هِىَ ﴾ ما الأصنام ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءٌ ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أي سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجة ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ إلا

توهم أن ما هم عليه حق ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ وما تشتهيه أنفسهم ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به". [تفسير النسفي، ٣/ ٣٧٠-٣٧٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "قال الأستاذ: معنى الآية أخبرونا هل هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله من القدرة أن تفعل بعابديها ما فعلنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من الرتب والتخصيص، ثم وبخهم، فقال: أرأيتم هذه الأصنام والملائكة التي تعبدونها من دون الله أنتم تختارون لأنفسكم كيف نسبتم البنات إلى الله سبحانه وتعالى". [تفسير الملا علي القاري، ٥/ ٥١]

واعلم أن مستند الكفار والمشركين في عبادتهم للأصنام أمران:

١ -حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، والظن لا يغني من الحق شيئا.

٢ -حظ أنفسهم في رياستهم واتباع أهوائهم، وأضر شيء على الإنسان أن يتبع ما يهوى ويترك الهدى. [بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، لمنصور بن محمد بن عبد الله الصقعوب، ص: ١٢٨]

دلت الآية على أن عبادة المشركين لهذه الأوثان، إنما كانت لطلب النفع ودفع الضرر، فكل من تبرك بشجر أو قبر أو عبد غير ذلك، قاصدا بذلك جلب النفع أو دفع الضر فقد شابههم ودخل في شركهم. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ١٠٠]

قال المؤلف رحمه الله: " عن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة ؛ فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الله أكبر، إنها السنن. قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ ، **لتركبن سنن من كان قبلكم**". رواه الترمذي وصححه".

قوله: "**أبو واقد الليثي**"، هو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم سماه البخاري وغيره: الحارث بن عوف. وقال البخاري وأبو أحمد الحاكم: شهد بدرا. وله عدة أحاديث. وحدث أيضا عن أبي بكر، وعمر. وشهد الفتح، وسكن مكة.

حدث عنه: عطاء بن يسار، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وبسر بن سعيد، وأبو مرة، مولى عقيل. توفي أبو واقد الليثي سنة ثمان وستين. وقال الواقدي: توفي سنة خمس وستين. [سير أعلام النبلاء، ٥٧٦/٢ وما بعدها]

قوله: "**خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين**".

حنين تصغير حن. يتردد ذكره كثيرا في السيرة ، وغزوته من أشهر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بدر ، كانت في السنة العاشرة، بعد الفتح. وهو واد من أودية مكة ، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا ، يسمى اليوم وادي الشرائع ، وأعلاه الصدر- صدر حنين- ، وماؤه يصب في المغمس فيذهب في سيل عرنة إذا كنت خارجا من مكة إلى الطائف على طريق اليمانية ، لقيت الشرائع على (٢٨) كيلا من المسجد الحرام ، وهي عين وقرية نسب الوادي إليها ، كانت عينها تسمى المشاش، وقد أجرتها زبيدة إلى مكة ، ثم انقطعت عن مكة . ولا يعرف اليوم اسم حنين إلا الخاصة من الناس.

[المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية - (١ / ٢٦٧)]

قوله: "**ونحن حدثاء عهد بكفر**"، أي دخلوا في الإسلام حديثا ولم يتعلموا أحكام الإسلام.

قوله: "**ذات أنواط**"، قال الطيبي رحمه الله: "هي جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط وهي هنا اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك". [الكاشف عن حقائق السنن، ٣٤٢١/١١]

قوله: "**فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**"، أي: شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا، وكأنهم أرادوا به الضدية والمخالفة العرفية، وغفلوا عن القاعدة الشرعية. [المرقاة]

قوله: " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الله أكبر**". أي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزيها وتعجبا.

قوله: "**إنها السنن**"، بضم السين أي: طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم، وفي نسخة بفتحها أي: على منوالهم وطبق حالهم وشبه قالهم. [المرقاة]

قوله: " **قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨"، شبه النبي صلى الله عليه وسلم مقالتهم هذه بمقالة بني إسرائيل، ومشابهة الكفار في أقوالهم وأفعالهم الشركية محرمة.

قوله: "**لتركبن سنن من كان قبلكم**"، أي طريقة من كان قبلكم يعني في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه. [العمدة للعيني رحمه الله]

قال الإمام محي الدين محمد البركوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨١ هـ): "فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها شيئا فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء عنده ودعاء صاحبه والدعاء به . فمن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وبما عليه أهل البدع والضلال اليوم في هذا الباب علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق و المغرب . [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٤٨-٤٩]

قال أحمد الرومي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٤١ هـ): " فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها شيئا فما الظن بغيرها مما يقصده الناس من شجر أو حجر أو قبر ويعظمونه ويرجون منه الشفاء ويقولون: إن هذا الشجر أو هذا الحجر أو هذا القبر يقبل النذر الذي هو عبادة وقربة، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه". [مجالس الأبرار ومسالك الأخيار ومحائق البدع ومقامع الأشرار، ص: ٢٢٤]

قال محمود الآلوسي رحمه الله تعالى: "ولعل ذلك كان عن جهل يعذر به ولا يكون به كافرا وإلا لأمره صلى الله عليه وسلم بتجديد الإسلام ولم ينقل ذلك فيما وقفت عليه ، والناس اليوم قد اتخذوا من قبيل ذات الأنواط شيئا كثيرا لا يحيط به نطاق الحصر ، والآمر بالمعروف أعز من بيض الأنوق والامتثال بفرض الأمر منوط بالعيوق والأمر لله الواحد". [روح المعاني، ٤١/٥]

قوله: " **رواه الترمذي وصححه**"، أي رواه الترمذي في باب "لتركبن سنن من كان قبلكم"، ٤٧٥/٤، رقم الحديث: (٢١٨٠).

ووردت في موضوع إتباع سنن من قبلنا عدة الأحاديث، منها:

١–عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله كفارس والروم فقال ومن الناس إلا أولئك. [صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم، رقم الحديث: ٧٣١٩]

٢–عن أبي سعيد ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن. [صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: ٣٤٥٦، وصحيح مسلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى، رقم الحديث: ٦٩٥٢]

٣–عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك". [سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٦٤١]

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم و حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه". [المستدرك على الصحيحين للحاكم، (٤ / ٥٠٢) رقم الحديث: ٨٤٠٤]

وقال العيني الحنفي رحمه الله: "وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر". [العمدة، ٤٥٥/٢٣]

قال عياض رحمه الله: "الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه". [الفتح، ٣٠١/١٣]

قال النووي رحمه الله تعالى: "والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم ، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات ، لا في الكفر. وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم. [شرح النووي على مسلم، ٢٥/٩]

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته لا تدع شيئا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله، لا تترك منه شيئا، ولهذا قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى".

وقد مر معنا في أنواع التبرك، متى يكون التبرك شركا ومتى يكون بدعة.

قال الإمام محي الدين محمد البركوي الحنفي والإمام أبو بكر الطرطوشي رحمهما الله تعالى والقول للثاني: "انظروا رحمكم الله تعالى أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها". [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٥٧، ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء]

الباب التاسع

ما جاء في الذبح لغير الله

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣، الآية.

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: **لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثا ؛ لعن الله من غير منار الأرض**". رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال ليس عندي شيء أقرب.

قالوا له: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا، فخلوا سبيله. فدخل النار.

وقالوا للآخر: قرب.

فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله ، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة". رواه أحمد.

❁ ❁ ❁

بين المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب حكم الذبح لغير الله من الكتاب والسنة، وأنه شرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣، الآية.

قال أبو البركات النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أي عبادتي، والناسك العابد أو ذبحي أو حجي ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ وما أتيته في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ خالصة لوجهه.

﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ بسكون الياء الأول وفتح الثاني: مدني. وبعكسه غيره ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ في شيء من ذلك ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ الإخلاص ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته. [تفسير النسفي، ١/٣٥٨-٣٥٩]

قال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أعيد الأمر لما أن المأثور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها، أي عبادتي كلها وقيل: وذبحي، جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ وقيل: صلاتي وحجي ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ أي وما أنا عليه في حياتي وما أكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير، وقرىء محياي بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ خالصة له لا أشرك فيها غيره ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الإخلاص، وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل أي بذلك الإخلاص ﴿ أُمِرْتُ ﴾ لا بشيء غيره وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من أسلم منهم . [تفسير أبي السعود، ٢/٤٦٠]

قال الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ أي جنسها لتشمل المفروضة وغيرها. ﴿ وَنُسُكِي ﴾ أي عبادتي كلها كما قال الزجاج ، والجبائي ، وهو من عطف العام على الخاص. وعن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والسدي أن المراد به الذبيحة للحج والعمرة. وعن قتادة الأضحية ، وجمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى :﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] على

المشهور. وقيل: المراد به الحج أي إن صلاتي وحجي ومحياي ومماتي أي ما يقارن حياتي وموتي من الإيمان والعمل الصالح. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمحيا والممات ظاهر والأول هو المناسب لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إذ المراد به الخلوص بحسب الظاهر. وقيل: المراد به نظرا لهذا الاحتمال أن ذلك له تعالى ملكا وقدرة لا شريك له أي في عبادتي أو فيها وفي الإحياء والإماتة. ﴿ وَبِذَٰلِكَ ﴾ أي القول أو الإخلاص أمرت لا بشيء غيره ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أو المنقادين إلى امتثال ما أمر الله تعالى به ، وقيل: المستسلمين لقضاء الله تعالى وقدره ، والمراد مسلمي أمته كما قيل، وهذا شأن كل نبي بالنسبة إلى أمته. [من روح المعاني، ٣١٢/٤، بتصرف]

وقال محمود شكري الآلوسي رحمه الله: "أمره الله أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له، أي: أنه أخلص لله صلاته وذبيحته، لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والانقياد بالقصد والنية، والعزم على الإخلاص لله تعالى، فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيرا أو يجلب له خيرا تعظيما له، من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون. [شرح مسائل الجاهلية، ص: ١٤٧-١٤٨]

وقال محمد البابرتي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٨٦ هـ**): "(النسك) يقال: نسك لله نسكا ومنسكا: إذا ذبح لوجهه، ثم قالوا: لكل عبادة نسك، ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى ﴾ ". [العناية شرح الهداية، ٩٩/٤]

دلت الآية أن الذبح عبادة، ولا يكون إلا خالصا لله وبذلك أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وصرفه لغير الله شرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢.

قال النسفي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان في النحر لها". [تفسير النسفي، ٦٨٦/٣]

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: " والفاء في قوله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب، أي: فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون ". [تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٩/ ٢٠٥)]

قال إسماعيل الحنفي الخلوتي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "والمعنى فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه، كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للساهين عنها، المرائين فيها، أداء لحقوق شكرها، فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر، وهى ثلاثة: الشكر بالقلب وهو أن يعلم أن تلك النعم منه لا من غيره، والشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثنى عليه، والشكر بالجوارح وهو أن يخدمه ويتواضع له. والصلاة جامعة لهذه الأقسام ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى يعنى: وشتر قربان كن براى وى. وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون". [روح البيان، ٥٢٥/١٠]

دلت الآية أن الذبح عبادة عظيمة، لا يصرف إلا لله سبحانه وتعالى، وصرف أي عبادة لغير الله تعالى شرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: **لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا ؛ لعن الله من غير منار الأرض**". رواه مسلم.

قوله: "**عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه**"، هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشيدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه.

وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما آخى النبي صلى الله عليه واله وسلم بين أصحابه قال له: أنت أخي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان (سنة ٣٥ هـ)... وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة، (سنة: ٤٠ هـ) واختلف في مكان قبره. [الأعلام، ٢٩٥/٤]

قوله: "**لعن الله من ذبح لغير الله**"، معنى اللعنة: أي الطرد والإبعاد من رحمة الله.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في قوله تعالى: "﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، يعني ما ذبح بغير اسم الله تعالى. والإهلال في اللغة: هو رفع الصوت. وكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا، رفعوا الصوت بذكر آلهتهم فحرم الله تعالى على المؤمنين أكل ما ذبح لغير اسم الله تعالى. وفي الآية دليل: أنه إذا ترك التسمية عمدا لا يؤكل، لأنه قد ذبح بغير اسم الله تعالى". [بحر العلوم، ١١٤/١]

قال إسماعيل الحنفي الخلوتي رحمه الله: "ومن أحاديث المشارق (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله) قال النووي: المراد الذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو لموسى أو غيرهما ذكر الشيخ إبراهيم المروزي: أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه، أفتى أهل بخارى بتحريمه، لأنه مما أهل به لغير الله. وقال الرافعي: هذا غير محرم لأنهم إنما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة

لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم، انتهى كلامه. وعليه تحمل أفعال المسلمين صيانة لهم عن الكفر وضياع الأعمال فان الموحد مطمح نظره رضى مولاه والتعبد إليه بما تيسر له من القربات اللهم اعصمنا من الزلات". [روح البيان، ٢٤٦/١]

قال صاحب التيسير رحمه الله: "إن كانوا يذبحون استبشارا كما ذكر الرافعي فلا يدخل في ذلك وإن كانوا يذبحونه تقربا إليه فهو داخل في الحديث". [تيسير العزيز الحميد، ص: ١٥٥]

وقال إسماعيل الحنفي الخلوتي رحمه الله: "قال العلماء: لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرب إلى غير الله صار مرتدا وذبيحته ميتة". [روح البيان، ٢٧٧/١]

وقال رحمه الله أيضا: "﴿ وَمَآ أُهِـلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ هو كل ما يتقرب به إلى الله من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير إخلاص لله وفي الله بل للرياء والسمعة في سبيل الهوى". [روح البيان، ٢٧٨/١]

قال السرخسي رحمه الله (المتوفى: ٤٨٣ هـ): "وإن أهل الجاهلية كانوا يذكرون آلهتهم عند الذبح فحرم ذلك الشرع بقوله : ﴿ وَمَآ أُهِـلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ وأمر بتسمية الله تعالى عند الذبح على الخلوص لمخالفة المشركين ، فلا ينبغي أن يذكر مع اسم الله تعالى غيره". [المبسوط، ٦٤/١٤]

وقال علاء الدين السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٥٣٩هـ): "ومنها (أي من شروط الحل) تجريد اسم الله عند الذبح عن اسم غيره حتى لو قرن باسم الله اسم غيره وإن كان اسم النبي عليه السلام فإنه لا يحل ". [تحفة الفقهاء، ٦٧/٣]

وقال الكاساني رحمه الله (المتوفى: ٥٨٧ هـ): "(ومنها) تجريد اسم الله سبحانه وتعالى عن اسم غيره وإن كان اسم النبي عليه الصلاة والسلام حتى لو قال بسم الله واسم الرسول لا يحل ؛ لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُهِـلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾". [بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١٧٨/١٠]

وقال أبو بكر الزبيدي رحمه الله (**المتوفى: ٨٠٠ هـ**): "الذبح عند مرأى الضيف تعظيما له لا يحل أكلها وكذا عند قدوم الأمير أو غيره تعظيما لأنه أهل به لغير الله، وأما إذا ذبح عند غيبة الضيف لأجل الضيافة فإنه لا بأس به ". [الجوهرة النيرة، ٥/٢٦٠]

وقال سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ١٠٠٠ هـ**) **في قوله تعالى:** ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١٧٣، أي رفع الصوت فيه، بغير ذكر الله تعالى وهو ما ذبح للأصنام، والإهلال: رفع الصوت.

ولا يجوز أكل القرابين التي يذبحها الكفرة في عيدهم، لأنهم يضمون مع باسم الله سبحانه اسم الغير على وجه العطف، فيدخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١٧٣، فيكون ميتة، كذا في درر الملتقط والبزازية والخلاصة.

وفي الظهيرية: سئل الإمام الفضلي عن الجوازات التي يتخذها الجهال للقادم، فقال: كل ذلك لهو ولعب وحرام.

ومن ذبح شاة في وجه الإنسان في وقت الخلعة أو القدوم وما أشبه ذلك من الجوازات كفر، وفي المحيط: لو اتخذ ضيافات جوازات كفر، ولو فصلنا الكلام هاهنا لكان أحسن بأن نقول: لو ذبح شاة في وجه الإنسان إن كان مراده تعظيم ذلك الإنسان كفر، وإن كان مراده من الذبح الضيافة لا يكفر، والأحوط أن يذبح غائبا عن القادم". [تبيين المحارم، الباب السابع، ص: ٧٦-٧٧]

قال ابن الملك رحمه الله: "أي: ذبح باسم غير الله، كقول الكفار عند الذبح: باسم الصنم". [شرح المصابيح]

قال الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله (**المتوفى: ١٢٤٦ هـ**): "الذبح تقربا وتعظيما من حق الله تعالى: أخرج مسلم عن أبي الطفيل أن عليا رضي الله عنه أخرج صحيفة فيها:

"لعن الله من ذبح لغير الله". وقد دل هذا الحديث على أن الذبح لله من الأعمال التي خصصها الله لتعظيمه ومن ذبح لغير الله، فقد أشرك". [رسالة التوحيد، ص: ١٤١-١٤٢]

قوله: "**لعن الله من لعن والديه**"، أي: صريحا، أو تسببا بأن لعن والد أحد فيسب والده، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فالنهي عن السبب احتراز عن التسبب. [المرقاة، ٢٦٤٧/٦]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**". [رواه البخاري، رقم الحديث: (٥٩٧٣) ومسلم، رقم الحديث: (٢٧٣)]

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي رحمه الله: "ومنها (أي من أنواع العبادة) الذبح: فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده، فمن ذبح لغير الله من جني أو قبر، فهو كما لو سجد له. وقد لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: "**لعن الله من ذبح لغير الله**". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ٢٧٣، بتحقيقي]

قوله: "**لعن الله من آوى محدثا**"، قال الطيبي رحمه الله: ومحدثا بكسر الدال، وهو الذي جني على غيره جناية. وإيواؤه إجارته من خصمه والحيلولة بينه وبين ما يحق استيفاؤه. ويدخل في ذلك الجاني على الإسلام بإحداث بدعة، إذا حماه عن التعرض له والأخذ على يده لدفع عاديته. (وآوى) يجوز بقصر الألف أيضاً فإنه يتعدى ولا يتعدى.

قال المظهري الحنفي رحمه الله: "من آوى محدثا"؛ أي: من ترك مبتدعا في بيته أو بلده وأعانه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٧٢/٤]

قوله: "**لعن الله من غير منار الأرض**"، قال الطيبي رحمه الله: "المنار" العلم والحد بين الأرضين، وذلك بأن يسويه أو يغيره ليستبيح بذلك ما ليس له بحق من ملك أو طريق. [الكاشف عن حقائق السنن، ٢٨٠٥/٩]

قال الحسين بن محمود بن الحسن، الحنفي المشهور بالمظهري (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**):

"(منار الأرض): العلامة التي يمشي الناس بها على الأرض وهي الطريق؛ يعني: لعن من غصب الطريق وجعله في ملكه؛ يعني: من أبطل طريق الناس". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٧١/٤]

قال ابن الملك أي: رفعها وجعلها في أرضه، أو رفعها لقطع شيء من أرض الجار إلى أرضه. [شرح المصابيح، ٤٩٣/٤-٤٩٤]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم الحديث: (٥٢٤٠).

قال المؤلف رحمه الله: " وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب.**

قال ليس عندي شيء أقرب.

قالوا له: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا، فخلوا سبيله. فدخل النار.

وقالوا للآخر: قرب.

فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله ، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة". رواه أحمد".

قوله: "**طارق بن شهاب**"، طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة البجلي الاحمسي، أبو عبد الله: من الغزاة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة أبي بكر وعمر، ثلاثا وثلاثين غزوة.

وسكن الكوفة، وله في صحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة أحاديث، عن الصحابة، منها ما هو عن الخلفاء الأربعة. وتوفي سنة ٨٣ هـ. [الأعلام، ٢١٧/٣]

قوله: "**في ذباب**"، في هنا بمعنى السببية، أي بسبب ذباب.

قوله: "**صنم**"، قال الأزدي رحمه الله (المتوفى: ٣٢١ هـ): "الصنم: الصورة من حديد أو حجارة أو نحو ذلك مما يعبد، ولا يسمى صنما حتى تكون له صورة أو جثة، والجمع أصنام". [جوهرة اللغة، ٨٩٩/٢]

وقال أبو الحسين القزويني رحمه الله (المتوفى: ٣٩٥ هـ): "(صنم) الصاد والنون والميم كلمة واحدة لا فرع لها، وهي الصنم. وكان شيئا يتخذ من خشب أو فضة أو نحاس فيعبد". [معجم مقاييس اللغة، ٣١٤/٣]

وقال ابن الأثير رحمه الله: "(صنم) وهو ما اتخذ إلها من دون الله تعالى . وقيل هو ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن". [النهاية في غريب الأثر، ٣ / ١١٥]

الحديث دليل صريح على أن الأعمال بالخواتيم، لأن هذا الرجل كان مسلما، فلما ذبح لغير الله تقربا، دخل بسببه النار، لأنه لو كان كافرا، لم يقل: "دخل النار في ذباب". وتؤيد هذا القول رواية البيهقي: "مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم". [شعب الإيمان، ٤٥٧/٩، رقم الحديث: (٦٩٦٢)]

ودل الحديث على تحريم الذبح لغير الله على سبيل التقرب والتعظيم، لأن الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

قوله: "**رواه أحمد**"، أي خرجه أحمد في الزهد، ص: ١٦ ،رقم الحديث: (٨٤).

الباب العاشر

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾التوبة: ١٠٨، الآية.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: "نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟

قالوا: لا.

قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم". رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

❁ ❁ ❁

أراد المؤلف رحمه الله أن يبين في هذا الباب أنه لا يجوز التعبد لله بمكان يعصى الله سبحانه وتعالى فيه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾التوبة: ١٠٨، الآية".

قال أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾، فيه الدلالة على أن المسجد المبني لضرار المؤمنين والمعاصي، لا يجوز القيام فيه وأنه يجب هدمه؛ لأن الله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن القيام في هذا المسجد المبني على الضرار، والفساد وحرم على أهله قيام النبي صلى الله عليه وسلم فيه إهانة لهم واستخفافا بهم، على خلاف المسجد الذي أسس على التقوى، وهذا يدل على أن بعض الأماكن قد يكون أولى بفعل الصلاة فيه من بعض وأن الصلاة قد تكون منهية عنها في بعضها، ويدل على فضيلة الصلاة في المسجد بحسب ما بني عليه في الأصل، ويدل على فضيلتها في المسجد السابق لغيره لقوله: ﴿ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ؟ وهو معنى قوله تعالى: ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ ؛ لأن معناه أن القيام في هذا المسجد لو كان من الحق الذي

يجوز لكان هذا المسجد الذي أسس على التقوى أحق بالقيام فيه من غيره، وذلك أن مسجد الضرار لم يكن مما يجوز القيام فيه لنهي الله تعالى نبيه عن ذلك، فلو لم يكن المعنى ما ذكرنا لكان تقديره: لمسجد أسس على التقوى أحق أن تقوم فيه من مسجد لا يجوز القيام فيه، ويكون بمنزلة قوله: فعل الفرض أصلح من تركه، وهذا قد يسوغ، إلا أن المعنى الأول هو وجه الكلام.

وقد اختلف في المسجد الذي أسس على التقوى ما هو، فروي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب أنه مسجد المدينة. وروي عن أبي بن كعب وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "هو مسجدي هذا". وروي عن ابن عباس، والحسن وعطية أنه مسجد قباء. [أحكام القرآن للجصاص، ط العلمية (٣/ ٢٠١)]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾، يعني: لا تصل فيه أبدا، لأنهم [يعني المنافقين] طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي ويصلي فيه، لكي يتبرك بصلاته فيه ، فنهاه الله عن ذلك ونزل ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ثم قال: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ، يعني: المسجد الذي بني على التوحيد من أول يوم. قال الأخفش: بني لوجه الله تعالى منذ أول يوم، ويقال: بني للذكر والتكبير والتهليل وإظهار الإسلام وقهر الشرك من أول يوم بني. ثم قال: ﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ ، يعني: أولى وأجدر أن تصلي فيه. [بحر العلوم، ٢/٢٦٥]

وقال شهاب الدين السيواسي الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض غير وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار". [عيون التفاسير، ٢/١٥٧]

دلت الآية أنه لا يجوز عبادة الله تعالى في مكان يعبد غير الله فيه أو يعصى فيه، ومن ذلك الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: "نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة. فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**

قالوا: لا.

قال: **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**

قالوا: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**". رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما".

قوله: "**ثابت بن الضحاك**"، هو ثابت بن الضحاك بن خليفة الاشهلي الأوسي المدني، أبو زيد: صحابي، ممن بايع تحت الشجرة. كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد. له ١٤ حديثا. [الأعلام، ٩٨/٢]

قوله: "**بوانة**"، بضم الباء وتخفيف الواو: موضع في أسفل مكة دون يلملم، وقد جاء محذوف التاء أيضا. [شرح المصابيح لابن الملك، ١٠٩/٤]

قال ياقوت الحموي: "بوانة" هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر. [معجم البلدان، ٥٠٥/١]

قوله: "**وثن**"، قال القرطبي رحمه الله: "الوثن: التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها". [تفسير القرطبي، ٥٤/١٢]

وقال ابن الأثير رحمه الله: "الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة. ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. وقد يطلق الوثن على غير الصورة.

ومنه حديث عدي بن حاتم «قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: ألق هذا الوثن عنك» ". [النهاية في غريب الحديث، ١٥١/٥]

قوله: "**عيد**"، قال أحمد القزويني: "العيد: كل يوم مجمع. واشتقاقه قد ذكره الخليل من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه. ويمكن أن يقال لأنه يعود كل عام. وهذا عندنا أصح. وقال غيره، وهو قريب من المعنيين: إنه سمي عيدا لأنهم قد اعتادوه. والياء في العيد أصلها الواو، ولكنها قلبت ياء لكسرة العين". [معجم مقاييس اللغة، ٤/١٨٣]

فقال (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي: لأصحابه "**هل كان فيها**"، أي: في بوانة "**وثن**": بفتحتين، أي: صنم "**من أوثان الجاهلية يعبد؟**"، أي: بالألوهية. فقالوا: لا. قال: "**فهل كان فيها عيد**" أي: إظهار سرور "**من أعيادهم؟**" وهذا كله احتراز من التشبيه بالكفار في أفعالهم، قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: ملتفتا إلى الرجل (**أوف بنذرك**).

"**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**": تعليل لتفصيل ما تحقق، وهو حديث مفرد مستقل، رواه أحمد عن جابر كما سبق. "**ولا**" أي: ولا نذر صحيح أو منعقد "**فيما لا يملك ابن آدم**" أي: فيما لا يملك عند النذر حتى لو ملكه بعده، لم يلزمه الوفاء به، ولا الكفارة عليه. [المرقاة، ٦/٢٢٥١]

وقال الطيبي رحمه الله: "وفيه أن من نذر أن يضحي في مكان أو يتصدق علي أهل بلد صح نذره ولزمه ذلك". [الكاشف عن حقائق السنن، ٨/٢٤٤٩]

وقال المظهري الشيرازي الحنفي رحمه الله: "وفيه دليل على أن الوفاء بنذر لا معصية فيه واجب". [المفاتيح شرح المصابيح، ٤/١٧٩]

وقال ابن الملك رحمه الله: " وهذا يدل على أن من نذر أن يضحي بمكان معين صح نذره ولزمه الوفاء". [شرح المصابيح، ٤/١٠٩]

قوله: "**ولا فيما لا يملك ابن آدم**"، وقال الطيبي رحمه الله: "أنه لو نذر بعتق عبد لا يملكه، أو ليضحي بشاة غيره أو نحو ذلك، لم يلزمه الوفاء به، وإن دخل ذلك في ملكه. وفي رواية: "**ولا نذر فيما لا يملك**"، أي لا صحة له ولا عبرة". [الكاشف عن حقائق السنن، ٨/٢٤٣٨]

وقال ابن الملك رحمه الله: "(**فيما لا يملك**) مثل أن يقول: لو شفى الله مرضي، فسالم حر، وهو ليس في ملكه". [شرح المصابيح، ٤/٩٦]

وقال النووي رحمه الله: "(**ولا فيما لا يملك العبد**) فهو محمول على ما إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان أو أتصدق بثوبه أو بداره أو نحو ذلك، فأما إذا التزم في الذمة شيئا لا يملكه، فيصح نذره مثاله قال: إن شفى الله مريضي فلله علي عتق رقبة وهو في ذلك الحال لا يملك رقبة ولا قيمتها فيصح نذره وإن شفي المريض ثبت العتق في ذمته". [شرح صحيح مسلم، ١٠١/١١]

وقال أبو المعالي محمود شكري الآلوسي رحمه الله: "وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده، لكن المكان الذي فيه معبود غير الله–وقد عدم–أو محل لاجتماعهم، يصلح مانعا. فلما علم صلى الله عليه وسلم أن ليس هناك شيء من ذلك أجازه، ولو علم شيئا مما سأل عنه لمنعه، صيانة لحمى التوحيد وقطعا لذريعة الشرك". [شرح مسائل الجاهلية، ص: ١٤٨]

وقال الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله (**المتوفى: ١٢٤٦ هـ**):

"لا يجوز النذر لغير الله ولا الذبح في مكان كان فيه وثن، أو عيد من أعياد الجاهلية:

[وبعد ما استدل بحديث الباب، قال] وقد دل هذا الحديث على تحريم النذر لغير الله، فلا يحل هذا النذر ابتداء، فإن أخطأ أحد لجهله للدين، فلا وفاء عليه، ولا يجوز التمادي في خطأ، أو الإلحاح والتشبث بذنب، بل هو ذنب أكبر، وقد دل الحديث كذلك على أنه لا يجوز سوق دابة تذبح لله إلى مكان، تقرب فيه القرابين لغير الله، أو يعبد فيه غيره، ويجتمع الناس هناك على شرك وإن صحت النية وصلحت العقيدة". [رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان (ص: ١٦٦)]

قوله: "**رواه أبو داود**"، أي خرجه أبو داود في سننه، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، ٢٣٨/٣، رقم الحديث: (٣٣١٣).

أبو داود، هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له (السنن ط –) جزآن، وهو أحد الكتب الستة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠،٠٠٠ حديث. [الأعلام، ١٢٢/٣]

قوله: "**وإسناده على شرطهما**"، أي على شرط البخاري ومسلم رحمهما الله.

الباب الحادي عشر

من الشرك النذر لغير الله

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ الإنسان: ٧.

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾البقرة: ٢٧٠.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من نذر أن يطيع الله فليطعه ؛ ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**".

❁ ❁ ❁

قال العيني الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٥هـ): " النذر في اللغة: "التزام خير أو شر".

وفي الشرع: "التزام المكلف شيئا لم يكن عليه منجزا أو معلقا". [عمدة القاري، ٢٠٤/٢٣]

قال قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ): "النذر: إيجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيما لله تعالى". [أنيس الفقهاء، ص: ١١٣]

حكم الوفاء بالنذر:

هو فرض على الراجح، وعلى القول المرجوح واجب إن كان من القربات، ضمن شروط سنذكرها، ودليل كونه واجبا أن الآية التي ثبت الحكم فيها: ﴿ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ ﴾ الحج: ٢٩، دخلها التخصيص بمن نذر معصية، ولذا فهي غير قطعية الدلالة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: "**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصه فلا يعصه**"، فلا وفاء لنذر المعصية بل يحرم فعلها.

وقد انعقد الإجماع على وجوب الوفاء بنذر الطاعة، إن لم يكن نذر لجاج، إذ اختلف في وجوب الوفاء به.

شروط الوفاء بالنذر:

١ - أن يكون من جنسه فرض بأصله، كالصلاة والصوم والحج، إلا أن يكون في وقت محرم، كأن ينذر صوم أيام التشريق أو العيدين، فيصح النذر ويقضيه في غير هذه الأيام.

٢ - أن يكون المنذور مقصودا لذاته لا لغيره كالوضوء فإنه مقصودا لغيره.

٣ – أن لا يكون واجبا قبل نذره بإيجاب الله تعالى كالصلوات الخمس والوتر.

٤ – أن لا يكون محالا، كأن يقول: علي صوم أمس.

ويصح النذر بالصلاة غير المفروضة والصوم والصدقة والاعتكاف والذبح.

أقسام النذر:

١ – النذر المطلق: كأن يقول لله علي صلاة ركعتين، وهذا يجب الوفاء به في أي زمان وأي مكان لأن النذر إيجاب بالفعل من حيث هو قربة. ولا عبرة للزمان المعين ولا للمكان المعين، فلو نذر صوم شهر رجب صح منه وفاء لنذره صوم شعبان، ومن نذر صلاة ركعتين في مكة صحت منه ركعتان في أي مكان. كما لا عبرة لتعيين الدرهم وتعيين الفقير، فمن نذر أن يتصدق لفقير معين صح منه لأي فقير وبأي درهم، لأن المقصود تحقيق النذر من حيث هو تحقيق معنى العبادة؛ وهذا المعنى حاصل بدون مراعاة زمان ومكان وشخص خلافا لزفر الذي قال بالتعيين.

٢ – النذر المعلق: وهو قسمان:

أ – نذر معلق على شرط يريد وقوعه، كأن يقول: إن رزقني الله غلاما أطعمت عشرة مساكين. فهذا يجب أداؤه إن تحقق الشرط ولا يجزئه إن فعله قبل تحقق الشرط.

ب – نذر معلق على شرط لا يريد حصوله، كأن يقول: إن كلمت زيدا فلله علي عتق رقبة، فإذا كلمه فهو مخير بين أن يوفي بالنذر وبين أن يكفر كفارة يمين لأنه بظاهره نذر وبمعناه يمين. [فقه العبادات على المذهب الحنفي، ص: ٣٩٢-٣٩٣]

قال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله: "والنذر على أقسام:

النذر المبهم، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "**كفارة النذر إن لم يسم كفارة اليمين**".

والنذر المباح، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "**أوف بنذرك**"، بلا وجوب لما يأتي من قصة أبي إسرائيل.

ونذر طاعة في موضع بعينه أو بهيئة بعينها، وفيه قصة أبي إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**"، وقصة من نذر أن ينحر إبلا ببوانة ليس بها وثن ولا عيد لأهل الجاهلية. قال: "**أوف بنذرك**".

ونذر المعصية، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "**من نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين**".

ونذر مستحيل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: "**من نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين**".

والأصل في هذا الباب أن الكفارة شرعت منهية للاثم مزيلة لما حاك في صدره، فمن نذر بطاعة فليفعل ومن نذر غير ذلك ووجد في صدره حرجا وجبت الكفارة، والله أعلم". [حجة الله البالغة، ٣١٥/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ الإنسان: ٧ ".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (**المتوفى: ٣٣٣ هـ**): " النذر هو العهد؛ فجائز أن يكون أراد به الوفاء بكل ما أوجب الله تعالى من الفرائض والحقوق؛ فتكون فرائضه عهده؛ كقوله عز وجل: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾ .

وجائز أن يكون أراد بالنذر ما أوجبوا على أنفسهم من القرب سوى ما أوجبها الله تعالى عليهم؛ فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض، وتقربوا إلى الله تعالى مع ذلك بقرب أخر؛ فاستوجبوا المدح بوفائهم بما أوجبوا على أنفسهم". [تفسير الماتريدي، ٣٦٢/١٠]

قال النسفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧١٠هـ**) **في تفسير قوله تعالى**: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ ، بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذاك، والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفّى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى". [تفسير النسفي، ٥٧٧/٣]

وقال أبو السعود رحمه الله (**المتوفى: ٩٨٢ هـ**):" ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الأبرار إجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم". [تفسير أبي السعود، ٧٢/٩]

وقال أحمد بن محمود السيواسي الأياثلوغي الحنفي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾، هذا بيان أعمال صالحة لهم، استحقوا بها ذلك الثواب، أي يتمون نذورهم إذا نذروا في الطاعة دون المعصية". [عيون التفاسير، ٤/٢٧١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾البقرة: ٢٧٠ ".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ، يحتمل: نفقة المحارم. ويحتمل: النفقات التي تجري بين الخلق. ويحتمل: المفروض من الصدقات. ويحتمل غيرها. ثم روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ قال: "من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا أطاقه فليوف به ".

فيه تنبيه وتذكير أن الله تعالى يعلم صدقهم ونذرهم؛ ليحتسبوا في النفقة ويخلصوا، وفي النذر يوفوا به.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾.

قيل: يقبله.

وقيل: يأمر بوفائه.

ويحتمل قوله: ﴿ يَعْلَمُهُۥ ﴾ أي: يعلم ما وفيتم منه؛ فيجزيكم على ذلك.

ويحتمل: ﴿ يَعْلَمُهُۥ ﴾: ما أردتم بصدقاتكم ونذوركم؛ فيكون فيه ترغيب للناس في أداء الفرائض.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾، في الآخرة، يعني مجير يجيرهم من العذاب.

وقيل: ما للظالمين من شفيع يشفع لهم، ولا نصير ينصرهم؛ لأنه ما من ظالم إلا وله في الدنيا ظهير". [تفسير الماتريدي، ٢/٢٦٣]

قال النسفي رحمه الله: "﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ في سبيل الله أو في سبيل الشيطان ﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ ﴾ في طاعة الله أو في معصيته ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو ينذرون في المعاصي أو لا يفون بالنذور ﴿ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾ ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه". [تفسير النسفي، (١/ ٢٢١)]

قال المظهري رحمه الله: " ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ قليلة أو كثيرة في سر أو علانية في حق أو باطل ﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ ﴾ أي ما أوجبتم لله تعالى على أنفسكم من الطاعات بشرط أو غير شرط ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ فيجازيكم عليه، الضمير عائد إلى "ما"، ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين لا ينفقون في سبيل الله ولا يوفون بالنذور أو ينفقون رياء أو في معصية ﴿ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾ ". [تفسير المظهري، ١/٣٨٨-٣٨٩]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ قليلة أو كثيرة سرا أو علانية في حق أو باطل، فالآية بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات أو ما في حكمها إثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله تعالى ﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ ﴾ متعلق بالمال أو بالأفعال بشرط أو بغير شرط في طاعة أو معصية، والنذر عقد القلب على شيء والتزامه على وجه

مخصوص. قيل: وأصله الخوف لأن الشخص يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير أو خوف وقوع أمر خطير...

﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي الواضعين للأشياء في غير مواضعها التي يحق أن توضع فيها فيشمل المنفقين بالرياء والمّن والأذى، والمتحرين للخبيث في الإنفاق، والمنفقين في باطل والناذرين في معصية والممتنعين عن أداء ما نذروا في حق، والباخلين بالصدقة مما آتاهم الله تعالى من فضله، وخصهم أبو سليمان الدمشقي بالمنفقين بالمن والأذى والرياء والمبذرين في المعصية. ومقاتل بالمشركين ولعل التعميم أولى ﴿ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾ أي أعوان ينصرونه من بأس الله تعالى لا شفاعة ولا مدافعة...

واستدل بالآية على مشروعية النذر والوفاء به ما لم يكن معصية وإلا فلا وفاء، فقد أخرج النسائي عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "**النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله تعالى فذلك لله تعالى وفيه الوفاء وما كان من نذر في معصية الله تعالى فذلك للشيطان ولا وفاء فيه، ويكفره ما يكفر اليمين**". [روح المعاني، ٢/٤٢-٤٣]

وقال أحمد بن محمود السيواسي الأياثلوغي الحنفي (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**):

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم ﴾ أي ما تصدقتم في سبيل الله أو في سبيل الشيطان ﴿ مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ أي صدقة ﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ ﴾ كذلك ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ أي يحصيه ويحفظه فيجازيكم به، والضمير في «يعلمه» عائد إلى «ما» ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي ليس للذين يظلمون بمنع الصدقة والزكوة أو بالإنفاق في المعاصي ﴿ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠ ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى". [عيون التفاسير، ١/١٣٢]

وقال العيني الحنفي رحمه الله: "أن الذي أوقع الثناء على فاعل النذر هو ما نذر في الطاعة لأن النذر في الطاعة واجب الوفاء به عند الجمهور لمن قدر عليه". [عمدة القاري، ٣٤/٤٨]

دلت الآيتان على أن النذر والوفاء به عبادة، وصرف أي عبادة لغير الله شرك.

فهذه النذور التي يقدمها عباد القبور، تقربا بها إلى أصحاب القبور، ليقضوا لهم حوائجهم ويشفعوا لهم، هذا باطل وشرك في العبادة بلا ريب، كما بينه علماء الأحناف رحمهم الله.

قال العلامة علاء الدين الحصكفي رحمه الله تعالى في أواخر كتاب الصوم من "الدر المختار"، ما نصه:

"واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا إليهم فهو بالإجماع باطل وحرام ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الأنام وقد ابتلي الناس بذلك، ولاسيما في هذه الأعصار". [الدر المختار مع حاشيته "رد المحتار"، ٢/ ٤٣٩-٤٤٠]

قال ابن عابد الدين رحمه الله: "لو نذر زيتا لإيقاد قنديل فوق ضريح الشيخ أو في المنارة كما يفعل النساء من نذر الزيت لسيدي عبد القادر ويوقد في المنارة جهة المشرق فهو باطل، وأقبح منه النذر بقراءة المولد في المنابر ومع اشتماله على الغناء واللعب وإيهاب ثواب ذلك إلى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. (قوله: ولاسيما في هذه الأعصار) ولاسيما في مولد السيد أحمد البدوي ". [رد المحتار]

قال الشيخ قاسم الحنفي في "شرح الدرر": وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أو له حاجة ضرورية فيأتي بعض الصلحاء فيجعل سترة على رأسه فيقول يا سيدي فلان إن رد غائبي، أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه، **منها**: أنه نذر "لـ"مخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت والميت لا يملك.

ومنها: إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر...

إلى أن قال: فإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام بإجماع المسلمين...". [البحر الرائق، لابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ) ٣٢٠/٢-٣٢١]

وقال ابن عابدين رحمه الله في "رد المحتار": " (قوله: تقربا إليهم) كأن يقول يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو الشمع أو الزيت". [٤٣٩/٢]

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ﴾الأنعام: ١٢١،...﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ** ﴾الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣، أي: إن صلاتي وذبحي لله، كما فسر به، نظير قوله جل ذكره: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ الكوثر: ٢، وفي الحديث: "**لا نذر في معصية الله**"، رواه أبو داود وغيره. والنذر لغير الله إشراك مع الله، فلا أكبر من معصيته. وفي التنزيل: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾ المائدة: ٣، الآية. فالنذر لغير الله كالذبح لغيره.

وقال الفقهاء: "خمسة لغير الله شرك: الركوع، والسجود، والذبح، والنذر، واليمين...

النذر لغير الله فجور فمن أين لهم الأجور؟ [سيف الله على من كذب على أولياء الله، ص: ٦٨-٧٠]

قال الإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي الحنفي (المتوفى: ٩٨١ هـ): "لو كان اتخاذ السرج عليها مباحا لم يلعن من فعله ؛ وقد لعن ؛ لأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة ، وإفراطا في تعظيم القبور تشبيها بتعظيم الأصنام، ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن ينذر للقبور ، لا شمع ولا زيت ولا غير ذلك فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق ، ولا أن يوقف عليها شيء لأجل ذلك ، فإن هذا الوقف لا يصح ولا يحل إثباته وتنفيذه". [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ١١]

وقال الإمام ولي الله الدهلوي (المتوفى: ١١٧٦ هـ) مبينا أقسام الشرك: "منها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير، وينذرون لهم، يتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور، ويتلون أسماءهم رجاء بركتها، فأوجب الله تعالى عليهم أن يقولوا في صلاتهم: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾". [حجة الله البالغة، ١/١٨٥]

وقال الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله أيضا: "وإذا كنت – أيها القاري – تتوقف في التسليم بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم، فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لاسيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ما هي تصوراتهم عن "الولاية"، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح "لتتبعن سنن من كان قبلكم، إلخ" بلية من البلايا ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين – اسما – تخوض فيها وتعلق بها، عافانا الله سبحانه عن ذلك". [الفوز الكبير في أصول التفسير، ص: ٢٨ وما بعدها، بتعليقي]

قال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله مبينا: المعنى العام لأكل أموال الناس بالباطل، هو أخذها بغير وجه شرعي...ومن ما يأخذه سدنة قبور الأنبياء والصالحين

والمعابد التي بنيت بأسمائهم من الهدايا والنذور التي يحملها إلى تلك الأماكن أمثال من ذكرنا ممن لا يعقلون معنى التوحيد الخالص.

والنصارى يبنون الكنائس والأديار بأسماء القديسين والقديسات، فتحبس عليها الأراضي والعقارات وتقدم لها النذور والهدايا، تقربا إلى تلك الأسماء والمسميات.

وهذا وما قبله مما اتسع المسلمون فيهم سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، ويدعون تلك الأسماء مع الله تارة، ومن دونه تارة، وينذر له وحده تارة ومع الله تارة.

فهذه البدع الشركية تتبرأ منها أديان الأنبياء الموحاة إليهم من الله عز وجل والنفقة فيها كلها من الباطل، وآكلوها من رؤساء الدين وسدنة المعابد من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل". [تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، ص: ٢١١-٢١٢]

وقال رحمه الله أيضا: "وأقبح من ذلك [أي من تخصيص البقعة للعبادة] أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنور به، ويقال: إنها تقبل النذر، كما يقول بعض الضالين. فإن هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، ولا يجوز الوفاء به، بل عليه كفارة عند كثير من أهل العلم، منهم أحمد في المشهور عنه، وعنه رواية هي قول أبي حنيفة والشافعي وغيرهما: أنه يستغفر الله من هذا النذر، ولا شيء عليه.

وكذلك إذا نذر للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت للات والعزى ومنات، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من العاكفين الذين قال لهم الخليل إبراهيم إمام الحنفاء، عليه السلام: ﴿ **مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ** ﴾، كما مر موسى عليه السلام: ﴿ **وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ** ﴾.

فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاور بها، نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد التي بالهند، والمجاورين عندها. [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ٤٤٠-٤٤١، بتحقيقي]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من نذر أن يطيع الله فليطعه ؛ ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**".

قوله: "**في الصحيح**"، أي في صحيح البخاري، ١٧٧/٨، رقم الحديث: (٦٦٩٦).

قوله: "**عن عائشة رضي الله عنها**"، هي أم المؤمنين، عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرا. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم. وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق. وتوفيت في المدينة، سنة: ٥٨ هـ=٦٧٨ م". [الأعلام، ٢٤٠/٣]

قوله: "**من نذر أن يطيع الله فليطعه**"،

قال الشيخ الإمام شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي رحمه الله (المتوفى: ٤٨٣ هـ): "اعلم بأن موجب النذر الوفاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ [النحل: ٩١] والناذر معاهد لله تعالى بنذره فعليه الوفاء بذلك، وقد ذم الله تعالى قوما تركوا الوفاء بالنذر، فقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ٧٥] الآية وإنما يذم المرء بترك الواجب، ومدح قوما بالوفاء بالنذر فقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ ﴾ [الإنسان: ٧] الآية.

ثم النذر إنما يصح بما يكون قربة مقصودة، فأما ما ليس بقربة مقصودة، فإنه لا يصح التزامه بالنذر لقوله صلى الله عليه وسلم: "**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**"؛ لأن

الناذر لا يجعل ما ليس بعبادة عبادة، وإنما يجعل العبادة المشروعة نفلا واجبا بنذره، وما فيه معنى القربة ولكن ليس بعبادة مقصودة بنفسها كتشييع الجنازة وعيادة المريض، لا يصح التزامه بالنذر إلا في رواية الحسن بن أبي مالك عن أبي يوسف عن أبي حنيفة رحمهما الله قال: إن نذر أن يعود مريضا اليوم صح نذره وإن نذر أن يعود فلانا لا يلزمه شيء؛ لأن عيادة المريض قربة شرعا قال صلى الله عليه وسلم: "**عائد المريض يمشي على محارف الجنة حتى يرجع**"، وعيادة فلان بعينه لا يكون معنى القربة فيها مقصودا للناذر بل معنى مراعاة حق فلان، فلا يصح التزامه بالنذر، وفي ظاهر الرواية قال: عيادة المريض وتشييع الجنازة، وإن كان فيه معنى حق الله تعالى، فالمقصود حق المريض والميت، والناذر إنما يلتزم بنذره ما يكون مشروعا حقا لله تعالى مقصودا". [المبسوط، ١٢٨/٣-١٢٩]

قال علاء الدين السمرقندي الحنفي (**المتوفى: نحو ٥٤٠هـ**): "إذا نذر لله سبحانه وتعالى بما هو قربة وطاعة يجب عليه الوفاء به". [تحفة الفقهاء، ٣٣٩/٢]

قال الملا علي القاري رحمه الله: "فإن إطاعة الله واجبة من غير نذر، فكيف إذا أكد بالنذر". [المرقاة، ٢٢٤٦/٦]

قوله: "**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**"،

قال المظهري الشيرازي الحنفي (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): "فيه دليل على أن من نذر طاعة يلزم الوفاء به، وإن لم يكن معلقا بشيء، وأن من نذر معصية، فلا يجوز له الوفاء به، ولا تلزمه به الكفارة، إذ لو كانت كفارة لأشبه أن يبين، وهو قول الأكثرين، وبه قال مالك والشافعي.

وقال أصحاب الرأي: إذا نذر في معصية، فكفارته كفارة يمين". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٧٥/٤]

قال الملا علي القاري رحمه الله: "لا دلالة في الحديث على نفي الكفارة ولا على إثباتها، وبين الحكم بإطلاقه في حديث مسلم: "**كفارة النذر كفارة اليمين**". وبتصريحه في حديث رواه الأربعة وغيرهم: "**لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين**". [المرقاة، ٢٢٤٦/٦]

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " فيه: دليل على أن من نذر طاعة يلزمه الوفاء به، وإن لم يكن معلقا بشيء، وأن من نذر معصية فلا يجوز له الوفاء، كصوم يوم العيد ونحر ولده، ولا يلزمه الكفارة أيضا عند الشافعي". [شرح المصابيح، ٤/١٠٤]

قال الطيبي رحمه الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "فيه دليل علي أن من نذر طاعة يلزمه الوفاء به، وإن لم يكن معلقا بشيء، وأن من نذر معصية لا يجوز الوفاء به، ولا يلزمه الكفارة؛ إذ لو كانت فيه قيمة الكفارة، لأشبه أن يكون صلى الله عليه وسلم بينه، فعلى هذا لو نذر صوم يوم العيد لا يجب عليه شيء، ولو نذر نحر ولده باطل. وإليه ذهب جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول مالك والشافعي. فأما إذا نذر مطلقا فقال: علي نذر ولم يسم شيئا، فعليه كفارة اليمين؛ لما روى عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كفارة النذر إذا لم يسم كفارة اليمين). وروى عن ابن عباس أنه قال: (من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة اليمين، ومن نذر شيئا لا يطيقه فكفارته كفارة اليمين). [الكاشف عن حقائق السنن، ٨/٢٤٤٥]

وقال الطيبي رحمه الله أيضا: "وقال أصحاب أبي حنيفة: لو نذر صوم يوم العيد لزمه صوم يوم، ولو نذر نحر ولده لزمه ذبح شاة، ولو نذر ذبح والده اتفقوا على أنه لا يلزمه ذلك. ولعل الفرق أن ذبح الولد كان قبل الإسلام ينذرونه ويعدونه قربة بخلاف ذبح الوالد". [الكاشف عن حقائق السنن، ٨/٢٤٤٦، والمرقاة، ٦/٢٢٤٧]

قال أبو الحسين القدوري (المتوفى: ٤٢٨ هـ): "نذر نحر ولده، قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: إذا نذر نحر ولده، فعليه شاة. وقال أبو يوسف رحمه الله: لا يلزمه شيء. وبه قال الشافعي رحمه الله. [التجريد للقدوري، ١٢/٦٥٠٧]

دل الحديث أن النذر عبادة، وإذا كان عبادة فصرفها لغير الله شرك.

كيف يكون النذر عبادة، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه؟

قال أبو المحاسن جمال الدين الملطي الحنفي (المتوفى: ٨٠٣هـ): روي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال: "**إنه لا يؤخر شيئا ولكن يستخرج به من البخيل**" وزاد بعض وأمر بالوفاء به.

ليس النذر بمعصية فينهى عنه، وإنما المنهي اعتقادهم أنه يؤخر ما يحبون تأخيره أو يعجل ما يحبون تعجيله ولذلك أمر بالوفاء به ومدح من يوفيه في قوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا** ﴾ الإنسان: ٧، الآية أي إن لم يوفوا به". [المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ١/٢٦٠]

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٧٠ هـ):

"أن النذر بالقربة قربة فليس بمنهي عنه، فيتعين تأويل الحديث بالمعلق بما لا يريد كونه كإن دخلت دار فلان فلله علي صوم كذا ونحوه، فإنه لم يقصد به القربة، وكذا المعلق بما يريد كونه كإن شفى الله مريضي أو رد غائبي فلله علي كذا، فإنه لم يخلص من شائبة العوض، حيث جعل القربة في مقابلة الشفاء ونحوه مع ما فيه من إيهام أن الشفاء حصل بسببه، فلذا قال في الحديث: "إنه لا يرد شيئا وإنما يستخرج به من البخيل"، فإن هذا الكلام قد وقع موقع التعليل للنهي، بخلاف النذر غير المعلق على شيء أصلا، فإنه تبرع محض بالقربة لله تعالى، فلا وجه لجعله داخلا تحت النهي هذا. وقد حمل بعض شراح البخاري النهي في الحديث على من يعتقد أن النذر مؤثر في تحصيل غرضه المعلق عليه وما قلناه أقرب، والله تعالى أعلم". [البحر الرائق، ٢/٦٢]

وقال ابن عابدين الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١٢٥٢ هـ): " لفظ حديث النهي كما رواه البخاري أيضا في صحيحه عن ابن عمر «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وقال: "**إنه لا يرد شيئا وإنما يستخرج به من البخيل**"، والمتبادر منه إرادة النذر المعلق، كإن شفى الله مريضي فلله علي كذا. ووجه النهي أنه لم يخلص من شائبة العوض، حيث جعل القربة في مقابلة الشفاء ولم تسمح نفسه بها بدون المعلق عليه مع ما فيه من إيهام اعتقاد التأثير للنذر في حصول الشفاء، فلذا قال في

الحديث «**إنه لا يرد شيئا**» إلخ، فإن هذا الكلام قد وقع موقع التعليل للنهي، بخلاف النذر المنجز، فإنه تبرع محض بالقربة لله تعالى وإلزام للنفس بما عساها لا تفعله بدونه، فيكون قربة. والدليل على أن هذا النذر قربة عندنا ما صرح به في فتح القدير قبيل كتاب الحج: لو ارتد عقيب نذر الاعتكاف، ثم أسلم لم يلزمه وجوب النذر لأن نفس النذر بالقربة قربة فيبطل بالردة كسائر القرب، اهـ. والمراد به النذر المنجز لما قلنا، على أن بعض شراح البخاري حمل النهي في الحديث على من يعتقد أن النذر مؤثر في تحصيل غرضه المعلق عليه. والظاهر أنه أعم، لقوله: "**وإنما يستخرج به من البخيل**"، والله أعلم". [رد المحتار، ٢/٢١]

وقال الطيبي رحمه الله (**المتوفى: ٧٤٣ هـ**): "قوله: "**لا تنذروا**": عادة الناس تعليق النذور علي حصول المنافع ودفع المضار فنهي عنه؛ فإن ذلك فعل البخلاء؛ إذ السخي إذا أراد أن يتقرب إلي الله تعالي استعجل فيه وأتى به في الحال، والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شيء من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولا، فيلتزمه في مقابلة ما سيحصل له، ويعقله علي جلب نفع أو دفع ضرر، وذلك لا يغني عن القدر شيئا، أي نذره لا يسوق إليه خيرا لم يقدر له ولا يرد عنه شراً قضى عليه، ولكن النذر قد يوافق القدر، فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن يريد أن يخرجه.

(قال الخطابي رحمه الله) **معنى نهيه عن النذر**: إنما هو لتأكيد الأمر وتحذير التهاون به بعد إيجابه، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل، لكان في ذلك إبطال حكمه وإسقاط لزوم الوفاء به؛ إذا صار معصية. وإنما وجه الحديث أنه أعلمهم أن ذلك أمر لا يجلب لهم في العاجل نفعا، ولا يصرف عنهم ضرا، ولا يرد شيئا قضاه الله تعالى، يقول: فلا تنذروا علي أنكم تدركون شيئا لم يقدره الله لكم أو تصرفون عن أنفسكم ما جرى القضاء به عليكم. وإذا فعلتم ذلك فاخرجوا منه بالوفاء؛ فإن الذي نذرتموه لازم لكم.

أقول (القائل هو الطيبي): تحريره أنه علل النهي بقوله: "**فإن النذر لا يغني من القدر**" ونبه به علي أن النذر المنهي عنه هو النذر المقيد الذي يعتقد أنه يغني من القدر بنفسه، كما زعموا. وكم نرى في

عهدنا جماعة يعتقدون ذلك؛ لما شاهدوا من غالب الأحوال حصول المطالب بالنذر. وأما إذا نذر واعتقد أن الله تعالى هو الذي يسهل الأمور، وهو الضار النافع، والنذور كالذرائع والوسائل، فيكون الوفاء بالنذر طاعة، ولا يكون منهيا عنه، كيف وقد مدح الله تعالى الخيرة من عباده بقوله جل ثناؤه: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ الإنسان: ٧، ﴿ نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾ آل عمران: ٣٥ ". [شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، ٨/٢٤٤٤-٢٤٤٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قوله: أن النذر المقيد هو المنهي عنه غير مستقيم، لأنه يترتب عليه ما سبق من أنه يكون معصية لا يجب الوفاء به، والحال أنه ليس كذلك، فالظاهر أن يقال: إن المنهي عنه هو القيد، أعني الاعتقاد الفاسد من أن النذر يغني عن القدر.

وقال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر قد يرد القدر، ويمنع من حصول المقدر، فنهى عنه خوفا من جاهل يعتقد ذلك اهـ. وحاصله أن النهي عن النذر لم يتعلق بذاته، وإنما تعلق بما ينشأ عنه من الاعتقاد الفاسد كما سبقت الإشارة إليه". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦/٢٢٤٦]

وقال ابن الملك رحمه الله: "قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "**لا تنذروا، فإن النذر لا يغني من القدر شيئا**": وهذا يدل على أن النذر المنهي ما يقصد به تحصيل غرض، أو دفع مكروه على ظن أن النذر يرد عن القدر شيئا، وليس مطلق النذر منهيا؛ لأنه لو كان كذلك لما لزم الوفاء به، وقد أجمعوا على لزومه إذا لم يكن المنذور معصية، يدل عليه قوله: "**وإنما يستخرج به**"؛ أي: يخرج المال بواسطة النذر "**من البخيل**"؛ لأن غير البخيل يعطي باختياره بلا واسطة النذر". [شرح المصابيح، ٤/١٠٤]

وقال العيني رحمه الله: " **قيل**: النذر التزام قربة فلم يكن منهيا؟

وأجيب: بأن القربة غير منهية لكن التزامها منهي، إذ ربما لا يقدر على الوفاء.

وقيل: الصدقة ترد البلاء وهذا التزام الصدقة.

وأجيب: بأنه لا يلزم من رد الصدقة التزامها". [عمدة القاري، ١٥٤/٢٣]

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله (٣٨٨ هـ): "هذا باب غريب من العلم وهو أن ينهى عن الشيء أن يفعل، حتى إذا فعل وقع واجبا". [أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري، ٢٢٧٧/٤]

قال صاحب التوضيح لشرح الجامع الصحيح رحمه الله: "ونهيه عليه السلام عن النذر، وهو من أعمال الخير أبلغ زاجر عن توهم العبد أنه يدفع عن نفسه ضرا، أو يجلب إليه نفعا، أو يختار له ما يشاء. ومتى اعتقد ذلك فقد جعل نفسه مشاركا لله تعالى في خلقه، ومجوزا عليه ما لم يقدره، تعالى عما يقولون، ودل هذا أن اعتقاد القلب لما لا يجب اعتقاده أعظم في الإثم من أن يكفر بالصدقة، والصلاة، والصوم، والحج، وسائر أعمال الجوارح التي لا ينذرها؛ لأن نهيه عليه السلام عن هذا النذر وإن كان خيرا ظاهرا يدل على أنه حابط من الفعل، حين توهم به الخروج عما قدره الله، فإن سلم من هذا الظن، واعترف أن نذره لا يرد عنه شيئا قد قدره الله عليه، وأن القدر سبب له بما أخافه به استخراج صدقة هو شحيح بمثلها، فإنه مأجور بنذره، ولم يكن حينئذ نذره منهيا عنه، ولذلك –والله أعلم– عرف الله نبيه بهذا الحديث ليعرف أمته، بما يجب أن يعتقدوا في النذر، فلا يحبط عملهم به". [١٤٨/٣٠]

الخلاصة: أن النذر المنهي عنه، هو:

١ –النذر المقيد الذي يعتقد أنه يغني من القدر بنفسه.

٢ –نذر المعصية كالزنا وشرب الخمر ونحوه.

هل ينعقد نذر المعصية؟

وقد ذهب الحنفية والشافعية إلى عدم انعقاد هذا النذر ، وأنه لا يصح . وقيد جمهور الحنفية عدم انعقاد نذر المعصية بما كان حراما لعينه أو ليس فيه جهة قربة ، فإذا كان فيه جهة قربة: كنذر صوم يوم العيد فإن النذر به ينعقد، ويجب الوفاء بصوم يوم آخر ، ولو صامه خرج عن العهدة.

ومن الحنفية من قال بانعقاد نذر المعصية يمينا ، وأن الناذر يلزمه -والحال هذه- أن يكفر عنه كالحانث. قال الطحاوي: إذا أضاف النذر إلى المعاصي كلله علي أن أقتل فلانا كان يمينا ، ولزمه الكفارة بالحنث. [الموسوعة الفقهية، ١٤٩/٤٠]

الفرق بين نذر المعصية والنذر لغير الله:

١-نذر المعصية قصد به الله تعالى، وإن كان المنذور معصية، بخلاف النذر لغير الله فإنما قصد به غير الله من الجن والقبور ونحوها.

٢-نذر المعصية ينعقد، لكن لا يجوز الوفاء به، وعليه كفارة يمين، بخلاف النذر لغير الله، فإنه لا ينعقد أصلا، ولا تجب فيه كفارة.

٣-أن حكم نذر المعصية محرم، يأثم عليه فاعله، وأما النذر لغير الله فهو داخل في الشرك الأكبر. [موسوعة العقيدة والأديان، ٢٩٤٣/٦]

إثم من لا يفي بنذره

وقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب بدء الوحي من "صحيحه" بقوله: (باب إثم من لا يفي بالنذر)، واستدل بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران لا أدري ذكر ثنتين، أو ثلاثا بعد قرنه، ثم يجيء قوم ينذرون، ولا يفون ويخونون، ولا يؤتمنون ويشهدون، ولا يستشهدون ويظهر فيهم السمن**". [البخاري، ١٧٦/٨، رقم الحديث: (٦٦٩٥)]

قال صاحب التوضيح لشرح الجامع الصحيح رحمه الله: "قوله: "**ثم يجيء قوم ينذرون ولا يفون**" وهو يوجب الذم والنقص لمن لم يف بالنذر، وهذا من أشراط الساعة، وقرن الشارع من لم يف بالنذر

بخيانة الأمانة في قوله: "**ينذرون ولا يفون ويخونون ولا يؤتمنون**" وذلك أن من لم يف لله تعالى بما عاهده، فقد خان أمانته في نقضه ما جعل (لربه) على نفسه، فأشبه ذلك من خان غيره فيما ائتمنه عليه، والأول أعظم خيانة وأشد إثما، وأثنى الله تعالى على أهل الوفاء به فقال: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [الإنسان: ٧] الآية، فدل هذا أن الوفاء بالنذر مما يدفع به شر ذلك اليوم".[٣٧٦/٣٠]

كفارة النذر

من نذر نذرا ولم يستطع القيام به أو نذر معصية الله فما الواجب عليه؟

عن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : "**النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله وفيه الوفاء وما كان من نذر في معصية الله فذلك للشيطان ولا وفاء فيه ويكفره ما يكفر اليمين**". قال الشيخ الألباني : صحيح. [سنن النسائي، بأحكام الألباني، (٧ / ٢٨) رقم الحديث: ٣٨٤٥]

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**من نذر نذرا لم يسمه، فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا في معصية، فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين، ومن نذر نذرا أطاقه فليف به**". [سنن أبي داود، ٢٤١/٣، رقم الحديث: (٣٣٢٢)]

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**كفارة النذر، كفارة اليمين**". [صحيح مسلم، (٥ / ٨٠) رقم الحديث: (٤٣٤٢)]

الباب الثاني عشر

من الشرك الاستعاذة بغير الله

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦.

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من نزل منـْزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك**". رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من الشرك الاستعاذة بغير الله"، الاستعاذة من العوذ.

معنى الاستعاذة لغة وشرعا:

قال الزبيدي رحمه الله تعالى: "العوذ: الالتجاء، كالعياذ بالكسر والمعاذ والمعاذة والتعوذ والاستعاذة عاذ به يعوذ لاذ به ولجأ إليه واعتصم. وعذت بفلان واستعذت به، أي لجأت إليه". [تاج العروس، ٥/٣٨٠]

قال أبو الحسين القزويني الرازي (**المتوفى: ٣٩٥** هـ): " (عوذ) العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه". [معجم المقاييس اللغة، ٤/١٨٣]

قال الملا علي القاري رحمه الله: "الاستعاذة من العوذ وهو الالتجاء واللوذ. [المرقاة، ٨/٢١٢]

قال الطيبي رحمه الله تعالى: "الاستعاذة: طلب المعاونة من الله الكريم على دفع الشيطان الرجيم". [الكاشف عن حقائق السنن، ٢/٥٢٧]

وقال أبو العز الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٧٩٢** هـ): "وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٣١]

وقال محمد سلطان المعصومي الحنفي رحمه الله: "والاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذة تكون لطلب جلب الخير". [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ص: ٥٣، بتحقيقي]

حكم الاستعاذة:

الاستعاذة بالله تعالى من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى، ومن استعاذ بغيره، فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى.

وقال محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: "أن التعوذ والاستعاذة إنما يكون بالله وبصفاته وبكلماته التامات لا غيرها، وأما بغيره تعالى وبغير صفاته وكلماته فشرك وضلالة وكفر وجهالة". [أوضح البرهان، ص: ٨٣]

قال الرازي ومحمد سلطان المعصومي الحنفي رحمهما الله، والقول للأول: "والغرض من الاستعاذة الاحتراز من شر الوسوسة ومعلوم أن الوسوسة كأنها حروف خفية في قلب الإنسان ولا يطلع عليها أحد فكان العبد يقول يا الله أنت القادر على دفع هذه الوسوسة عني فادفعها عني بفضلك". [أوضح البرهان، ص: ٥٤]

وقال محمد سلطان المعصومي رحمه الله أيضا: "فاعلم أن الاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى، ومن لطائف الاستعاذة أنه إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل، وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات. واعتراف من العبد أيضا بأن الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الفاجر الغوى، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى". [المصدر السابق، ص: ٧٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ الجن: ٦".

قوله: "**من الجن**"، قال ابن فارس رحمه الله: "جن" الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر.

قال الأزهري رحمه الله: "الجن: جماعة ولد الجان ، وجمعهم: الجنة ، والجان ، وإنما سموا جنا لأنهم استجنوا من الناس، فلا يرون، والجان هو أبو الجن خلق من نار ثم خلق منه نسله. [تهذيب اللغة، ١٠/٢٦٥-٢٦٦]

وقال ابن المنظور رحمه الله تعالى: "وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه". [لسان العرب، ١٣/٩٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "والجن أجسام خفية يغلب عليهم النارية". [تفسير الملا علي القاري، ٥/٢٢٥]

والجن أحياء، عقلاء، فاعلون باختيارهم، مكلفون بأحكام الشريعة، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الجن خلقوا من النار:

قال الله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾** ﴾ [الرحمن: ١٥]، وقال: ﴿ **وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾** ﴾ [الحجر: ٢٧].

عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**". [صحيح مسلم، (٨ / ٢٢٦)،رقم الحديث: ٧٦٨٧] المارج : لهب النار المختلط بسواها.

يجب الإيمان بوجودهم وإنكار وجودهم تكذيب للنصوص.

قوله: "**رهقا**"، تكبرا وطغيانا في الجن، وذعرا وخوفا في الإنس.

قال المظهري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ الجن: ٦"، فزادوهم اى زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس إثما وقال المجاهد طغيانا وقال مقاتل غيا وقال الحسن شرا وقال إبراهيم عظمة وذلك أن الجن كانوا يقولون سدنا الجن والإنس أو المعنى فزاد الجن الإنس غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق غشيان

الشيء والمراد هاهنا غشيان المحارم والإثم وفى هذه الجملة أيضا اعتراف بسوء عقيدتهم فيما قيل. [تفسير المظهري، ٨٦/١٠]

قال أحمد بن محمود السيواسي الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**):

"قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ من كلام الله تعالى لا من كلام الجن، قرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على تقدير أوحي، نزل توبيخا للإنس بأنهم صاروا سببا لزيادة ضلالة الجن، وذلك حين كان الرجل من العرب إذا سافر فنزل بواد مخوف خال عن المونس استعاذ بسيد ذلك المكان، وهو كبير الجن بقوله أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه فيكون في أمانهم تلك الليلة، فإذا سمعوا ذلك استكبروا، وقالوا سيدنا الجن والإنس فزادوا باستعاذتهم لهم طغيانا وسفها، وبذلك افتخروا، فأخبر تعالى أنه كان رجال من الإنس ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ ﴾ أي زاد الإنس الجن ﴿ رَهَقًا ﴾ أي طغيانا وإثما بأن عاذوا بهم". [عيون التفاسير، ٢٥٤/٤]

قال الملا علي القاري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ، فإن الرجل إذا مشى بقفر، قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦"، فزاد الإنس الجنَّ باستعاذتهم لهم كبرا وعتوا، أو فزاد الجن الإنس عيا وذلا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم". [تفسير الملا علي القاري، ٢٢٦/٥]

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦. قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح، ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ يعني الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقا، أي إثما وطغيانا وجراءة وشرا،

وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن، والإنس ! فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفرا إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة". [شرح العقيدة الطحاوية، ١/٥٢٠]

والاستعاذة بالله من أعظم أنواع العبادة وصرفها لغير الله شرك.

قال المؤلف رحمه الله: " وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من نزل منْزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**". رواه مسلم".

قوله: "**خولة بنت حكيم**"، هي خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم. أخبرنا هشام بن محمد ، عن أبيه، قال : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فأرجأها ، وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها عثمان بن مظعون فمات عنها". [طبقات ابن سعد، ١٠/١٥٢]

قوله: "**أعوذ بكلمات الله التامات**"، أي: الكاملات التي لا يدخلها نقص ولا عيب، وقيل: النافعة الشافية، وقيل: القرآن.

قوله: "**من شر ما خلق**"، فيه إيماء إلى أن المخلوق من حيث هو مخلوق لا يخلو من شر، ويمكن أن يجيء منه الشر.

قوله: "**لم يضره شيء**"، أي: من المخلوقات حيث تعوذ بالخالق.

قوله: "**حتى يرحل من منزله ذلك**"، أي ينتقل، وفيه رد على ما كان يفعله أهل الجاهلية من كونهم إذا نزلوا منزلا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي ويعنون به كبير الجن، ومنه قوله تعالى في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] وفيه إيماء إلى حقيقة التفريد وحقيقة التوحيد فإن غيره تعالى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملك موتا ولا حياتا ولا نشورا...[أنظر مرقاة المفاتيح، ٤/١٦٧٢]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): "أعوذ بكلمات الله التامات"؛ أي: بأسمائه وصفاته؛ لأن كل واحد من أسمائه وصفاته تام لا نقص فيه؛ لأنها قديمة، والنقصان إنما يكون في المحدثات لا في القديم". [المفاتيح شرح المصابيح، ٣/٢٢٢]

وقال نعمان بن محمود الآلوسي (**المتوفى: ١٣١٧ هـ**): " لا يستعاذ بالمخلوق، بل إنما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته، ولهذا احتج السلف كأحمد وغيره على أن كلام الله تعالى غير مخلوق فيما احتجوا به يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامات"، قالوا: فقد استعاذ بها ولا يستعاذ بمخلوق". [جلاء العينين،ص: ٥٤٥]

والاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر، وأما الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، جائز.

الباب الثالث عشر

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾يونس: ١٠٦ – ١٠٧، الآية.

وقوله: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ العنكبوت: ١٧، الآية.

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأحقاف: ٥، الآيتين.

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ النمل: ٦٢.

وروى الطبراني بإسناده، أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله: "باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره"،

معنى الاستغاثة لغة وشرعا:

قال الزبيدي رحمه الله: "الاستغاثة: طلب الغوث ، وهو التخليص من الشدة والنقمة ، والعون على الفكاك من الشدائد ، ولم يتعد في القرآن إلا بنفسه ، كقوله تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]"...، ويقول المضطر الواقع في بلية أغثني ، أي فرج عني. [تاج العروس، ٣١٤/٥]

والاستغاثة شرعا : لا تخرج في المعنى عن التعريف اللغوي ، حيث تكون للعون ، وتفريج الكروب . [الموسوعة الفقهية، ٢٢/٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ يونس: ١٠٦ – ١٠٧، الآية.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: لا تعبد غير الله ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ يعني: ما لا ينفعك إن عبدته، ولا يضرك إن عصيته، وتركت عبادته، ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾ ذلك، يعني: فإن عبدت غير الله ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني: الضارين أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾ يعني: إن يصبك الله بشدة أو بلاء ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾، يعني: لا دافع لذلك الضر إلا هو. يعني: لا تقدر الأصنام على دفع الضر عنك ﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ ﴾ يعني: إن يصبك بسعة في الرزق وصحة في الجسم، ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾يعني: لا مانع لعطائه. ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ ﴾ يعني: بالفضل ﴿ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾، من كان أهلا لذلك. ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ﴾ لذنوب المؤمنين، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم". [بحر العلوم، ٢/١٣٥]

وقال أبو البركات النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إن دعوته ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾إن خذلته ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾ فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ «إذا» جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان ، وجعل ﴿ مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لأنه لا ظلم أعظم من الشرك .

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ ﴾ يصبك ﴿ بِضُرّٖ ﴾ مرض ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ لذلك الضر ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ إلا الله ﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ ﴾ عافية ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ فلا راد لمراده ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ ﴾

بالخير ﴿ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ﴾ المكفر بالبلاء ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ المعافي بالعطاء، أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد ، فكيف بالجماد الذي لا شعور به؟ وكذا إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان؟ وهو الحقيق إذا بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ﴿ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ ﴾[الزمر : ٣٨] وإنما ذكر المس في أحدهما والإرادة في الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين : الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير ، وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله: ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾. [تفسير النسفي، (٢ / ١٠)]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدۡعُ ﴾ أي لا تعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي من غيره ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إن عبدته ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن لم تعبده وعصيته ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾ أي فان عبدت غيره ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١٠٦] أي الضارين أنفسهم، أي الشرك ظلم عظيم، قيل: الظالم من طلب النفع ممن لا يملكه لنفسه واستدفع الضرر ممن لا يملك الدفع عن نفسه.

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ ﴾ يونس: [١٠٧].

ثم قال ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ ﴾ أي إن يصبك ﴿ بِضُرّٖ ﴾ أي ببلاء قليل كالمرض والفقر ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا مزيل لما يصيبه من الضر غيره ولا يقدر الأصنام على كشفه ﴿

﴿ وَإِن يُرِدْكَ ﴾ الله ﴿ بِخَيْرٍ ﴾ كالصحة والسعة في الرزق ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ أي لا مانع لعطائه الذي يريده لك ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ ﴾ أي بفضله وخيره أو بكل واحد من النفع والضر ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ إذا استحق له ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ يونس: [١٠٧] بمغفرة ذنوب المؤمنين وبقبول حسناتهم منهم". [عيون التفاسير، ١٨٩/٢]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل إلى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لإدراج الكل تحت الأمر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجمل فيه إظهارا لكمال العناية بالأمر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب.

﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إذا تركته بسلب المحبوب دفعا أو رفعا أو بإيقاع المكروه وتقديم النفع على الضرر غني عن بيان السبب.

﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى به عنه تنويها لشأنه صلى الله عليه وسلم وتنبيها على رفعة مكانه من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية.

﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه.

﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ عنك كائنا من كان وما كان ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ وحده فيثبت عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فإن رفع المكروه أدنى مراتب النفع فإذا انتفى، انتفى بالكلية.

﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ تحقيق لسلب الضرر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير، ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ الذي من جملته ما أرادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولا أوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل ﴿ يُصِيبُ بِهِۦ ﴾ إظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبيء عنه ترك الاستثناء فيه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ فإن ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قائلا ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تذليل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها". [تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/١٧٩- ١٨٠)]

دلت الآية على أن كشف الضر وجلب النفع من خصائص الله عز وجل فيكون طلبها من غير الله شركا به.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به".[المحيط البرهاني، ٥/٣١٢]

وفي التتارخانية معزيا للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. [الدر المختار، ٦/٣٩٦]

قال صاحب رد المحتار: "قوله: إلا به، أي بذاته وصفاته وأسمائه". [المصدر السابق]

وقال المرغيناني رحمه الله (المتوفى: ٥٩٣ هـ): "ويكره أن يقول الرجل في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك، ويكره أن يقول الرجل في دعائه بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك". [بداية المبتدي، ص: ٢٢٤]

وقال العيني الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " (ويكره أن يقول في دعائه: بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق) ش: وكذا الحق والمشعر الحرام هذا مما توهم أن على الله حقا للمخلوقين، وإن كانت عادة الناس جرت بذلك". [البناية شرح الهداية، ١٢/٢٤٨-٢٤٩]

وقال عثمان بن علي الزيلعي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "(وبحق فلان) أي يكره أن يقول في دعائه بحق فلان، وكذا بحق أنبيائك، وأوليائك أو بحق رسلك أو بحق البيت أو المشعر الحرام؛ لأنه لا حق للخلق على الله تعالى، وإنما يخص برحمته من يشاء من غير وجوب عليه، ولو قال رجل لغيره بحق الله أو بالله أن تفعل كذا لا يجب عليه أن يأتي بذلك شرعا، وإن كان الأولى أن يأتي به". [تبيين الحقائق، ٦/٣١]

وقال نعمان الآلوسي رحمه الله (١٣١٧ هـ): "وفي جميع متونهم: أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء، وبحق البيت والمشعر الحرام - مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد، وعللوا ذلك بقولهم: لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

وأما حديث الخارج إلى الصلاة: "أسالك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي، وبحق نبيك والأنبياء من قبله فغني لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وان تدخلني الجنة"، فرواه العوفى، وفي رواية وهن.

وعلى فرض صحتها، فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه، وذلك من أفعاله عز وجل، لأن حق السائلين الإجابة، وحق المطيعين الإثابة، وحق الأنبياء التقريب والتفضيل بما يخص أولئك العصابة، - صلى الله عليه وسلم - وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الروم: ٤٧.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله تعالى أن لا يعذبهم"، أو السؤال بالأعمال لأن الممشى إلى الطاعة امتثالا لأمره عمل طاعة، وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥، ومن نظر إلى الأدعية الواردة في الكتاب والسنة وعن الصحابة والأئمة لم يجدها خارجة عما ذكرنا". [جلاء العينين، ص: ٥١٦-٥١٧]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى أيضا: "قال القدورى: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

وقال البلدجى في شرح المختار: وبكره أن يدعو الله تعالى إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق: وهذا من أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى وغيرهما، ويقتضى المنع أن يسأل الله تعالى بغيره ولا يقال: إن الرب سبحانه اقسم بمخلوقاته فلم لا يجوز أن نقسم بمخلوقاته، لأن قسمة سبحانه من باب مدحه وذكر آياته، بخلافنا ولو أقسمنا بغيره لأن الشارع منع من ذلك...

والطلب منه [أي من الرسول صلى الله عليه وسلم] في حياته والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع فيها أحد، ولكن لا يمكن أحدا أن يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته أن يستغيثوا بميت لا نبي ولا غيره، لا في جلب منفعة ولا دفع مضرة، لا بهذا اللفظ ولا معناه، بل لم يشرع لهم أن يدعوا ميتا ولا يسألوه، ولا يدعوا إليه ولا أن يستجيروا به ولا يقول أحد لميت: أنا في حسبك، وأنا في جوارك، ولا أن يخطو إلى قبر الميت خطوات، لا أن يتوجه إلى قبر ويسأله، ولا شرع لأحد أن يقول للميت: سل الله تعالى لي، ولا أدع الله تعالى لي، ولا شرع لهم أن يشكوا إلى ميت فيقول أحدهم مشتكيا إليه: على دين، أو آذاني فلان، ونحو ذلك، سواء كان عند القبر أو بعيدا عنه، وسواء كان الميت نبيا أو غيره.

ولا شرع لأمته إذا كان لأحدهم حاجة أن يقصد قبر نبي أو صالح فيدعو لنفسه ظانا أن الدعاء عند قبره يجاب. بل ولا شرع لأمته صلى الله عليه وسلم أن يقسموا على مخلوق، ولا شرع لأمته أن يتوسلوا إلى الله تعالى بذات ميت أصلا، بل بذات حي، إلا أن بكون التوسل بما أمر الله تعالى عز

وجل به من الإيمان به وطاعته، أو بدعاء المتوسل به وشفاعته. فإذا كان النبي عليه السلام والصالح له عند الله تعالى الجاه العظيم والقدر – لم ينتفع المتوسل به إلا بأحد أمرين: إما أن يتوسل بما أمر الله تعالى به من الإيمان به ومحبته وطاعته ونحو ذلك، فهذه هي والوسيلة التي أمر الله تعالى بها في قوله عز من قائل: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥.

فالوسيلة تجمعها طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني: أن يدعو له الرسول. فهذه أيضا وسيلة إلى الله تعالى، فإن دعاءه وشفاعته عند الله تعالى من أعظم الوسائل...

أن يقال للميت أو للغائب من الأنبياء عليهم السلام والصالحين: أدع الله تعالى لي أو نحوه، فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة وأئمتها ". [جلاء العينين، ص: ٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٦]

وقال الآلوسي رحمه الله أيضا: "فقد قال الوالد عليه الرحمة في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة ٣٥] ما نصه:

واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين، وجعلهم وسيلة بين الله تعالى، وبين العباد، والقسم على الله بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا

ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين: فلان أدع الله تعالى ليرزقني كذا، ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة.

ويروون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأهل القبور، أو فاستغيثوا بأهل القبور)) . وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل.

وتحقيق الكلام في هذا المقام: أن الاستغاثة بمخلوق، وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه، ولا شك في جوازه إن كان المطلوب منه حيا، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب، بل قد يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه لما استأذنه في العمرة: ((لا تنسنا يا أخي من دعائك)) وأمره أيضا أن يطلب من اويس القرني رحمه الله تعالى عليه أن يستغفر له. وأمر أمته – صلى الله عليه وسلم – بطلب الوسيلة له، وبأن يصلوا عليه.

وأما إذا كان المطلوب منه ميتا، أو غائبا فلا يستريب عالم أنه غير جائز، وانه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف". [جلاء العينين، ص: ٥٦٤-٥٦٥]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في أهمية دعاء الله والاستغاثة به وحده لا شريك له: "والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر، وصار من أهل الحين" .

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٩٢هـ**):"

[قوله]: (والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات).

ش: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ غافر: ٦٠ ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾البقرة: ١٨٦. والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم - أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدا أو قائما. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلما كان أو كافرا، وإعطاؤه سؤله - من جنس رزقه لهم، ونصره لهم. وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقا، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك. وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يسأل الله يغضب عليه". وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله... وبني آدم حين يسأل يغضب

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى. [شرح الطحاوية، ط. الأوقاف السعودية، (١ / ٤٦٦ -٤٦٧]

وقال العلامة الشيخ محمد بن محمد بن محمود البابرتي رحمه الله (المتوفى: ٧٨٦ هـ):

" [قوله]: (**والله تعالى يستجيب الدعوات**)، لأنه تعالى أمر بالدعاء ووعد الاستجابة، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾غافر: ٦٠، وقال تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾البقرة: ١٨٦.

[قوله]: (**ويقضي الحاجات**)، لأنه موصوف بكمال الرحمة، قادر على كل شيء، ولا يلحقه مشقة في قضائها، وفيه نفع للمحتاجين، فالظاهر أنه يقضيها وهو قاضي الحاجات ومجيب الدعوات.

وإنما قال ذلك دفعا لما قاله بعض المعتزلة: إن الدعاء ليس له تأثير.

[قوله]: (**ويملك كل شيء**)، قال الله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾الحديد: ٢.

[قوله]: (**ولا يملكه شيء**)، لأن المالك لا يصير مملوكا.

[قوله]: (**ولا غنى عنه طرفة عين**)، لأن كل شيء سواه ممكن، والممكن في وجوده وبقائه محتاج إلى الواجب، فلا يكون غنيا، فالافتقار والحاجة إليه لازمة لكل شيء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾فاطر: ١٥. فهو قيوم لكل شيء، إذ قيام الأشياء بإقامته، فلو لا عنايته بالأشياء لتلاشت واضمحلت جميعها.

[قوله]: (**ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر**)، لأن الافتقار صفة لازمة للعبد، والغنى صفة للرب، فإذا ظن العبد أنه مستغن عن الرب صار جاهلا بربه وبنفسه، مشاركا له في صفة الغنى، فيكون كافرا، (**وصار من أهل الحين**) أي: أهل الهلاك، فإن الكافر مخلد في العذاب الشديد وأي هلاك أشد من هذا!؟". [شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي، ص: ١٢٤-١٢٥]

وقال الشيخ صنع الله الحنفي رحمه الله، في كتابه سيف الله على من كذب على أولياء الله:

"هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تنكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وقررهم على ذلك من ادعى العلم بمسائل، وأمدهم بفتاوى ورسائل، وأثبتوا للأولياء-بزعمهم- الإخبار عن الغيب بطريق الكشف لهم بلا ريب أو بطريق الإلهام أو منام!

وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

وهذا-كما ترى-كلام فيه تفريط وإفراط، وغلو في الدين بترك الاحتياط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة.

فكل بناء على غير أصولهم تلبيس وفي غير منهاجهم مخايل إبليس.

وفي التنزيل :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥ . فإن كان مثل هذا الوعيد للحذر عن الميل عن الطريق السديد، فلا جرم أن الحق فيما لهم من الأحكام وفي طريقهم الاعتصام، بل وبه يتميز أهل الإسلام من أهل الانتقام.

ثم قال : فأما قولهم : إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى :﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾النمل: ٦٠ ، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾الأعراف: ٥٤ ، ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لقمان: ٢٦، ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾الزمر: ٤٤ . ونحوها من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شئ لغيره في شئ ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفا وملكا وإماتة وخلقا وتمدح الرب تبارك وتعالى بانفراده بملكه في آيات من كتابه كقوله : ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ ...، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن

قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤ ، وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قوله : فقوله: ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ في الآيات كلها: أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من شيطان وولى تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره ؟!

إلى أن قال: إن هذا من السفاحة لقول وخيم وشرك عظيم، فإن لم ينته القائلون عم مثله مواقعه، وإلا التحقوا بالذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الزمر: ٣٠ ، ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ النمل: ٨٠ ، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾ الزمر: ٤٢ ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ آل عمران: ١٨٥، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر: ٣٨ ، ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الطور: ٢١ ، وفي الحديث : [إذا مات ابن آدم انقطع عمله] الحديث، فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة محفوظة عن زيادة ونقصان.

قال جل ذكره: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ المطففين: ١٨ — ٢١.

والكفار كتابهم في سجين، فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة، وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر. فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ؟

فالرب سبحانه وتعالى يخبر أنه يمسك الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون، يقولون : إن الأرواح مطلقة متصرفة! ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ١٤٠ ...

وأما اعتمادهم بأن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة، لأن الكرامة شئ من عند الله يكرم به أولياءه وأنبياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدى ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني...

وأما قولهم: ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تنكشف المهمات، فهذا أقبح مما قبله وأبدع وأفظع في الأسماع وأشنع لمصادمته قوله جل ذكره : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾النمل: ٦٢ ، ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنعام: ٦٣ - ٦٤ ، وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب وأنه المنفرد لإجابة دعاء المضطرين لا غيره، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي...

والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه كقولهم : يا لزيد! يا للمسلمين! بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل.

وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يذكر فيها غيره...

وأما كونهم معتقدين التأثير منهم وأن لهم التصرف في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية والجهال وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات، لأن الأحياء إذا انتفى عنهم التصرف-كما مر آنفا-فكيف يثبت للأموات!؟ ". [سيف الله على من كذب على أولياء الله، ص: ١٥-١٦ وما بعدها، وفتح المجيد، ص: ١٦٢]

قال محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله: "قال العلامة السيد أحمد الطحطاوي في "حاشية الدر المختار": من ظن أن الميت يعلم الغيب أو يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقد ذلك، فقد كفر.

واعلم أن بيان الأحكام الشرعية مما يجب على العلماء وليس في ذلك تنقيص الولي، كما يظنه بعض من لا خلاق له، بل هذا مما يرضي الولي، ولو كان حيا وسئل عن ذلك لأجاب بالحق، وأغضبه نسبة التأثير إليه..."، الخ.

وقال العلامة-مفتي الثقلين-خير الدين الرملي الحنفي في "**فتاويه**"، بعد نقل ما مر عن العلامة قاسم الحنفي: "وإنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور، كفر. قال في "البحر": والحاصل: أن من تكلم بكلمة الكفر عامدا، كفر عند الكل، كما في فتاوى قاضيخان، انتهى".

قال خاتمة المحققين المولوي عبد الحي اللكهنوي في "فتاويه": "في نظم البيان": قال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان بن سليمان الجياني الحنفي-ناقلا عن "الفتاوى البزازية" وغيرها من كتب الفتاوى-: من قال: "إن أرواح المشائخ حاضرة تعلم، يكفر". [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ص: ٩٢-٩٣]

قال المعصومي رحمه الله أيضا: "من جملة عادات المجوس: الاعتماد على أرواح الأموات، ولا شك أن طلب الاستعانة من أرواح الأموات كفر وشرك ولكن نحن من غلبة الجهل لا نعلم ذلك!

إن الاستمداد من المزارات وأصحاب الضرائح والقبب، أو النذر إليها، عبث وشرك وممنوع في الدين الإسلامي، ولكن نحن ما نعرف ذلك!

ولا يخفاك أن الاستمداد من الأشجار والأحجار أو الجن-كما يفعل العامة من الجهلة- خيالات وحماقة!

والعجب أننا من غلبة الحماقة ما نعرف ذلك! [المصدر السابق، ص: ١٠٤-١٠٥]

قال المؤلف رحمه تعالى: وقوله: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ ﴾ العنكبوت: ١٧، الآية.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهي الأصنام ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ يعني: لا يقدرون أن يعطوكم مالا ، ولا يقدرون أن يرزقوكم ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾ يعني: الله عز وجل ،

هو الذي يملك رزقكم ، فاطلبوا الرزق من الله عز وجل : ﴿ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ أي : وحدوه واشكروا له في النعم ، فإن مصيركم إليه ﴿ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ بعد الممات ". [بحر العلوم، ٣٣٩/٣]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾ كله فإنه هو الرازق وحده لا يرزق غيره ﴿ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه". [تفسير النسفي، ٦٦/٣]

وقال الأياثلوغي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي ما تعبدون من دونه إلا ﴿ أَوۡثَٰنٗا ﴾ أي أصناما ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا ﴾أي تختلقون كذبا وهو تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي الأصنام ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ أي لا يقدرون أن يعطوكم رزقا قليلا ﴿ فَٱبۡتَغُواْ ﴾ أي اطلبوا ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي من الله ﴿ ٱلرِّزۡقَ ﴾ أي جميع الرزق، لأنه هو الرزاق وحده ﴿ وَٱعۡبُدُوهُ ﴾ أي وحدوه ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ فيما ينعم عليكم من الرزق ﴿ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ ﴾ العنكبوت: [١٧] أي إلى الله مصيركم بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم". [عيون التفاسير، ٢٥٤/٣]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ بيان لشرية ما يعبدونه من حيث إنه لا يكاد يجديهم نفعا ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئا من الرزق ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾ كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿ وَٱعۡبُدُوهُ ﴾ وحده ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم

بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد، ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالموت ثم بالبعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به ". [تفسير أبي السعود، ٥/٢٥٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأحقاف: ٥، الآيتين.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني : من أشد كفرا ممن يعبد من دون الله آلهة ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ يعني لا يجيبه وإن دعاه إلى يوم القيامة ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يعني : عن عبادتهم. ثم بين إجابتهم وحالهم يوم القيامة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني : إلى البعث ﴿ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾ يعني: صارت الآلهة أعداء لمن عبدهم ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ يعني: جاحدين، ويتبرؤون منهم". [بحر العلوم، ٤/١٣٧]

وقال الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ أي من أشد كفرا ﴿ مِمَّن يَدْعُواْ ﴾ أي ينادي لحاجته ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غير الله من الأصنام ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ أي لا يجيبه وإن دعاه ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ ﴾ أي الأصنام ﴿ عَن دُعَآئِهِمْ ﴾ أي عن إجابة دعاء عابديهم ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: [٥] لأنهم جماد لا يعقلون. ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٦]

ثم بين حالهم وإجابتهم يوم القيامة فقال: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ ﴾ أي الأصنام ﴿ لَهُمْ ﴾ أي لعابديها ﴿ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الأحقاف: [٦] أي جاحدين متبرئين منها". [عيون التفاسير، ٤/١٠٨]

قال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾ إنكار ونفي لأن يكون أحد يساوي المشركين في الضلال . وإن كان سبك التركيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال ، حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ غاية لنفي الاستجابة ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ ﴾ الضمير الأول لمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ لكونهم جمادات ، وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء ، ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤] الآية .

﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ ﴾ عند قيام القيامة ﴿ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ أي مكذبين بلسان الحال أو المقال ، على ما يروى أنه تعالى يحيي الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم . وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن الإنس وغيرهم ، ويبنى إرجاع الضمائر وإسناد العداوة والكفر إليهم على التغليب ، ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم ، وقيل : ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣]. [تفسير أبي السعود، ١٣٣/٦]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى: "أي هو أضل من كل ضال حيث ترك دعاء المجيب القادر المستجمع لجميع صفات الكمال كما يشعر بذلك الاسم الجليل ودعا من ليس شأنه الاستجابة له وإسعافه بمطلوبه إلى يوم القيامة أي ما دامت الدنيا". [تفسير الآلوسي، ١٦٤/١٣]

دلت الآية على أنه لا أحد أجهل وأضل ممن دعا غير الله لذا يكون الدعاء عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ النمل: ٦٢.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ يعني: أمن يستجيب في البلاء للمضطر ﴿ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ ، يعني: ومن يكشف الضر ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ، يعني: سكان الأرض بعد هلاك أهلها ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، قرأ أبو عمرو وابن عامر في إحدى الروايتين يذكرون بالياء على معنى الخبر عنهم، وقرأ الباقون تذكرون بالتاء على معنى المخاطبة.

وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الذال وقرأ الباقون: بالتشديد. وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية قالون: أإله مع الله بالهمز والمد، وقرأ الباقون: بغير مد بهمزتين". [بحر العلوم، ٥٨٩/٢]

وقال النسفي رحمه الله (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ . يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر ، والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله ، أو المذنب إذا استغفر ، أو المظلوم إذا دعا ، أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الضر أو الجور ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾. [تفسير النسفي، ١٨/٣]

وقال أحمد بن محمود السيواسي الأياثلوغي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ أي يستجيب في البلاء دعاءه ﴿ إِذَا دَعَاهُ ﴾ أي تضرع بالدعاء إليه والمضطر هو الذي أحوجه مرض أو فقر أو حادثة إلى التضرع إلى الله والالتجاء به، قال صلى الله عليه وسلم: «يرفع دعاء المؤمن فوق الحجاب ويقول الرب تعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»، وهو ليس على العموم، بل الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ أي الضر

﴿ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي السكان فيها بعد هلاك من قبلكم ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾. [عيون التفاسير، ٣/٢٦٢]

وقال أبو السعود رحمه الله (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ وهو الذي أحوجته شدة من الشدائد وألجأته إلى اللجأ والضراعة إلى الله عز وجل ، اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدي رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة ، وقيل : المذنب إذا استغفر . واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر. ﴿ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ وهو الذي يعتري الإنسان مما يسوؤه ﴿ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، أي خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط . ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون ، وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى ". [تفسير أبي السعود، ٥/٢٠١]

دلت الآية على أنه لا يستجيب للمضطر إلا الله سبحانه وتعالى، فيكون دعاء المضطر وهو الاستغاثة عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك.

قال الإمام سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "من سجد لغير الله تعالى...أو أشرك بعبادته شيئا من خلقه، أنه يكفر بالإجماع، سواء فعل عمدا أو هزلا، ويقتل إن أصر على ذلك، وإن تاب، تاب الله عليه وسلم من القتل". [تبيين المحارم، ص: ٤١، بتصرف]

قال نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ):

"...إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل: يا سيدى فلان أغثني، وذلك ليس من التوسل المباح في شئ.

واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وألا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركا، وإن لا يكنه فهو قريب منه. ولا أرى أحدا ممن يقول بذلك إلا وهو يعتقد أن الحي الغائب، أو الميت

المغيب يعلم الغيب، أو يسمع النداء، ويقدر بالذات، أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى، وإلا لما دعاه، ولا فتح فاه، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم، فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوى الغني، الفعال لما يريد.

ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه من انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاءوا إليه فقال: ((إنه لا يستغاث بي، إنه يستغاث بالله تعالى)) ،

لم يشك في أن الاستغاثة بأصحاب القبور الذين هم بين سعيد شغله نعيمه، وتقلبه في الجنان عن الالتفات إلى ما في هذا العالم، وبين شقي ألهاه عذابه، وحبسه في النيران عن إجابة مناديه، والإصاخة إلى أهل ناديه – أمر يجب اجتنابه ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه.

ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته، وتنجح طلبته – فإن ذلك ابتلاء وفتنة منه عز وجل.

وقد يتمثل الشيطان للمستغيث في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به هيهات! هيهات! إنما هو شيطان أضله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان في الأصنام، ليضل عبدتها الطغام.

وبعض الجهلة يقول: إن ذلك من تطور روح المستغاث به، أو من ظهور ملك بصورته كرامة له. ولقد ساء ما يحكمون، لأن التطور والظهور، وإن كانا ممكنين، لكن لا في مثل هذه الصورة، وعند ارتكاب هذه الجريرة، نسال الله تعالى بأسمائه أن يعصمنا من ذلك، نتوسل بلطفه أن يسلك بنا وبكم حسن المسالك. انتهى.

وهو توسط عند ذوى العقول مقبول، موافق للمنقول والمعقول، ولا أظنك تجده في كتاب فهو اللباب لذوى الألباب.

وقال الوالد عليه الرحمة أيضا في باب الإشارة من تفسيره ما نصه: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ الآية [الحج ٧١] فيه إشارة إلى ذم

المتصوفة الذين إذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والمبسور، وهم في زماننا كثيرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ الآية [الحج ٧٣] إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله تعالى، حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى، وينذرون لهم النذور. والعقلاء منهم يقولون: إنهم وسائلنا إلى الله تعالى، وإنما تنذر لله عز وجل، وتجعل ثوابه للولي.

ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام، القائلين: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. ودعواهم الثانية لا بأس بها ولو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم، أو رد غائبهم، أو نحو ذلك.

والظاهر من حالهم الطلب ويرشدك إلى ذلك أنه لو قيل: أنذروا لله تعالى، واجعلوا ثوابه لوالديكم، فإنهم أحوج من أولئك الأولياء لم يفعلوا.

[الاستغاثة بالمشايخ والموتى]

وقال أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [يونس: ٢٢] الآية، ما بعضه: فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير، وخطب جسيم، في بر أو بحر، ودعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس، ومنهم من ينادى أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة! ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال، أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال، فبالله تعالى عليك، قل لي: أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلاً! وأي الداعيين أقوم قيلاً!؟ وإلى الله سبحانه المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وغرقت سفينة الشريعة، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة، وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف، وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف. انتهى. [جلاء العينين، ص: ٥٧٣-٥٧٥]

قال محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (المتوفى: ١٣٢٦هـ): "

الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي طلب الغوث وهو إزالة الشدة، كالاستنصار وهو طلب النصر، ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف، ومنه: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥ . وكما قال: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ الأنفال: ٧٢ . وكما قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ المائدة: ٢ .

"وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ١٣٥. وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ القصص: ٥٦. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فاطر: ٣. وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال صلى الله عليه وسلم: "**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**". فمراده صلى الله عليه وسلم أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا أو نحو ذلك".[صيانة الإنسان، ص: ١٥٣]

وقال علي محفوظ رحمه الله (١٣٦١ هـ): "الاستغاثة بالمخلوق، وكذا الاستعانة به إن كان ذلك فيما يقدر عليه نحو الحيلولة بينه وبين عدوه ودفع الصائل عنه من لص أو سبع، كأن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته ونحو ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس، فلا ريب في جوازهما إذا كان ذلك مع اعتقاد أن لا مغيث ولا معين على الإطلاق إلا الله تعالى، وإذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه.

أما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب والهداية وشفاء المريض وإنزال المطر والرزق كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ١٣٥ ، وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾القصص: ٥٦ .

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار: طلب النصرة فلا يكون إلا عند الشدائد بخلاف الاستعانة، فإنها طلب المعونة في شدة أو غيرها، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥، وقوله: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ الأنفال: ٧٢، وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾المائدة: ٢، وبما ذكر علمت أن الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لا تجوز، فإنها دعاء والدعاء عبادة، بل مخ العبادة وغير الله تعالى لا يعبد". [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٢١٠-٢١١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وروى الطبراني بإسناده، أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**".

قال أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ): "إنما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وإلا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به". [غاية الأماني، ٢/٣٤٦]

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به في حياته في ما يقدر عليه، وذلك إرشادا لهم إلى حسن الأدب مع الله عز وجل وسدا للذريعة وحماية لجانب التوحيد.

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله ؟!

الباب الرابع عشر

باب قول الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية

باب قول الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٣ – ١٤.

وفي الصحيح عن أنس، قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨ .

وفيه: "عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ " الآية.

وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ ".

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ . فقال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا.

يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا.

يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئا.

ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى:٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١] يذكر سفههم أنهم يشركون في عبادته و ألوهيته من يعلمون أنه لم يخلقهم، وإنما خلقهم الله سبحانه وتعالى وهم مخلوقون؛ فصرف العبادة إلى غير الذي خلقهم سفه وجور.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٢] يسفههم -أيضا- أن في الشاهد لا يخضع أحد لأحد ولا يشكر له إلا مجازاة لما سبق منه إليه من النعمة، أو لما يأمل في العاقبة من المنفعة، وأنتم تعبدون هذه الأصنام ولم يسبق منها إليكم شيء، ولا لكم رجاء يقع في العاقبة؛ فكيف تعبدونهم؟!

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ لا يدفعون عنهم الضر ﴿ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ أي: ولا من قصد قصدهم بالكسر والإتلاف يملكون دفعه عن أنفسهم، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٥/١١٥]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ يعني الأصنام ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أجريت الأصنام مجرى أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة ، والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لأن الله خالقهم ، أو الضمير في ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ للعابدين أي أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم ، أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولي العلم تغليبا للعابدين ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ ﴾ لعبدتهم ﴿ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم". [تفسير النسفي، ١/٤٠٦]

وقال احمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١] ثم قال تعالى بهمزة الإنكار توبيخا لمشركي مكة ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ وهو آلهتهم ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي يصنعون بأيديهم وجمعوا بالواو والنون على زعمهم أنهم آلهة أو إبليس معهم.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٢]

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي لا يقدر آلهتهم ﴿ لَهُمْ ﴾ أي لعبدتهم ﴿ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي أنفس الآلهة ﴿ يَنصُرُونَ ﴾ من كسر وغيره من النوازل بهم، بل عبدتهم يدفعون عنهم، فالمعبود أضعف من العابد وأذل". [عيون التفاسير، ٩٩/٢]

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ضعف المعبودين وعجزهم، وأنهم لا يستطيعون نصر عابديهم ولا نصر أنفسهم، والضعيف لا يكون إلها ولا يستحق العبادة.

وبالمناسبة أذكر قصة إسلام عمرو بن جموح رضي الله عنه، عن ابن إسحاق قال: " كان معاذ بن عمرو بن الجموح قد شهد العقبة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وكان عمرو سيدا من سادات بني سلمة، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له: مناة فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو وغيرهما كانوا يدخلون بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا في هذه الليلة، ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من يصنع هذا بك لأحرقه، فإذا أمسى وقام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، وفعل مرات، فلما ألحوا عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك، فلما أمسوا ونام عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا، فعلقوه، وقرنوه بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو فلم يجده، فخرج يتبعه حتى وجده في البئر منكسا مقرونا بكلب

ميت، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم عمرو بن الجموح، فحسن إسلامه، فقال عمرو حين أسلم، وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك:

[البحر الرجز]

تالله لو كنت إلها لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لمصرعك إلها مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن ... الواهب الرزاق وديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدي النبي المؤتمن". [دلائل النبوة للبيهقي، (٢/ ٤٥٦-٤٥٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ فاطر: ١٣ – ١٤".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ يسفه أحلامهم في عبادة من عبدوا دونه على علم منهم أنهم لا يملكون ما ذكر، وصرفهم العبادة عن الله على علم منهم: أن ذلك كله من الله، وهو المالك لذلك.

ثم يخبر عن عجز من عبدوه حيث ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ على حقيقة الدعاء ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ حقيقة، ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾، أي: لو سمعوا دعاءكم ما يملكون إجابتكم في دفع ضر وسوء ولا في جر نفع.

أو أن يكون قوله: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي: تعبدوهم ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ أي: لا يجيبوكم إلى ما تقصدون بعبادتكم إياهم.

أو أن يقول: ما قبلوا ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ينكرون يوم القيامة أن يكونوا شركاءهم أو أمروهم بذلك؛ كقوله: (سيكفرون بعبادتهم. . .) الآية، وقوله: (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم)، ونحوه، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ، أي: لا ينبئك أحد مثل الذي أنبأك الخبير في الصدق والحق.

أو أن يكون قوله: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أي: لا يكون نبأ أحد مثل نبأ الخبير، فاعمل به وأقبل عليه، ولا تقبل على نبأ غيره، والله أعلم.

وفي قوله: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ وجهان من اللطف: أحدهما: يتلف حتى يذهب أثره ويأتي بالآخر.

أو يزيد في هذا وينقص من الآخر، ويدخل من ساعات هذا في ساعات الآخر.

وفيه نقض قول الثنوية في قولهم: إن منشئ الخير غير منشئ الشر، ويقولون: إن النور من منشئ الخير والظلمة من منشئ الشر، فلو كان ما ذكروا لكان إذا ذهب النور وجاءت الظلمة كانت الظلمة هي الغالبة والنور هو المغلوب في يدها؛ وكذلك النور إذا جاء وذهبت الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة في يد النور، والنور هو الغالب عليها، فإذا صار مغلوبا مقهورا في يد صاحبه يجيء ألا يقدر على استنقاذ نفسه من يده أبدا، على ما يكون من عادة الأعداء إذا غلب بعضهم بعضا وقهر بعضهم بعضا أن يهلك ولا يتخلص منه، فإذ لم يكن، ولكن جاء كل منهما في وقته بعد ذهاب أثره على التقدير الذي ذكرنا؛ دل أنه فعل واحد وتدبير واحد لا تدبير عدد، وبالله الحول والقوة.

والقتبي يقول: القطمير: هو الفوفة التي يكون فيها النواة.

وأبو عوسجة يقول: هو القشرة الرقيقة التي تكون بين لحم التمرة وبين نواتها، واحده وجمعه سواء".

[" تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٧٨-٤٧٩)]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يعني : من دون الله الأوثان وما يعبدونهم من دون الله ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ يعني: لا يقدرون أن يعطوكم ولا ينفعوكم بمقدار القطمير . والقطمير قشر النواة الأبيض الذي يكون بين النوى والتمر . وقال مجاهد : القطمير لفاف النوى .

ثم قال : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ يعني : ولو كانوا بحال يسمعون أيضا فلا يجيبونكم ، ولا يكشفون عنكم شيئا ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ يعني : يتبرؤون من عبادتكم . ويقولون : ما كنتم إيانا تعبدون .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ يعني: لا يخبرك من عمل الآخرة مثل الرب تبارك وتعالى . ويقال: لا يخبرك أحد مثل الرب بأن هذا الذي ذكر عن الأصنام أنهم يتبرؤون عن عبادتهم ". [بحر العلوم، ٣/٤٥٠]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي الأصنام ﴿ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد ﴿ وَلَوْ سَمِعُواْ ﴾ على سبيل الفرض ﴿ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية ويتبرءون منها ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور كما ينبك الله الخبير بخبايا الأمور ، وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به ، والمعنى أن

هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به ". [تفسير النسفي، ١٦٤/٣]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ من الأصنام آلهة ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ أي من دون الله ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي لا يقدرون على أن ينفعوكم مقدار القطمير وهو القشر الرقيق الملتف على النواة.

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي الأوثان ﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ فرضا ﴿ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لعجزهم فيما تدعون لهم من الألوهية أو ما نفعوكم ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ إياهم مع الله وعبادتكم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ ﴾ أي لا يخبرك يا محمد بحال الأوثان وعبادة المشركين إياها وعاقبتها أو بأمر الدنيا والآخرة مخبر ﴿ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ أي عالم بذلك على الحقيقة لا كسائر المخبرين به وهو الله تعالى". [عيون التفاسير، ٣٢٧/٣-٣٢٨]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ للدلالة على تفرده تعالى بالألوهية والربوبية . وقرىء يدعون بالياء التحتانية . والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة،

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ

﴾ لعجزهم عن الأفعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرئون منكم ومما تدعون لهم فإن ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي يجحدون بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين . والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الإلهية ". [تفسير أبي السعود، ٣٩١/٥-٣٩٢]

وقال أبو الفداء الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي يجحدون بإشراككم لهم وبعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، وإنما جيء بضمير العقلاء لان عبدتهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة، ولأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والسمع، ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأصنام فغلب غير الأصنام عليها كما في بحر العلوم". [روح البيان، ٣٣٣/٧]

وقال شهاب الدين الآلوسي رحمه الله: "فالمراد بالاستجابة: الاستجابة بالقول، ويجوز أن يراد بها الاستجابة بالفعل أي ولو سمعوا ما نفعوكم لعجزهم عن الأفعال بالمرة هذا إذا كان المدعون الأصنام وأما إذا كانوا الملائكة عليهم السلام أو نحوهم من المقربين فعدم الاستجابة القولية لأن دعاءهم من حيث زعم أنهم آلهة وهم بمعزل عن الآلهية فكيف يجيبون زاعم ذلك فيهم وفيه من التهمة ما فيه وعدم الاستجابة الفعلية يحتمل أن يكون لهذا أيضا ويحتمل أن يكون لأن نفع من دعاهم ليس من وظائفهم وقيل لأنهم يرون ذلك نقصا في العبودية والخضوع لله عز وجل.

ويجوز أن يكون هذا تعليلا للأول أيضا فتأمل ويوم القيامة يكفرون بشرككم فضلا عن أن يستجيبوا لكم إذا دعوتموهم، وشرك مصدر مضاف إلى الفاعل، أي ويوم القيامة يجحدون إشراككم إياهم.

وعبادتكم إياهم وذلك بأن يقدر الله تعالى الأصنام على الكلام فيقولون لهم ما كنتم إيانا تعبدون أو يظهر من حالها ظهور نار القرى ليلا على علم ما يدل على ذلك ولسان الحال أفصح من لسان المقال، ومن هذا القبيل قول ذي الرمة : وقفت على ربع لمية ناطق يخاطبني آثاره وأخاطبه وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه. وإن كان المدعوون الملائكة ونحوهم فأمر التكلم ظاهر، وقد حكى الله تعالى قول الملائكة للمشركين في السورة السابقة بقوله سبحانه ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ: ٤٠ - ٤١ . ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٤، أي لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبيرا خبرك به يعني به تعالى نفسه كما روى عن قتادة وغيره فإنه سبحانه الخبير بكنه الأمور وهو خطاب للنبي ويجوز أن يكون غير مختص أي لا يخبرك أيها السامع كائنا من كنت مخبر هو مثل الخبير العالم الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء والمراد تحقيق ما أخبر سبحانه به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الآلهية". [روح المعاني، ١٨٢/٢٢-١٨٣]

قد استدل علماء الحنفية في عدم سماع الأموات بعدة آيات، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام: ٣٦.

قال النسفي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:

"ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ مبتدأ أي الكفار ﴿

﴿ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا". ["تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٥٠١-٥٠٢)]

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ ﴾ النمل: ٨٠.

قال النسفي رحمه الله تعالى: "لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلى الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله إذا ولوا مدبرين لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته". [تفسير نسفي، ٢/٦٢١]

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢ ﴾ الروم: ٥٢ .

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ فشبه الكفار بالموتى. فكما لا يسمع الموتى النداء، فكذلك لا يجيب، ولا يسمع الكفار الدعاء، إذا دعوا إلى الإيمان ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين يعني: أن الأصم إذا كان مقبلا لا يسمع، فكيف إذا ولى مدبرا؟ فكذلك الكافر لا يسمع إذا كان يتصامم عند القراءة". [بحر العلوم، ٣/١٨]

وقال النسفي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: " ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك ﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ ولا يسمع الصم مكي ﴿ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾ فإن قلت الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة". [تفسير النسفي، ٢/٧٠٦]

وقال صنع الله الحنفي رحمه الله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ الروم: ٥٢، ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ فاطر: ٢٢، فهل على قول الله استدراك!؟ فإن الله تعالى أخبر بأن أهل القبور لا تسمع، ولو فرض السماع فإنه لا ينفع. وفي التنزيل: ، فإنه تعالى شبه من لا يصغي إلى الحق مع سماعه كالميت في قبره بجامع عدم الانتفاع. [سيف الله على من كذب على أولياء الله، ص: ٤٢]

قال العلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله: "لقد ذكر علماء الحنفية أربعة فروق بين الميت وبين الأصم، لتحقيق أن الميت أبعد عن السماع من الأصم:

الفرق الأول: قيد تولي الإدبار في الصم دون الموتى؛ فإن الأصم إذا كان مقبلا يفهم بالإشارة والرمز، بخلاف الميت- كما سبق آنفا في كلام النسفي.

الفرق الثاني: أن الأصم قد يسمع في بعض الأحوال، فيمكن سماعه بخلاف الميت.

الفرق الثالث: أن الأصم قد يسمع الصوت الهائل، كصوت الرعد القوي، بخلاف الميت.

الفرق الرابع: أن الله تعالى لم يذكر المفعول الثاني حينما قال: ﴿ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ ، لكنه ذكر المفعول الثاني حينما قال: ﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ .

فأطلق الإسماع في الموتى وقيده في الصم، لتحقيق: أن الموتى لا يسمعون شيئا من المسموعات على العموم.

قال الآلوسي: (وإطلاق الإسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات) ". [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٨٤٨/٢-٨٤٩]

ومنها قوله تعالى: "﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ فاطر: ٢٢ .

قال أبو الفداء الحنفي رحمه الله: "القبور جمع قبر وهو مقر الميت وقبرته جعلته في القبر. وهذا الكلام ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عليه السلام من إيمانهم وترشيح

الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه شبه الله تعالى من طبع على قلبه بالموتى في عدم القدرة على الإجابة فكما لا يسمع أصحاب القبور ولا يجيبون كذلك الكفار لا يسمعون ولا يقبلون الحق". [روح البيان، ٧/٣٣٩]

وقال ابن الهمام (**المتوفى: ٨٦١ هـ**): "إنه تعالى شبه الكفار بالموتى لإفادة تعذر سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى". [فتح القدير، ٢/١٠٦، ط. دار الكتب العلمية]

ومنها قوله تعالى: "﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٩".

قال غلام الله الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن في تفسير هذه الآية:

(إن هذا النبي عزيرا عليه السلام قد أماته الله تعالى ليشاهد كيفية إحياء الموتى ثم مّر عليه مائة عام وهو ملقى على ظهر الأرض غير مقبور، فلما أحياه الله وسأله: كم لبثت؟ – أجاب بالظن والتخمين فقال: لبثت يوما، أو بعض يوم، ولم يعلم أنه مّر عليه مائة عام؛ فعلم من هذا: أن هذا النبي الجليل القدر عليه السلام– لم يشعر باختلاف الليل والنهار، ولم يعلم انقلابات الزمان طول هذه المدة فلو كان يعرف هذه الأمور ويشعر بها– لبين: أنه لبث مائة عام، ولم يقل: لبثت يوما أو بعض يوم، وقد علم من هذا الحادث الجلل: أن الموتى لا يسمعون،

لأن هذا النبي– عزيرا عليه السلام– لم يشعر بجميع تلك الانقلابات التي حدثت طول هذه المدة، ولم يعرف في مدة مائة عام الليل من النهار، كما أنه لم يسمع طول هذه المدة الطويلة أي صوت من الأصوات التي تحدث، مع أنه لم يكن مقبورا في بطن الأرض.

بل كان ملقى على ظهر الأرض ... ، كما علم من هذه الواقعة المهمة: أن أرواح الأنبياء عليهم السلام لا توجد في أبدانهم المباركة بعد موتهم، وأن موتهم موت حقيقي، وأن حياتهم في القبور حياة برزخية، لا دنيوية ناسوتية) . [جواهر القرآن، ١٢٧/١، نقلا من جهود علماء الحنفية]

مسألة عدم سماع الأموات من مسائل ذات خلاف عند أهل السنة والجماعة.

قال صاحب "الإمتاع في بيان حد سماع الأموات كلام الأحياء" في خاتمة رسالته:

"أن الأصل نفي سماع الأموات لكلام الأحياء مطلقا باستثناء ما ورد الشرع به من سماع موتى القليب أو قرع النعال.

۞ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع صلاة وسلام المصلي والمسلم عليه، وإنما يبلغ ذلك عن طريق الملائكة السياحين.

۞ أنه لم يقل أحد من أهل السنة بسماع الأموات سماعا مطلقا فيما أعلم.

۞ أن العقل والقياس لا دخل لهما في إثبات أو نفي الأمور الغيبية، وأن أمر إثباتها أو نفيها متوقف على السمع.

۞ أن مسألة سماع الأموات لكلام الأحياء وقع فيها الخلاف قديما وحديثا.

۞ أن الإنكار في هذه المسألة وإن كانت فرعية ونحوها من مسائل الخلاف جائز مع التزام الأدب في ذلك. [الإمتاع، ص: ٨٠-٨١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن أنس، قال: "شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ آل عمران: ١٢٨ ".

قوله: "**وفي الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله معلقا، في باب "ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون"، ١٢٧/٥، ومسلم رحمه الله في صحيحه، في باب غزوة أحد، ١٧٩/٥، رقم الحديث: (٤٧٤٦).

قوله: "**عن أنس**"، هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة،أو أبو حمزة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. [الأعلام، ٢/٢٤-٢٥]

قوله: "**شُج النبي صلى الله عليه وسلم**"، وفي رواية مسلم: "**وشج في رأسه**"، وهو الجرح في الرأس والوجه.

قوله: "**يوم أحد**"، أي في غزوة أحد، وأحد جبل معروف بالمدينة المنورة.

قوله: "**وكسرت رباعيته**"، هي السن التي بين الثنية والناب، والجمع: رباعيات.

قوله: "**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟** "، أي: يظفر ويفوز. وقال الطيبي رحمه الله: "وعدم الفلاح هو سوء الخاتمة، والموت على الكفر". [الكاشف عن حقائق السنن، ٤/١٢٣٠]

قوله: "فنزلت: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾ آل عمران: ١٢٨ "، قال العيني الحنفي رحمه الله: "أي: ليس إليك من إصلاحهم ولا من عذابهم شيء، وقيل: ليس إليك من النصر والهزيمة شيء واللام بمعنى: إلى قوله: (أو يتوب عليهم) أي: حتى يتوب عليهم مما هم فيه من الكفر (أو يعذبهم) في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال: (فإنهم ظالمون) أي: يستحقون ذلك". [عمدة القاري، ١٧/١٥٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفيه: "عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾ " الآية".

قوله: "**وفيه**"، أي في صحيح البخاري رحمه الله.

قوله: "**عن ابن عمر رضي الله عنهما**"، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئا جهيرا. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. ولما قتل

عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وغزا إفريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ وكف بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة.

له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. وفي الإصابة: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر، وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير". [الأعلام، ١٠٨/٤]

قوله: "**اللهم العن فلانا**"، اللعن هو الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى. قال الطيبي رحمه الله: "فيه دليل علي جواز القنوت في غير الوتر، وعلي أن الدعاء لقوم بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يقطع الصلاة، وأن الدعاء علي الكفار والظلمة لا يفسدها". [الكاشف عن حقائق السنن، ١٢٣٠/٤]

قوله : " ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ "، قال الملا علي القاري رحمه الله: " أي: شيء من أمر هداية الخلق بمعنى توفيقهم، ومن إهلاك الأعداء وإماتتهم على الكفر إنما أمرهم إلى الله وحده، فإما أن يتوب عليهم بتوفيقهم للإسلام، أو يعذبهم بإماتتهم على الكفر وتسليطك عليهم". [المرقاة، ٩٥٩/٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ) في قوله تعالى: "﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. (أو) ههنا بمعنى (إلى أن) في قول، يعني: أرسلناك لتبلغ رسالتي، وليس لك من الهداية واللعن شيء، بل اترك اللعن واصبر لما يصيبك إلى أن يتوب الله عليهم أو يعذبهم، وليكن رضاك موافقا لأمر الله تعالى وتقديره، لا تقل ولا تفعل شيئا باختيارك".

وقال أبو الفداء الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "والمعنى إن الله مالك أمرهم على الإطلاق فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن اسلموا أو يعذبهم تعذيبا شديدا أخرويا إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم فإنهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم". [روح البيان، ٩١/٢]

وقال أبو الفداء الحنفي رحمه الله أيضا: "وقوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وغير ذلك لتمييز مقام الالوهية عن مقام النبوة كيلا يشتبها على الأمة فيضلوا عن سبيل الله كما ضل بعض الأمم

السالفة، فقال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم المسيح ابن الله وذلك من كمال رحمته لهذه الأمة وحسن توفيقه". [المصدر السابق، ٣٣٩/٧]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾: إنما أنت عبد مأمور؛ فليس لك من الأمر؛ إنما ذلك إلى الواحد القهار، الذي لا شريك له ولا ند؛ كقوله: ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾آل عمران: ١٥٤ ". [تفسير الماتريدي، ٤٧٣/٢]

قد دلت الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك النفع والضر والتوفيق، فكيف بمن دونه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ ".

قوله: "في رواية"، أي في رواية البخاري، في رقم (٤٠٧٠).

قال العيني رحمه الله تعالى: "وهؤلاء الثلاثة المذكورون فيه قد أسلموا أما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي فإنه هرب يوم الفتح ثم رجع إلى رسول الله فشهد معه حنينا والطائف وهو كافر ثم أسلم بعد ذلك ومات بمكة سنة اثنتين وأربعين في أول خلافة معاوية وأما سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري فإنه كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية وأسر يوم بدر كافرا ثم أسلم وحسن إسلامه وكان كثير الصلاة والصوم والصدقة وخرج إلى الشام مجاهدا ومات هناك وأما الحرث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي فإنه شهد بدرا كافرا مع أخيه شقيقه أبي جهل وفر حينئذ وقتل أخوه ثم غزا أحدا مع المشركين أيضا ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ثم خرج إلى الشام مجاهدا ولم يزل في الجهاد حتى مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة". [عمدة القاري، ٣٨٠/٢٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ . فقال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا.

يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا.

يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئا.

ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا".

قوله: "**وفيه**"، أي في صحيح البخاري.

قوله: "**عن أبي هريرة رضي الله عنه**"، هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بـ"أبي هريرة": صحابي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. وكان يفتي، وقد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءا سمي (فتاوى أبي هريرة) وتوفي سنة ٥٩ هـ". [الأعلام، ٣/٣٠٨]

قوله: "﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ "،

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: "ومعنى التخصيص في إنذاره عشيرته في هذه الآية يحتمل وجهين - وإن كانوا داخلين في جملة إنذار الناس جميعا في قوله: (للعالمين نذيرا) إذ هم من العالمين -: أحدهما: جائز أن يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيامة، وإن لم يطيعوه ولم يجيبوه إلى ما يدعوهم إليه؛ على ما روي عنه أنه قال: "**كل نسب وسبب منقطع يومئذ إلا نسبي وسببي**"، فيشبه أن يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ - وإن خالفوه بحق القرابة والوصلة - ما لا يطمع ذلك غيرهم من الناس إلا بالطاعة والإجابة، فأمره أن ينذرهم؛ لئلا يكلوا إلى شفاعته، ولكن احتالوا حيلتهم بالطاعة والعمل لما يأمر، وهو ما ذكر في الأخبار التي ذكرنا: " إني لا أملك لكم من الله نفعا ولا ضرا، ألا إن أوليائي منكم المتقون "، أخبر أن لا ولاية إذا لم يتقوا مخالفته". [تفسير الماتريدي، ٨/٨٩]

وقال النسفي رحمه الله تعالى: "خصهم لنفي التهمة إذ الإنسان يساهل قرابته، أو ليعلموا أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وأن النجاة في اتباعه دون قربة ". [تفسير النسفي، ٢/٤٩١]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى: "فيه إشارة إلى أن النسب إذا لم ينضم إليه الإيمان لا ينفع شيئا ، ولما كان حجاب القرابة كثيفا أمر صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته الأقربين". [روح المعاني، ١٥٠/١٠]

قوله: "**اشتروا أنفسكم**"، أي: خلصوا أنفسكم من النار بترك الكفر.

وقال ابن الملك رحمه الله: "أي: خلصوها من النار بترك الكفر وبالطاعة لما جئت به والانقياد له". [شرح المصابيح، ٤٧٥/٥]

قوله: "**لا أغني عنكم من الله شيئا**"، قال المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "يعني: لا أقدر أن أدفع عنكم شيئا من عذاب الله، إن أراد أن يعذبكم، فإني أشفع لمن أذن الله تعالى أن أشفع له، فأما من أراد الله أن يعذبه، لم يأذن لي في أن أشفع له". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٤٠/٥]

وقال ابن الملك رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " أي: لا أقدر أن أدفع عنكم شيئا من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، فإنما أشفع لمن أذن الله لي فيه، وإنما قال في حقهم هكذا؛ لترغيبهم على الإيمان والعمل؛ لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا". [شرح المصابيح، ٤٧٥/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله: "عم في تبريء إنقاذه إياهم من النار بغير الإيمان والعمل الصالح بقوله: "فإني لا أملك لكم" أي: لجميعكم عامكم وخاصكم "من الله" أي: من عذابه "شيئا" أي: من الملك والقدرة والدفع والمنفعة، والمعنى أني لا أقدر أن أدفع عنكم من عذاب الله شيئا إن أراد الله أن يعذبكم، وهو مقتبس من قوله سبحانه: ﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا** ﴾ [الفتح: ١١] بل قال الله تعالى:﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ** ﴾[الأعراف: ١٨٨] وهذا التوحيد على وفق التفريد، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان قد ينفع المؤمنين بالشفاعة حيث يشفع ويشفع، لكن أطلقه ترهيبا لهم على الاتكال عليه وترغيبا لهم على الاجتهاد في أمر زاد المعاد". [المرقاة، ٣٣٧١/٨]

دل الحديث على أن دفع الضر وجلب النفع من خصائص الله سبحانه وتعالى، وطلبه من غير الله تعالى شرك.

الباب الخامس عشر

باب قول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٣

باب قول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٣

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾، فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء".

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفا من الله (؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله).

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ سبأ: ٢٣".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ

وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣ .

ثم قال عز وجل: قل ادعوا الذين زعمتم يعني: قل لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم من دون الله أنهم آلهة فيكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من الجوع. يعني: الأصنام. ويقال: الملائكة- عليهم السلام- لا يملكون مثقال ذرة يعني: نملة صغيرة في السماوات ولا في الأرض يعني: إذا كان حالهم هذا، فمن أين جعلوا لهم الشركة في العبادة.

ثم قال: وما لهم فيهما من شرك يعني: في خلق السموات والأرض من عون.

ويقال: ما لهم فيها من نصيب وما له منهم من ظهير يعني: معين من الملائكة الذين يعبدونهم.

ثم ذكر أن الملائكة لا يملكون شيئا من الشفاعة فقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ ﴾، يعني: لا تنفع لأحد لا نبيا ولا ملكا ﴿ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ أن يشفع لأحد من أهل التوحيد. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر في إحدى الروايتين، إلا لمن أذن له بالنصب. يعني: حتى يأذن الله عز وجل له. قرأ الباقون. بالضم على فعل ما لم يسم فاعله. ومعناه: مثل الأول.

ثم أخبر عن خوف الملائكة أنهم إذا سمعوا الوحي خروا سجدا من مخافة الله عز وجل، وكيف يعبدون من هذه حاله وكذلك قوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم وذلك أن أهل السموات لم يكونوا سمعوا صوت الوحي بين عيسى ومحمد- عليهما السلام-، فسمعوا صوتا كوقع الحديد على الصفا فخروا سجدا مخافة القيامة وذلك صوت الوحي. ويقال: صوت نزول جبريل- عليه السلام- فخروا سجدا مخافة القيامة فهبط جبريل- عليه السلام- على أهل كل سماء فذلك قوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم. وذكر عن بعض أهل اللغة أنه قال: إذا كانت حتى موصولة بإذا تكون بمعنى لما، تقع موقع الابتداء كقوله عز وجل: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ ﴾ [الحجر: ١٤]

كقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ [سبأ: ٢٣] يعني: لما فزع عن قلوبهم. ومعناه: انجلاء الفزع عن قلوبهم، فقاموا عن السجود، وسأل بعضهم بعضا قالوا ماذا قال ربكم يعني: ماذا قال جبريل- عليه السلام- عن ربكم قالوا الحق يعني: الوحي.

قال: حدثنا الفقيه أبو الليث رحمه الله. قال: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الدبيلي. قال: حدثنا أبو عبد الله. قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، وسمع لذلك صوت كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق الذي قال: فسيحي الشياطين بعضهم فوق بعض. فإذا سمع الأعلى منهم الكلمة، رمى بها إلى الذي تحته وربما أدركه الشهاب قبل أن ينبذها وربما نبذها قبل أن تدركه، فينبذها، بعضهم إلى بعض حتى تنتهي إلى الأرض، فتلقى على لسان الكاهن والساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق فيقول، أليس قد أخبر بكذا وكذا، وكان حقا وهي الكلمة التي سمع من السماء» . قرأ ابن عامر حتى إذا فزع بنصب الفاء والزاي يعني: كشف الله الفزع. وقرأ الباقون: بضم الفاء على معنى ما لم يسم فاعله. وقرأ الحسن حتى إذا فزع بالواو والغين يعني: فرغ الفزع عن قلوبهم. وقراءة العامة بالزاي أي خفف عنها الفزع. وقال مجاهد: معناه حتى إذا كشف عنها الغطاء يوم القيامة. ثم قال: وهو العلي الكبير يعني: هو أعلى وأعظم وأجل من أن يوصف له شريك. [تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٨٨/٣- ٨٩)]

وقال الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله (المتوفى: ١٢٤٦ هـ):

"قد جرت العادة أن من يقضي حاجة من يستصرخه، ويغيثه، إما يكون صاحب الأمر، وإما شريكا له سلطان عليه، أو دالة عنده، فملوك الأرض ينزلون عند رغبة أمرائهم، ويحققون طلبهم، فإنهم أعوانهم، ودعائم ملكهم، فإذا سخطوا أو حقدوا عليهم تزلزل ملكهم، واضطرب أمرهم، وإما أن يشفع

إلى الملك أحد المقربين إليه، والذين لهم حظوة عنده، فيحقق رغبتهم طوعا وكرها، وقد يفعل ذلك من غير رضى وطواعية نفس، شأن بنت الملك المدللة، أو إحدى زوجاته الحظيات، فلا يستطيع الملك أن يرفض شفاعتها فيقبلها.

أما أولئك الذين يستغيث بهم هؤلاء الجهال، ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم، فلا يملكون حبة من شعير، ولا شيئا من نقير أو قطمير في السماوات والأرض، وما لهم فيهما من شرك، وليسوا من دعائم ملك الله، ولا عضده الأيمن، تعالى عن ذلك علوا كبيرا، حتى يقبل شفاعتهم اضطرارا واستسلاما، إنهم لا يملكون أن يشفعوا إلا بإذنه، ولا يستطيعون أن يحققوا رغبات المستشفعين بقوة أو قهر، بل بالعكس من ذلك قد بلغ بهم العجز والفقر إلى أنه إذا توجه إليهم أمر من الله أخذتهم المهابة وفقدوا رشدهم، ويمنعهم الأدب والفزع عن مراجعة الله، واستيضاح ما خوطبوا به وأمروا، بل أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الحقيقة، فإذا تبين لهم الأمر، ما زادوا على أن يقولوا: آمنا وصدقنا، فضلا عن معارضة الملك القاهر، وعن الدفاع عن أحد، أو الإدلاء بدليل أو برهان". [رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان (ص: ١١٦-١١٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾، فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء".

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه، في باب قوله "إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين"، ٦/١٠٠، رقم: (٤٧٠١)، وباب "حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير"، ٦/١٥٢، رقم: (٤٨٠٠).

قوله: "**إذا قضى الله**" ، أي: إذا حكم الله عز وجل، بأمر من الأمور والقضاء فصل الأمر سواء كان بقول أو فعل، وهذا بمعنى التقدير، ويجيء بمعنى الخلق كما في قوله عليه السلام: لما قضى الله، أي: لما خلقه.

قوله: "**ضربت الملائكة**"، أي: ملائكة السماء بأجنحتها.

قوله: "**خضعانا**" ، بضم الخاء مصدر من خضع نحو غفر غفرانا، ويقال: خضع يخضع خضوعا وخضعانا وهو الانقياد والطاعة، ويروى بكسر الخاء كالوحدان، ويجوز أن يكون جمع خاضع، وقال الكرماني: أي خاضعين، وقال شيخ شيخنا الطيبي، إذا كان خضعانا جمعا كان حالا، وإذا كان مصدرا، يجوز أن يكون مفعولا مطلقا لما في ضرب الأجنحة من معنى الخضوع أو مفعولا له، وذلك لأن الطائر إذ استشعر خوفا أرخى جناحيه مرتعدا.

قوله: "**لقوله**"، أي: لقول الله، عز وجل.

قوله: "**كالسلسلة على الصفوان**"، تشبيه القول المسموع بالسلسلة على الصفوان كما شبه في بدء الوحي بقوله: كصلصلة الجرس، وهو صوت الملك بالوحي، والصفوان: الحجر الأملس، وقال الخطابي: الصلصلة صوت الحديد إذا تحرك وتداخل وكأن الرواية وقعت له هنا بالصاد، أو أراد أن التشبيه في الموضعين بمعنى واحد.

"**ينفذهم ذلك**"، أي: ينفذ الله إلى الملائكة ذلك القول، وروي: ينفذ ذلك، أي: ينفذ الله ذلك الأمر، والصفوان تلك السلسلة أي: صوتها، وفي تفسير ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة أي: كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة، وقرأ: {حتى إذا فزع} (سبإ: ٣٢) الآية.

قوله: "**فإذا فزع**" أي: فإذا أزيل الخوف عن قلوبهم، وزوال الفزع هنا بعد سماعهم القول كالفصم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماع الوحي.

قوله: "**ماذا قال ربكم**" أي: قالت الملائكة: أي شيء قال ربكم؟

قوله: "**قالوا**"، القائلون هم المجيبون وهم الملائكة المقربون كجبريل وميكائيل وغيرهما، على ما رواه أبو داود من حديث ابن مسعود، قال: إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام، فإذا جاء جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل! ماذا قال ربكم؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق.

قوله: "**الذي قال**"، أي: الذي قالوا: الحق لأجل ما قال الله عز وجل، والمعنى أنهم عبروا عن قول الله وما قضاه وقدره بلفظ الحق.

قوله: "**الحق**" ، منصوب على أنه صفة مصدر محذوف تقديره: قال الله القول الحق، ويحتمل الرفع على تقدير: قال المجيبون: قوله الحق، هكذا قدر الزمخشري في سورة سبأ في قوله تعالى: {ماذا أنزل ربكم قالوا الحق} (سبأ: ٣٢) بالرفع، والقول يجوز أن يراد به كلمة: كن، وإن يراد بالحق ما يقابل الباطل، ويجوز أن يراد به القول المسطور في اللوح المحفوظ، فالحق بمعنى الثابت في اللوح المحفوظ.

قوله: "**فيسمعها**"، أي: يسمع تلك الكلمة وهي القول الذي قال الله عز وجل، "ومسترقو السمع" فاعله وأصله: مسترقون للسمع، فلما أضيف حذفت النون، وفي رواية أبي ذر: (فيسمعها مسترق السمع) ، بالإفراد. قوله: "ومسترقو السمع" مبتدأ وخبره هو قوله: هكذا، ثم فسره بقوله: هكذا واحد فوق آخر، "**ووصف سفيان**" إلى قوله: "**فوق بعض**" من الوصف، وهو بيان كيفية المستمعين بركوب بعضهم على بعض، وقال الكرماني: وصف، بتشديد الفاء، ويروى: ووصف.

قوله: "**بيده**" ، ويروى بكفه، أي: بين ركوب بعضهم فوق بعض بأصابعه، قوله: "**بعضها فوق بعض**" توضيح أو بدل وفيه معنى التشبيه، أي: مسترقو السمع بعضهم راكب بعضهم مردفين ركوب أصابعي هذه بعضها فوق بعض.

قوله: "**ووصف سفيان**" إلى آخره، كلام معترض بين الكلامين.

قوله: "**فربما أدرك الشهاب المستمع**" قد مر أن الشهاب هو النار، وقيل: هو كواكب تضيء، قال الله تعالى: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد} (الصافات: ٦) وسمي شهابا لبريقه وشبهه بالنار، وقيل: الشهاب شعلة نار، واختلفوا في أنه يقتل أم لا، فعن ابن عباس أنه يجرح ويحرق ولا يقتل، وقال الحسن وغيره: يقتل. قوله: (إلى الذي هو أسفل منه) ، بدل عن قوله: إلى الذي يليه. قوله: (وربما قال سفيان: حتى ينتهي إلى الأرض) أيضا معترض. قوله: (فتلقى) ، أي

الكلمة التي يسترقها المستمع. قوله: (على فم الساحر) أي: المنجم، وفي الحديث: (المنجم ساحر) ، وفي رواية سورة سبأ: "**على لسان الساحر أو الكاهن**"، وفي رواية سعيد بن منصور عن سفيان: "**على الساحر أو الكاهن**".

قوله: "**فيكذب معها**"، أي: فيكذب الساحر مع تلك الكلمة الملقاة على فمه.

قوله: "**فيصدق**"، على صيغة المجهول، أي: فيصدق الساحر في كذباته.

قوله: "**فيقولون**"، أي: السامعون منه: "**ألم يخبرنا الساحر يوم كذا وكذا**"، وهو بضم الياء من الإخبار.

قوله: "**كذا**"، كناية عن الخرافات التي يذكرها الساحر.

قوله: "**فوجدناه**"، الضمير المنصوب فيه يرجع إلى ما أخبر به الساحر.

قوله: "**للكلمة التي**" أي: لأجل الكلمة التي سمعت من السماء، جعلوا كل أخباره حقا. [عمدة القاري، ١٩/٩-١٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة – أو قال رعدة – شديدة خوفا من الله ؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله)".

قوله: "**عن النواس بن سمعان رضي الله عنه**"، بكسر السين أي ابن خالد الكلابي ويقال الأنصاري صحابي ويقال إن أباه صحابي أيضا. [تيسير العزيز الحميد، ص: ٢٣٢]

قوله: "**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي**"، فيه إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى. والأدلة من القرآن على إثبات صفة الإرادة، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾** ﴾ البقرة: ٢٥٣، وقال: ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ** ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال: ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾**

﴾ آل عمران: ١٧٦، وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ النساء: ٢٦، وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء: ٢٨، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١، وقال: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ المائدة: ٦، وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ المائدة: ٤٩، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ الحج: ١٤، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣، وغيرها من الآيات.

والأدلة من السنة على إثبات صفة الإرادة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... **حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود**". [البخاري، رقم: (٨٠٦)]

وقال صلى الله عليه وسلم: "**وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها**". [البخاري، رقم: (٦٥٩٥)]

وقال صلى الله عليه وسلم: " **إن ثلاثة في بني إسرائيل أراد الله أن يبتليهم**". [البخاري، رقم: (٦٦٥٣)]

وقال صلى الله عليه وسلم: " **وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء**". [مسلم، رقم: (٣٦٢٧)]

وقال صلى الله عليه وسلم: " **إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم**". [مسلم، رقم: (٧٤١٥)]

وقال صلى الله عليه وسلم: "**إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه**". [سنن أبي داود، رقم: (٢٩٣٤)]

قال صلى الله عليه و سلم: "**إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت**". [سنن الترمذي، رقم: (٢١٤٢)]

قال صلى الله عليه و سلم: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**". [سنن الترمذي، رقم: (٢٣٩٦)]

قال صلى الله عليه وسلم: "**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**". [سنن الترمذي، رقم: (٢٦٤٥)] وغيرها من الأحاديث.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى في بيان ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله: "ولا يكون إلا ما يريد".

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٩٢ هـ): "والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية. فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث". [شرح الطحاوية، ص: ٦٩]

وفيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، والأدلة من القرآن الكريم على إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤، وقال: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ** ﴾البقرة: ١١٨، وقال: ﴿ **وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ** ﴿٧٥﴾ ﴾ البقرة: ٧٥، وقال: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦، وقال: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ** ﴾الفتح: ١٥، وقال: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ** ﴾ الأعراف: ١٤٣.

قال أبو حنيفة رحمه الله: "وسمع موسى كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴿١٦٤﴾ ﴾. [الفقه الأكبر]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "أتى بالمصدر المؤكد لدفع حمل الكلام على المجاز، أي كلمه الله تكليما محققا، وأوقع له سماعا مصدقا، والمعنى أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام رب الأرباب بلا واسطة إلا أنه من وراء الحجاب". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٧٧]

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل". [الفقه الأكبر]

نقل الملا علي القاري رحمه الله قول شارح عقيدة الطحاوية قائلا: "قول الإمام فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته، يعلم أنه حين جاء كلمه لا أنه لم يزل ولا يزال أزلا وأبدا يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٣، ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قاله أبو منصور الماتريدي". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٧٩-٨٠]

هل سمع موسى عليه السلام صوت الله أو صوت مخلوق؟

سمع موسى عليه السلام صوت الله سبحانه وتعالى، وقد احتج أئمة أهل السنة على إثبات "الصوت" لله تعالى بعدة أحاديث، منها:

عن جابر ، عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان**". [البخاري، ١٧٢/٩]

قال الإمام البخاري رحمه الله: "وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله عز وجل ذكره. قال أبو عبد الله [البخاري]: " وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا، وقال عز وجل: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] فليس لصفة الله ند، ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين ". [خلق أفعال العباد، ص: ٩٨]

ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار**". [البخاري، رقم: (٧٤٨٣)]

عن عبد الله: "**إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدا حتى إذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم نادى أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قال صلى الله عليه وسلم الحق قال كذا وكذا** ". [السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨١) رقم: (٥٣٦)]

وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية تأليفه: سالت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله تعالى موسى لم يتكلم بصوت؟

فقال أبي: بلى، تكلم جل ثناؤه بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

وقال أبي: حديث ابن مسعود: "إذا تكلم الله تعالى سمع له صوت كمر السلسلة على الصفوان". قال: وهذه الجهمية تنكره، وهؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس.

ثم قال: حدثنا المحاربى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: "إذا تكلم الله تبارك وتعالى بالوحي سمع صوته أهل السمع فيخرون سجدا".

قلت: قوله هذه الأحاديث نرويها كما جاءت، أي لا نتصرف فيها بتأويل ولا تشبيه، ونؤمن بأن الصوت صفة من صفات ذاته لا تشبه صفات المخلوقين. [جلاء العينين، لنعمان خير الدين الآلوسي، ص: ٣٥٨-٣٥٩]

قوله: "**أخذت السموات منه رجفة – أو قال رعدة– شديدة**"، فيه أن السماوات تحس وترجف، وأخبر الله سبحانه أن السموات تسبح له، بقوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء]

قوله: "**خوفا من الله**"، فيه أن السماوات تخاف من الله تعالى، قال الله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم].

قوله: "**فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا**"، أي يقع منهم الأمران:

١ –الصعق،

٢ -السجود.

قوله: "**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد**"، أي أول من يفيق منهم، هو جبريل عليه السلام، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وفيه دليل على فضيلة جبريل عليه السلام.

قوله: "**ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟، فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله**"،

يريد جبريل عليه السلام النزول من عند الله تعالى إلى حيث أمره الله أن ينتهي إليه بالوحي، وفيه دليل على أن الملائكة لا يعلمون الغيب، لأنهم يسألون جبريل عن قول الله تعالى.

قد دل الحديث على بيان حال الملائكة، وأنهم يخافون الله تعالى، ومن كان هذا حاله، فكيف يعبد ويستغاث؟.



الباب السادس عشر

الشفاعة

باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الأنعام: ٥١.

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ الزمر: ٤٤.

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥.

وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦.

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٢ – ٢٣.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ** ﴾ الأنبياء: ٢٨ . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا. ثم يقال له: "**ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**".

وقال له أبو هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**". فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب الشفاعة"،

معنى الشفاعة لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله: "(شفع) الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين. من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول: كان فردا فشفعته. وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانيه ملتمسا مطلبه ومعينا له. [معجم مقاييس اللغة، ١٥٦/٣]

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: "شفع: الشفع ضم الشيء إلى مثله،...من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعا له أو شفيعا في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره. [المفردات في غريب القرآن، ص: ٢٦٣]

وقال ابن الأثير رحمه الله: "الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم. يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفع الذي تقبل شفاعته". [النهاية في غريب الحديث، ٤٨٥/٢]

أنواع شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: **الشفاعة أنواع**...

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين...

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في "الصحيحين".

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾** ﴾ [المدثر: ٤٨]. قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم. وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أنا أول شفيع في الجنة**".

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث. [شرح العقيدة الطحاوية، بتصرف يسير]

الشفعاء غير الرسول صلى الله عليه وسلم:

أولا: شفاعة الملائكة:

والدليل على هذه الشفاعة قول الله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾** ﴾ النجم: ٢٦، ونحوها من الآيات.

والدليل من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري الطويل مرفوعا وفيه "فيقول الله عز وجل: "**شفعت الملائكة...ولم يبق إلا أرحم الراحمين...**".

ثانيا: شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ودليل هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق وفيه "**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون...**".

ثالثا: شفاعة المؤمنين:

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري السابق، وفيه "**فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين...**".

رابعا: شفاعة الشهداء:

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**للشهيد عند الله ست خصال**" وفي آخر الحديث "**ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه**".

خامسا: شفاعة أولاد المؤمنين:

من الأدلة على ثبوت شفاعة الأولاد لآبائهم المؤمنين يوم القيامة ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم "**صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه–أو قال أبويه– فيأخذ بثوبه–أو قال بيده– كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى – أو قال فلا ينتهي–حتى يدخله الله وأباه الجنة**". [مسلم، رقم: (٦٨٧٠)]

سادسا: شفاعة القرآن:

مما يدل على شفاعة القرآن يوم القيامة ما جاء في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة** ". قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة. [مسلم، رقم: (١٩١٠)]

سابعا: شفاعة الصيام:

مما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**".

فعلى المؤمن اعتقاد شفاعة الشفعاء ممن دلت الأدلة الشرعية على شفاعته يوم القيامة، وأن الشفاعة لا تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط. [الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ص: ٦٢-٦٨، بتصرف يسير]

قال المؤلف رحمه الله: " وقول الله عز وجل: ﴿ **وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ** ﴾ الأنعام: ٥١".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: "

﴿ **وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ٥١].

اختلف فيه:

قال بعضهم: هو صلة قوله: ﴿ **قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ** ﴾ الآية، أيئس الكفرة عما سألوا من الأشياء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أمر بالإنذار الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم وهم المؤمنون، أي: يعلمون أنهم يحشرون إلى ربهم، وأن ليس لهم ولي يدفع عنهم ما يحل بهم، ولا شفيع يسأل لهم ما لم يعطوا.

وجائز أن يكون تخصيص الأمر بإنذار المؤمنين لما كان الإنذار ينفعهم ولا ينفع غيرهم، وليس فيه لا ينذر غيرهم؛ وهو كقوله: ﴿ **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ** ﴾يس: ١١ ، ليس فيه أنه لا ينذر من لم يتبع الذكر ولا خشي الرحمن ولكن أنبأ أنه إنما ينفع هؤلاء؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥** ﴾ الذاريات: ٥٥، أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع أولئك، ينذر الفريقين: من اتبع، ومن لم يتبع، ومن انتفع، ومن لم ينتفع، ويكون قوله: ﴿ **لَيۡسَ**

﴿ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ ﴾ ، يعني: ليس لأولئك أولياء ولا شفعاء؛ لأنهم يقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾يونس: ١٨، ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ، ونحوه أخبر أن ليس لهم ولي ولا شفيع دونه". [تفسير الماتريدي، ٤/٩٠]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ﴾ يعني: خوف بالقرآن ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ يعني: يعلمون ﴿ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ في الآخرة. وإنما خص بالإنذار الذين يعلمون وإن كان منذرا لجميع الخلق، لأن الحجة عليهم وجبت لاعترافهم بالمعاندة وهم أهل الكتاب كانوا يقرون بالبعث. ويقال: هم المسلمون يعلمون أنهم يبعثون يوم القيامة ويؤمنون به. ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ يعني: يعلمون أنه ليس لهم من دون الله، يعني: من عذاب الله ﴿ وَلِيٌّ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ في الآخرة ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ يعني: أنذرهم لعلهم يتقون المعاصي. ويقال: لعلهم يتقون لكي يتقوا ويثبتوا على الإسلام. فإنهم إن لم يثبتوا ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع". [بحر العلوم، ١/٤٥٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾الزمر: ٤٤".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: **٣٣٣** هـ) **في تفسير قوله تعالى:** "﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ يخرج على وجهين:

أحدهما: بل اتخذوا بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء لأنفسهم، ولا يكونون شفعاء لهم، ولا يملكون ذلك ولا يفعلون.

والثاني: بل اتخذوا لأنفسهم من دون الله شفعاء، ولا يملك أحد جعل الشفاعة لأحد دون الله، إلا من جعل الله له الشفاعة، ولا يجعل الله لأحد الشفاعة إلا من كان له عند الله عهد، أو من ارتضى له الشفاعة؛ كقوله عز وجل: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾ [مريم: ٨٧

]، وقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، يدل على هذا قوله؛ حيث قال: ﴿ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣].

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٤].

هو ما ذكرنا: هو المالك الشفاعة جميعا، لا يملك أحد سواه إلا من جعل الله له الشفاعة وارتضى له، فأما أن يملك أحد سواه اتخاذ الشفاعة لنفسه، أو جعل الشفاعة لنفسه فلا، والله الموفق. وقوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ في البعث، أو يرجعون إلى ما أعد الله لهم، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٦٨٨/٨-٦٨٩]

قال النسفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧١٠ هـ**) **في تفسير قوله تعالى**: "﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾، أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه وانتصب ﴿ جَمِيعًا ﴾ على الحال ﴿ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تقرير لقوله ﴿ لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها . ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ متصل بما يليه معناه له ملك السماوات والأرض واليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة". [تفسير النسفي، ٢٣٣/٣]

قال السيد نعمان خير الدين الآلوسي رحمه الله: " قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ ، وأنها لا تكون إلا من بعد إذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع له المشار إليه بما رواه البخاري: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: "**من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**" ، فهؤلاء المخلصون هم الذين اخلصوا الدين كله لله، فجعلوا الشفاعة، التوكل والرجاء، والالتجاء، وغير ذلك من خواص الألوهية حقوقا ثابتة له سبحانه، لم يعطوها

لغيره فوجدوه بها، وأخلصوا الدعوة له، فهم المؤمنون الموحدون، وبكتابه الذي أنزل على نبيه مهتدون". [جلاء العينين، ص: ٥٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٥٥".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده، يقول: من ذا الذي يجترئ أن يشفع عنده إلا بإذنه دون أمره، ردا لقولهم حيث قالوا: هم شفعاؤنا عند الله. وفي الآية دليل على إثبات الشفاعة لأنه قال: إلا بإذنه ففيه دليل على أن الشفاعة قد تكون بإذنه للأنبياء والصالحين". [بحر العلوم، ١/١٦٨]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم". [تفسير النسفي، ١/٢٠٩]

وقال الأياثلوغي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ بيان إنكار بالاستفهام لعظمته وكبريائه في الدنيا والآخرة، وإن أحدا لا يقدر أن يتكلم بالشفاعة وغيرها عنده يوم القيامة (إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) أي إلا بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء". [عيون التفاسير، ١/١٢٥]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا عن أن يدافعه عنادا أو مناصبة". [تفسير أبي السعود، ١/٢٤٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦".

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦] يعني أن أمر الشفاعة ضيق فإن الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد، لم تغن شفاعتهم شيئا قط ، ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه لعبدتهم". [تفسير النسفي، ٣/٣٧٢]

وقال الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى ﴾ أي لا تنفع ﴿ شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن شفعوا، رد لقولهم إنهم يشفعون لنا ثم استثنى فقال ﴿ إِلَّا ﴾ أي لا يشفعون إلا ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أن يشفع له ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [٢٦] عنه وهو من كان معه التوحيد". [عيون التفسير، ٤/١٦١]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ إقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الإغناء في وقت من الأوقات ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾ لهم في الشفاعة ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ إن يشفعوا له ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ ويراه أهلا

للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة ألف منزل فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام". [تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ١٦٠)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾سبأ: ٢٢ – ٢٣".

تقدم تفسيرها في الباب السابق.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال:﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ الأنبياء: ٢٨ . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا. ثم يقال له: "**ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**".

وقال له أبو هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**". فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

قال الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله:

أنواع الشفاعة التي لا مجال لها عند الله:

وهنا يحسن التفطن لملاحظة دقيقة، والتأمل فيها، وهي أن كثيرا من الناس قد اعتمدوا على شفاعة الأنبياء، والأولياء اعتمادا زائدا، وقد أساءوا فهم معنى الشفاعة، فأدى ذلك إلى تناسي الله عز وجل، والتشاغل عنه بخلقه، فلتعرف حقيقة الشفاعة في ضوء نصوص الكتاب والسنة، وما أثبتته الشريعة الإسلامية.

لقد تعود الملوك، والأمراء، ورجال الدنيا أنواعا من الشفاعة، يلجئون إليها عند الضرورة لمصالحهم الشخصية، أو مصلحة من مصالح البلاد والرعية، نذكرها أولا، حتى يعرف القارئ الفطن الفرق بين هذه الأنواع من الشفاعة، وبين الشفاعة التي أثبتها القرآن، وبضدها تتبين الأشياء.

منها أن رجلا تحققت عليه السرقة، فشفع له أمير، أو وزير إلى الملك، فأطلقه الملك وصفح عنه، ولذلك أسباب:

منها أن الملك يريد أن يعاقب السارق، والقانون يأمر بذلك، وهو يستحق العقوبة، ولكن الملك عدل عن رغبته، وصفح عن جريمة هذا المجرم، لأن هذا الأمير هو دعامة قوية من دعائم ملكه، فيعرف الملك أن الأفضل في هذا المقام أن يملك نفسه ويقهر غضبه، ويصفح عن فرد ارتكب جريمة السرقة، فإنه إذا أسخط هذا الأمير ورفض طلبه، اختلت الأمور، واستشرى الفساد في مملكته، وفقدت الشيء الكثير من بهائها ومهابتها، وهذا النوع من الشفاعة يسمى شفاعة الوجاهة، ومعلوم أنه لا مساغ لهذا النوع من الشفاعة عند الله، ولا مجال له، فمن رجا من نبي أو ولي، أو إمام أو شهيد، أو ملك أو شيخ مثل هذه الشفاعة، ونظر إليه كشفيع تقبل شفاعته لا محالة لعظم جاهه، وعلو منزلته، فقد أوغل في الشرك والجهالة، فإنه لم يقدر الله حق قدره، وما شم رائحة العلم والمعرفة، فإن الله هو رب الأرباب، وملك الملوك، قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وإنه يقدر أن يخلق بمجرد الأمر، بكلمة " كن " آلافا مؤلفة من الأنبياء والأولياء، والجن والملائكة، كأول ملك، وأول نبي، فلا أفضل في الملائكة من جبريل، ولا أفضل في الأنبياء من محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا شاء قلب هذا العالم رأسا على عقب، من الثريا إلى الثرى، وأنشأ عالما جديدا مكان هذا العالم، لأن كل شيء يظهر إلى الوجود

بمجرد أمره، لا يحتاج في إيجاد شيء، أو تحقيق أمر إلى الأسباب والوسائل، أو المواد الأولية، وإذا كان جميع الخلق أولهم وآخرهم، وإنسهم وجنهم على قلب أفضل ملك، أو أفضل نبي، ما زاد ذلك في ملكه، وإذا كانوا كلهم على هيئة شيطان، أو دجال لم ينقص ذلك من بهاء ملكه، فهو في كل حال أعظم من كل عظيم. وقاهر الملوك والسلاطين، لا يصيبه أحد بنفع ولا ضرر، أو زيادة ونقص.

والنوع الثاني: أن يقوم أحد من أبناء الملك، أو زوجاته، أو من أولع بحبه، بشفاعة لهذا السارق، فيضطر الملك إلى العفو عنه، بدافع من حب هذا الشافع وغرامه، وهذا يسمى شفاعة المحبة، فإن هذا الملك رأى أن كظم الغيظ في هذا المحل، والعفو عن مجرم واحد خير مما يصيبه من الكمد، والكآبة التي تحيط به، وتكدر صفو حياته، إذا سخط عليه هذا المحبوب، أو الحظي، وعاتبه، وأعرض عنه.

ومن المعلوم أنه لا مجال لهذا النوع كذلك في حق الله، ومن ظن بأحد أنه شفيع عند الله من هذا النوع، فقد أشبه الأول في الشرك والجهالة، فإن الله سبحانه وتعالى مهما خص عبدا من عباده بنعمه وحبه، ووصف بعض الملائكة بأنه "رسوله كريم" ، و"مكين" ، و"روح القدس"، أو "الروح الأمين"، ولكن السيد هو السيد، والعبد هو العبد، ولا يستطيع عبد أن يتخطى العبودية، ويتعالى على ما قدر له، ووسم به من ذل الرق، وسيما العبودية، فكما أنه يخضع لسيده طائعا مسرورا، وهو يعطف عليه، ويغمره برحمته، كذلك ينخلع قلبه، وتنفطر مرارة كبده من هيبته وجلاله.

الشفاعة الثابتة في الإسلام:

والنوع الثالث: أن السارق تحققت عليه الجريمة، ولكنه لم يتخذ السرقة ديدنا وحرفة، ولكنه ارتكب هذه الجريمة بنزوة من نزوات النفس، فهو نادم على فعلته، وهو وجل خجل يجل قانون ملكه، ويعتبر نفسه مخطئا يستحق العقوبة، إنه لا يلوذ بكنف أمير أو وزير هربا من الملك، ولا يدل بنصرة أحد، ولا يعتمد عليها، إن عينه شاخصة إلى الملك، وإن آماله منوطة به لا غير، يتطلع إلى ما يصدر من الملك في أمره، وإلى ما يأمر به، فلما رآه الملك بهذه الحال من القلق، وانقطاع الآمال، والتقلب بين الخوف والرجاء رق له قلبه، ورثى لحاله، ولكنه يعرف أنه إذا صفح عن جريمته من غير سبب، تطرق

الوهن إلى قانونه، ونظام مملكته، واستخف الناس بهذا القانون، وزالت عنهم مهابته، فأوعز إلى أمير أو وزير فقام بشفاعته عنده، وأبدى الملك أنه يريد أن يكرم هذا الأمير بقبول شفاعته، فعفا عن هذا السارق وبشفاعة الأمير، والظاهر أن هذا الأمير لم يشفع لهذا السارق، لأنه يتصل به بنسب أو صداقة، أو أنه تكفل بنصرته، ولكنه شفع له لأنه اطلع على رغبة الملك، وهذا النوع من الشفاعة يسمى " الشفاعة بالإذن ".

فليعلم أنها هي الشفاعة المأذونة الممكنة، وكل شفاعة يتحدث عنها القرآن والحديث، فهي الشفاعة المأذون لها، فيجب على الإنسان أن يظل داعيا لله تعالى، مشفقا منه، مستغيثا به، مقرا بذنوبه بين يديه، مؤمنا بأنه ربه وناصره، لا يعرف له - إذا سرح طرفه، وأرسل خياله - ملجأ ولا ملاذا إلا الله، فلا يعتمد على نصرة سواه، فإنه غفور رحيم، سيفرج الكرب، ويكشف الغم بفضله، ويغفر الذنوب جميعا برحمته، ويأمر من يشاء بشفاعته، فكما أنه يجب أن يكل إليه جميع حاجاته ومآربه، يتحتم عليه أن يكل إليه أمر نصرته وشفاعته، يختار لها من يشاء، ويأمر بها من يشاء، عوضا عن أن يبحث له عن شفيع ومدافع، فيعتمد عليه اعتمادا ينسيه الاعتماد على الله، ويشغله عنه، ويستهين بأحكام الشريعة، ويتخذ ما يدعو إليه هذا الشفيع أو الوكيل من طريق، وما يسلكه من سبيل، شرعة ومنهاجا، ويفضلها على دين الله، وشريعة رسوله، وسنة نبيه، فإنها سبة، تبرأ منها جميع الأنبياء والأولياء، ومقتوها، وهم لا يشفعون لمن تلبس بها، بل يسخطوا عليه ويعاندونه، لأن سر كرامتهم، ومناط شرفهم، أنهم كانوا يريدون مرضاة الله على مرضاة أزواجهم، وأولادهم، وتلاميذهم، وأتباعهم من عبيد وخدم، وأحبة وأصحاب، فإذا عارض منهم أحد أمرا من أوامر الله تعالى، أو حارب الله ورسوله، عادوه وحاربهم، وما ظنك بهؤلاء العامة الذين لا يتصلون بنسب أو صداقة، أو حب، حتى يقوم هؤلاء بنصرتهم، ويحاجوا الله فيهم، ويكونوا للخائنين خصيما، بل الأمر بالضد، فالحب لله، والبغض لله، قد أصبح شعارا ودثارا، فإذا قضى الله بإدخال هؤلاء المجرمين في النار أطاعوا الله في أمره،

وسعوا في سرعة وصولهم إلى قعر جهنم، وتنافسوا في الإعانة على ذلك. [رسالة التوحيد، ص: ١١٧-١٢٢]

وقال الإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨١ هـ): " فإن الله تعالى علق الشفاعة في كتابه بأمرين :

أحدهما : رضاه عن المشفوع له .

ثانيهما : إذنه للشافع .

فعلم من هذا أن الشفاعة لا يمكن حصولها ما لم يوجد مجموع هذين الأمرين وقال الله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس]

فبين سبحانه وتعالى: أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذ الشفعاء وإنما تحصل بإذن الله تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع له فمن اتخذ شفيعا من دون الله فهو مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ومن اتخذ الرب تعالى وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه الذي يتقرب إليه ويطلب رضاه ويجتنب سخطه . فهو الذي يأذن الرب تعالى للشافع أن يشفع فيه .

ولهذا كان أولى الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا توحيدهم وخلصوه ، من تعلقات الشرك وشوائبه وأما أهل الشرك الذين اتخذوا من دون الله شفعاء فإنه تعالى لا يرضى عنهم ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيهم وسر ذلك : أن الأمر كله لله وحده ليس لأحد معه من الأمر شيء وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده الرسل والملائكة المقربون وهم مملكون مربوبون ، أفعالهم وأقوالهم مقيدة بأمره وإذنه لا يسبقونه بالقول ولا يفعلون شيئا إلا بإذنه وأمره فإذا أشركهم أحد به تعالى واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه إذا فعل ذلك يتقدمون بين يديه ويشفعون له . فهو من

أجهل الناس بحقه تعالى . وما يجب له وما يمتنع عليه حيث قاسوا الرب تعالى على الملوك والكبراء الذين يتخذون بعضا من خواصهم وأوليائهم من يشفع لهم عندهم في الحوائج والمهمات .

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذت من دون الله شفعاء وهذا أصل شرك الخلق ومع هذا فهو تنقيص لجانب الربوبية وهضم لحقها لأن من اتخذ شفيعا عند الله تعالى إما أن يظن أنه تعالى لا يعلم مراد عباده حتى يعلمه الواسطة أو لا يسمع دعائهم لبعده عنهم فيحتاج أن يرفعه الواسطة إليه أو لا يفعل ما يريده العباد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع لحاجته إليه وانتفاعه به وتكثره به من القلة وتعزره به من الذلة أو لا يقضي حاجاتهم حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه كما هو حال ملوك الدنيا أو يظن أن للمخلوق حقا فهو يتوسل إليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك ممن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته إذ هو في الحقيقة شريكهم وإن كان عبدهم ومملوكهم فإن الشفعاء عند المخلوقين من الملوك والسلاطين شركاؤهم لأن انتظام أمرهم وقيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا لها لأنهم إن ردوها ولم يقبلوا يخافون أن ينقضوا طاعتهم ويذهبوا إلى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا ، فإن الشفيع في المخلوق مستغن عن المشفوع إليه في أكثر أموره وإن كان محتاجا إليه في بعض ما يناله من رزق وغيره ، كما أن المشفوع إليه فيما يناله من النفع بالنصرة والمعاونة وغير ذلك . فكل منهما محتاج إلى الآخر .

وأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه مفتقر إليه بذاته ، فإن جميع من في السماوات والأرض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة فلا يملك منهم أحد أن يشفع بنفسه عنده إلا بإذنه فالشفاعة كلها له كما قال الله تعالى ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ وهو الذي يشفع بنفسه على نفسه يرحم عبده فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه وأمره

إياه بعد شفاعته إلى نفسه وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده كما قال الله تعالى ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ ، وفي آية أخرى ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍ ﴾.

فأخبر سبحانه وتعالى أن ليس للعباد شفيع من دونه فإنه إذا أراد رحمة عبده يأذن هو لمن يشفع فيه أن يشفع فيه كما قال الله تعالى ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾ فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعا من دونه بل هو شفيع بإذنه بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض فإنها ليست بالإذن بل هو سعي في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به إلى قبولها ولو على كره منه إما بقوة وسلطان وإما برغبة في إحسان فلا بد أن يحصل للمشفوع إليه من شافع إما رغبة ينتفع بها وإما رهبة يندفع عنها بخلاف الشفاعة عند الرب تعالى فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ولم يأذن له فيها لا يمكن وجودها والشافع لا يشفع عند الرب تعالى لحاجة الرب إليه ولا لرهبته منه ولا لرغبته فيما لديه وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمر وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الأمر فإن أحدا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئته تعالى فهو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل .

ومن وفق لهم هذا المعنى يتحقق عنده التوحيد ويتخلص فإن الشرك ملزوم للتنقيص والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أو أبى ولكون الشرك منقصا للربوبية اقتضى حكمته تعالى وكمال ربوبيته أن لا يغفره ويخلد صاحبه في النار ولا تجد مشركا قط إلا وهو متنقص لله تعالى وإن زعم أنه يعظمه كما أنك لا تجد مبتدعا إلا وهو متنقص للرسول عليه السلام وإن زعم أنه معظم بالبدعة .

بل يزعم بأنها خير من السنة وأولى بالصواب فهو مشاق لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم إن كان متبصرا في بدعته . وإن كان جاهلا مقلدا يزعم أنها هي السنة . [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٣٥-٤٠، ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء]

الباب السابع عشر

قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

القصص: ٥٦

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ١١٣.

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦ .

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]

معنى الهداية لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "(هدي) الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان [أحدهما] التقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد. وينشعب هذا فيقال: الهدى: خلاف الضلالة". [معجم مقاييس اللغة، ٤٢/٦]

وقال أبو نصر الجوهري رحمه الله (المتوفى: ٣٩٣ هـ): "الهدى: الرشاد والدلالة، يؤنث ويذكر. يقال: هداه الله للدين هدى. وقوله تعالى: (أولم يهد لهم) قال أبو عمرو بن العلاء: أولم يبين لهم. وهديته الطريق والبيت هداية، أي عرفته". [الصحاح، ٢٥٣٣/٦]

وقال الجرجاني رحمه الله تعالى (المتوفى:٨١٦ هـ): "الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب". [التعريفات، ص: ٢٥٦]

الهداية شرعا: هي توفيق الله تعالى وإرشاده لما يحب.

الهداية ضربان:

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "اعلم أن الهداية على ضربين: بمعنى الدلالة وتفريق الحق من الضلالة، وهو هداية أرباب الرسالة. وبمعنى التوفيق والتأييد والتحقيق، وهو مخصوص به سبحانه.

بهذا المعنى يجمع بين قوله سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦] وبين قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]. [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ٦٩]

وقال العلامة محمد سلطان المعصومي الحنفي رحمه الله تعالى:

"والهداية لغة الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب وقد منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوسل بها إلى سعادته.

أولاها: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، وتكون للأطفال منذ ولادتهم، فإن الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالبا له بفطرته، وعندما يصل الثدي إلى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم، بل هو فيهما أكمل من الإنسان، فإن حواس الحيوان وإلهامه يكملان له بعد

ولادته بقليل، بخلاف الإنسان فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج في زمن غير قصير، ألا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات إدراك الأصوات والمرئيات، ثم بعد مدة يبصر، ولكنه لقصر نظره يجهل تحديد المسافات، فيحسب البعيد قريبا فيمد يديه إليه ليتناوله وإن كان قمر السماء ولا يزال يغلط حسه حتى في طور الكمال.

الثالثة: هداية العقل، خلق (الله) الإنسان ليعيش مجتمعا ولم يعط من الإلهام والوجدان ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطي النحل والنمل، فإن الله قد منحها من الإلهام ما يكفيها، لأن تعيش مجتمعة يؤدي كل واحد منها وظيفة العمل لجميعها، ويؤدي الجميع وظيفة العمل للواحد، وبذلك قامت حياة أنواعها كما هو مشاهد.

أما الإنسان فلم يكن من خاصة نوعه أن يتوفر له مثل ذلك الإلهام، فحباه الله هداية هي أعلى من هداية الحس والإلهام، وهي العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه، وذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيرا، ويرى العود المستقيم في الماء معوجا، والصفراوي يذوق الحلو مرا. والعقل هو الذي يحكم بفساد مثل هذا الإدراك.

الرابعة: هداية الدين، قد يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى تورده موارد الهلكة. فإذا وقعت المشاعر في مزالق الزلل، واسترقت الحظوظ والأهواء العقل فصار يستنبط لها ضروب الحيل، فكيف للإنسان مع ذلك أن يعيش سعيدا؟ وهذه الحظوظ والأهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده وما هو بعائش وحده، وكثيرا ما تتطاول به إلى ما في يد غيره، فهي لهذا تقتضي أن يعدو بعض أفراده على بعض، فيتنازعون ويتدافعون، ويتجادلون ويتجالدون، ويتواثبون ويتناهبون حتى يفني بعضهم بعضا، ولا تغني عنهم تلك الهدايات شيئا فاحتاجوا إلى هداية ترشدهم في ظلمات أهوائهم، إذا هي غلبت على عقولهم، وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها ويكفوا أيديهم عما وراءها. ثم إن مما أودع في غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على

الأكوان ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبب، لأنها هي الواهبة كل موجود ما به قوام وجوده، وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة، فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذي خلقه وسواه، ووهبه هذه الهدايات وغيرها، وما فيه سعادته في تلك الحياة الثانية. كلا إنه في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة – الدين – وقد منحه الله تعالى إياه.

أشار القرآن إلى أنواع الهداية التي وهبها الله تعالى للإنسان في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾، أي طريقي السعادة والشقاوة والخير والشر.

وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة، وهداية العقل وهداية الدين، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾، أي دللناهم على طريقي الخير والشر، فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى. وهنا هداية أخرى وهي المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾، ليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره، فالهداية في الآيات السابقة بمعنى الدلالة، وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين: المهلك، والمنجي، مع بيان ما يؤدي إليه كل منهما، وهي ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر. وأما هذه الهداية فهي أخص من تلك، والمراد بها إعانتهم وتوفيقهم للسير في طريق الخير والنجاة مع الدلالة، وهي لم تكن ممنوحة لكل أحد كالحواس والعقل وشرع الدين. ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين وفي استعمال الحواس والعقل كما قدمنا، كان محتاجا إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله تعالى بطلبها منه تعالى في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ فمعنى "اهدنا الصراط المستقيم " دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وما كان هذا أول دعاء علمنا الله إياه، إلا لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كل شيء سواه. ويجاب عن التناقض الظاهري في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، و ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، فالهداية التي أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم هي الدلالة على الخير والحق، والتي نفاها عنه هي الثانية بمعنى الإعانة والتوفيق. [أوضح البرهان في تفسير أم القرآن، ٣٧٢-٣٧٥، بتحقيقي]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمد تفلحوا، فقال عليه السلام: يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك؟ قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان قد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة". [تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٤٩-٦٥٠)]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]

ونزل حين حرص النبي عليه السلام على إيمان أبي طالب قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى ﴾ كل ﴿ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ لأنك لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره، لأنك عبد لا تعلم الغيب ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى

﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ فيدخله في الإسلام، لأنه عالم الغيب يميز المطبوع القلب عن غيره، وهو معنى قوله ﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [٥٦] أي القابلين بالهدى من غيرهم". [عيون التفاسير، ٣/٢٤٣]

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي ﴾ هداية موصلة إلى البغية لا محالة ﴿ مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أن يهديه فيدخله في الإسلام ﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف". [تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٩)]

قد دلت الآية على نفي هداية التوفيق عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق، فإذا انتفت عنه وهو بهذه المنزلة فنفيها عن غيره أولى. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ١٦٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي ﴾ التوبة: ١١٣".

قوله: "**في الصحيح**"، أي في صحيح البخاري، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، ١١٩/٢، رقم (١٣٦٠)، وفي مسلم، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، ٤٠/١، رقم (١٤١).

قوله: "**عن ابن المسيب**"، هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءا. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ. [الأعلام، ١٠٢/٣]

وقال أحمد بم محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**) **في تفسير قوله تعالى**: "قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الآية نزل نهيا للمؤمنين عن الاستغفار للمشركين، حين سمع علي بن أبي طالب رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فمنعه عن ذلك، فقال الرجل ألم يستغفر إبراهيم لأبويه وهما مشركان؟ قال علي رضي الله عنه: فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فأوحي إليه ما جاز للنبي والمؤمنين الاستغفار للمشركين، ﴿ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾ أي ذوي قرابة في الرحم ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ ﴾ أي ظهر ﴿ لَهُمۡ ﴾ أي للمؤمنين ﴿ أَنَّهُمۡ ﴾ أي المشركين ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] أي أهل النار بالاستحقاق إذا ماتوا على الكفر، وعن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال: "**استأذنت ربي أن أستغفر لوالدي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرهما فأذن لي**"، فنزلت الآية". [عيون التفاسير، ١٥٩/٢]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٥٠ هـ**): "ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر وأبو طالب عمه مات كافرا". [الفقه الأكبر]

قال الملا علي القاري رحمه الله: " ووالدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر"، هذا رد على من قال أنهما ماتا على الإيمان، أو ماتا على الكفر، ثم أحياهما الله فماتا في مقام الإيمان، وقد أفردت لهذه المسألة رسالة مستقلة، ودفعت ما ذكره السيوطي في رسائله الثلاث في تقوية هذه المقالة بالأدلة الجامعة المجتمعة بالكتاب والسنة والقياس وإجماع الأمة.

ومن غريب ما وقع في هذه القضية إنكار بعض الجهلة من الحنفية علي في بسط هذا الكلام، بل أشار إلى أنه غير لائق بمقام الإمام، وهذا بعينه كما قال الضال جهم بن صفوان: وددت أني أحك من

المصحف قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الأعراف: ٥٤، وإشارة الضال الآخر، وهو أحمد بن أبي داود القاضي إلى الخليفة مأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، وقول الروافض الأكبر أنه بريء من المصحف الذي فيه نعت الصديق الأكبر". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٢٢٠ ٢٢١، ط. دار النفائس]

أقول: سمى رسالته في هذا الموضوع "أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم"، وهي مطبوعة.

وقال الملا علي القاري رحمه الله أيضا: "[وأبو طالب عمه] أي عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو علي رضي الله عنه [مات كافرا]". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٢٢٢]

وقال سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "واعلم أن مغفرة الله تعالى وإن كانت واسعة لا نهاية لها، ولكنها مخصوصة بأهل الإيمان، وأن الكافر لا مغفرة له، وليس هذا بخل من الله تعالى عن ذلك، بل لعدم قابليته بسبب الكفر الصارف عنها، وأنه عدل منه تعالى ومن قال: إن الكافر يغفر له يوم القيامة أو يخرج من النار بعد دخولها أو ينقطع عنه العذاب فقد كفر بما أنزل الله تعالى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب...

والأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾ [التوبة: ١١٣]، والدعاء بالمغفرة لمن مات كافرا والاستغفار له لا يجوز بالإجماع وذكرنا في "باب التعدي في الدعاء" أنه كفر...

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: "استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت"، رواه مسلم. وهذا دليل أيضا على أن الاستغفار للمشرك لا يجوز". [تبيين المحارم، ص: ٤٦١-٤٦٣]

هل يجوز دعاء المغفرة للكافر الحي؟

وقد قال كثير من العلماء: لا بأس أن يدعو الرجل لأبويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيين. فأما من مات فقد انقطع عنه الرجاء فلا يدعى له. [تفسير القرطبي، ٢٧٤/٨]

وقال سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "واعلم أن الدعاء على أنواع: سنة ومستحب ومكروه وحرام وكفر. ومن الدعاء الكفر أن يدعو بالمغفرة لمن مات كافرا ويقين موته على الكفر كأبي جهل وفرعون ونمرود وأحزابهم، فإن النص القاطع المجمع عليه يدل على أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، فالدعاء بالمغفرة لمن مات كافرا يستلزم تكذيب النص القاطع وهو كفر، ولو دعا لكافر حي أن يقول: اللهم اهده للإيمان، اللهم اجعله مسلما ونحو ذلك يجوز له ذلك". [تبيين المحارم، ص: ٣٦٥]

وقال رحمه الله أيضا: "وأما الاستغفار للكافر الحي يجوز لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ التوبة: ١١٣، بأن مات على الكفر، وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحياء الكفار، فإنه طلب توفيقهم للإيمان، وعلى هذا كان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه وعد من إبراهيم ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ الممتحنة: ٤، أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾التوبة: ١١٤، بأن مات على الكفر، وأوحي إليه بأنه لن يؤمن، ومعنى "تبرأ" أي: قطع استغفاره له...". [تبيين المحارم، ص: ٤٦٢]

وقال الآلوسي الحنفي رحمه الله: "والتحقيق في هذه المسئلة أن الاستغفار للكافر الحي المجهول العاقبة بمعنى طلب هدايته للإيمان مما لا محذور فيه عقلا ونقلا وطلب ذلك للكافر المعلوم أنه قد طبع على قلبه واخبر الله تعالى أنه لا يؤمن وعلم أن لا تعليق في أمره أصلا مما لا مساغ له عقلا ونقلا ومثله طلب المغفرة للكافر مع بقائه على الكفر على ما ذكره بعض المحققين وكان ذلك على ما قيل لما فيه من إلغاء أمر الكفر الذي لا شئ يعدله من المعاصي وصيرورة التكليف بالإيمان الذي لا شئ يعدله من الطاعات عبثا مع ما في ذلك مما لا يليق بعظمة الله عز و جل". [روح المعاني، ١٠١/١٦]

الباب الثامن عشر

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ النساء: ١٧١.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ نوح: ٢٣ . قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت".

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: "**لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**".

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**" . أخرجاه.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**".

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**هلك المتنطعون**"، قالها ثلاثا.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"،

معنى الغلو لغة وشرعا:

قال أبو عبد الرحمن الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠ هـ): "غلو، غلي: غلا السعر يغلو غلاء [ممدود]، وغلا الناس في الأمر، أي: جاوزوا حده، كغلو اليهود في دينها. ويقال: أغليت الشيء في الشراء، وغاليت به. والغالي يغلو بالسهم غلوا، أي: ارتفع به في الهواء، والسّهم نفسه يغلو". [كتاب العين، ٤/٤٤٦]

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٩٥ هـ): " الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده". [معجم مقاييس اللغة، ٣٨٧/٤-٣٨٨]

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى (٦٠٦ هـ): غلا، فيه "إياكم والغلو في الدين" أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، كحديثه الآخر «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق". وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها. [النهاية في غريب الحديث، ٣٨٢/٣]

قال مقاتل: الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق. [بحر علوم، ٣٦٠/١]

وقال فضل الله التوربشتي رحمه الله (المتوفى: ٦٦١ هـ): "الغلو هو التجاوز عن القدر، والغالي هو الذي يتجاوز في أمر الدين عما حد له وبين؛ قال الله: {لا تغلوا في دينكم}؛ فالمبتدعة غلاة في الدين يتجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنى المراد يحرفونه عن جهته". [الميسر في شرح مصابيح السنة، ١٢٠/١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "الغالين: أي: المبتدعة الذين يتجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنى المراد، فينحرفون عن جهته، من غلا يغلو إذا جاوز الحد كأقوال القدرية والجبرية والمشبهة". [مرقاة المفاتيح، ٣٢٢/١]

قوله: "**في الصالحين**"، الصالحون جمع الصالح، اسم فاعل من الصلاح. والصلاح ضد الفساد.

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى: "(صلح) الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال: صلح الشيء يصلح صلاحا". [معجم مقاييس اللغة، ٣٠٣/٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "والصالح الكامل: هو العالم العامل القائم بحقوق الله وحقوق خلقه. وما أحسن من قال من أرباب الحال:

أحب الصالحين ولست منهم. . . لعلي أن أنال بهم شفاعه

وأكره من بضاعته المعاصي. . . وإن كنا جميعا في البضاعه.

[المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ٨٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ النساء: ١٧١".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾.

والغلو في الدين: هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم، وكذلك الاعتداء: هو المجاوزة عن الحد الذي أحد لهم، في الفعل وفي النطق جميعا.

وقال بعضهم: تفسير الغلو ما ذكر: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾؛ فالقول على الله بما لا يليق به غلو.

وقيل: لا تغلوا: أي لا تعمقوا في دينكم، ولا تشددوا؛ فيحملكم ذلك على الافتراء على الله، والقول بما لا يحل ولا يليق.

وقوله – عز وجل –: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾، أي: الصدق.

وعن ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾.

يقول: لا تقولوا لله – تعالى – ولد ولا صاحبة.

وفي حرف حفصة – رضي الله عنها –: "ولا تقولوا: الله ثالث ثلاثة؛ إنما هو إله واحد).

وقوله – عز وجل –: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾.

الخطاب بقوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ في حقيقة المعنى – للخلق كلهم؛ لأن على كل الخلائق ألا يغلوا في دينهم، وهو في الظاهر في أهل الكتاب، والمقصود منه النصارى دون غيرهم من أهل الكتاب؛ حتى يعلم أن ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد، ولا

في مخرج خصوصه دليل خصوصه؛ ولكن قد يراد بعموم اللفظ: الخصوص، وبخصوص اللفظ: العموم؛ فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد، وبخصوص اللفظ خصوصه.

ثم افترقت النصارى على ثلاث فرق في عيسى – صلى الله عليه وسلم – بعد اتفاقهم على أنه ابن مريم: قال بعضهم: هو إله، ومنهم من يقول: هو ابن الإله، ومنهم من يقول: هو ثالث ثلاثة: الرب، والمسيح، وأمه؛ فأكذبهم الله – عز وجل – في قولهم، وأخبر أنه رسول الله ابن مريم، ولو كان هو إلها لكانت أمه أحق أن تكون إلها؛ لأن أمه كانت قبل عيسى – عليه السلام – ومن كان قبل، أحق بذلك ممن يكون من بعد، ولأن من اتخذ الولد إنما يتخذ من جوهره، لا يتخذ من غير جوهره؛ فلو كان ممن يجوز أن يتخذ ولدا – لم يتخذ من جوهر البشر؛ كقوله – تعالى –: (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا). [تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٣/٤٢٤-٤٢٥)]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ النساء: ١٧١.

قال الضحاك: أي لا تكذبوا في دينكم.

وقال بعض أهل اللغة: الغلو مجاوزة القدر في الظلم. ويقال: الغلو أن تجاوز ما حد لك.

وقال القتبي: يعني لا تفرطوا في دينكم، فإن دين الله بين المقصر والغالي. وغلا في القول إذا تجاوز المقدار. وقال ابن عباس: وذلك أن اليعقوبية وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله. وقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت المرقوسية– ويقال لهم الملكانية–: هو ثالث ثلاثة، فنزل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم.

قال مقاتل: الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق. ويقال: لا تتعمقوا في دينكم.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ يعني: لا تصنعوا بالله بما لا يليق بصفاته، فإن الله تعالى واحد لا شريك له ولا ولد له". [بحر العلوم، ١/٣٦٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ نوح: ٢٣ . قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت".

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه ٦/ ١٦٠، رقم (٤٩٢٠).

قوله: "**فلما هلكوا**"، أي: فلما مات الصالحون، وكان مبدأ عبادة قوم نوح، عليه الصلاة والسلام، هذه الأصنام بعد هلاكهم ثم تبعهم من بعدهم على ذلك.

قوله: "**أنصابا**" جمع النصب وهو ما ينصب لغرض كالعبادة.

قوله: "**وسموها**"، أي: هذه الأصنام بأسماء الصالحين المذكورين.

قوله: "**فلم تعبد**"، هذه الأصنام حتى إذا هلك أولئك الصالحون.

قوله: "**وتنسخ**" بلفظ الماضي من التفعيل أي تغير علمهم بصورة الحال وزالت معرفتهم بذلك، وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني، ونسخ العلم فحينئذ عبدت على صيغة المجهول، وحاصل المعنى، أنهم لما ماتوا وتغيرت صورة الحال وزالت معرفتهم جعلوها معابيد بعد ذلك. [عمدة القاري للعيني رحمه الله، ١٩/٢٦٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: "**لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**".

قال الزبيدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٠٥ هـ): "وعكف عليه يعكف، ويعكف عكفا، وعكوفا: أقبل عليه مواظبا لا يصرف عنه وجهه". [تاج العروس، ٢٤/١٧٩]

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "عكف: العكوف: الإقبال على الشيء وملازمته". [مجمل اللغة، ص: ٦٢٤]

قال الخوارزمي المطرزى (المتوفى: ٦١٠هـ): "(ص ور) : (الصورة) عام في كل ما يصور مشبها بخلق الله تعالى من ذوات الروح وغيره". [المغرب في ترتيب المعرب، ص: ٢٧٤]

التماثيل جمع التمثال، قال أبو منصور الهروي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٠ هـ): "والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله؛ وجمعه: التماثيل". [تهذيب اللغة، ٧٢/١٥]

قوله: **"الأمد"**: أي الزمان.

قال محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: "وفيه: أن أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين ومحبتهم، وأن البدعة تكون سبب الكفر". [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ص: ١٣٢]

وقال محمد سلطان المعصومي رحمه الله أيضا: " أن الأولياء المدفونين في المقابر التي بنيت عليها القبب يتصرفون كيف يشاؤون، والنذر إليهم قربة، فهو باطل لا طائل تحته. وإنما هم رجال صالحون ماتوا ولا يقدرون على أدنى شيء إلا بإذن الله تعالى، ومن اعتقد أنهم يتصرفون كيف شاؤوا يخشى عليه الكفر". [العقود الدرية السلطانية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية، ص: ٧٦-٧٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"** . أخرجاه".

قوله: "**لا تطروني**"، بضم التاء، من الإطراء وهو المديح بالباطل، تقول: أطريت فلانا: مدحته فأفرطت في مدحه. وقيل: الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

قوله: "**كما أطرت النصارى**" ، أي: في دعواهم في عيسى بالإلهية وغير ذلك.

قوله: "**فإنما أنا عبده**" إلى آخره من هضمه نفسه وإظهاره التواضع. [عمدة القاري، ٣٧/١٦]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "(الإطراء): الغلو في المدح؛ يعني: لا تبالغوا في مدحي كما بالغت النصارى في مدح عيسى فاتخذوه إلها". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٩٦/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**لا تطروني**"، أي: لا تجاوزوا عن الحد في مدحي. "**كما أطرت النصارى ابن مريم**"؛ أي: كما بالغوا في مدحه حتى ضلوا وجعلوه ولدا لله وإلها، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. "**فإنما أنا عبده فقولوا**" في حقي: "**عبد الله ورسوله**". [شرح المصابيح، ٢٦٧/٥-٢٦٨]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قدم العبودية على الرسالة النبوية دفعا لتوهم الألوهية وتعريضا للجماعة العيسوية وإيماء إلى أن العبادة مما يورث السيادة وإشارة إلى هضم نفسه وفضل ربه". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ٧٣-٧٤]

وقال إسماعيل بن عبد الغني العمري الدهلوي الحنفي (**المتوفى: ١٢٤٦هـ**):

"**النهي عن تقليد النصارى في إطرائهم لنبيه، وغلوهم فيه:**

أخرج الشيخان عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» .

ومقصود الحديث أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحاسن، والفضائل التي أكرمني الله بها، فإذا أطلقت على هذه الصفة، وقيل: "رسول الله" فلا مزيد على ذلك "فإن الرسالة هي الغاية القصوى التي يصل إليها بشر وكل ما عدا ذلك من المنازل فهو دونها، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فقولوا عبد الله ورسوله» .

ولكن البشر إذا أكرم بالرسالة، لا يتجرد عن البشرية، وحسبه فخرا أن يكون عبدا لله تعالى، لا يتلبس بذلك بالألوهية، فلا يحل القول بذلك لعبد من عباد الله، وكفر النصارى بهذا الاعتقاد في المسيح عليه الصلاة والسلام، وبعدوا عن الله تعالى، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن تقليد النصارى في إطرائهم لنبيهم وغلوهم فيه، فاستحقوا غضب الله ولعنه.

ولكن الغلاة من هذه الأمة، مع الأسف، لم يمتثلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وقلدوا النصارى في أقاويلهم، وما زاد النصارى على أن قالوا: إن الله سبحانه وتعالى قد ظهر في صورة عيسى ابن مريم وكسوته، فهو بشر من جهة وإله من جهة أخرى.

وقد تطرف بعض من لا يخشون الله فنسبوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزعموا أنه قال: " أنا أحمد بلا ميم" وقد زوروا عبارة عربية طويلة جمعوا فيها خرافات كثيرة، وسموها بخطبة الافتخار وعزوها إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سبحانك هذا بهتان عظيم، خذل الله الكذابين وفضحهم، وكما أن النصارى يزعمون أن المسيح عليه السلام يملك الدنيا والآخرة، فيدبر الأمر كما يشاء، فمن آمن به، وتضرع إليه لم يحتج إلى شيء من العبودية والعبادة، وما ضره ذنب، ولا فرق له

بين حلال وحرام، فيكون لله كسائبة حبلها على غاربها، ويخلصه عيسى ابن مريم في الآخرة بشفاعته عن النار وعن العذاب.

ومثل هذا يعتقد بعض الجهلة المسلمين في النبي صلى الله عليه وسلم وتنزلوا، فاعتقدوا في أئمة أهل البيت، وأولياء الأمة، بل وفي المشايخ مثل هذا الاعتقاد، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

أخرج أبو داود عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله، فقلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم فلا يجترئنكم الشيطان" .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالاقتصاد والتوسط، وتحري الدقة، في مدح من يعتقد فيهم الفضل، وأن لا يتخطى في ذلك حدود البشرية فيلحقه بالله، وأن لا يكون كفرس جموح لا يملكه فارس، ولا يضبطه زمام، فيسيء بذلك الأدب مع الله ويتورط فيما لا يحمد عقباه.

وليعلم أن "السيد" له معنيان، فقد يراد به السيد الذي يملك الأمر بالإطلاق، ولا يخضع لأحد، وهذا يختص بالله تعالى، فلا سيد بهذا المعنى إلا الله، وقد يراد به رئيس قبيلة، أو عمدة قرية، أو مرزبان، وبهذا المعنى كل نبي سيد في أمته، وكل إمام مقدم على أتباعه، وكل مجتهد قائد لمن يقتدي به، بأنهم يقومون بامتثال أوامر الله تعالى في نفوسهم، ثم يعلمونها من دونهم، وهكذا، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم هو سيد العالمين، ومنزلته عند الله فوق كل منزلة، وهو أشد الناس امتثالا لأوامر الله تعالى، والخلق كلهم عيال عليه، في الاهتداء إلى الله، ومعرفة أحكامه ومرضياته، وبهذا المعنى يصح أن نسميه بسيد، بل يجب هذا الاعتقاد، أما بالمعنى الأول وهو السيطرة على العالم، والتصرف بمطلق الإرادة، فلا يصح ولا يجوز، فإنه لا يتصرف في أضعف مخلوق". [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان" (ص: ١٦٨-١٧٠)]

وقال إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الحنفي رحمه الله أيضا:

"تأذي النبي صلى الله عليه وسلم بالغلو في شخصه، والزيادة على ما وصفه الله به:

وأخرج رزين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي.

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يبالغ فيه الناس ويطروه شأن الأمراء والملوك الذين يحبون المبالغة والملق، فإنهم لا شأن لهم بدين هؤلاء الندماء والشعراء، واعتقادهم، فلا عليهم إذا فسدت عقيدتهم، أو باءوا بالإثم، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان مربيا عطوفا على أمته: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكانت عنايته مصروفة إلى إصلاح عقيدتهم وتقويم دينهم.

وقد جرت العادة أن المحبين يبالغون في مدح من يحبونهم، ويسرفون في ذلك لينالوا رضاهم، ويدخلوا السرور عليهم، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته من أشد الأمم حبا لنبيها، وامتنانا له، ومعرفة لفضله، وقد خاف أن تبالغ أمته في مدحه بدافع هذا الحب فتتخطى الحدود وتسيء الأدب مع الله أحيانا، فيتلف بذلك دينها وتهلك، وتعادي النبي وتؤذيه، لذلك صرح بأنه لا يرضى بالمبالغة والغلو، وأن اسمه ما سماه به أهله، وناداه به ربه، ليس له من أسماء الله شيء، وأنه ولد كما يولد سائر الناس من أب وأم، وحسبه فخرا أن يكون عبدا لله، ولكنه يمتاز عن سائر عباد الله بالرسالة، والناس عنها في جهل وغفلة، لا سبيل لهم إليها إلا عن طريقه، فليرجعوا إليه ويلوذوا به في تعلم دين الله، وفي معرفة أحكامه وشرائعه. [رسالة التوحيد، ص: ١٧٢-١٧٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**".

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**هلك المتنطعون**"، قالها ثلاثا.

قال فضل الله بن حسن، شهاب الدين التوربشتي (المتوفى: ٦٦١ هـ): "هلك المتنطعون، قالها ثلاثا"، أراد به المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من الكلام، والأصل في المتنطع الذي يتكلم بأقصى حلقه، مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز، تخفف وتثقل، وإنما ردَّد القول ثلاثاً تهويلاً منه وتنبيهاً على ما فيه من الغائلة، وتحريضا على التيقظ والتبصر دونه، وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان والمتكلفين في القول الذين يرومون بسبك الكلام سبى قلوب الرجال، نسأل الله العافية". [الميسر في شرح مصابيح السنة، ١٠٤٦/٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): " قوله: "هلك المتنطعون"، (المتنطع): الذي يوقع الكلام في نطع الفم، وهو الغار الأعلى من الطبقة العليا إلى أقصى الفم؛ يعني: لمن صوته من قعر حلقه، ويردده في فمه من الرعونة، وإنما هلك المتنطع؛ أي: فات عنه الثواب؛ لأنه يتكلم رياء وفخرا، وإظهارا لفصاحته، وفضله على غيره، ومن كانت هذه صفته لا يكون له إخلاص". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/١٦١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٤ هـ**): "**هلك المتنطعون**" وهم المتعمقون في الكلام الغالون في خوضهم فيما لا يعنيهم منه، وقيل: المتكلفون في الفصاحة، وقيل: أراد بهم المصوتين من قعر حلوقهم والمرددين لكلامهم في أفواههم رعونة في القول وفصاحة. "**قالها**"؛ أي: هذه الكلمة. "**ثلاثا**" تهويلا لشأن هذا الأمر وتحريضا على التيقظ لما فيه من الغائلة العظيمة". [شرح المصابيح، ٥/٢٢١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "إنما ردد القول ثلاثا تهويلا وتنبيها على ما فيه من الغائلة، وتحريضا على التيقظ والتبصر دونه، وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان والمتكلفين في القول، الذين يرومون بسبك الكلام سبي قلوب الرجال، نسأل الله العافية من الدخول في الأوحال". [مرقاة المفاتيح، ٧/٣٠١٢]

الباب التاسع عشر

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة: "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: "**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله**". فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما، عنها، قالت: "لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال -: وهو كذلك- **لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**". أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: "**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك". فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجدا" ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**".

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**"، ورواه أبو حاتم في صحيحه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ""**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟**".

اعلم أن عبادة الله عند القبر المعظم بدعة محرمة ووسيلة للشرك، ينكر على فاعله بالشدة والغلظة، فكيف إذا عبد صاحب القبر؟

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن عائشة: "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: "**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله**". فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل".

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، ٤٥٠/١، رقم (١٢٧٦).

قوله: "**أم سلمة**"، هي هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية (ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب) ابن المغيرة، القرشية المخزومية، أم سلمة: من زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) تزوجها في السنة الرابعة للهجرة. وكانت من أكمل النساء عقلا وخلقا. وهي قديمة الإسلام، هاجرت مع زوجها الأول "أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة" إلى الحبشة، وولدت له ابنه " سلمة " ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا إلى المدينة، فولدت له أيضا بنتين وابنا. ومات أبو سلمة (في المدينة من أثر جرح) فخطبها أبو بكر، فلم تتزوجه. وخطبها النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت لرسوله ما معناه: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال. فأرسل إليها النبي (صلى الله عليه وسلم) بما مؤداه: أما السن فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله. وتزوجها. وكان لها "يوم الحديبية" رأي أشارت به على النبي (صلى الله عليه وسلم) دل على وفور عقلها. ويفهم من خبر عنها أنها كانت "تكتب" وعمرت طويلا. واختلفوا في سنة وفاتها، .... وبلغ ما روته من الحديث ٣٧٨ حديثا وكانت وفاتها بالمدينة". [الأعلام، ٩٧/٨-٩٨]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قوله: "**كنيسة**" : وهي معبد اليهود والنصارى معرب كنيشت. "**أولئك**" : بكسر الكاف خطابا لإحداهما أو لإحدى النساء أو لعائشة، وفي نسخة بفتح الكاف على خطاب العام، أو تنزيلا لهن منزلة الرجال، والمعنى أولئك من أهل الكتاب، أو من جماعة اليهود والنصارى.

"**إذا مات فيهم الرجل الصالح**" : أي من نبي أو ولي "**بنوا على قبره مسجدا**" : أي متعبدا وسموه كنيسة "**ثم صوروا فيه تلك الصور**" : أي صور الصلحاء تذكيرا بهم وترغيبا في العبادة لأجلهم،

ثم جاء من بعدهم فزين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لهم: سلفكم يعبدون هذه الصور فوقعوا في عبادة الأصنام. "**أولئك**" : أي البانون والمصورون "**شرار خلق الله**": لأنهم ضلوا وأضلوا عباد الله. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٨٥٧- ٢٨٥٨)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما، عنها، قالت: "لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال -: وهو كذلك- **لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**". أخرجاه".

قوله: "**ولهما**"، أي البخاري ومسلم.

قوله: "**لما نزل**" على صيغة المجهول، والمراد نزول الموت.

قوله: "**طفق**" بكسر الفاء أي: جعل الخميصة على وجهه من الحمى (فإذا اغتم) أي: احتبس نفسه كشفها.

قوله: "**وهو كذلك**" الواو فيه للحال.

قوله: "**يحذر**" جملة حالية لأنه بالتدريج يصير مثل عبادة الأصنام. [عمدة القاري، ٢/٢٢]

وقال العيني رحمه الله أيضا: "يستفاد منه: أن قوله صلى الله عليه وسلم: هذا من باب قطع الذريعة لئلا يعبد قبره الجهال، كما فعلت اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم". [المصدر السابق، ٨/١٣٦]

وقال ابن الملك رحمه الله: "لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد": وذلك إما لسجودهم لقبور أنبيائهم تعظيما لها، وهذا شرك جلي؛ لأن السجود لا يجوز إلا لله، وإما لاعتقادهم أن الصلاة إلى قبورهم أفضل وأعظم موقعا عند الله؛ لاشتماله عبادة الله تعالى وتعظيم أنبيائهم، وهذا شرك خفي من حيث إنه أتى في عبادته بما يرجع إلى تعظيم مخلوق، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**". [شرح المصابيح، ١/٤٣٠]

وقال فضل الله التوربشتي رحمه الله تعالى: "معنى إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى صنيعهم هذا مخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا يسجدون لقبور الأنبياء؛ تعظيما لهم.

والثاني: أنهم كانوا يتحرون الصلاة في مدافن الأنبياء، والسجود على مقابرهم، والتوجه إلى قبورهم حالة الصلاة؛ نظرا منهم بأن ذلك الصنيع أعظم موقعا عند الله؛ لاشتماله على الأمرين: عبادة الله سبحانه، والمبالغة في تعظيم الأنبياء.

وذهابا إلى أن تلك البقاع أحق البقاع بإقامة الصلاة، والتوسل بالعبادة فيها إلى الله؛ لاختصاصها بقبور الأنبياء.

وكلا الطريقين غير مرضية:

أما الأولى: فلأنها من الشرك الجلي.

وأما الثانية: فلأنها متضمنة معنى الإشراك في عبادة الله؛ حيث أتى بها على صيغة الاشتراك والتبعية للمخلوق.

والدليل على تقرير الوجهين: قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم! لا تجعل قبري وثنا يعبد؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، والوجه الأول أشبه به.

وأما نهي النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن الصلاة في المقابر: فإنه لمعنيين:

أحدهما: لمشابهة ذلك الفعل سنة اليهود وإن كان القصدان مختلفين.

والثاني: لما يتضمنه من الشرك الخفي؛ حيث أتى في عبادة الله بما يرجع إلى تعظيم مخلوق فيما لم يؤذن له.

وهذا الحديث حجة على من يرى أن علة النهي عن الصلاة في المقابر هي النجاسة الحاصلة بالنبش؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لعن اليهود على صنيعهم ذلك، ثم نهى أمته عن الصلاة في المقابر، نهيا متسقا على ما ذكره من اليهود؛ أنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ ومن الواضح المعلوم: أن قبور الأنبياء عليهم السلام لا تنبش، ولو نبشت لم يزدها ذلك إلا طهارة، وقد نزه الله تعالى أقدارهم عن ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء، الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)، وثبت: (أنه صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج)؛ فالنهي في الحديث على الإطلاق، من غير تفصيل بين المنبوش وغير المنبوش.

فعلمنا أن علة النهي ما ذكرناه.

والصلاة في المواضع المتبركة بها من مقابر الصالحين: داخلة في جملة هذا النهي، لاسيما إذا كان الباعث عليها تعظيم هؤلاء، وتخصيص تلك المواضع؛ لما أشرنا إليه من الشرك الخفي.

فأما إذا وجد بقربها موضع بني للصلاة، أو مكان يسلم المصلي فيه عن التوجه إلى القبور، فإنه في فسحة من الأمر، وكذلك إذا صلى في موضع قد اشتهر بأن فيه مدفن نبي، ولم ير للقبر فيه علما، ولم يكن ما ذكرناه من العمل الملتبس بالشرك الخفي؛ إذ قد تواطأت أخبار الأمم على أن مدفن إسماعيل عليه السلام في المسجد الحرام عند الحطيم، وهذاك المسجد أفضل مكان تتحرى الصلاة فيه". [الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٢٠٤-٢٠٥)]

وقال الإمام محيي الدين محمد البركوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨١ هـ):

"وقولها: "خشي" بضم الخاء تعليل لمنع إبراز قبره عليه السلام، فإنهم اختلفوا بعد موته عليه السلام : في موضع دفنه، حتى سموا ما وري عنه عليه السلام "أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون" فلما كان هذا من خصائصهم دفنوه في حجرتها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء؛ لئلا يصلي أحد على قبره، ويتخذوه مسجدا، فإنه عليه السلام نهى أمته عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم لعن من فعل ذلك من أهل الكتاب؛ تحذيرا لهم أن يفعلوا ذلك". [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ١٠]

وقال أبو المعالي محمود شكري الآلوسي رحمه الله تعالى: "فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح، صريح في النهي عن المشابهة، وفي هذا دليل على الحذر عن جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن يكون من هذا الجنس.

ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة، من بناء القبور مساجد، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله، بالمستفيض من السنة...". [شرح مسائل الجاهلية، ص: ١٤١-١٤٢]

وقال محمد سلطان المعصومي الحنفي رحمه الله تعالى:

"في هذه الآثار والأحاديث عبرة لمن اعتبر: أن تعظيم القبور وأصحابها والعكوف عليها والتوجه إليها والاستمداد منها، هو أصل الشرك، فما يفعله الجهلة، بل من هو في زي الصالحين ولباس أهل العلم: من العكوف على القبور والتوجه إليها والنذر لها والاستمداد منها، كغالب أهل بخارى

وأفغانستان والهند وخصوصا واقعة أجمير وبغداد ومصر ودمشق وغيرها، فمصيبة عظيمة وبلاء جسيم، موجبة لمقت الله وغضبه. فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وشر وساوس شياطين الجن والإنس من الأئمة الدجالين والشيوخ الكذابين". [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ص: ١٣٢-١٣٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: "**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**".

قوله: "**خليل**"، قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: "ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما إيمانا وتصديقا وتسليما".

وقد بين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى شارح الطحاوية: "أن الخلة أعلى مراتب المحبة".

ولما ذكر مراتب المحبة العشر قال: " الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه". [شرح العقيدة الطحاوية، ١/١٢٤]

وقال ابن أبي العز رحمه الله أيضا: "ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا. وقال: ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن". والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه. وفي الصحيح أيضا: "إني أبرأ إلى كل خليل من خلته". والمحبة قد ثبتت لغيره. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٧ . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢ .

فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة". [المصدر السابق، ١/١٢٣]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**(ألا)** : للتنبيه **(وإن)** : بالكسر على تقدير أنبهكم وأقول: إن، وروي بالفتح فالتقدير: تنبهوا واعلموا أن **(من كان قبلكم)** ، أي: اليهود والنصارى أو أعم منهم **(كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم)**: من مشايخهم وعلمائهم **(مساجد)** ، أي: بالمعنى السابق **(ألا فلا تتخذوا القبور مساجد)** ، كرر التنبيه بإقحام أداته بين السبب والمسبب مبالغة، وكرر النهي أيضا كما كرر التنبيه بقوله: **(إني أنهاكم عن ذلك)** ". [مرقاة المفاتيح، ٦٠١/٢]

وقال الطيبي رحمه الله تعالى: "قوله: "**ألا وإن من كان قبلكم**" الواو تقتضي معطوفا عليه، و "**إن**" روي بالفتح، فالتقدير: تنبهوا واعلموا أن من كان قبلكم، وإن روى بالكسر فالتقدير: أنبهكم وأقول: إن من كان قبلكم، وحرف التنبيه الثانية مقحمة بين السبب والمسبب، ومن ثم جاء بالفاء، المعنى أنبهكم علي تلك الفعلة الشنيعة تنبيها.

تنبيه لئلا تصنعوا صنيعهم، وكما كرر التنبيه كرر النهي أيضاً في قوله صلى الله عليه وسلم: "**إني أنهاكم**" بعد قوله: "**لا تتخذوا**" ولا تظنوا أن هذا النهي مجاز، بل هو علي حقيقته، وفائدة هذه المبالغة والتكرير غاية التحذير، وكذا فائدة تكرير "**كان**" في الشرط والجزاء الدلالة علي أن تلك الغفلة القبيحة كانت مستمرة فيهم، وهي دأبهم و هجيراهم". [الكاشف عن حقائق السنن، ٩٣٨/٣]

وقال السيد نعمان خير الدين الآلوسي رحمه الله تعالى: "وقد تعاظم الأمر في هذه الأزمان، وظهرت البدع في كل مكان، وبنيت القبب المذهبة على القبور، ونذرت لها النذور، وجعلت عليها التشابيك من العين، وسرجت عليها السرج وقناديل اللجين، ووضعت عليها الأسلحة المجوهرة، وصرفت على سدنتها وبنائها القناطير المقنطرة، وطاف حولها الزائرون وتبرك بتقبيلها والتمسح بأعتابها الداخلون، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وجعلوا ذلك من أعظم الطاعات، ورموا من زجرهم عن هذا الفعل الشنيع بأعظم الهنات، وأسمعوه ما يكره من الكلمات، وصدق قول أحد الأئمة الأمناء:

ورب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأكثر عملهم في ذاك من الكبائر، كما صرحت به الجهابذة الأكابر. فقد قال الشيخ ابن حجر المذكور، ضوعفت له الأجور في كتابه (الزواجر) ما نصه: ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وإبقاء السرج عليها، واتخاذها أوثانا، والطواف بها واستلامها، والصلاة إليها.

أخرج الطبراني عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "**لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر**" .

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عباس: "**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم – زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**".

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم: "**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**".

وروى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال: "**لعن الله – وفي رواية – قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة**".

وروى "**من شرار أمتي من يتخذ القبور مساجد**" . وأيضا "**كانت بنو إسرائيل أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله تعالى**".

ومن ثم قال أصحابنا: **تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما**. وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث، وقيس عليه كل تعظيم للقبر، كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به، والطوائف به كذلك. وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تتخذوا قبري وثنا بعدى**" أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه. فإن أراد بقوله: واتخاذها أوثانا هذا المعنى، أتجه ما قالوه: بل يكفر بشرطه. وإن أريد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد. [جلاء العينين، (ص: ٥٩٦ - ٥٩٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**"، ورواه أبو حاتم في صحيحه".

قال العيني رحمه الله تعالى: "ومعناه: أن الساعة تقوم في الأغلب والأكثر على شرار الناس بدليل قوله لا تزال طائفة، من أمتي على الحق منصورة لا يضرها من ناوأها حتى تقوم الساعة، فدل هذا الخبر على أن الساعة أيضا تقوم على قوم فضلاء وأنهم في صبرهم على دينهم كالقابض على الجمر". [عمدة القاري، ١٨٤/٢٤]

الباب العشرون

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين
يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**".

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ النجم: ١٩. قال: "كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره".

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان يلت السويق للحاج".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**". رواه أهل السنن.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى" **باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله**"، يحذر المؤلف رحمه الله عن الغلو في قبور الصالحين وأن منه ينتج العاقبة السيئة، ألا وهي عبادة أصحاب القبور من دون الله عز وجل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**".

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**" ، أي: لا تجعل قبري مثل الوثن في تعظيم الناس، وعودهم للزيارة بعد بدئهم، واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد.

"**اشتد غضب الله**" : ترحما على أمته وتعطفا لهم، قال الطيبي، وتبعه ابن حجر، والأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السالفة تحذيرا للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم، فيشتد غضبه عليهم "**على قوم**": وهم اليهود والنصارى "**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**" ، رواه مالك مرسلا ، أي: بحذف الصحابي". [مرقاة المفاتيح، ٦٢٨/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**". رواه أهل السنن".

قال الطيبي رحمه الله تعالى: " قوله: "**زائرات القبور**": كان هذا قبل الترخيص، فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنساء. وقيل: بل نهي النساء عن زيارة القبور باق، لقلة صبرهن، وكثرة جزعهن إذا رأين القبور، والنهي عن الإسراج في القبور إنما كان لتضييع المال، لأنه لا نفع فيه لأحد، ويحتمل أن يكون النهي للاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذ القبور مساجد". [الكاشف عن حقائق السنن، ٣/٩٥٤-٩٥٥]

وقال العيني رحمه الله تعالى: "واحتج بهذا الحديث قوم، فقالوا: إنما اقتضت الإباحة في زيارة القبور للرجال دون النساء، وقال ابن عبد البر: يمكن أن يكون هذا قبل الإباحة. قال: وتوقي ذلك للنساء المتجملات أحب إلي، وإما الشواب فلا يؤمن من الفتنة عليهن وبهن حيث خرجن، ولا شيء للمرأة أحسن من لزوم قعر بيتها. ولقد كره أكثر العلماء خروجهن إلى الصلوات فكيف إلى المقابر؟ وما أظن سقوط فرض الجمعة عليهن إلا دليلا على إمساكهن عن الخروج فيما عداها". [العمدة، ٦٩/٨]

وقال ابن الآلوسي رحمه الله تعالى: "وقد أختلف العلماء في زيارة النساء للقبور إذا لم تكن مشتملة على محرم من نوح وغيره. وأما إذا اشتملت على ما يفعله كثير من نساء زماننا قولا وفعلا، بل ما يفعله كثير من جهلة الرجال أيضا فلا خوف في الحرمة إذ ذاك كما لا يخفى على المطلع الخبير.

قال الشيخ على الحلبي الشافعي فيما كتبه على الغاية ما نصه: وكذلك يجب منعهن من زيارة كثير من قبور الأولياء في العراق وغيره، لما في ذلك من المفاسد التي يطول شرحها من تبرج بزينة، ولطم ونوح، واجتماع نساء ورجال واختلافهم جلوسا ومشيا، فلا يمترى عاقل في سد هذا الباب حسما لمادة الفساد. بل يكره للرجل – والحالة هذه – فضلا عن النساء، ولو قيل بالتحريم لم يبعد. انتهى". [جلاء العينين، ص: ٥٩٨]

وقال رحمه الله أيضا: "وصرح أصحابنا بتحريم السراج على القبر، وإن قل، حيث لم ينفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف وإضاعة المال، والتشبه بالمجوس. فلا يبعد في هذا حينئذ أن يكون كبيرة. انتهى ما في الزواجر باقتصار". [المصدر السابق]

وقال الشيخ علي محفوظ الحنفي رحمه الله تعالى: "ومن البدع اتخاذ المقابر مساجد بالصلاة إليها، فعن أبي مرثد كناز بن الحصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**"، رواه مسلم. وأبو مرثد بفتح الميم واسمه كناز بفتح الكاف وتشديد النون وآخره زاي، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**"، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، وقال صلوات الله وسلامه عليه: "**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"، متفق عليه.

والسر في ذلك أن تخصيص القبور بالصلاة عندها تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف: أن ودا وسواعا وأخواتهما كانوا قوما صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وكان هذا مبدأ عبادة الأصنام". أخرجه ابن جرير.

ولهذه المفسدة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد الصلاة عندها، ووقت طلوع الشمس وعند استوائها وعند غروبها، لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة للشمس فيها، فنهى أمته عن الصلاة وإن لم يقصدوا ما قصد المشركون سدا للذريعة وبعدا عن التشبه بعبدة الأوثان.

(وعلى الجملة): تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما وكذا الصلاة عليها للتبرك والإعظام كما صرح به الإمام النووي في "شرح المهذب"، وليس معنى الإعظام أن تقصد أرباب القبور بالسجود فإنه كفر صراح، بل المعنى أنه بتحريه الصلاة لله تعالى على هذا الوجه زاعما أنه أرجى للقبول عند الله تعالى ببركة صاحب الضريح يكون قد أعظم من شأن هذا الولي وهذا يقع كثيرا من العامة.

ومن هذه البدع بناء المساجد على القبور. [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٢٠٤-٢٠٥]

قال محمد ثناء الله المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: "لا يجوز ما يفعله الجهال بقبور الأولياء والشهداء من السجود والطواف حولها واتخاذ السرج والمساجد عليها ومن الاجتماع بعد الحول كالأعياد ويسمونه عرسا". [تفسير المظهري، ١/٥١٩]

وقال العلامة عبد القادر الأرناؤوطي الحنفي رحمه الله تعالى: "وعلى كل، فإن إيقاد السرج على القبور وثنية لا يرضاها الإسلام".[تحقيق فتح المجيد، ص: ٢٧٥]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى: " قوله: "**زائرات القبور**" أي: لعن نساء زائرات القبور، ويستفاد من الحديث ثلاث فوائد،

الأولى: كراهة زيارة النساء القبور، واختلف العلماء هل هو كراهة تنزيه أو تحريم، قيل: تنزيه، والجمهور على أنه تحريم وهو الأصح، وعليه الفتوى.

الثانية: كراهة اتخاذ المساجد على القبور.

الثالثة: كراهة اتخاذ السرج عليها، و "السرج" بضمتين جمع سراج. [شرح سنن أبي داود، ١٩٢/٦-١٩٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "(والسرج) : جمع سراج، والنهي عن اتخاذ السرج لما فيه من تضييع المال، لأنه لا نفع لأحد من السراج، ولأنها من أثار جهنم، وإما للاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، كذا قاله بعض علمائنا". [مرقاة المفاتيح، ٦١٩/٢]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: "قوله: "**والمتخذين عليها المساجد**": هذا مثل قوله: "**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**".

"**السرج**": جمع سراج، وهو المصباح، والنهي عن الإسراج في القبور إنما كان لتضييع المال؛ لأنه لا نفع لأحد من السراج ثم، ويحتمل أن يكون النهي للاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، فإن كان قبر في مسجد أو غيره، ويجلس فيه الناس لتلاوة القرآن والذكر، لا بأس بوضع السراج ثم؛ لينتفع الجالسون بنوره. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٨٧/٢-٨٨]

وقال ابن الملك رحمه الله تعالى : "إنما نهى عليه الصلاة والسلام النساء من زيارة القبور؛ لقلة صبرهن، وكثرة جزعهن.

ذهب بعض العلماء إلى أن هذا قبل ترخيص النبي عليه الصلاة والسلام في زيارة القبور، فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنساء.

وفي بعض النسخ: (زوارات القبور): جمع: زوارة، وهي للمبالغة، يدل على أن من زار منهن على الندرة فهي غير داخلة في الملعونات.

"**والمتخذين عليها المساجد**": إنما حرم اتخاذ المساجد عليها؛ لأن في الصلاة فيها استنانا بسنة اليهود.

"**والسرج**": جمع سراج، وهو المصباح، وإنما حرم اتخاذ السرج عليها؛ لأنها من آثار جهنم، وفيه تضييع المال بلا نفع، وللاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذها مساجد. [شرح المصابيح، ١/٤٤٧-٤٤٨]

وقال الإمام الحجة محيي الدين محمد البركوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨١ هـ): "فلما كان مبدأ عبادة الأصنام ومنشؤها من فتنة القبور، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن الافتتان بها بوجوه كثيرة .

منها: أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن اتخاذها مساجد، كما ثبت في [صحيح مسلم] عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول : "**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك**".

وفي الصحيحين " عن عائشة رضي الله عنها : أنه عليه السلام قال في مرضه الذي لم يقم منه : " **لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"، يحذر ما صنعوا قالت : ولولا ذلك لأبرز قبره عليه السلام ، لكن خشي أن يتخذ مسجدا".

وقولها : (خشي) بضم الخاء تعليل لمنع إبراز قبره عليه السلام ، فإنهم اختلفوا بعد موته عليه السلام : في موضع دفنه ، حتى سموا ما وري عنه عليه السلام " أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون" فلما

كان هذا من خصائصهم دفنوه في حجرتها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء ؛ لئلا يصلي أحد على قبره ، ويتخذوه مسجدا، فإنه عليه السلام نهى أمته عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم لعن من فعل ذلك من أهل الكتاب ؛ تحذيرا لهم أن يفعلوا ذلك .

وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها والصلاة إليها ؛ متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة ، ونص أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك .

وطائفة وإن أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم ؛ إحسانا للظن بالعلماء ، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه .

ومنها: أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن إيقاد السرج عليها ؛ لما روى الإمام احمد وأهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام (**لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**) .

فكل ما لعن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء بتحريمه . وقال أبو محمد المقدسي : لو كان اتخاذ السرج عليها مباحا لم يلعن من فعله ؛ وقد لعن ؛ لأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة ، وإفراطا في تعظيم القبور تشبيها بتعظيم الأصنام ولهذا قال العلماء : لا يجوز أن ينذر للقبور ، لا شمع ولا زيت ولا غير ذلك فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق ، ولا أن يوقف عليها شيء لأجل ذلك ، فإن هذا الوقف لا يصح ولا يحل إثباته وتنفيذه .

ومنها : أنه عليه السلام نهى عن تجصيصها والبناء عليها ، كما روى مسلم في [صحيحه] عن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام نهى عن تجصيص القبر ، وأن يبنى عليه قيل هذا يحتمل وجهين:

أحدهما : البناء عليه بالحجارة ، وما يجري مجراها ، **والآخر** : أن يضرب عليه خباء ونحوه ، وكلا الوجهين منهي عنه لعدم الفائدة فيها مع إضاعة المال ، وبكونه من صنيع أهل الجاهلية .

ومنها : أنه عليه السلام نهى عن الكتابة عليها ، كما روى أبو داود في [سننه] عن جابر رضي الله عنه : أنه عليه السلام (**نهى عن تجصيص القبور ، وأن يكتب عليها**) .

ومنها : أنه عليه السلام نهى عن الزيادة فيها من غير ترابها ، كما روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أيضا : أنه عليه السلام (نهى عن تجصيص القبر أن يكتب عليه ، أو يزاد عليه) .

ومنها : أنه عليه السلام نهى عن الصلاة عندها كما روى مسلم في [صحيحه] عن أبي مرثد الغنوي : أنه عليه السلام قال : "**لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها**"، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**" رواه الإمام أحمد وأهل السنن .

والأحاديث في النهي عن ذلك والتغليظ فيه كثيرة ؛ وذلك لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها .

وقد تقدم أن ابتداء عبادة الأصنام إنما كان من فتنة القبور؛ ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب؛ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأن هؤلاء المردة كانوا يصلون في المواضع التي دفن فيها أنبياؤهم، إما ظنا منهم بأن السجود لقبورهم تعظيم لها؛ وهذا شرك جلي؛ ولهذا قال النبي عليه السلام: "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**". وإما ظنا منهم بأن التوجه إلى قبورهم حالة الصلاة أعظم موقعا عند الله تعالى؛ لاشتماله على أمرين: عبادة الله تعالى وتعظيم الأنبياء. وهذا شرك خفي. [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٩-١٣]

الباب الحادي العشرون

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**"، رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات.

وعن علي بن الحسين: "أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**" رواه في المختارة.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**"، أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن جميع الوسائل والذرائع التي توصل إلى الشرك وتقدح في التوحيد، كالبناء على القبور وإيقاد السرج عليها والكتابة عليها والصلاة إليها أو عليها وغير ذلك.

ولقد اهتم علماء الحنفية بسد جميع ذرائع الشرك اقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وذكر العلامة شمس الدين الأفغاني رحمه الله تعالى اهتمام علماء الحنفية بسد جميع ذرائع الشرك، ومثل بثلاثين ذريعة، وهي الذرائع الآتية:

الذريعة الأولى: الغلو في الصالحين.

الذريعة الثانية: المبالغة في تعظيم الصالحين ومحبتهم.

الذريعة الثالثة: التوجه إلى غير الكعبة بقصد القربة.

الذريعة الرابعة: تعظيم القبور بما لم يرد به الشرع.

الذريعة الخامسة: زيارة حديثي العهد بالشرك للقبور ولو كانت على السنة.

الذريعة السادسة: زيارة القبور على غير السنة.

الذريعة السابعة: اتخاذ القبور عيدا.

الذريعة الثامنة: العكوف على القبور.

الذريعة التاسعة: الصلاة إلى القبور، أو عند القبور.

الذريعة العاشرة: الدعاء عند القبور.

الذريعة الحادية عشرة: اتخاذ القبور مساجد.

الذريعة الثانية عشرة: البناء على القبور.

الذريعة الثالثة عشرة: إيقاد السرج على القبور.

الذريعة الرابعة عشرة: الكتابة على القبور.

الذريعة الخامسة عشرة: كل ما لم يعهد في السنة عند القبور.

الذريعة السادسة عشرة: الحج إلى القبور.

الذريعة السابعة عشرة: السفر إلى آثار الصالحين للتبرك بها.

الذريعة الثامنة عشرة: ربط الخيط أو التميمة ونحوها لدفع الحمى أو نحوه.

الذريعة التاسعة عشرة: التبرك بكل ما لم يرد التبرك به.

الذريعة العشرون: التبرك بمقام إبراهيم عليه السلام.

الذريعة الحادية والعشرون: التبرك بالحجر الأسود.

الذريعة الثانية والعشرون: التبرك بشجرة تشبه شجرة أهل الشرك.

الذريعة الثالثة والعشرون: التبرك بشجرة ذات حادث معظم كشجرة الرضوان ونحوها.

الذريعة الرابعة والعشرون: التبرك بالقبور.

الذريعة الخامسة والعشرون: التبرك والتوسل بالقبر المعظم.

الذريعة السادسة والعشرون: التبرك والتوسل بجثة معظمة أو سرير لشخص صالح ونحو ذلك من الآثار.

الذريعة السابعة والعشرون: القبر المشرف.

الذريعة الثامنة والعشرون: عبادة الله تعالى في مكان يعبد فيه غير الله تعالى.

الذريعة التاسعة والعشرون: الصلاة في المقبرة.

الذريعة الثلاثون: الصلاة عند غروب الشمس وعند طلوعها واستوائها. [جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٢/ ٦٢٢ إلى ٦٨١] أنا ذكرت عناوين الذرائع، ومن أراد مفصلا، فليراجع المصدر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]".

قال النسفي رحمه الله تعالى: " ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ على إيمانكم ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

﴾ قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم". [تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٧١٩)]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

ثم خاطب جميع العرب من أهل مكة وغيرهم بقوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي من جنس العرب، لأنه لم يكن قبيلة في العرب إلا وله فيها قرابة، أي لقد ظهر فيكم رسول عربي مثلكم بشرا ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي شديد ﴿ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي أثمتم وعصيتم، والعنت دخول الضيق في القلب ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ بالهدى لئلا ترجعوا عن اتباعه في دين الإسلام ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ ﴾ أي رقيق قلبه لجميع المؤمنين ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ [١٢٨] بهم ليدخلوا الجنة ويأمنوا من العذاب الأليم". [عيون التفاسير، ج ٢/ ١٦٤]

وقال أبو السعود رحمه الله (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ﴾ الخطاب للعرب،

﴿ رَسُولٌ ﴾ أي رسول عظيم الشأن،

﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء أي أشرفكم وأفضلكم،

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة،

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ في إيمانكم وصلاح حالكم،

﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ منكم ومن غيركم،

﴿ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ قدم الأبلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل". [تفسير أبي السعود، ٤/١١٤]

قد دلت الآية على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته وهذا يقتضي حمايته لجانب التوحيد وسده كل طريق يؤدي إلى الشرك وقد فعل ذلك، فنهى عن تعظيم القبور بالبناء وفي مقدمتها قبره عليه الصلاة والسلام. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٢٠١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**" رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات".

قوله: "**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**"، قال الطيبي رحمه الله تعالى: " معناه لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله تعالي وعبادته، لأنها غير صالحة لها، وكذلك لا تجعلوا القبور كالبيوت محلا للاعتياد لحوائجكم، ومكانا للعبادة والصلاة، أو مرجعا للسرور والزينة كالعيد". [الكاشف عن حقائق السنن، ٣/١٠٤٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "أي: كالقبور الخالية عن ذكر الله وطاعته، بل اجعلوا لها نصيبا من العبادة النافلة لحصول البركة النازلة.

وقيل: معناه لا تدفنوا موتاكم في بيوتكم، ورد الخطابي بأنه عليه السلام دفن في بيته الذي كان يسكنه مردود بأن ذلك من الخصائص لحديث: "ما قبض نبي إلا ودفن حيث يقبض"، ويمكن أن يكون المعنى: لا تجعلوا القبور مساكنكم لئلا تزول الرقة والموعظة والرحمة، بل زوروها وارجعوا إلى بيوتكم، أو لئلا تحصل لكم الجذبة الكاملة وينقطع عنكم نظام الدنيا العاجلة، ولذا قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا، ولهذا المعنى نهيت النساء عن كثرة زيارة القبور.

وقيل: المعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تجعلوها قبورا ؛ لأن العبد إذا مات وصار في قبره لم يصل.

وقيل: لا تجعلوا بيوتكم وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها، فإن النوم أخو الموت والميت لا يصلي.

وقال التوربشتي: ويحتمل أن يكون المراد أن من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر، اهـ.

وقد ورد ما يؤيد هذا، ففي صحيح مسلم: "**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه، كمثل الحي والميت**"، فالمعنى لا تكونوا كالموتى الذين لا يصلون في بيوتهم وهي القبور، أو لا تتركوا الصلاة فيها حتى تصيروا كالموتى وتصير هي كالقبور، ومما يؤيد أن هذا المعنى هو المراد من الحديث الرواية الأخرى: "**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا**". [المرقاة، ٢/٧٤٤]

قوله: " **ولا تجعلوا قبري عيدا**"، **قال فضل الله التوربشتي رحمه الله (المتوفى: ٦٦١ هـ)**: "إذا فسرنا العيد في هذا الحديث على معنى واحد الأعياد؛ ففي الكلام حذف أي لا تجعلوا زيارة قبري عيدا أو لا تجعلوا قبري مظهر عيد، ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته - صلى الله عليه وسلم - اجتماعهم للعيد إذ هو يوم رخص لهم في اللهو واللعب واتخاذ الزينة، ثم إنهم يتبرزون فيه للنزهة وإظهار السرور، وقد كانت اليهود والنصارى يسلكون هذا المسلك في زيارة قبور أنبيائهم، ولم يزل بهم صنيعهم ذلك حتى ضرب الله على قلوبهم حجاب الغفلة ورماها بسهم القسوة فاتبعوا سنن أهل الأوثان في زيارة طواغيتهم فاتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ويحتمل أن المراد من العيد هو الاسم من الاعتياد؛ يقال عاده واعتاده وتعوده أي صار عادة له، والعيد ما اعتادك من هم أو غيره قال الشاعر:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول: صحا يعتاده عيدا

أي لا تجعلوه محل اعتياد تعتادونه عيدا، وإنما نهاهم عن ذلك لمعان منها ما ذكرناه في الوجه الأول، ومنها إذا فعلوا ذلك سلكوا مسلك العادة في باب العبادة، ومنها أنهم يشتغلون بذلك عما هو الأصلح لدينهم والأهم في وقتهم، ومنها أن اعتياده يفضي بالأكثرين إلى إضاعة الوقت وسوء الأدب والتعرض لما ينتهي بهم إلى حال يرتفع دونها حجاب الحشمة. ويؤيد هذه التأويلات قوله – صلى الله عليه وسلم – بعد هذا القول: (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أي لا تتكلفوا المعاودة إليه فقد استغنيتم عنها بالصلاة علي". [الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٢٥٦-٢٥٧)]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): "

قوله: "**لا تجعلوا قبري عيدا**"، (العيد): هو الوقت الذي يجتمع فيه الناس لصلاة كعيد الفطر والأضحى، أو للتنزه كما هو عادة أهل الجاهلية، وعادة اليهود أن يجتمعوا لزيارة أنبيائهم ويلعبون ويتفرجون عند ذلك، فنهى النبي عليه السلام أمته عن أن يتخذوا قبره مجتمعهم، ويقصده الناس من كل بلد.

ونهيه عليه السلام أمته عن ذلك يحتمل وجوها:

أحدها: دفع المشقة عنهم؛ لأن كل من قصد قبره من بلد بعيد لا شك أن يلحقه مشقة في السير، ويتعطل عن الكسب وتحصيل قوت العيال.

الثاني: كراهة أن يتخذوه معبودا ويتجاوزوا عن قدر التعظيم، فيشبهوا تعظيمه تعظيم الخالق جل جلاله.

الثالث: زوال وقعه وتعظيمه عن خواطرهم؛ فإنه من زار أحدا كثيرا زال تعظيمه عن خاطره، ولهذا كره بعض العلماء مجاورة حرم مكة؛ كراهة أن يزول تعظيم الكعبة عن الخواطر". [المفاتيح، ٢/١٦٣-١٦٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "عيدا" هو واحد الأعياد، أي: لا تجعلوا زيارة قبري عيدا، أو لا تجعلوا قبري مظهر عيد، فإنه يوم لهو وسرور، وحال الزيارة خلاف ذلك". [المرقاة، ٢/٧٤٤]

قوله: " **وصلوا علّي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**"، قال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "يعني: لا تتكلفوا المعاودة إلى قبري، فقد استغنيتم عنها بالصلاة علي". [شرح المصابيح، ٢/٣١]

وقال الإمام محيي الدين محمد البركوي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٩٨١ هـ): "

فإن قبره عليه الصلاة والسلام لما كان سيد القبور وأفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن اتخاذه عيدا ، فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام قرن ذلك النهي بقوله : "**ولا تتخذوا بيوتكم قبورا**" وهو أمر بتحري النافلة في البيوت حتى لا تكون بمنزلة القبور ، ونهى عن تحري العبادة عند القبور ثم عقبه بقوله "**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**" وأشار بذلك إلى أن ما ناله منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبره وبعدكم عنه ، فلا حاجة بكم إلى الاتخاذ عيدا كما اتخذا المشركون من أهل الكتاب قبور أنبيائهم وصالحيهم عيدا فإن اتخاذ القبور عيدا هو من أعيادهم التي كانوا عليها قبل مجيء الإسلام وقد كان لهم أعياد زمانية وأعياد مكانية فلما جاء الإسلام أبدلها الله تعالى وعوض عن أعيادهم الزمانية عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى ، كما عوض عن أعيادهم المكانية الكعبة البيت الحرام وعرفات ومنى والمشاعر . [زيارة القبور، ص: ١٩-٢٠]

وقال محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: "أيها المدعون محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغالب الظن أنكم صادقون في دعواكم المحبة، ولكنكم بسبب الغلو والجهل جهلتم حقيقة المحبة الصحيحة التي يحبها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ألا وهي امتثال أمره، والانتهاء عما نهى عنه قولا وفعلا، ولا شك أن توجهكم كلما دخلتم المسجد وخرجتم إلى قبره صلى الله عليه وسلم متواضعين ومتخشعين ومتذللين مخالف لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مالك رحمه الله في موطئه مرسلا عن عطاء رحمه الله تعالى في موضعين منه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**"، و: "**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أبيائهم مساجد**".

والعمل الذي- أنتم أيها المدعون-، تعملونه من التوجه إلى القبر النبوي بالتواضع والتذلل هو بعينه ما يفعله عباد الأوثان لأوثانهم، رجاء البركة والفيض، فإذن لا فرق بين ما تعملون أنتم أيها المدعون وما تعمله عبدة الأوثان !! اللات والعزى وود وسواع ويعوق ويغوث ونسر، فأنتم أيها المدعون راجعوا

تفسير آية اللات والعزى وآية يغوث ويعوق ونسرا، ولتحذروا مما ذمه الله تعالى وذمه رسوله صلى الله عليه وسلم، واحذروا مما أنتم عليه من التوجه إلى القبر، لأنه وثنية وشرك وضلالة وصلوا وسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كنتم، فإن صلاتكم تصل إليه وأنتم ومن بالأندلس والشرق الأقصى سواء، كما تصلون فيما بعد التشهد في صلواتكم فرضها ونفلها، والعمدة على صدق النية.

والتوجه بقصد القربة مخصوص بالكعبة خاصة، فمن توجه إلى غيرها بقصد القربة فقد أشرك في عبادة الله تعالى غيره، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى أبدا إلا إذا تاب العبد توبة صحيحة، وقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم من أن أمته ستتبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان، فحذر أمته قائلا كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه: "**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد**" يحذر ما صنعوا.

إلى أن قال: وقيل: إنما منع صلى الله عليه وسلم كراهية أن يتجاوزوا في تعظيم قبره غاية التجاوز.

قلت (القائل المعصومي): كما هو المشاهد اليوم، فإنهم قد غلوا غلوا زائدا وصاروا كأنهم يعبدونه ويسجدون إليه. [المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية صلى الله عليه وسلم، ص: ٢٥٨-٢٥٩]

دل الحديث على تحريم اتخاذ قبره عيدا وذلك حماية منه لجانب التوحيد وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٢٠٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن علي بن الحسين: "أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**" رواه في المختارة".

قوله: "**علي بن الحسين**"، هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع.

مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السّر إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم. وليس للحسين " السبط " عقب إلّا منه. توفي سنة ٩٤ هـ. [الأعلام، ٢٧٧/٤]

قال ابن كمال باشا الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "كنى بهذا النهي عن الأمر بأن يجعلوا لبيوتهم حظا من الصلاة". [مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا، ١٤٧/٢]

قوله: "**رواه في المختارة**" المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين.

ومؤلفه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام. قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان. فالله يرحمه ويرضى عنه.

وقال شيخ الإسلام: " تصحيحه في مختاراته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب". مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة. [فتح المجيد، ٢٩٤-٢٩٥]

الباب الثاني والعشرون

ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) ﴾ [النساء: ٥١]

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠]

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١]

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟** " ، أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**"، ورواه البرقاني في صحيحه.

وزاد: "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم.**

وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان**"، ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب الآيات والأحاديث الدالة على أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: ٥١]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني أعطوا حظا من علم التوراة ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ الجبت حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف.

وقال القتبي: كل معبود من حجر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت. قال: ويقال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. ويقال: في هذه السورة رجلان من اليهود، وإيمانهم بهما تصديقا لهما وطاعتهم إياهما.

ثم قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني لمشركي مكة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ وذلك أن رؤساء اليهود قدموا مكة بعد قتال أحد، ونقضوا العهد، وبايعوا المشركين وقالوا: أنتم أهدى سبيلا من المسلمين. حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة، قال: جاء كعب بن الأشرف وفي رواية أخرى عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب إلى مكة، فأتيا قريشا فقالت لهما قريش أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، ديننا القديم ودين محمد الحديث، ونحن نصل الرحم، ونسقي الحجيج، ونفك العناة، ومحمد صلى الله عليه وسلم صنبور قطع أرحامنا

واتبعه سراق الحجيج بنو غفار، فنحن أهدى أم هو؟ قالا: بل أنتم أهدى سبيلا منهم. فأنزل الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ الآية إلى قوله ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ يعني أهدى دينا من المهاجرين والأنصار". [بحر العلوم، ٣٠٩/١]

وقال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ﴾ إلى اليهود الذين ﴿ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ حظا من علم التوراة اى انظر يا محمد وتعجب من حالهم فكأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر إليهم فقيل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ ﴾ في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله ﴿ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ الشيطان ويطلق لكل باطل من معبود أو غيره- روى- أن حيي بن اخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم اقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله تعالى وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم قال أنتم أهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي لأجلهم وفى حقهم ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ إشارة إلى الذين كفروا ﴿ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ أي أقوم دينا وارشد طريقة". [روح البيان، ٢٢١/٢-٢٢٢]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ): "يخبر عز وجل عن سفههم بإيمانهم بهؤلاء وحسدهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويحذر المؤمنين من صنيعهم؛ لأن هؤلاء كانوا علماءهم مؤمنين بالجبت أو الطاغوت". [تفسير الماتريدي، ٢٠٧/٣]

دلت الآية على وجود الشرك في أهل الكتاب وقد ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب ومن ذلك الشرك. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٢٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[المائدة: ٦٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ ، قال مقاتل: وذلك أن اليهود، قالوا للمؤمنين: ما نعلم أحدا من أهل هذه الأديان أقل حظا في الدنيا ولا في الآخرة منكم، فنزل ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ يعني: أخبركم ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: ثوابا عند الله فقالت اليهود: من هم؟ قال: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ فقال المسلمون لليهود: يا إخوة القردة والخنازير. فنكسوا رؤوسهم، وخجلوا. ومثوبة صار نصبا للتمييز يعني: التفسير.

ثم قال: ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ قرأ حمزة وعبد الطاغوت بنصب العين والدال، وضم الباء، وكسر التاء، من الطاغوت، لم يصح في اللغة أن يقال لجماعة: الأعبد. وإنما يقال: أعبد، ولا يقال: عبد. وقرأ الباقون: وعبد الطاغوت يعني: جعل منهم من عبد الطاغوت،

ومعناه: خذلهم حتى عبدوا الشيطان، وروي عن ابن عباس أنه قرأ وعبد الطاغوت بضم العين، ونصب الباء بالتشديد، يعني: جمع عابد. يقال: عابد وعبد، مثل راكع وركع، وساجد، وسجد. وقرأ ابن مسعود (وعبدوا الطاغوت) يعني: يعبدون الطاغوت، وقرأ بعضهم وعبد الطاغوت بضم العين والباء، ونصب الدال، وهو جماعة العبيد. ويقال: عبيد وعبد، على ميزان رغيف ورغف، وسرير وسرر.

ثم قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ يعني: شر منزلة عند الله ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ يعني أخطأ عن قصد الطريق وهو الهدى". [بحر العلوم، ١/٤٠٢-٤٠٣]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ)في تفسير قوله تعالى:

"﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ أي من المنقوم من أهل الإيمان، نزل حين قال اليهود للمؤمنين: ما نعلم أحدا من أهل الأديان أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، فقال تعالى: قل يا محمد هل أخبركم بشر من أهل الإيمان على زعمكم ﴿ مَثُوبَةً ﴾ أي جزاء وعقوبة ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ونصبه تمييز ووضع «المثوبة» موضع «العقوبة»، وهو من الإحسان في الأصل توسع أو استهزاء لهم، قوله ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ رفع بالخبرية، ومبتدأه محذوف، أي هو من طرده الله من رحمته ﴿ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾ بقطع لطفه عنه ﴿ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾عطف على صلة «من»، أي ومن عبد الشيطان، فعل ماض من العبادة، وقرئ «عبد الطاغوت» بضم الباء وجر التاء «٧» إضافة، ونصبه ب «جعل»، لأنه معطوف على «القردة» وهو اسم جمع وليس بجمع كعضد، والمراد من عبادة الشيطان تسويله المعصية وإطاعته له فيها، المعنى: من لعنه الله شر عقوبة من غيره في الآخرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾ أي منزلة عند الله ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٦٠] أي عن وسط طريق الحق في الدنيا". [عيون التفاسير، ١/٢٨٢]

والشاهد من الآية، أن بعض اليهود من عبد الأصنام وعبد البشر وفي هذه الأمة من يتتبع اليهود، إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ [الكهف: ٢١]".

قال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) رحمه الله تعالى:

"واستدل بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في ذلك، وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد،

فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله تعالى زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»،

ومسلم «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»،

وأحمد عن أسامة وهو والشيخان والنسائي عن عائشة، ومسلم عن أبي هريرة «لعن الله تعالى اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وأحمد والشيخان والنسائي «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة».

وأحمد والطبراني «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد»

وعبد الرزاق «من شرار أمتي من يتخذ القبور مساجد» وأيضا «كانت بنو إسرائيل اتخذوا القبور مساجد فلعنهم الله تعالى»، إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة.

وذكر ابن حجر في الزواجر أنه وقع في كلام بعض الشافعية عد اتخاذ القبور مساجد والصلاة إليها واستلامها والطواف بها ونحو ذلك من الكبائر، وكأنه أخذ ذلك مما ذكر من الأحاديث، ووجه اتخاذ القبر مسجدا واضح لأنه عليه الصلاة والسلام لعن من فعل ذلك في قبور الأنبياء عليهم السلام وجعل من فعل ذلك بقبور الصلحاء شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة ففيه تحذير لنا، واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ يكون قوله والصلاة إليها مكررا إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية «إذا كان فيهم الرجل الصالح».

ومن ثم قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما فاشترطوا شيئين أن يكون قبر معظم وأن يقصد الصلاة إليها، ومثل الصلاة عليه التبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث، وكأنه قاس عليه كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في بعض الأحاديث المذكورة بلعن من اتخذ على القبر سراجا فيحمل قول الأصحاب بكراهة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذي القبر.

وقال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل للنهي عنها ثم إجماعا، فإن أعظم المحرمات وأسباب

الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه عليه الصلاة والسلام نهي عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل وسراج على قبر ولا يصح وقفه ولا نذره، اهـ.

وفي المنهاج وشرحه للعلامة المذكور ويكره تجصيص القبر والبناء عليه في حريمه وخارجه في غير المسبلة إلا إن خشي نبش أو حفر سبع أو هدم سيل ويحرم البناء في المسبلة، وكذا تكره الكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة سواء كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره، ...

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي كرم الله تعالى وجهه أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته"،

قال ابن الهمام في فتح القدير: وهو محمول على ما كانوا يفعلونه من تعلية القبور بالبناء الحسن العالي، والأحاديث وكلام العلماء المنصفين المتبعين لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء عن السلف الصالح أكثر من أن يحصى، لا يقال: إن الآية ظاهرة في كون ما ذكر من شرائع من قبلنا...

لأنا نقول:

مذهبنا في شرع من قبلنا وإن كان إنه يلزمنا على أنه شريعتنا لكن لا مطلقا بل إن قصه الله تعالى علينا بلا إنكار وإنكار رسوله صلى الله عليه وسلم كإنكاره عز وجل، وقد سمعت أنه عليه الصلاة والسلام لعن الذين يتخذون المساجد على القبور، على أن كون ما ذكر من شرائع من قبلنا ممنوع، وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. والآية ليست كالآيات التي ذكرنا آنفا احتجاج الأئمة بها وليس فيها أكثر من حكاية قول طائفة من الناس وعزمهم على فعل ذلك وليست خارجة مخرج المدح لهم والحض على التأسي بهم فمتى لم يثبت أن فيهم معصوما لا يدل فعلهم فضلا عن عزمهم

على مشروعية ما كانوا بصدده، ومما يقوي قلة الوثوق بفعلهم القول بأن المراد بهم الأمراء والسلاطين كما روي عن قتادة.

وعلى هذا لقائل أن يقول: إن الطائفة الأولى كانوا مؤمنين عالمين بعدم مشروعية اتخاذ المساجد على القبور فأشاروا بالبناء على باب الكهف وسده وكف كف التعرض عن أصحابه فلم يقبل الأمراء منهم وغاظهم ذلك حتى أقسموا على اتخاذ المسجد، وكان الأولين إنما لم يشيروا بالدفن مع أن الظاهر أنه هو المشروع إذ ذاك في الموتى كما أنه هو المشروع عندنا فيهم لعدم تحققهم موتهم، ومنعهم من تحقيقه أنهم لم يقدروا كما أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن وهب بن منبه على الدخول عليهم لما أفيض عليهم من الهيبة ولهذا قالوا: ﴿ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾وإن أبيت إلا حسن الظن بالطائفة الثانية فلك أن تقول: إن اتخاذهم المسجد عليهم ليس على طرز اتخاذ المساجد على القبور المنهي عنه الملعون فاعله وإنما هو اتخاذ مسجد عندهم وقريبا من كهفهم، وقد جاء التصريح بالعندية في رواية القصة عن السدي ووهب، ومثل هذا الاتخاذ ليس محظورا إذ غاية ما يلزم على ذلك أن يكون نسبة المسجد إلى الكهف الذي هم فيه كنسبة المسجد النبوي إلى المرقد المعظم صلى الله عليه وسلم، ويكون قولهم ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم ﴾ على هذا لمشاكلة قول الطائفة ﴿ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم ﴾ وإن شئت قلت: إن ذلك الاتخاذ كان على الكهف فوق الجبل الذي هو فيه، وفي خبر مجاهد أن الملك تركهم في كهفهم وبنى على كهفهم مسجدا وهذا أقرب لظاهر اللفظ كما لا يخفى، وهذا كله إنما يحتاج إليه على القول بأن أصحاب الكهف ماتوا بعد الإعثار عليهم وأما على القول بأنهم ناموا كما ناموا أولا فلا يحتاج إليه على ما قيل، وبالجملة لا ينبغي لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف ما نطقت به الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة معولا على الاستدلال بهذه الآية فإن ذلك في الغواية غاية وفي قلة النهي نهاية،

ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من أشرافها وبنائها بالجص والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك محتجا بهذه الآية الكريمة وبما جاء في بعض روايات القصة من جعل الملك لهم في كل سنة عيدا وجعله إياهم في توابيت من ساج ومقيسا البعض على البعض وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل. ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره عليه الصلاة والسلام وهو أفضل قبر على وجه الأرض بل أفضل من العرش، والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له والسلام عليه عليه الصلاة والسلام فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك. [روح المعاني، ٨/ ٢٢٥-٢٢٨]

وقال شمس الدين الأفغاني رحمه الله (المتوفى: ١٤٢٠ هـ): " أن تشبث القبورية بهذه الآية باطل كاسد وعاطل فاسد .

وذلك لوجوه:

الأول: أن هذا الفعل فعل وثني قد فعله الكفار المشركون.

والثاني: أنه لو سلم أنهم كانوا مسلمين - على سبيل فرض المحال - فالجواب: أن فعلهم هذا بدعة وثنية لا فعلة سنية .

والثالث: أنه لو سلم على سبيل فرض المحال أيضا: أن عملهم هذا كان من شرائع من قبلنا - فالجواب: أن ما كان من شرائع من قبلنا - لا يحتج به إلا إذا أقره شرعنا؛ ففسد ما هذى به هؤلاء القبوريون ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٩] ". [جهود علماء الحنفية، ٣/١٦٥٦]

هل يجوز الاستدلال ببناء على القبور بالقبة التي بنيت على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما؟

لا يجوز، لأن القبة بنيت بعد القرون المفضلة.

ومتى بنيت القبة الخضراء على القبر النبي صلى الله عليه وسلم؟

قال العلامة الخجندي (١٣٧٩هـ) مبينا تاريخ بناء هذه القبة الخضراء المبنية على قبر النبي صلى الله عليه وسلم: "ابتداء القبة الخضراء على القبر الشريف،

اعلم أنه إلى عام (٦٧٨هـ) لم تكن هناك قبة على الحجرة النبوية التي فيها قبره صلى الله عليه وسلم؛ وإنما عملها وبناها الملك الظاهر المنصور قلاوون الصالحي في تلك السنة (٦٧٨هـ) ، فعملت تلك القبة.

قلت: إنما فعل ذلك لأنه رأى في مصر والشام كنائس النصارى المزخرفة فقلدهم جهلا منه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وسنته؛ كما قلدهم الوليد في زخرفة المسجد، فتنبه، كذا في "وفاء الوفاء".

وقال أيوب صبري التركي في المجلد الثاني من كتابه: "مرآة الحرمين" ما معربه: إن السلطان صالح بن قلاوون المصري في عام ٦٧٨ هجري بنى على الحجرة النبوية قبة، وكان وكيله أحمد كمال بن هارون عبد القوي الربعي وبعده جددها وصفحها بألواح النحاس الملك ناصر حسن بن محمد بن قلاوون عام ٧٠٥ هـ. الخ.

اعلم أنه لا شك أن عمل قلاوون هذا – مخالف قطعا للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكن الجهل بلاء عظيم والغلو في المحبة والتعظيم وباء جسيم والتقليد للأجانب داء مهلك؛ فنعوذ بالله من الجهل ومن الغلو ومن التقليد للأجانب.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج حيان بن حصين الأسدي عن علي رضي الله عنهما أنه قال له: "أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته"، فالسنة أن القبر لا يرفع رفعا كثيرا من غير فرق بين قبر صالح وغير صالح ونبي أو ولي، لأن البناء على القبور محرم، وما قيل بإباحته فباطل مخالف للنص: ويدخل في المنع أولا دخولا أوليا القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضا يكون هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك، وكم نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها

الإسلام. منها اعتقاد الجهلة لها، كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظموها فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد المؤمنون الموحدون من ربهم وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وهكذا في جميع أنحاء العالم الإسلامي عموما وفي المدينة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا.

وبالجملة: إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!. [المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية صلى الله عليه وسلم، ص: ٢٧٥-٢٧٦، ط. دار منار التوحيد للنشر، المدينة المنورة]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟** " ، أخرجاه".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**لتتبعن سنن من قبلكم**"، (السنن): جمع سنة، وهي هنا: الرسم والعادة؛ يعني: لتفعل أمتي مثل ما فعلت الأمم الماضية من الأفعال القبيحة.

"**حتى لو دخلوا جحر ضب**"، (الجحر): الثقبة، يريد بهذا اللفظ: أنكم تفعلون مثل فعلهم.

"قيل: يا رسول الله**!** اليهود والنصارى": الذين نتبعهم هم اليهود والنصارى، أم قوم أخر؟

فقال - صلى الله عليه وسلم -: "**فمن**"؛ يعني: فمن هم إن لم يكونوا اليهود والنصارى؛ يعني: الذين تتبعونهم هم اليهود والنصارى لا غيرهم". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٣٣٠]

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!**».

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى. فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم - فيه شبه من

اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرءون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى. وأكثر المنحرفين من العباد، من المتصوفة ونحوهم – فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥٤٤]

قال العلامة محمود شكري الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٤٢ هـ):

"أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في أمته من يحذو حذو الأمم السابقة، وهم جاهلية الكتابيين وغيرهم، كمافُسر في الحديث، ولا شك أن ما أخبره به صلى الله عليه وسلم كائن لا محالة، فإنه الصادق المصدوق، وما ينطق عن الهوى، ومن اليقين أن من استمسك بهديه، واتبع ما ثبت من سنته غير مقصودين بالحديث، لما ثبت في حديث الفرق أنهم الفرقة الناجية، وهم من كان على ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما هو الوارد؛ فلا بد أن يكون الذين يحذون حذوهم هم من بدَّل وغير، وابتدع وحرف، وحاكى الذاهبين الأَّولين في أفعالهم وأعمالهم، من بناء المشاهد والمساجد على قبور صالحيهم، وندائهم في المهمات والملمات، وغير ذلك مما كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون، مما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

وفي الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصال الجاهلين من الكتابيين والمشركين ما يصدق به عليهم إتباع سننهم حذو القذة بالقذة، ونحن نذكر بعض ذلك ليكون كالمثال الموضح لما نحن بصدده.

فمن خصالهم: أنهم كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في عبادة الله تعالى، ويرون ذلك من تعظيمهم الذي يحبه الله، ويقصدون به أيضاً التقرب و الزلفى والفوز بشفاعتهم، لظنهم أن الصالحين يحبون ذلك منهم، وقد أخبر القرآن عن هذه الخصلة قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الزمر: ٢ – ٣]

وعبادة المشركين لهم كانت بدعائهم لهم وطلب حاجاتهم منهم، والذبح والنذر لهم، والحلف بهم. وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه، وأن من فعل ما استحسنه حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ومن المعلوم أن للغلاة الحظ الوافر من خصلة أسلافهم هذه كما هو المشاهد". [غاية الأماني، ١/٣٣-٣٤]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى أيضا: "وقد حذا حذوهم حذو القذة بالقذة غلاة هذه الأمة ومتصوفتها، ترى طائفة منهم قد اتخذوا ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في بيوت الله ومساجد، وطائفة اتخذوا الطواف على قبور الصالحين أعظم طاعة وعبادة وقصدوها في طلب الحاجات ونذروا لها، ومنهم من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية والمكائد التي لم تهتد إليها النفوس الإنسانية، وزعم أنه سلك سبيل الزهاد، وطريق العباد، ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية، والفوز بزخارف هذه الدنيا الدنية، إلى غير ذلك مما يطول، ولا يعلم الموحد ماذا يقول،

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم". [المصدر السابق، ١/٤٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت**

قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا".

قوله: "**عن ثوبان رضي الله عنه**" هو ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة (في فلسطين) ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها دارا، وتوفي بها سنة ٥٤ هـ. له ١٢٨ حديثا". [الأعلام، ١٠٢/٢]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**"، الحديث.

(**زوي**): ماض مجهول، معناه: جمع، (**زوى**) إذا تعدى بـ (إلى) معناه: جمع، وإذا تعدى بـ (عن) معناه: بعد.

قال في "الغريبين": زويت لي الأرض؛ أي: جمعت.

وقال عمر – رضي الله عنه – للنبي – صلى الله عليه وسلم –: لما زوى الله عنك من الدنيا؛ أي: لما نحى عنك.

قال الخطابي: توهم بعض الناس أن حرف (من) ها هنا للتبعيض، وليس ذلك على ما توهموه، وإنما معناه التفصيل للجملة المتقدمة، والتقديم لا يناقض الجملة، لكن يأتي عليها، ويستوفيها جزءا جزءا.

والمعنى: أن الأرض زويت جملتها له مرة واحدة فيراها، ثم هي تفتح له جزءا فجزءا، حتى يأتي عليها كلها.

"**الكنز**": المال المدفون.

قيل: أراد بـ "**الأحمر والأبيض**" كنوز كسرى من الفضة والذهب، أفاءها الله على أمته.

وقيل: أراد العرب والعجم، جمعهم الله في دينه ودعوته، ذكرهما في "الغريبين".

قال الحافظ أبو موسى: (**الأحمر**): ملك الشام، و (**الأبيض**): ملك فارس، قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق.

قال إبراهيم الحربي: إنما قال لملك فارس الكنز الأبيض؛ لبياض ألوانهم، وكذلك قيل لهم: بنو الأحرار؛ يعني: البيض، ولأن الغالب على كنوزهم الورق، وهو الأبيض، وإنما فتحها عمر رضي الله عنه، وأخذ أبيض المدائن، وهو موضع المسجد اليوم.

قال: والغالب على ألوان أهل الشام الحمرة، وعلى بيوت أموالهم الذهب، وهي حمراء.

(**السنة**): القحط، (**العامة**): ضد الخاصة، من عم عموما، إذا شمل، "**سنة عامة**"؛ أي: قحط شامل لجميع الخلق، "**التسليط**": الغلبة والقهر.

"**يستبيح بيضتهم**"، قال في "الغريبين": قال شمر: يريد جماعتهم وأصلهم.

وقال الأصمعي: بيضة الدار وسطها ومعظمها، (**الاستباحة**): الاستحالة.

"**الأقطار**": جمع قطر، وهو الجانب والناحية.

"**يسبي**": مضارع من (سبى يسبي سبيا)، إذا أسر أسيرا؛ يعني سألت الله سبحانه وتعالى ألا يهلك أمتي بقحط يشمل جميعهم، بحيث يسري إلى جميع بلدان المسلمين وأمصارهم، وألا يغلب عليهم الأعداء من غيرهم؛ أي: من الكفرة، فيستأصلوهم، فأجاب الله دعاءه - صلى الله عليه وسلم - عليهم.

وقال: "**يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة**" إلى آخره.

قوله: "**إني قضيت قضاء فإنه لا يرد**"؛ يعني: إذا حكمت بوقوع شيء فإنه غير مردود لا محالة.

واعلم أن لله تعالى قضى في خلقه قضاءين مبرما ومعلقا، وأما القضاء المعلق فهو عبارة عما قدره في الأزل معلقا بفعل، كما قال: إن فعل الشيء الفلاني فكان كذا أو كذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا.

وهو من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات، كما قال تعالى في محكم كتابه ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾[الرعد: ٣٩].

وأما القضاء المبرم؛ فهو عبارة عما قدره سبحانه في الأزل من غير أن يعلقه بفعل، فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ، بحيث لا يتغير بحال، ولا يتوقف على المقضي عليه ولا المقضي له؛ لأنه من علمه بما يكون وبما كان، وخلاف معلومه مستحيل قطعا، وهذا من قبيل ما لا يتطرق إليه المحو والإثبات، قال الله عز وجل: و ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا مرد لقضائه، ولا مانع لحكمه**".

فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه: "**إني قضيت قضاء فإنه لا يرد**" من القبيل الثاني، وما ذكره تعالى في إجابة دعاء حبيبه صلى الله عليه وسلم إلا لتأكيد الإجابة، والاعتماد عليها غاية الاعتماد.[المفاتيح في شرح المصابيح (٦/ ٩٤-٩٦)]

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: " لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه". [العقيدة الطحاوية]

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "أي: لا يرد قضاء الله راد، ولا يعقب، أي لا يؤخر حكمه، مؤخر، ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار". [شرح الطحاوية، ص: ١٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**"، (الأئمة): جمع الإمام، وهو رأس القوم، ومن يدعوهم إلى فعل أو قول أو اعتقاد؛ يعني: أخاف أن يحدث بين أمتي المبتدعون، فيدعونهم إلى البدعة والضلالة.

"**فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة**"؛ يعني: إذا ظهرت الحرب بين أمتي، تبقى الحرب بينهم إلى يوم القيامة، إن لم يكن في بلد يكن في بلد آخر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٥٧/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**": يدعون أمتي إلى البدعة والضلالة.

"**فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم**"؛ يعني: إذا ظهر الحرب بينهم يبقى ذلك.

"**إلى يوم القيامة**"، إن لم يكن في بلد يكون في بلد آخر". [شرح المصابيح، ٤٩٥/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين"، منها ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه.

"**وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**" أي: الأصنام حقيقة، ولعله يكون فيما سيأتي، أو معنى ومنه: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم» ، "**وإنه**" أي: الشأن "**سيكون في أمتي كذابون**" أي: في دعوتهم النبوة "**ثلاثون**"، أي: هم أو عددهم ثلاثون "**كلهم يزعم**"، أفرد للفظ كل "**أنه نبي الله، وأنا خاتم النبيين**" بكسر التاء وفتحها، والجملة حالية، وقوله: "**لا نبي بعدي**" تفسير لما قبله، "**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق**" خبر لقوله: لا تزال أي ثابتين على الحق علما وعملا "**ظاهرين**" أي: غالبين على أهل الباطل ولو حجة". [مرقاة المفاتيح، ٣٤٠١/٨]

وقال الطحاوي رحمه الله: "وإن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى". [العقيدة الطحاوية]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "قوله: (وأنه خاتم الأنبياء).

قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل**"، أخرجاه في الصحيحين. وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي**"، وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله: "**وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي**". [شرح الطحاوية، ص:١١٨]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى أيضا: " قوله: "وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى".

لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب. ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ لأنا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة ولا يظهر إمارة كذبه في دعواه. والغي: ضد الرشاد. والهوى: عبارة عن شهوة النفس. أي: أن تلك الدعوى بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة". [شرح الطحاوية، ص: ١٦٦]

قد دل الحديث على أن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان.

الباب الثالث والعشرون

ما جاء في السحر

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان".

وقال جابر: "الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**" .

وعن جندب مرفوعا: "**حد الساحر ضربه بالسيف**" ، رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: "**كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر**".

وصح "عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت".

وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في السحر".

معنى السحر لغة وشرعا:

قال الفراهيدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٧٠ هـ):

"السحر: كل ما كان من الشيطان فيه معونة . والسحر: الأخذة التي تأخذ العين. والسحر: البيان في الفطنة. والسحر: فعل السحر". [العين، ١٣٥/٣]

وقال أبو منصور الأزهري الهروي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٠ هـ):

"سحر: قال الليث: السحر: عمل يقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونته السحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما ترى وليس الأصل على ما ترى". [تهذيب اللغة، ١٦٩/٤]

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٩٥ هـ): "السحر هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة". [معجم مقاييس اللغة، ١٣٨/٣]

قال القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ): "إن الخارق إن كان صادرا من نفس شرير خبيثة بمباشرة أعمال يجري فيها التعليم والتعلم فهو سحر". [دستور العلماء، ٥٠/٢]

وقال بدر الدين العيني الحنفي رحمه الله تعالى: "السحر فهو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته". [عمدة القاري، ٢٧٧/٢١]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ يعني اليهود علموا في التوراة أن من اختار السحر ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ يعني نصيب والخلاق في اللغة هو النصيب الوافر". [بحر العلوم، ١٠٧/١]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ): " ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ ﴾ أي اليهود ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ من نصيب ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ باعوها إنما نفى العلم عنهم بقوله ﴿ لَوْ كَانُواْ

﴿ يَعۡلَمُونَ ﴾ مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون". [تفسير النسفي، ١/١١٧]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ ﴾ تأكيد لعدم النفع لهم في الآخرة واللام فيه لتوكيد القسم وفي ﴿ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ ﴾ لتوطية القسم، و«من» مبتدأ، أي واللّه لقد علم اليهود في التورية لمن اشترى السحر واختاره ﴿ مَا لَهُۥ ﴾ أي ليس له ﴿ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أي في الجنة ﴿ مِنۡ خَلَٰقٍ ﴾ أي من نصيب وهو جواب القسم وخبر المبتدأ ". [عيون التفاسير، ١/٦٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١]".

قد سبق تفسير هذه الآية في الباب السابق.

قال مؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"قوله: "**اجتنبوا**"؛ أي: احترزوا وابعدوا عن فعل ذنوب سبعة؛ لأنها مهلكة لفاعلها ومدخلة له النار.

و"**الموبقات**": جمع موبقة وهي المهلكة، من (أوبق): إذا أهلك، و (وبق) بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر و (بوقا): إذا هلك.

قوله: "**والتولي يوم الزحف**"، (التولي): الإعراض عن الحرب والفرار منه.

(**الزحف**): الجيش الذين يزحفون إلى العدو؛ أي: يمشون.

يعني: الفرار من الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران من الكبائر، وإن كان بإزاء كل مسلم أكثر من كافرين يجوز الفرار.

قوله: "**قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**"، (القذف): نسبة أحد إلى الزنا، (**المحصنات**): جمع محصنة، و (المحصنة) بفتح الصاد وكسرها كلاهما جائز، وكلاهما من (أحصن): إذا حفظ، فالمحصنة - بفتح الصاد - مفعولة؛ أي: التي أحصنها الله تعالى؛ أي: حفظها الله من الزنا، والمحصنة: - بكسر الصاد - اسم فاعلة؛ أي: التي أحصنت - أي: حفظت - فرجها من الزنا.

أراد بـ (**الغافلات**): اللاتي يغفلن ويبعدن عما قذفن به من الزنا.

قوله: "**المؤمنات**": احتراز عن قذف الكافرات، فإن قذف الكافرات ليس من الكبائر، فإن كانت الكافرة ذمية فلا يجوز قذفها، ولكن يكون قذفها من الصغائر؛ لأنه ليس موجبا للحد.

يعني: قذف البريات من الزنا من الكبائر.

والفرق بين الحرة والأمة ثابت في الحد، فإن الواجب في قذف الحرة المسلمة الحد، وهو ثمانون جلدة إن كان القاذف حرا أو حرة، وأربعون إن كان القاذف عبدا أو أمة، وفي قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد، والتعزير يتعلق باجتهاد الإمام ولا يبلغ عشرين جلدة.

وإذا كان المقذوف رجلا يكون القذف أيضا من الكبائر ويجب الحد أيضا.

والفرق بين الحر والعبد كالفرق بين الحرة والأمة. [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/١٣٩-١٤١]

قال ابن الملك رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**اجتنبوا السبع الموبقات**"؛ أي: احذروا عن فعل الذنوب السبع المهلكة لمن ارتكبها.

"**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف**"؛ أي: الفرار يوم الحرب، هذا إذا كان بإزاء كل مسلم كافران، وأما إذا كان أكثر فيجوز الفرار.

"**وقذف المحصنات**"؛ أي: رميهن بالزنا، جمع: محصنة، من أحصن: إذا حفظ عن الزنا.

"**المؤمنات**"، احترز بها عن قذف الكافرات، فإنه ليس من الكبائر، فإن كانت ذمية لا يجوز قذفها، ولكن يكون من الصغائر.

"**الغافلات**" عن الاهتمام بالفاحشة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [النور: ٢٣]. [شرح المصابيح، ٧٣/١]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ):"قوله: (**اجتنبوا**)، أي: ابتعدوا، من الاجتناب من باب الافتعال من الجنب، وهو أبلغ من: أبعدوا واحذروا، ونحو ذلك. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾(الإسراء: ٢٣)، لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة.

قوله: (**الموبقات**) أي: المهلكات، وهو جمع موبقة، من أوبق وثلاثيه: وبق يبق وبوقا إذا هلك من، باب: ضرب يضرب، وجاء أيضا: وبق يوبق وبقا، من باب: علم يعلم، وجاء من باب: فعل يفعل بالكسر فيهما.

قوله: (**الشرك بالله**) ، أي: أحدها: الشرك بالله، الشرك جعل أحد شريكا لآخر، والمراد هنا: اتخاذ إله غير الله.

قوله: (**والسحر**) أي: الثاني: السحر، وهو في اللغة: صرف الشيء عن وجهه، وقال الجوهري: السحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ورق فهو سحر، وقد سحره سحرا، والساحر العالم، وسحره أيضا بمعنى: خدعة، وذكر أبو عبد الله الرازي أنواع السحر ثمانية.

الأول: سحر الكذابين والكشدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة للعالم، وأنها تأتي بالخير والشر، وهم الذين بعث الله إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مبطلا لمقالتهم، وردا لمذاهبهم.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن، خلافا للفلاسفة والمعتزلة، وهم على قسمين: مؤمنون وكفار، وهم الشياطين، وهذا النوع يحصل بأعمال من الرقي والدخن، وهذا النوع المسمى بالعزائم وعمل تسخير.

الرابع: التخيلات والأخذ بالعيون والشعبذة، وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة.

الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة.

السادس: الاستعانة بخواص الأدوية، يعني: في الأطعمة والدهانات.

السابع: تعلق القلب، وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الإسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور.

الثامن: من السحر: السعي بالنميمة بالتصريف من وجوه خفية لطيفة، وذلك شائع في الناس، وإنما أدخل كثير من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطافة مداركها، لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه، ولهذا جاء في الحديث: (إن من البيان لسحرا) . وسمي السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل، والسحر الرية، وهي محل الغداء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغصونه.

قوله: (**وقتل النفس**) أي: الثالث: من السبع الموبقات: قتل النفس.

قوله: (**وأكل الربا**) أي: الرابع: أكل الربا، وهو فضل مال بلا عوض في معاوضة مال بمال، كما عرف في الفقه.

قوله: (**وأكل مال اليتيم**) ، أي: الخامس: أكل مال اليتيم، وهو المنفرد في اللغة، وهو: من مات أبوه وهو ما دون البلوغ، وفي البهائم: ما ماتت أمه.

قوله: (**والتولي يوم الزحف**) أي: السادس: الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين، ويقال: التولي الإعراض عن الحرب والفرار من الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران، وإن كان بإزاء كل مسلم أكثر

من كافرين يجوز الفرار، والزحف الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمشون إليهم بمشقة، من زحف الصبي إذا دب على أسته.

قوله: (**وقذف المحصنات**) ، أي: السابع: قذف المحصنات، القذف الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان كما استعير للرمي، والمحصنات جمع محصنة، بفتح الصاد، اسم مفعول أي: التي أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا، وبكسرها، اسم فاعل أي: التي حفظت فرجها من الزنا. قوله: (**المؤمنات**) ، احترز به عن قذف الكافرات فإن قذفهن ليس من الكبائر وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد وفي قذفه الأمة المسلمة التعزير دون الحد. قوله: (**الغافلات**) ، كناية عن البريئات لأن البريء غافل عما بهت به من الزنا". [عمدة القاري، ١٤/٦١-٦٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن جندب مرفوعا: "**حد الساحر ضربه بالسيف**" ، رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف".

قال الطيبي رحمه الله تعالى: قوله: "**ضربة السيف**" يروي بالتاء والهاء والثاني أولي، وكان من الظاهر أن يقال: حد الساحر القتل فعدل إلي ما هو عليه تصويراً له، وأن لا يتجاوز منه إلي أمر آخر. [الكاشف عن حقائق السنن، ٨/٢٥٠٨]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " واختلف أهل العلم في قتل الساحر، روي عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة تقول:

كتب عمر رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر.

وروي عن حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -: أن جارية لها سحرتها، فأمرت بها فقتلت، وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة، وغيرهم من أهل العلم، وهو قول مالك.

وعند الشافعي: يقتل الساحر إن كان ما يسحر به كفر، إن لم يتب، فإن لم يبلغ عمله الكفر، فلا يقتل، وتعلم السحر لا يكون كفرا عنده إلا أن يعتقد قلب الأعيان منه، وذهب قوم إلى أن تعلمه كفر، وهو قول أصحاب الرأي. [المفاتيح في شرح المصابيح (٤/٢٤١- ٢٤٢)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ):

"ذهب جمع من الصحابة وغيرهم إلى قتل الساحر، روي: أن حفصة زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرت بقتل جارية لها سحرتها.

وأن عمر رضي الله تعالى عنه كتب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال الراوي: فقتلنا ثلاث سواحر، وهو قول مالك، وتعلمه كفر عندنا، خلافا للشافعي". [شرح المفاتيح، ١٨٢/٤]

وقال ابن الهمام رحمه الله تعالى: "وقال أصحابنا : للسحر حقيقة وتأثير في إيلام الأجسام خلافا لمن منع ذلك وقال إنما هو تخييل .

وتعليم السحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم ، واعتقاد إباحته كفر .

وعن أصحابنا ومالك وأحمد يكفر الساحر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد تحريمه أو لا ويقتل .

وقد روي عن عمر وعثمان وابن عمر وكذلك عن جندب بن عبد الله وحبيب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز فإنهم قتلوه بدون الاستتابة ، وفيه حديث مرفوع رواه الشيخ أبو بكر الرازي في أحكام القرآن : حدثنا ابن قانع : حدثنا بشر بن موسى : حدثنا ابن الأصفهاني : حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "حد الساحر ضربه بالسيف" انتهى ، يعني القتل .

قال : وقصة جندب في قتله الساحر بالكوفة عند الوليد بن عتبة مشهورة .

وعند الشافعي لا يقتل ولا يكفر إلا إذا اعتقد إباحته ". [فتح القدير، ٦/ ٩١-٩٢، ط. دار الكتب العلمية]

وقال ابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠ هـ): "قال الفقيه أبو الليث إذا تاب الساحر قبل أن يؤخذ تقبل توبته ولا يقتل وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته ويقتل وكذا الزنديق المعروف الداعي والفتوى على هذا القول ا هـ ". [البحر الرائق، ٥٠٠/١٣]

قال العلامة أبو منصور الماتريدي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ):

"السحر يكون على وجهين:

سحر يكفر به صاحبه؛ فإن كان ذلك منه بعد الإسلام، يقتل به صاحبه؛ لأنه ارتداد منه.

وسحر لا يكفر به صاحبه؛ فلا يقتل به، إلا أن يسعى في الأرض بالفساد: من قتل الناس، وأخذ الأموال. فهو كقاطع الطريق، يحكم بحكمهم من القتل وسائر العقوبات، وإذا تاب قبلت توبته.

ألا ترى أن سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله -تعالى- وتابوا توبة لا يطمع في مثل تلك التوبة من المسلم الذي نشأ على الإسلام، حيث أوعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل، والصلب، وأنواع العذاب، فقالوا: (لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون).

وذكر عن أبي حنيفة - رحمه الله - في الساحرة: أنها لا تقتل مرة، وذكر عنه مرة: أنها تقتل، وقال في الساحر بالقولين.

فأما ما روي عنه فيه بالقتل بعمل السحر، فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر؛ فهو كالساعي في الأرض بالفساد، لا بعين السحر.

أو كفر بسحره بعد الإسلام؛ فيقتل كالمرتد عن الإسلام.

وما ذكر عنه: أنه لا يقتل؛ فهو إذا لم يكن سحره سحر كفر، ولا يسعى بالقتل في الأرض لم يقتل به.

ثم قوله - في الساعي في الأرض بالفساد: إنه إذا تاب قبل أن يقدر عليه، سقط عنه القتل؛ فكذا الساحر.

وأما الذي هو لأجل الكفر يلزم القتل قبل التوبة، بعد القدرة عليه.

وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة أيضا.

ففيما قال: إنها لا تقتل؛ لما كان سحرها سحر كفر، والنساء لا يقتلن للكفر.

وفيما قال: يقتلن؛ فلأنهن يقتلن للسعي في الأرض بالفساد كالرجل، والله أعلم.

وقال بعض الناس: لا تقبل توبة الساحر. وهو غلط.

وأحق من يقبل توبته الساحر؛ إذ هو أبلغ في تمييز ما هو حجة مما لا حجة.

وهذا هو الأصل: أن المدعي لشيء -على عهد الأنبياء- إذا استقبلهم بمثله الأنبياء - عليهم السلام - فهو أحق من يلزمهم الإيمان به؛ لعلمهم بالحق منه.

والعوام منهم لا يعرفون إلا ظاهر ما يلزمهم، من تصديق الحجج، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ١/٥٢٥-٥٢٧]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: "القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا، ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور والإناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه الذكور والإناث وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم". [مرقاة المفاتيح، ٢٣٢١/٦]

قوله: "**رواه الترمذي**"، أي خرجه الترمذي في باب ما جاء في السحر، ٦٠/٤، رقم (١٤٦٠).

قوله: "**وقال: الصحيح أنه موقوف**"، قال عثمان بن علي الزيلعي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "قلنا: الموقوف في مثله محمول على السماع لأنه لا يدرك بالرأي". [تبيين الحقائق، ٢٩٣/٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"، أي: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جاء عنهم قتل الساحر، وهم عمر رضي الله عنه وحفصة زوجة الرسول رضي الله عنها وجندب بن كعب الأزدي رضي الله عنه.

الباب الرابع والعشرون

بيان شيء من أنواع السحر

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**".

قال عوف: العيافة: زجر الطير. والطرق: الخط يخط بالأرض.

والجبت: قال الحسن: "رنة الشيطان" إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**". رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئا وكل إليه**".

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس**" ، رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن من البيان لسحرا**".

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب بيان شيء من أنواع السحر".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"(**العيافة**): هي الطيرة، إلا أن العيافة تختص بزجر الطير، مثل أن يطير طائر فيعتقد الرجل أن سفره أو شغله مبارك إن طار وجانب يمين الطير إليه، ومشؤوم إن كان جانب يساره إليه، فلذلك يتشاءمون بأصوات بعض الطير ويتيمنون بأصوات بعضها.

والطيرة: كل ما يعد الرجل مشؤوما من رؤية طير أو حيوان غير الطير أو شجر أو غيره.

و (**الطرق**): الضرب بالحصا، كما هو عادة الكهنة.

(**الجبت**) ها هنا: السحر؛ يعني: هذه الأشياء محرمة كالسحر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٩٢/٥]

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "عن قطن": بفتحتين. "ابن قبيصة": بفتح القاف وكسر الباء. "عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**العيافة**"، أراد به زجر الطير للتفاؤل، والاعتبار في ذلك بأسمائها وأصواتها وممرها ومساقطها، والعيافة أخص من الطيرة.

"**الطرق**" بفتح الطاء وسكون الراء المهملتين: الضرب بالحصا، قيل: أي: ضرب الطير بالحصا لتسنح، أو تبرح، يقال: سنح لي الظبي [يسنح] سنوحا: إذا مر من مياسرك إلى ميامنك، والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح، والبارح ما ولاك مياسره، والسانح ما ولاك ميامنه، وقيل: الذي يفعله النساء بالحصا، وهي نوع من التكهن.

"**والطيرة من الجبت**"؛ أي: من السحر والكهانة؛ أي: هذه الأشياء محرمة كالسحر". [شرح المصابيح، ١١٩/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "العيافة: بكسر العين، وهي زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها، كما يتفاؤل بالعقاب على العقاب، وبالغراب على الغربة، وبالهدهد على الهدى، والفرق بينهما وبين الطيرة أن الطيرة هي التشاؤم بها، وقد تستعمل في التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره. وفي النهاية: العيافة زجر.

التطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. وهو من عادة العرب، وهو كثير في أشعارهم، وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون بها. (والطرق) بفتح فسكون وهو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، وقيل: هو الخط في الرمل، كذا في النهاية، واقتصر الفائق على الأول وأنشد قول لبيد:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

والحاصل أنه نوع من التكهن والطيرة : أي ثلاثتها من الجبت. وهو السحر والكهانة على ما في الفائق. وقيل: هو كل ما عبد من دون الله، فالمعنى أنها ناشئة من الشرك، وقيل: هو الساحر، والأظهر أنه الشيطان، والمعنى أنها من عمل الجبت. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/٢٨٩٦-٢٨٩٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**". رواه أبو داود، وإسناده صحيح".

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**من اقتبس**"، أي: تعلم نوعا من علومها.

"**فقد اقتبس شعبة من السحر**" أي: أخذ قطعة من علم السحر، وهو العلم المذموم الذي بعضه فسق وبعضه كفر". [مرقاة المفاتيح، ٧/٢٩١٢]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "والمنجم: من يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه وسيره، كل ذلك مذموم في الشرع، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله، ويجوز تعلم علم النجوم بقدر ما يعرف به الأيام والليالي، والسنة والشهور والساعات، ومواقيت الصلاة واستقبال القبلة.

...يعني: كما أن تعلم السحر والعمل به حرام، فكذلك تعلم علم النجوم والتكلم به حرام ". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٩٦-٩٧ و١٠٠]

وقال العلامة محمود الآلوسي رحمه الله تعالى: "ولا بأس في تعلم علم النجوم ومعرفة البروج والمنازل والأوضاع ونحو ذلك مما يتوصل به إلى مصلحة دينية.

قال العلامة ابن حجر عليه الرحمة : والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وهذا علم استأثر به الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي به إلى الكفر فأما من يقول : إن الاقتران أو

الافتراق الذي هو كذا جعله الله تعالى علامة بمقتضى ما أطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف فلا إثم عليه بذلك وكذا الاخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعلم به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فانه لا إثم فيه بل هو فرض كفاية". [روح المعاني، ٢٣٤/٧]

قوله: "**رواه أبو داود**"، أي خرجه في باب في النجوم، ٢٢/٤، رقم الحديث (٣٩٠٧).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئا وكل إليه**".

قوله: "**من عقد عقدة**"، على شكل ما يفعله السحرة.

قوله:"**ثم نفث فيها**"، **قال زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)**: "النفث شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل. وقد (نفث) الراقي من باب ضرب ونصر. و (النفاثات) في العقد السواحر". [مختار الصحاح (ص: ٣١٥)]

وقال الزبيدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٠٥ هـ): " النفث: شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه، فإن كان معه ريق فهو التفل، وهو الأصح، كذا في العناية.

وفي الأذكار: قال أهل اللغة: النفث: نفخ لطيف بلا ريق.

(و) النفث: أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، وقيل: هو التفل بعينه.

ونقل شيخنا عن بعضهم: النفث: فوق النفخ أو شبهه ودون التفل، وقد يكون بلا ريق، بخلاف التفل، وقد يكون بريق خفيف، بخلاف النفخ.

وقيل: النفث: إخراج الريح من الفم بقليل من الريق". [تاج العروس، ٣٧٣/٥]

والمراد هنا النفث لأجل السحر.

قوله: " **فقد سحر**"، أي هذا عمله سحر.

قوله: "**ومن سحر فقد أشرك**"، لأن السحر لا يتأتى بدون الشرك؛ لأنه استعانة بالشياطين.

قوله: " **ومن تعلق شيئا وكل إليه**"، أي: من تعلق قلبه بشيء واعتمد عليه وكله الله إلى ذلك الشيء وخذله.

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "قوله: "تعلق" أي: علق على نفسه العوذ والحرز". [تبيين المحارم، ص: ٧١]

ودل الحديث على أن تعقيد والنفث فيه نوع من السحر والساحر مشرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس**" ، رواه مسلم.

قوله: "**أنبئكم**"، أي أخبركم.

قوله: "**العضه**"،

قال الزبيدي الحنفي رحمه الله تعالى: "وقال الأصمعي: العضه السحر، بلغة قريش، وهم يقولون للساحر عاضه. وقيل: بهت، ومنه الحديث: إياكم والعضه: أتدرون ما العضه، وهي النميمة.

وقال ابن الأثير: هي النميمة القالة بين الناس، قال: وهكذا روي في كتب الحديث بالفتح. [تاج العروس، ٤٤٣/٣٦]

وقال النووي رحمه الله تعالى: "**العضه**" هذه اللفظة رووها على وجهين أحدهما: العضه بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة. والثاني: العضه بفتح العين وإسكان الضاد على وزن الوجه، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا والأشهر في كتب الحديث وكتب غريبه، والأول أشهر في كتب اللغة ونقل القاضي أنه رواية أكثر شيوخهم". [شرح مسلم، ١٥٩/١٦]

قوله: "**النميمة**"، هي نقل كلام الناس من بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم. [الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، ٤١٧/٢٤]

قوله: "**القالة بين الناس**"، أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى للبعض عن البعض. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٢٣/٤]

قد دل الحديث على أن النميمة نوع من السحر وذلك لأن النميمة تؤثر ما يؤثر السحر أو أكثر.

قال جمع من السلف: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة. [مرقاة المفاتيح، ١٢٤/١]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه، في باب تحريم النميمة، ٢٨/٨، رقم (٦٨٠٢).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن من البيان لسحرا**".

قوله: "**ولهما**"، أي أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الطب، باب: إن من البيان سحرا، رقم الحديث (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأما أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**):

" قوله: "**وإن من البيان لسحرا**"؛ قيل: هذا ذم تزيين الكلام وتغييره بعبارة يتحير فيه السامعون، كما أن الناس يتحيرون بالسحر، والساحر يري الناس شيئا بصورة شيء، فكما أن السحر منهي، فكذلك تزيين الكلام بحيث يغلط الناس منهي.

وقيل: بل هذا مدح الفصاحة، يعني: أن الفصيح يجعل السامع محبا ومريدا للآخرة بوعظه الفصيح، وكلامه البليغ، كما يجعله الساحر للذي يرى سحره مريدا له بسحره". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٣٢٨-٣٢٩]

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٤ هـ**):

"**وإن من البيان لسحرا**"؛ أي: بعض البيان يعمل عمل السحر.

قيل: هذا ذم لتزيين الكلام، وتعبيره بعبارة يتحير فيها السامع كالتحير في السحر، فنهى عنه كنهيه عن السحر.

وقيل: بل ذلك مدح للفصاحة، يريد أن الفصيح يبعث الناس على حب الآخرة بفصاحته وبلاغته كالسحر في جعله مائلا إليه بسحره". [شرح المصابيح، ٢/ ٢٣٨]

وقال ابن الملك رحمه الله أيضا: "يعني: إن بعض البيان بمثابة السحر في ميلان القلوب أو في العجز عن الإتيان بمثله، وهذا النوع ممدوح إذا صرف إلى الحق، ومذموم إذا صرف إلى الباطل". [شرح المصابيح، ٥/٢٢٠-٢٢١]

وفي الحديث دليل على أن البيان داخل في حقيقة السحر اللغوية، لأن تأثيره خفي على القلوب، فإن الرجل البليغ ذا البيان قد يؤثر على القلوب حتى يسببيها، ربما قلب الحق باطلا والباطل حقا ببيانه.
[خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ العبري حفظه الله، ص: ٤١٥]

الباب الخامس والعشرون

ما جاء في الكهان ونحوهم

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما**".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**". رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة : "**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**". ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا: "**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له؛ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**" رواه البزار بإسناد جيد.

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "**ومن أتى**..." إلى آخره.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس: في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق".



قال المؤلف رحمه الله تعالى: " **باب ما جاء في الكهان ونحوهم**"، يعني: العرافين والرمالين والسحرة ونحوهم، ممن يشابههم في دعوى علم الغيب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**من أتى عرافا، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**"، فإن أتى أحد عرافا، فسأله شيئا، فأخبره عن عيب، فإن صدقه في ذلك الخبر فهو كافر حتى يجدد الإيمان، ولا تقبل له صلاة ولا غيرها من الطاعات قبل أن يجدد الإيمان.

وإن لم يصدقه فلم يكفر، ولكن لا تقبل كمال صلاته وغيرها من الطاعة أربعين يوما كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٩٩]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قوله: "**من أتى عرافا**"، وهو من يخبر بما أخفي من المسروق ومكان الضالة.

وفي "الصحاح": العراف: الكاهن.

"**فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**"؛ أي: يوما، والمراد بعدم قبول صلاته عدم كمالها، وتخصيص الصلاة من بين الأعمال يحتمل أن يكون لكونها عماد الدين فيكون صيامه وغيره كذلك، أو يفوض علمه إلى الشارع، قيل: ذكر العدد هنا للتكثير، وهذا في حق من اعتقد صدق العراف، لا في حق من سأل للاستهزاء أو للتكذيب. [شرح المصابيح، ٥/١٢٦]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: " قال النووي: وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذا الصلاة في الأرض المغصوبة مجزئة مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب له فيها، كذا قاله جمهور أصحابنا.

قالوا: فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل يترتب عليها شيئان: سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب، فإذا أداها في أرض مغصوبة حصل الأول دون الثاني، ولا بد من

هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم على من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة، فوجب تأويله. قلت: وجوب تأويله مسلم، لكن تأويله المذكور غير متعين، فإن مذهب أهل السنة أن الحسنات لا تبطلها السيئات إلا الردة مع الإجماع على عدم لزوم الإعادة حتى في الردة إذا عاد إلى الإسلام إلا الحج، فإنه فرض العمر، ثم مفهوم التأويل السابق أنه لو صلى النفل يكون له ثواب، وكذا الفرض ؛ لأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، نعم، التضاعف من فضله سبحانه وتعالى، فإذا فعل العبد ما يوجب غضبه تعالى، فله إسقاط المضاعفة الزائدة على مقتضى العدل والله أعلم". [مرقاة المفاتيح، ٢٩٠٥/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**". رواه أبو داود".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"(الكاهن): الذي يخبر عما يكون في الزمان المستقبل بالنجوم، أو بأشياء مكتوبة في الكتب من أكاذيب الجن؛ لأن الجن كانوا يصعدون السماء قبل بعثة النبي عليه السلام فيستمعون ما تقول الملائكة في السماء من أحوال أهل الأرض، من قدر أعمالهم وأرزاقهم، وما يحدث من الحوادث، فيأتون إلى الكهنة ويخبرونهم بذلك، فيخبر الكهنة الناس بذلك، ويخلطون بكل حديث مئة كذبة.

وقد كتبوا تلك الأشياء في كتبهم، فبقيت تلك الكتب بين الناس، فيقرأ بها جماعة من الناس، فيتحدثون بما فيها.

يعني: من سأل كاهنا عن حال معتقدا أنه حق وصدق؛ فقد كفر؛ لأن تحليل الحرام كفر، وإن علم بطلان ذلك وتحريمه كان فاسقا، فيكون معنى "كفر" حينئذ: كفران نعمة الله، أو يكون للتهديد والوعيد الشديد". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٦٠/١-٤٦١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " (الكاهن) هو الذي يخبر عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار.

"**فقد كفر بما أنزل على محمد**"، ويؤول الحديث بالمستحل والمصدق؛ لأن تحليل الحرام كفر، وإلا يكون فاسقا، فمعنى الكفر حينئذ كفران نعمة الله، أو إطلاق اسم الكفر عليه لكونه من خصال الكفار الذين عادتهم عصيان الله تعالى". [شرح المصابيح، ١/٣٤٣]

وقال الطيبي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٤٣ هـ):

"وفي قوله صلى الله عليه وسلم تغليظ شديد، ووعيد هائل، حيث لم يكتف بـ ((كفر)) بل ضم إليه ((بما أنزل علي محمد))، وصرح بالعلم تجريدا، والمراد بالمنزل الكتاب والسنة، أي من ارتكب هذه الهنات فقد برئ من دين محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه". [الكاشف عن حقائق السنن، ٣/٨٥٧]

قوله: "**رواه أبو داود**"، أي خرجه أبو داود في سننه، في باب في الكاهن، ٤/١٥، رقم (٣٩٠٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا: "**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له؛ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**" رواه البزار بإسناد جيد.

قوله: " **من تطير**"، أي فعل الطيرة.

قوله: "**أو تطير له**"، أي فعلت الطيرة من أجله.

قوله: "**أو تكهن**"، أي فعل الكهانة.

قوله: "**أو تكهن له**"، أي فعلت الكهانة من أجله.

قوله: "**أو سحر**"، أي فعل السحر.

قوله: "**أو سحر له**"، أي فعلت السحر من أجله.

في الحديث إشارة إلى براءة المصطفى صلى الله عليه وسلم ممن يفعل شيئا من هذه الأفاعيل التي منها السحر ولا يتبرأ صلى الله عليه وسلم من فاعل فعل مباح. [حقيقة السحر، ص: ١٧٠]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة". [العقيدة الطحاوية]

قال شجاع الدين هبة الله بن احمد التركستاني الحنفي الماتريدي المتوفى سنة ٧٣٣ هـ:

"(**ولا نصدق كاهنا ولا عرافا**)، قال القاضي أبو حفص: وإنما قالوا بتكذيب الكاهن والعّراف، والكاهن ولعراف اسم عاّم لكلّ من يتخوض علم غيب، فيندرج تحته المنّجم؛ لأنّ الاطلاع على الغيب غير ممكن إلا لمن ارتضاه الله تعالى من أنبيائه ورسله، على ما قال الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه، فدق كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم".

وأما قولهم: (**ولا من يدعي شيئا بخلاف الكتاب والسنة وإجماع الأمة**).

معناه: ولا نصدق من يدّعي شيئا بخلاف هذه الحجج، لأنا دعينا إلى العمل بهذه الحجج، لأن حجة الله تعالى غالبة ملزمة، فثبت أن من يخالفها مدحوض مغلوب، فكل من ادعى شيئا بخلاف هذه الحجج فيما يرجع إلى عقد وديانة كان هوى باطلا، وكذا كل من ادعى شيئا فيما يرجع إلى سعود ونحوس كان رجما بالغيب، على ما مر بيان بطلانه في الكاهن والعراف". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٧٩-١٨٠]

وقال العلامة سراج الدين الغزنوي الهندي الحنفي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) والعلامة البابرتي (المتوفى: ٧٨٦ هـ) رحمهما الله تعالى: "قوله: (ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة)، أما تكذيب الكاهن والعراف فلأن الإطلاع على الغيب مما استأثر الله به نفسه ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه الله تعالى من أنبيائه بالوحي إليهم على ما قال الله تعالى: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الجن: ٢٦ – ٢٧.

والكاهن والعراف ليسا من الأنبياء فلا نصدقهما، وقد صح عن النبي عليه السلام: "**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد**".

وكذا لا نصدق من يدعي شيئا مخالفا لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، لأن هذه الأدلة هي أصول الشرع، فمن اعتقد شيئا على خلاف ما في أدلة الشرع يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة". [شرح العقيدة الطحاوية، للغزنوي، ص: ١٥٩-١٦٠، وشرح الطحاوية للبابرتي، ص: ١٣٦]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

"عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من أتى عرافا أو كاهنا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**».

والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه. فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسئول؟.

وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد، عن عائشة، قالت: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان؟ فقال: "**ليسوا بشيء**"، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**" .

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث**". وحلوانه: الذي تسميه العامة حلاوته.

ويدخل في هذا المعنى ما يعطاه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها، مثل الخشبة المكتوب عليها " اب ج د " والضارب بالحصى، والذي يخط في الرمل. وما تعاطاه هؤلاء حرام. وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبغوي والقاضي عياض وغيرهما.

والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك. ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته، مع قدرته على ذلك – قوله

تعالى: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٩]. وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت، بإجماع المسلمين. وثبت في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الصديق رضي الله عنه، أنه قال: "**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**".

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة، أنواع:

نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكذابين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس. وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم. ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟ وقال طائفة: إن قتل بالسحر قتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد رحمهما الله". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٥١٦ وما بعدها]

وقال **إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي** (**المتوفى: ١٢٤٦هـ**):

"الاعتماد على العرافة والكهانة، والمخبرين بالمغيبات، كفر:

أخرج رزين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس بابا من علم النجوم بغير ما ذكر الله، فقد اقتبس شعبة من السحر، المنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر".

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر النجوم والكواكب في كتابه، فإنها آية من آيات الله، وتنطق بقدرته وحكمته، وقد زين الله بها السماوات الدنيا، وهي رجوم للشياطين، ولم يذكر أن لها دخلا في

ملكوت السماوات والأرض، أو صلة بسعادة البشر وشقائهم، فمن عدل عما ذكره الله من فوائدها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم، ويستدل بها على الغيب، وتودد إلى الجن، كما يفعل السحرة بالإيمان بهم وندائهم، وتقديم النذور والقرابين إليهم، فهذا كله من الكفر.

أخرج مسلم عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوما**" .

وقد عرفنا من هذا الحديث أن من أتى العراف الذي يدعي الإخبار بالغيب، لم تقبل عبادته أربعين يوما، لأنه قد أشرك، والشرك يطمس نور العبادات كلها، ويدخل في هذا الحكم المنجمون والرمالون، ومن يدعي الاطلاع على الغيب، والإخبار به عن طريق الاستخارة بالقطع والبت".

البت: كساء غليظ من صوف أو وبر. [رسالة التوحيد المسمى بتقوية الإيمان، ص: ١٥٤-١٥٥]

وقال العلامة ابن كمال باشا (المتوفى: ٩٤٠ هـ) رحمه الله تعالى: "وهكذا البدعات التي تحدث في البلاد والأمصار، كخبر المخبر من المغيبات بنظره إلى السيف أو الماء أو المرآة أو البلور أو الزجاج أو غير ذلك، فإنه يخبر في هذه الصور بواسطة خبر الجن والمنجم والرمال والطبيب ومرسل الباقلاء والشعير وغير ذلك، فإنهم يخبرون بغير واسطة خبر الجن على حسب إشارة أعمالهم فقط، فيكون كلهم في حكم الشريعة في إخبارهم كاذبين، وإن اعتقدوا على صدق ما قالوا فحينئذ كانوا كافرين، لأن الله تعالى أخبر من كذبهم وكفرهم بقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [النمل: ٦٥]، معناه: لا يعلم الغيب أحد من الجن والإنس والملائكة إلا الله تعالى، ولهذا قال عليه السلام: "**من أتى كاهنا فصدقه فيما قاله، فقد كفر بما أنزل على محمد**" عليه السلام.

فيكون هؤلاء -شيخا كان أو مريدا أو غيرهما- سببا لإضلال الناس وكفرهم، فوجب على المفتي أن يفتي على مقتضى الشرع في إزالة هذه البدعات التي تحدث في طريق دين الإسلام، وكذا وجب على القاضي أن يحكم موافقا بالشرع لدفع هذه البدعات التي تحدث فيه تحت قضائه، لأن الحكم في حقوق العباد مقدم على الحكم في حقوق الله تعالى، فإصلاح أعمال الناس لا يكون إلا بإحياء الشريعة". [الرسالة المنيرة في المواعظ والعقائد، في مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا، ٥/١٤٠]

وقال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله أيضا: "قال أكمل الدين في (شرحه المشارق): قيل: الكهانة كانت في العرب على ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وقد بطل هذا من حين بعث الله تعالى نبينا عليه الصلاة والسلام.

الثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد ونفته المعتزلة وبعض المتكلمين وأحالوه ولا استحالة في ذلك، لكنهم يصدقون ويكذبون، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم ثابت في الشريعة.

والثالث: المنجمون، وهذا الضرب بخلق الله تعالى لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب أغلب، ومن هذا الضرب: العرافة، ويسمى صاحبها: عرافا-كما مر تفسيره آنفا-وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات.

وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة.

وقد أكذب الشرع الجميع ونهى عن إتيانهم وتصديقهم، وقال: "**لا تأتوا الكهان**"، وقال: "**ليسوا بشيء**"، وقال: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوما**". [رسالة في تحقيق الغيب، في مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا، ١/٢٧١-٢٧٢]

وقال العلامة محيي الدين محمد البركوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨١ هـ): " وأما أهل الفسق والجهلة الذين ضلوا عن طريق الهدى فإن أحدهم إذا عزم على أمر ذهب إلى المنجم والكاهن وصاحب الرمل والحصى فيلعبون بعقله ويزداد بسؤالهم جهلا وخسارا ويصدقهم بما قالوا له ويعطيهم على ذلك أجرة ولا يعلم ذلك المسكين أن ذلك يهدم دينه ودنياه .

...لما روي أنه عليه السلام قال : " من أتى كاهنا ، فسأله عن أمر ثم صدقه بما أخبر به لم تقبل صلاته أربعين صباحا " وفي رواية : " من صدق كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد " عليه السلام .

...والكاهن : هو المنجم سواء كان برمل أو حصى أو شعير أو غير ذلك .

...والمقصود أن كثيرا من الناس ابتلوا بالأنصاب والأزلام فالأنصاب للشرك والعبادة والأزلام للتكهين وطلب علم استأثر الله تعالى به واستبد ، فهذه للعلم وتلك للعمل ودين الله تعالى مضاد لهذا وهذا وإنما الرسول عليه بعث لإبطالهما ". [زيارة القبور الشرعية والشركية، ص: ٦١]

وقال الشيخ علي محفوظ الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٦١ هـ): " (وصفوة القول): أن ما عند المنجم والرمال والذي يضرب بالحصى ونحوهم ليس علما حقيقيا وإنما هو ظن وتخمين مبني على أمارات عادية كثيرا ما تتخلف ويظهر كذبهم فيها.

وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم ولعل النهي عن ذلك لغلبة الكذب في كلامهم، ولإيهامهم العامة أن علم الغيب لا يختص به تعالى بوجه من وجوه الاختصاصات السابقة وهو ما ننكره على المنجمين ونحوهم، ولذا قال العلامة ابن حجر في فتاويه الحديثية: تعلم الرمل وتعليمه حرام شديد التحريم، وكذا فعله لما فيه من إيهام العوام أن فاعله يشارك الله في غيبه، وما استأثر بمعرفته، ولم يطلع عليه إلا أنبياءه ورسله. انتهى باختصار". [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٣٥٠-٣٥١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقال ابن عباس: في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "**ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق**".

قوله: "**ما أرى**"، أي ما أعلم.

قوله: "**من خلاق**"، أي نصيب.

ومناسبة الأثر للباب أن كتابة أبا جاد وتعلمها لمن يدعى بها معرفة علم الغيب والنظر في النجوم على اعتقاد أن لها تأثيرا، كل ذلك يدخل في العرافة ومن فعله فقد أضاع نصيبه من الله. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ العبري حفظه الله تعالى، ص: ٤٢٨]

الباب السادس والعشرون

ما جاء في النشرة

باب ما جاء في النشرة

عن جابر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النُّشرة؟ فقال: **هي من عمل الشيطان**" ، رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود.

وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه" اهـ.

وروى عن الحسن أنه قال:"لا يحل السحر إلا ساحر".

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في النشرة"،

معنى النشرة لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "النشرة، النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه. [معجم مقاييس اللغة، ٥/٤٣٠]

وقال الزبيدي رحمه الله تعالى: "النشرة، بالضم: رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن كان يظن أن به مسا من الجن، وقد نشر عنه، إذا رقاه". [تاج العروس، ١٤/٢١٧]

وقال ابن منظور رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧١١ هـ**): "والنشرة: رقية يعالج بها المجنون والمريض تنشر عليه تنشيرا، وقد نشر عنه، قال: وربما قالوا للإنسان المهزول الهالك: كأنه نشرة. والتنشير: من النشرة، وهي كالتعويذ والرقية. قال الكلابي: وإذا نشر المسفوع كان كأنما أنشط من عقال أي يذهب

عنه سريعا. وفي الحديث أنه قال: فلعل طبا أصابه يعني سحرا، ثم نشره ب قل أعوذ برب الناس أي رقاه؛ وكذلك إذا كتب له النشرة. وفي الحديث:أنه سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان؛ النشرة، بالضم: ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال". [لسان العرب، ٢٠٩/٥]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "النشرة، وهي ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي: يكشف ويزال". [عمدة القاري، ٦٤/١٤]

وقال عياض: "النشرة نوع من التطبب بالاغتسال على هيأة مخصوصة بالتجربة لا يحيلها القياس الظني". [عمدة القاري، ٢٤٩/٣٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن جابر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة؟ فقال: **هي من عمل الشيطان**" ، رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "(النشرة) بضم النون: رقية تقرأ على من أصابه مس الجن، كرهها غير واحد من الأئمة.

وقال سعيد بن المسيب: لا بأس بها، والمنهي من الرقى: ما كان فيه شرك أو يذكر فيه مردة الشياطين، أو ما كان منها بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو، ولعل يدخله سحر أو كفر، فأما ما كان بالقرآن وذكر الله فإنه جائز". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٨٢/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "عن جابر رضي الله عنه أنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن النشرة" بضم النون وسكون الشين المعجمة: نوع من الرقية كان يعالج في الجاهلية بها من يظن أن به مس الجن. "فقال: هو من عمل الشيطان". [شرح المصابيح، ١٠٩/٥]

وقال فضل الله التوربشتي رحمه الله (المتوفى: ٦٦١ هـ) بعد تعريف النشرة: "وفي الحديث (فلعل طبا أصابه) يعني سحرا (ثم نشره بقل أعوذ برب الناس) أي: رقاه. ونشره أيضا: إذا كتب له النشرة، وهي كالتعويذ والرقية، فعلمنا بذلك أن النشرة التي قال فيها: إنها من عمل الشيطان، إنما أراد

به النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به، ويعتقدون فيه". [الميسر في شرح مصابيح السنة، ١٠٠٨/٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "والمراد بالضمير البارز في قوله: (فقال): أي: النبي صلى الله عليه وسلم: (هو من عمل الشيطان) : النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به ويعتقدون فيه، وأما ما كان من الآيات القرآنية، والأسماء والصفات الربانية، والدعوات المأثورة النبوية، فلا بأس، بل يستحب سواء كان تعويذا أو رقية أو نشرة، وأما على لغة العبرانية ونحوها، فيمتنع لاحتمال الشرك فيها". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٨٠/٧]

قوله: "**رواه أحمد بسند جيد وأبو داود**"، أي خرجه أحمد في مسنده، ٢٩٤/٣، رقم (١٤١٦٧)، وأبو داود في سننه في باب في النشرة، ٥/٤، رقم (٣٨٧٠).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: "رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه" اهـ.

قوله: "**في البخاري**"، أي خرجه البخاري رحمه الله تعالى معلقا، في باب هل يستخرج السحر، ١٧٧/٧.

قوله: "**قتادة**"، هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه.

قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون، في السنة ١١٨ هـ. [الأعلام، ١٨٩/٥]

قوله: "**به طب**"، بكسر الطاء وتشديد الباء أي: سحر.

قوله: "**أو يؤخذ**"، بضم الياء آخر الحروف وفتح الهمزة على الواو وتشديد الخاء المعجمة وبالذال المعجمة أي: يحبس الرجل عن مباشرة امرأته ولا يصل إلى جماعها، وهذا هو المشهور بعقد الرجل، وقال الجوهري: الأخذة بالضم الرقية كالسحر، أو حرزة يؤخذ بها الرجال عن النساء من التأخيذ".

قوله: "**أيحل؟**" بهمزة الاستفهام على صيغة المجهول.

قوله: "**أو ينشر؟**" بضم الياء آخر الحروف وفتح النون وتشديد الشين المعجمة وبالراء على صيغة المجهول أيضا: من التنشير من النشرة، بضم النون وسكون الشين وهي كالتعويذ والرقية يعالج به المجنون ينشر عنه تنشيرا، وكلمة: أو، يحتمل أن تكون شكا وأن تكون تنوعا شبيها باللف والنشر، بأن يكون الحل في مقابلة الطب والتنشير في مقابلة التأخيذ.

قوله: "**فأما ما ينفع**"، ويروى: ما ينفع الناس فلم ينه عنه على صيغة المجهول. [عمدة القاري، ٢٨٣/٢١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز. [إعلام الموقعين، ٣٩٦/٤]

قلت: كلام ابن القيم رحمه الله تعالى هذا هو خلاصة معنى النشرة وبيان حكمها.

الباب السابع والعشرون

ما جاء في التطير

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣١]

وقوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**" ، أخرجاه.

زاد مسلم "**ولا نوء ولا غول**".

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**".

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**".

وعن ابن مسعود مرفوعا: "**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل**" ، رواه أبود داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: "**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**". قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: "**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**" .

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: "**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في التطير"،

قال أبو السعادات رحمه الله تعالى: "الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء . وهو مصدر تطير . يقال تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجيء من المصادر هكذا غيرها . وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر". [النهاية، ٣/٣٣٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣١]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ أي: شؤمهم ذلك الذي يخافون منه هو من عند الله، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : بأنه كان من عند الله، كان بتكذيبهم موسى". [تفسير الماتريدي، ٤/٥٤٥]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: إن الذي أصابهم من عند الله وبفعلهم.

ويقال: إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه من الله تعالى ولا يعلمون ما عليهم في الآخرة". [بحر العلوم، ١/٥٤٢]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١]

﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ ﴾ أي الخصب والرخاء والخير ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي هذه مختصة بنا بالاستحقاق ولم يشكروا الله تعالى عليها ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾ أي قحط وشدة وشر ﴿ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ أي يقولوا هذا بشؤم موسى وبشؤم من آمن معه، وإنما قال «إذا» في جانب الحسنة مع التعريف، و«إن» في جانب السيئة مع تنكيرها، لأن «إذا» يدخل في متيقن الوجود و«إن» في جائز الوجود وقلته، والحسنة لكثرة جنسها صارت واجبة الوقوع والسيئة نادرة، ولا يقع إلا شيء منها، ثم قال: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ ﴾ أي اعلموا أن الذي أصابهم من الخير والشر لم يكن إلا ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي من عنده وإرادته بسبب فعلهم الحسن أو فعلهم القبيح ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [١٣١] أنه من عند الله". [عيون التفاسير، ٧٧/٢]

وقال أبو سعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك ، وتصديره بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه ، أي ليس سبب خيرهم إلا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح ، أو ليس شؤمهم وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى أي مكتوبة لديه فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم لا ما عداها ، وقرىء إنما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل : جمع له ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم ، وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس إلا بما كسبت أيديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا ". [تفسير أبي سعود، ٣٣/٣]

وقال العلامة إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ ﴾ أي السعة والخصب وغيرهما من الخيرات ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي لأجلنا واستحقاقنا لها ولم يروا ذلك فضلا من الله ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ ﴾ أي جدب وبلاء ﴿ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ أي يتشاءموا بموسى وأصحابه ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم وأصله يتطيروا أدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجهما واشتقاق التطير من الطير كالغراب وشبهه سمى الشؤم ضد اليمن طيرا وطائرا تسمية للمدلول باسم ما يدل عليه، فإنهم يجعلون الطير والطائر إمارة ودليلا على شؤم الأمر وبناء التفعل فيه للتجنب اى لبعد الفاعل عن أصله كتحوب اى تجنب وتباعد من الحوب وهو الإثم وسيجيء تفصيل الطيرة قال سعيد بن جبير كان ملك فرعون أربعمائة سنة فعاش ثلاثمائة سنة لا يرى مكروها ولو أرى في تلك المدة جوع يوم أو حمى يوم أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية ولما قالوا سبب ما جاءنا من الخير والحسنة هو استحقاق أنفسنا إياه وسبب ما أصابنا من السيئة والشر هو شأمة موسى ومن معه كذبهم الله تعالى في كل واحد من الحكمين بقوله ﴿ أَلَآ ﴾ اعلموا ﴿ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي سبب ما أصابهم من الخير والشر إنما هو عند الله تعالى وصفة قائمة به وهى قضاؤه وتقديره ومشيئته وهو الذي أيهما شاء أصابهم به وليس بيمن أحد ولا بشؤمه عبر عما عند الله تعالى بالطائر تشبيها له بالطائر الذي يستدل به على الخير والشر أو سببه شؤمهم عند الله تعالى وهو أعمالهم السيئة المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم لا ما عداها فالطائر عبارة عن الشؤم على طريق تسمية المدلول باسم الدليل بناء على إنهم يستدلون بالطير على الشؤم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بان بعضهم يعلمون ذلك ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا واعلم أن الطير بمعنى التشاؤم والاسم منه الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء والأصل في هذا أن العرب كانوا يتفاءلون بالطير فان خرج أحدهم إلى مقصده واتى الطير من ناحية يمينه يتمين به ويتبرك ويسميه سانحا وان آتى من ناحية شماله يتشاءم به ويسميه بارحا فيرجع إلى بيته ثم كثر قولهم في الطير حتى استعملوه في كل ما تشاءموا به وأبطل النبي عليه السلام الطيرة بقوله (الطيرة شرك) قاله ثلاثا وإنما قال شرك لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا

أو تدفع عنهم ضررا إذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوها مع الله تعالى قال عبد الله من خرج من بيته ثم رجع لم يرجعه إلا الطيرة رجع مشركا أو عاصيا". [روح البيان، ٣/٢١٧-٢١٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩]".

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾ [يس: ١٩]

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم ﴾ أي سبب شؤمكم ﴿ مَّعَكُمۡ ﴾ وهو الكفر ﴿ أَئِن ﴾ بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي ﴿ ذُكِّرۡتُم ﴾ وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله". [تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٠٠)]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي قال أهل أنطاكية ﴿ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ ﴾ أي تشأمنا لحبس المطر عنا بسببكم ﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ ﴾ عن مقالتكم ﴿ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ ﴾ أي لنقتلنكم بالحجارة ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [١٨] ﴿ قَالُواْ ﴾ أي الرسل ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾ أي شؤمكم وهو كفركم ومعاصيكم

معكم، وقيل: ما أصابكم مكتوب في أعناقكم، ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ بهمزتين استفهام وشرط، وبهمزة واحدة مع الكسر، أي ائن وعظتم بالله تشأمتم بنا أو كفرتم بالله ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [١٩] أي مشركون به تعالى أو متمادون في ضلالتهم حيث تشأمون برسل الله". [عيون التفاسير، ٣٣٨/٣]

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله تعالى: "قال تعالى حكاية عن أصحاب القرية التي جاءها المرسلون: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ يس: ١٨ - ١٩، فقد جاءتهم الرسل وادعوا الرسالة والوحي من الله تعالى، فأنكروا عليهم الرسالة والوحي لفرط جهلهم، وزادوا في الجهالة والغباوة بقولهم في الرسل إنا تشاءمنا بكم وتوقعنا الشر من أجلكم، لئن لم تكفوا عن مقالتكم لنعذبنكم عذابا موجعا، فقالوا لهم: سبب الشؤم معكم وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم.

ثم إن الله تعالى أعلم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن طيرة العرب باطلة، فقال: "لا طيرة ولا هامة"، وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير، وكيف يتطير صلى الله عليه وسلم أو يبيحه لأمته والطيرة كانت شعار الجبناء من الجاهلية وكانت تصدهم عن مقاصدهم، فنفى التشاؤم وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، بل التأثير لله تعالى وحده". [الإبداع في مضار الابتداع، ص:٣٤٢-٣٤٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**" ، أخرجاه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى(المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: "**لا عدوى**"، في زعم العرب أنه تسري علة من شخص إلى شخص، مثل: أن يقرب جمل ليس عليه جرب من جمل عليه جرب، فيجرب الجمل الذي ليس عليه جرب، فيعتقد صاحبه أن الجمل الصحيح جرب بمقاربته الجمل

الأجرب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا الاعتقاد باطل، لا تأثير لشيء بغير أمر الله تعالى. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٨٩/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "لا عدوى"، وهو اسم من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره". [شرح المصابيح، ١١٦/٥]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: (لا عدوى) هو اسم من الإعداء كالرعوى والبقوي من الإرعاء والإبقاء، يقال: أعداه الداء يعديه إعداء وهو أن يصيبه مثل ما يصاحب الداء، وكانوا يظنون أن المرض بنفسه يعدي فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر ليس كذلك، وإنما الله عز وجل هو الذي يمرض وينزل الداء، ولهذا قال: فمن أعدى الأول؟ أي: من أين صار فيه الجرب". [عمدة القاري، ٢٤٧/٢١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): " وقد اختلف العلماء في التأويل فمنهم من يقول: المراد منه نفي ذلك وإبطاله على ما يدل عليه ظاهر الحديث والقرائن المنسوقة على العدوى، وهم الأكثرون. ومنهم من يرى أنه لم يرد إبطالها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "**فر من المجذوم فرارك من الأسد**". وقال: "**لا يوردن ذو عاهة على مصح**"، وإنما أراد بذلك نفي ما كان يعتقده أصحاب الطبيعة، فإنهم كانوا يرون العلل المعدية مؤثرة لا محالة، فأعلمهم بقوله هذا أن ليس الأمر على ما يتوهمون، بل هو متعلق بالمشيئة إن شاء كان، وإن لم يشأ لم يكن، ويشير إلى هذا المعنى قوله: "**فمن أعدى الأول**". أي: إن كنتم ترون أن السبب في ذلك العدوى لا غير، فمن أعدى الأول؟ وبين بقوله: "**فر من المجذوم**"، وبقوله: "**لا يوردن ذو عاهة على مصح**"، أن مداناة ذلك يسبب العلة، فليتقه اتقاءه من الجدار المائل والسفينة المعيوبة. وقد رد: الفرقة الأولى على الثانية في استدلالهم بالحديثين أن النهي فيهما إنما جاء شفقا على مباشرة أحد الأمرين، فتصيبه علة في نفسه أو عاهة في إبله، فيعتقد أن العدوى حق.

قلت: وقد اختاره العسقلاني في شرح النخبة، وبسطنا الكلام معه في شرح الشرح، ومجمله أنه يرد عليه اجتنابه عليه السلام عن المجذوم عند إرادة المبايعة، مع أن منصب النبوة بعيد من أن يورد لحسم

مادة ظن العدوى، كلاما يكون مادة لظنها أيضا، فإن الأمر بالتجنب أظهر من فتح مادة في ظن العدوى لها تأثير بالطبع، وعلى كل تقدير، فلا دلالة أصلا على نفي العدوى مبينا والله أعلم.

قال الشيخ التوربشتي: وأرى القول الثاني أولى التأويلين لما فيه من التوفيق بين الأحاديث الواردة فيه، ثم لأن القول الأول يفضي إلى تعطل الأصول الطبية، ولم يرد الشرع بتعطيلها، بل ورد بإثباتها والعبرة بها على الوجه الذي ذكرناه، وأما استدلالهم بالقرائن المنسوقة عليها، فإنا قد وجدنا الشارع يجمع في النهي بين ما هو حرام، وبين ما هو مكروه، وبين ما ينهى عنه لمعنى، وبين ما ينهى عنه لمعان كثيرة، ويدل على صحة ما ذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم للمجذوم المبايع: "**قد بايعناك فارجع**"، في حديث الشريد بن سويد الثقفي، وهو مذكور بعد، وقوله صلى الله عليه وسلم للمجذوم الذي أخذ بيده فوضعها معه في القصعة: "**كل ثقة بالله وتوكلا عليه**"، ولا سبيل إلى التوفيق بين هذين الحديثين إلا من هذا الوجه: بين بالأول التوقي من أسباب التلف، وبالثاني التوكل على الله جل جلاله، ولا إله غيره في متاركة الأسباب وهو حاله اهـ. وهو جمع حسن في غاية التحقيق، والله ولي التوفيق". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٩٣/٧-٢٨٩٤]

قوله: "**ولا طيرة**"،

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "(ولا طيرة) بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير يقال: تطير طيرة وتحير حيرة، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر". [عمدة القاري، ٤٢٧/٢١]

قوله: "**ولا هامة**"،

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**ولا هامة**": اسم طير، يقال له بالفارسي: كوف ديوف، ويتشاءم به الناس.

وكانت العرب تزعم أن عظام الميت إذا بليت تصير هامة، تخرج من القبر وتتردد في بلد ذلك الميت، وتأتي الميت بخبر أهله، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاعتقاد، ونفى صيرورة عظام الميت هامة أو غيرها من الحيوانات". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٨٩/٥]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: **(ولا هامة)** الهامة الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة، وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره يصير هامة فيقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل: روحه تصير هامة فتطير ويسمونه: الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه". [عمدة القاري، ٢٤٧/٢١]

قوله: "**ولا صفر**"،

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**ولا صفر**": كانت العرب تزعم أن الصفر حية تكون في البطن تصيب الإنسان أو الماشية؛ أي: تلدغه، وقيل: الصفر هو الشهر المعروف، وكانت العرب يعتقدون شهر الصفر مشؤوما.

وقيل: الصفر هو تأخير تحريم المحرم إلى الصفر، كانوا يعتقدون تحريم القتال في رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم، فإذا حدثت لهم حرب مع قوم في المحرم كانوا يقولون: لم يجعل المحرم شهر التحريم، بل نقلنا التحريم إلى شهر الصفر؛ لنحارب أعداءنا ثم نترك الحرب في شهر الصفر بدلا من شهر المحرم، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأشياء؛ يعني: كذب من قال: كان في البطن حية، ومن قال: الصفر مشؤوم، وكذبوا أن نقل التحريم من المحرم إلى الصفر يجوز".

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى(المتوفى: ٨٥٥ هـ): "قوله: **(ولا صفر)** كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها: الصفر، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وإنها تعدي فأبطل الإسلام ذلك، وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام، فأبطله الإسلام". [عمدة القاري، ٢٤٧/٢١]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري، ١٢٦/٧ رقم (٥٧٠٧) ومسلم، ١٧٤٤/٤ رقم (٢٢٢٠).

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله تعالى: " العدوى: انتقال المرض من إنسان أو حيوان إلى آخر بالمخالطة به أو شيء من آثاره، والطيرة: التشاؤم، والهامة بتخفيف الميم، كانت العرب تزعم أنها طائر يصيح على قبر القتيل قائلا: اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره، وقيل: هي البومة إذا وقفت على دار أحدهم يرى أنها ناعية له نفسه أو بعض أهله، وصفر: هو الشهر المعروف، كانوا يتشاءمون بحلوله لما يتوهمون أن فيه تكثر الدواهي والبلايا والفتن، أي بعد انقضاء الأشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة والمحرم التي كانوا يأمنون فيها من الغارات، وكانوا إذا اضطروا إلى القتال في المحرم أحلوه وسموه صفرا والذي بعده من المحرم، وهو النسيء المذكور في القرآن، فصار صفر علامة على الشر عندهم فنسبوا الشؤم له.

وقد أبطل الدين الحنيف كل هذه الأوهام على لسان رسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم وصحح عقائدهم وبين لهم أنه لا تأثير لغير الله، بل التأثير له تعالى وحده. [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٣٤٠-٣٤١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "زاد مسلم: "ولا نوء ولا غول".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**ولا نوء**"، قال أبو عبيد: هي ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة، يسقط منها في ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر مقابله من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء سنة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر، فينسبون كل غيث عند ذلك إلى النجم، فيقولون عند ذلك: مطرنا بنوء كذا، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحكم ومنع الأمة أن ينسبوا نزول المطر لحدوث نجم؛ فإنه لا يكون شيء إلا بأمر الله تعالى".

قوله: "**ولا غول**". (**الغول**) بضم الغين: الجن الذي يسحر الناس، وجمعه: غيلان، وليس معنى الحديث نفي الغول، بل الغول موجود، قد يوجد في الفلوات والصحارى، وإنما نفى الشارع أن الغيلان لا يقدرون على إضلال أحد ولا إهلاكه ولا خطفه ولا سرقته إلا بأمر الله، وكانت العرب تزعم أن الغيلان تضل الناس عن طرقهم وتخطفهم، وكانت العرب يخافون من المسافرة وطلب حوائجهم، فنفى الشرع هذا الاعتقاد.

وقد جاء في الحديث: "**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**"؛ يعني: إذا ظهرت لكم الغيلان فأذنوا بالأذان في وجوههم؛ فإنهم يفرون من الأذان". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٩٠-٩١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**ولا نوء**"، والنوء عند العرب: سقوط نجم وطلوع نظيره من الفجر أحدهما في المشرق والآخر في المغرب من المنازل الثمانية والعشرين، كانوا يعتقدون أن لا بد عنده من مطر، أو ريح ينسبونه إلى الطالع أو الغارب، فنفى صلى الله عليه وسلم صحة ذلك".

"**ولا غول**"، وهو واحد الغيلان وهي نوع من الجن كان العرب يعتقدون أنه في الفلاة يتصرف في نفسه ويتراءى الناس بألوان مختلفة وأشكال شتى ويضلهم عن الطريق ويهلكهم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "**إذا تغولت الغيلان فعليكم بالأذان**"، فمحمول على أنه كان ذلك في الابتداء، ثم دفعه الله عن عباده". [شرح المصابيح، ٥/١١٧-١١٨]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**ولا نوء**": بفتح فسكون أي: طلوع نجم وغروب ما يقابله. أحدهما في المشرق والآخر بالمغرب، وكانوا يعتقدون أنه لا بد عنده من مطر أو ريح ينسبونه إلى الطالع أو الغارب، فنفى صلى الله عليه وسلم صحة ذلك"،

"**ولا غول**"، بالضم قال شارح: الغول بالفتح المصدر ومعناه البعد والإهلاك، وبضم الغين الاسم منه وهو من السعالي، وفي النهاية: أن الغول أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس أي: فتتغول تغولا أي تتلون في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل قوله: " لا غول " ليس نفيا لعين

الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: لا غول أنها لا تستطيع أن تضل أحدا، ويشهد له الحديث الآخر: " لا غول ولكن السعالي " والسعالي سحرة الجن أي: ولكن في الجنة سحرة لهم تلبيس وتخيل، ومنه الحديث: "**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**"، أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى، وهذا يدل على ثبوتها لا عدمها...". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٩٥/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**".

قوله: "**ولهما**"، أي: البخاري ومسلم رحمهما الله.

قال الفيروز آبادي رحمه الله تعالى: "**الفأل** : ضد الطيرة كأن يسمع مريض يا سالم أو طالب يا واجد أو يستعمل في الخير والشر ج : فؤول وأفؤل".

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: " الفأل مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر. يقال: تفاءلت بكذا وتفألت على التخفيف والقلب. وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفا . وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير . وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر. وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول : يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته، ومنه الحديث " قيل: يا رسول الله: ما الفأل ؟ فقال : الكلمة الصالحة ". وقد جاءت الطيرة بمعنى الجنس والفأل بمعنى النوع. ومنه الحديث "أصدق الطيرة الفأل". [النهاية في غريب الأثر، ٧٦٦/٣]

الفرق بين الفأل والطيرة:

وقال النووي: الفأل يستعمل فيما يسر وفيما يسوء، والغالب في السرور، والطيرة لا تكون إلا في السوء، وقد تستعمل مجازا في السرور.

وقال الخطابي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على ما سواه. [عمدة القاري، ٢٧٤/٢١]

قال الطيبي رحمه الله تعالى: "الفرق بين الفأل والطيرة يفهم مما روى أنس مرفوعا أنه قال: "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل " قالوا: وما الفأل؟ قال: "كلمة طيبة"، قلت: وما أحسن هذا المقال حيث نفى الطيرة بعمومها، واختار فردا خاصا من أحد نوعيها وهي الكلمة الطيبة". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٨٩٢/٧]

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله تعالى: "وكان مذهب العرب في الفأل والطيرة واحدا، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة، ونفى أنها مؤثرة من دون الله تعالى، والفرق بينهما أن الأرواح الإنسانية أصفى وأقوى من الأرواح البهيمية والطيرية، فالكلمة التي تجرى على لسان الإنسان يمكن الاستدلال بها، بخلاف حركة البهائم وطيران الطير، فإن أرواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها، على شيء من الأحوال والحوادث والله أعلم بأسرار ما خلق". [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٣٤٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**".

قوله: "**ولأبي داود بسند صحيح**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب في الطيرة، ٢٧/٤، رقم (٣٩٢١).

قوله: "**عن عقبة بن عامر**"، هكذا وقع في نسخ كتاب التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(قال) أي: عروة (ذكرت الطيرة) : بصيغة المجهول (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **أحسنها الفأل**) ...

(**ولا ترد**) أي: الطيرة (**مسلما**) والجملة عاطفة، أو حالية، والمعنى أن أحسن الطيرة ما يشابه الفأل المندوب إليه، ومع ذلك لا تمنع الطيرة مسلما عن المضي في حاجته، فإن ذلك ليس من شأن المسلم

الكامل، بل شأنه أن يتوكل على الله في جميع أموره، ويمضي في سبيله بنوره على غاية حضوره، ونهاية سروره. (**فإذا رأى أحدكم ما يكره**) أي: إذا رأى من الطيرة شيئا يكرهه على ما ذكره الجزري في الحصن. (**فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات**) أي: بالأمور الحسنة الشاملة للنعمة والطاعة (**إلا أنت، ولا يدفع السيئات**) أي: الأمور المكروهة الكافلة للنقمة والمعصية (**إلا أنت، ولا حول**) أي: على دفع السيئة (**ولا قوة**) أي: على تحصيل الحسنة (**إلا بالله**) . هو في أصل الحصن: إلا بك". [مرقاة المفاتيح، ٢٩٠٢/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن مسعود مرفوعا: "**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل**" ، رواه أبود داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**الطيرة شرك**"؛ يعني: النافع والضار والميسر والمعسر هو الله تعالى، فمن اعتقد أن أحدا أو شيئا سوى الله تعالى ينفع أو يضر أو ييسر أو يعسر فقد اتخذ لله شريكا.

قوله: "**وما منا إلا**"، قال البخاري: إن سليمان بن حرب قال: هذا ليس من كلام النبي – صلى الله عليه وسلم –، بل هو كلام ابن مسعود؛ يعني: ليس منا إلا كان في قلبه الطيرة؛ يعني: نفوسنا كانت كنفوس أهل الجاهلية في اعتقاد الطيرة مثيرة، ولكن لما توكلنا على الله وقبلنا حديث رسوله واعتقدنا صدقه أذهب الله عنا اعتقاد أهل الجاهلية، وأقر في قلوبنا السنة واتباع الحق. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٩٢/٥-٩٣]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**الطيرة شرك**"؛ لاعتقادهم أن التطير يجلب لهم نفعا، أو يدفع عنهم ضررا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك.

"الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، قاله ثلاثا، وما منا إلا"، تفاؤل؛ أي: ليس منا من تعرض له الوهم من قبل الطيرة، وقيل: أي: ما منا من كان في قلبه الطيرة؛ يعني: نفوسنا كنفوس الجاهلية في اعتقاد الطيرة.

"ولكن الله يذهبه بالتوكل"؛ أي: بتوكلنا على الله تعالى واعتقادنا صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قيل قوله: (وما منا) قول عبد الله بن مسعود، لا قول النبي – صلى الله عليه وسلم –، كذا قاله سليمان بن حارث. [شرح المصابيح لابن الملك (٥/ ١٢٠)]

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله تعالى: "أي: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك، ولكن الله يذهب ذلك عن قلب كل مؤمن يتوكل على الله ولا يثبت على ذلك ولا يعمل به، وإنما كانت شركا لأنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب نفعا وتدفع ضرا إذا عمل بموجبها فكأنهم بذلك أشركوها مع الله تعالى". [الإبداع في مضار الابتداع، ص:٣٤٢]

قوله: "**رواه أبو داود والترمذي وصححه**"، أي رواه أبو داود في السنن ٢٤/٤، رقم (٣٩١٢)، والترمذي في السنن، في باب طيرة، ١٦٠/٤، رقم (١٦١٤).

وقال العلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى: " عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك» .

وقد اعتاد العرب التطير، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد أخرى ليقلع الناس عن هذه العادة.

وقد اشتهر في جهال العرب أن من قتل ولم يؤخذ بثأره، خرج من هامته طائر، يقال له الهامة، وهي كالبومة، فما تزال تستغيث، وتهيم على وجهها، حتى يؤخذ بثأره، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه باطل، فمن زعم أن الإنسان يتمثل بعد موته بحيوان، فقد كذب على الله، وكان من الاعتقادات الشائعة في العرب أن بعض الأمراض، كالجرب والجذام، تتعدى، وتنتقل من إنسان إلى آخر، وهي كلها اعتقادات باطلة، وشائعات لا أصل لها.

وقد اشتهر عندهم أن الأمر الفلاني لم يوافق فلانا، وأنه لم يوفق فيه، ولم يكن النجاح حليفه، وإن كان لليمن والشؤم أصل، فهما في الدار، والفرس، والمرأة، فقد تكون ميمونة مباركة، وقد تكون تعسة مشئومة، ولكن لسان النبوة لم يحدد السبيل إلى معرفة ذلك، حتى يحكم الإنسان بيمنها وشؤمها، وما عينه الناس من أمارات لذلك مثل الدار التي يصور الناس على بابها، وعلى ميزابها فم الأسد، ومثل أن يكون على جبين الفرس مثل نجم، وأن تكون المرأة سوداء اللسان، فهي مشئومة، فلا أصل له، بل

يجب على المسلمين أن لا يحتفلوا بأمثال هذه الترهات، ويجب عليهم إذا اشتروا بيتا جديدا، أو استأجروه أو ظفروا بجواد، أو تزوجوا عقيلة أو جارية، أن يدعوا الله أن يقدر فيها الخير، ويبارك فيها، ويتعوذوا بالله من شرها، وشر ما جبلت عليه، ولا يشغلوا نفوسهم بالحكم على أمور قد مضت، فيقولوا وافقنا الأمر الفلاني، ولم يوافقنا الأمر الفلاني.

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر» .

وقد اشتهر في الجهال أن الذي أصيب بالنهامة فيأكل ولا يشبع، ويسميه الأطباء بجوع الكلب، والعامة بجوع البقر، فقد دخل في بطنه عفريت أو شيطان يأكل كل ما يتناوله الإنسان فلا يشبع، وكانوا يسمونه بصفر، وهو الذي جاء نفيه في هذا الحديث.

ومعنى ذلك أن ما يعتقده الناس في بعض الأمراض أنها من تأثير الشياطين، والعفاريت، وأنها من تصرفاتهم، باطل لا أصل له، مثل ما ذكرنا عن مرض الجدري وغيره من الأمراض التي يربطها المشركون في الهند ببعض الآلهة، والقوى المتصرفة في العالم - زعموا -.

وقد اشتهر في الجهال أن شهر صفر نحس، يجب أن يكف الناس فيه عن أعمال ذات قيمة وخطر، مثل الزواج، والأسفار، والتجارات، والمعاملات، ويدخل في ذلك ما يعتقده جهال الهند أن الأيام الثلاثة عشر الأولى من شهر صفر مشئومة نحسة بصفة خاصة، ينزل فيها البلاء، ويسمونها " تيره تيزي " فتفسد الأعمال وتحبط المساعي، وكذلك يخصصون بعض الأيام من الشهر بالنحس، فيتوقفون عن مباشرة بعض الأعمال المهمة فيها، بل يجب أن يكون جل الاعتماد على الله تعالى، والإيمان بأنه هو الضار النافع، والمعطي المانع، والمؤثر الحقيقي في الأشياء.

وقد أخرج ابن ماجه عن جابر «أن رسوله الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة، فقال: "كل ثقة بالله وتوكلا عليه» . [رسالة التوحيد المسمى ب "تقوية الإيمان" (ص: ١٥٦-١٥٩)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولأحمد من حديث ابن عمرو: "**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**". قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: "**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**" .

قوله: "**ولأحمد**"، أي رواه أحمد في المسند، ٢/٢٢٠، رقم (٧٠٤٥).

قوله: "**ردته**"، أي منعته.

قوله: "**فقد أشرك**"، أي أشرك بالله تعالى لاعتقاده أن لله شريكا في تقدير الخير والشر.

قال المناوي رحمه الله تعالى: "فينبغي لمن طرقته الطيرة أن يسأل الله تعالى الخير ويستعيذ به من الشر ويمضي في حاجته متوكلا عليه". [فيض القدير، ٦/١٧٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: "**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**" .

هذا حد الطيرة المنهي عنها.

الباب الثامن والعشرون

ما جاء في التنجيم

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "**خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به**" انتهى.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه". ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**" ، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ما جاء في التنجيم"،

معنى التنجيم لغة وشرعا:

قال ابن منظور رحمه الله: "نجم الشيء ينجم، بالضم، نجوما: طلع وظهر. ونجم النبات والناب والقرن والكوكب وغير ذلك: طلع". [لسان العرب، ١٢/٥٦٨]

تنجيم [مفرد]: مصدر نجم.

علم التنجيم: (فك) علم يبحث في تأثير حركات النجوم على مجرى الأحداث، ويستخلص منها تنبؤات مستقبلية ذات تأثير مزعوم على حياة الناس، وطباعهم. [معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢١٧٣)]

المنجم: بضم الميم وكسر الجيم المشددة، من ينظر في النجوم ويراقب حركاتها. من ينظر في النجوم ويحسب مواقيتها وسيرها ويستطلع من ذلك أحوال الكون. كل من يدعي معرفة الغيب من مستقبل وبعيد ومكنونات الصدور. [معجم لغة الفقهاء، ص: ٤٦٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "**خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به**" انتهى.

وقال قتادة: "إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه: ﴿**لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل: ٦٥] رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه وهو كلام جليل متين صحيح. [تفسير ابن كثير، ١٠/٤٢٦، والقول في علم النجوم للخطيب، ص: ١٨٥-١٨٦]

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "قال الداودي: قول قتادة في النجوم حسن إلا قوله: أخطأ وأضاع نصيبه، فإنه قصر في ذلك بل قائل ذلك كافر. انتهى.

ورد عليه بأنه لم يتعين الكفر في ذلك إلا في حق من نسب الاختراع إلى النجوم.

وفي (كتاب الأنواء) لأبي حنيفة: المنكر في الذم من النجوم نسبة الأمر إلى الكواكب وأنها هي المؤثرة، وأما من نسب التأثير إلى خالقها وزعم أنه نصبها أعلاما وصيرها آثارا لما يحدثه فلا جناح عليه". [عمدة القاري، ١٥/١١٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى:١٠١٤ هـ): "قال: **خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث**" أي: من الحكم "**جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين**" أي: كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ**﴾ [الملك: ٥]. "**وعلامات يهتدى بها**"

بصيغة المجهول. قال تعالى: ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]. "**فمن تأول فيها بغير ذلك**" أي: من ذكر في النجوم فائدة أخرى من غير ما ذكر "**أخطأ**" أي: حيث تكلم رجما بالغيب "**وأضاع نصيبه**" أي: حظه من عمره وهو الاشتغال بما يعنيه، وينفعه في الدنيا والآخرة "**وتكلف ما لا يعلم**" أي: شيئا يتصور علمه ؛ لأن أخبار السماء لا تعلم إلا من طريق الكتاب والسنة، وليس فيهما أزيد مما تقدم والله أعلم. ومن حكايات الظرفاء أن منجما سرق منه شيء فقال له بعض العارفين: أنت لا تعرف ما في الأرض كيف تدعي معرفة ما في السماء؟". [مرقاة المفاتيح، ٢٩١١/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**" ، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

قال صلى الله عليه وسلم: " **ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر ومن مات مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة**". قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: "**نهر يخرج من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهم**"، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. [المستدرك على الصحيحين للحاكم، ١٦٣/٤ رقم (٧٢٣٤)، وصحيح ابن حبان، ١٦٥/١٢، رقم (٥٣٤٦)] المومسات: أي الزانيات.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مدمن الخمر، كعابد وثن**". [سنن ابن ماجة، ١١٢٠/٢ رقم (٣٣٧٥)]

قوله: "**ثلاثة لا يدخلون الجنة**"، **قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى:** "يعني: لا يدخلها مع الفائزين، أو لا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه من الإثم". [شرح المصابيح، ٢٨٦/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "لا بد من تقييده بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، أي: بشفاعة أو بغيرها". [مرقاة المفاتيح، ٣٠٩١/٧]

قوله: "**مدمن الخمر**"، أي: الذي يداوم على شرب الخمر. وقال الملا علي القاري رحمه الله: "أي شاربها من غير توبة". [مرقاة المفاتيح، ٣٠٩١/٧]

قوله: "**وقاطع الرحم**"، أي لم يصل القرابة التي يجب وصلهم. **قال العلامة سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى:** "واعلم أن قطع صلة الأرحام كبيرة من الكبائر، وهو من الذنوب التي أعجل عقوبة، وتقطع الرحمة من قاطع الرحم، ولا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع الرحم، دلت الآيات والأخبار أنه من الذنوب العظام. أما الآيات، قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾** ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣] يعني: الذين يقطعون الرحم، وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [النحل: ٩٠] وقال الله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ** ﴾ [الإسراء: ٢٦] الآية، وقال الله تعالى: ﴿ **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ** ﴾ [البقرة: ٢٧] الآية، وغير ذلك.

وأما الأخبار، قال صلى الله عليه وسلم: "**خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقوي الرحمن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: فذاك** ". متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: " **إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**". رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: "**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**". متفق عليه...وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا يدخل الجنة قاطع**"، متفق عليه. [تبيين المحارم، ص: ٦٢٠ وما بعدها]

قوله: "**ومصدق بالسحر**"، وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: "أما المصدق بالسحر، فهذا هو الذي يدخل الكفر إذا صدق بأن السحر حق، وأنه يغير كذا ويغير كذا وكذا، وان صاحبه على حق وأنه يصيب أو أن صاحبه يعلم الغيب، فهذا قد يكون كفرا، ويكون صاحبه ضالا وكافرا.

أما إذا صدق بأنه موجود وأن له تأثيرا، ولكنه حرام ومنكر، فهذا لا حرج عليه، السحر موجود وقد أخبر الله عن وجوده فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالسحر موجود، ولكنه مما يتعلق من خدمة الشياطين وعبادتهم من دون الله، فالذي يصدق به ويرى أنه صواب وأنه دين وأنه جائز، ولو كان فيه الشرك الأكبر وعبادة الشياطين، هذا يكون كافرا والعياذ بالله، فلهذا توعد بعدم دخول الجنة.

أما من اعتقد وجوده وأنه موجود، لكنه منكر يجب محاربته، ويجب القضاء عليه ومحاربة أهله وقتلهم، هذا هو الحق، لأن السحرة يجب قتلهم، ولا يستتابون لفسادهم في الأرض". [شرح كتاب التوحيد، ص: ٢٨٠]

وهذا هو موضع الشاهد من الحديث للترجمة، وأن التنجيم نوع من السحر.

الباب التاسع والعشرون

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢]

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة" .

وقال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب" ، رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب.

وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب".

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه:

"قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢]

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ما جاء في الاستسقاء بالأنواء"،

استسقى من باب استفعل وهو بمعنى الطلب، أي طلب السقيا.

قال أبو علي: اعلم أن أصل استفعلت الشيء في معنى طلبته. [المخصص، ٤/٣١١]

قال محمد بن فتوح الحميدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٤٨٨ هـ): " الأنواء جمع نوء، وهي نجوم كانوا يستسقون بها أي يوجبون أن السقي لا بد أن يكون منها والنوء الطلوع والنهوض وكأن ذلك النجم إذا ناء ونهض جاء بمطر وذلك من أمور الجاهلية ونسبة الفعل إلى النجم ليس من أمر الإسلام إذا نسب الفعل إليها وأما إضافة المطر إلى الوقت فإن ذلك من فعل الله عند ذلك الوقت فإن ذلك غير مذموم". [تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص: ١٦٤]

قال أبو عبيد: الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة. وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك. والأنواء واحدها نوء. قال: وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا أي نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به، وذلك كل ناهض بثقل وإبطاء، فإنه ينوء عند نهوضه، وقد يكون النوء السقوط". [لسان العرب، ١/١٧٦]

قال المؤلف رحمه الله: "وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾ يعني: شكر رزقكم ﴿ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ يعني: تقولون للمطر إذا مطرتم مطرنا بنوء كذا. وروي عن عاصم في بعض الروايات: أنكم تكذبون بالتخفيف. يعني: تجعلون شكر رزقكم الكذب، وهو أن يقولوا: مطرنا بنوء كذا. وقرأ الباقون: تكذبون بالتشديد. يعني: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، ولا تنسبون السقيا إلى الله تعالى الذي رزقكم". [بحر العلوم، ٣/٣٩٨]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبن به وقيل نزلت في الأنواء ونسبتم السقيا إليها والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تلسبونه إلى النجوم". [تفسير النسفي، المسمى بـ"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (٣/ ٤٢٩)]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ أي شكر رزقكم، يعني المطر ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٨٢] أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب، نزل حين قال الكفار مطرنا بنوء كذا، فنسبوا المطر إلى غير رازقهم وهو النوء". [عيون التفاسير، ١٨٣/٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**" .

وقال: "**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**" ، رواه مسلم.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**الفخر في الأحساب**"، الأحساب: جمع حسب، وهو ما يعده الرجل من الخصال التي تكون فيه كالشجاعة والفصاحة وغير ذلك؛ يعني: تفضيل الرجل نفسه على غيره ليحقره لا يجوز.

قوله: "**والطعن في الأنساب**"؛ الطعن: العيب؛ يعني: تحقير الرجل آباء غيره وتفضيل آبائه على آباء غيره ليؤذيه، لا يجوز، فإن كان أبو أحدهما مسلما وأبو الآخر كافرا جاز تفضيل المسلم على الكافر.

قوله: "**والاستسقاء بالنجوم**"؛ يعني: اعتقاد الرجل نزول المطر بظهور نجم كذا هذا حرام.

قوله: "**والنياحة**"، النياحة: أن يقول من مات له قريب: واويلاه واحسرتاه، والندب: أن يعد عند البكاء خصال الميت، بأن يقول: واشجاعاه واأسداه.

روى هذا الحديث أبو مالك الأشعري.

قوله: "**النائحة**"؛ أي: المرأة التي تعد خصال الميت؛ لتوقع أقرباء الميت وغيرهم في البكاء.

"**السربال**": القميص.

"**القطران**": دهن يدهن به الجمل الأجرب.

"**الدرع**": قميص النساء.

يعني: النائحة تلبس في المصيبة قميصا أسود للمصيبة، وتخدش وجهها، وتخدش أيضا قلوب الحاضرين بما تعد من خصال الميت، فيجازيها الله تعالى يوم القيامة بأن يلبسها لباسا من قطران، ولباسا من جرب.

ولباس القطران يكون أسود، ويسرع اشتعال النار فيه، ومعنى لباس الجرب: أنه يصير جلدها أجرب حتى يكون جربها كقميص على أعضائها، وإنما فعل بها هذا؛ لتحك وتخدش أعضاءها من الجرب، كما خدشت وجهها وقلوب الحاضرين بكلماتها. [المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٤٥٨-٤٥٩)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "وعن أبي مالك الأشعري أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**أربع**"؛ أي: أربع خصال.

"**في أمتي من أمر الجاهلية**"؛ أي: من أفعال أهلها.

"**لا يتركونهن**": أراد أن الأمة بأسرها لا يتركونهن تركهم غيرها، بل إن تركها طائفة فعلها أخرى.

"**الفخر في الأحساب**"؛ أي: في شأن الأحساب: جمع حسب، وهو: ما يعده الرجل من مفاخر آبائه من الخصال المحمودة التي تكون فيه كالشجاعة والفصاحة وغيرهما، وقيل: الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لآبائه شرف فيفضل نفسه، ويحقر غيره.

"**والطعن في الأنساب**": وهو أن يعيب في نسب أحد، ويفضل آباءه على آبائه.

"**والاستسقاء بالنجوم**"، أي: طلب السقيا عند وقوع النجوم، كما كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا؛ أي: لا يجوز اعتقاد نزول المطر بسبب ذلك.

"**والنياحة**": وهي أن يقول: واويلاه، واحزناه، وقيل: هي: الصوت التي تعد به المرأة خصال الميت.

"وعنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "**النائحة إذا لم تتب قبل موتها**"؛ أي: قبل حضور موتها؛ لأن من شرط التوبة أن يتوب، وهو يأمل البقاء.

"**تقام يوم القيامة**": بين أهل الموقف.

"**وعليها سربال**"؛ أي: قميص.

"**من قطران**"؛ أي: – بكسر الطاء – طلاء يطلى به الإبل الجربى، فيحرق بحدته وحرارته الجرب.

"**ودرع من جرب**": خصت النائحة بهذا النوع من الوعيد؛ لأنها كانت تلبس الثياب السود في المصائب، وتجرح القلوب بكلماتها المبكية، وتخمش وجهها عندها، فألبسها الله قميصا من قطران، ودرعا من جرب بأن يسلط عليها، فيغطي جلدها تغطية الدرع، ويجمع لها بين حدة القطران وحرارته وحرقته وسواده ونتنه، وبين الجرب الذي لا صبر لها معه إلا بمزق الجلد وتقطيع اللحم؛ لتذوق وبال أمرها". [شرح المصابيح، ٢/٣٧٩-٣٨٠]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي رواه مسلم في صحيحه، في باب التشديد في النياحة، ٢/٦٤٤، رقم (٩٣٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**".

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١٦٩/١، رقم (٨٤٦)، ومسلم رحمه الله ٨٣/١، رقم (٧١).

قوله: "**عن زيد بن خالد رضي الله عنه**"، هو زيد بن خالد الجهني المدني: صحابي. شهد الحديبية. وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. له ٨١ حديثا. توفي في المدينة عام ٧٨ هـ عن ٨٥ سنة. [الأعلام، ٥٨/٣]

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ):

قوله: (**على إثر سماء**) ، بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور، وروي، بأثر سماء، بفتح الهمزة وفتح الثاء أيضا، وهو: ما يكون عقيب الشيء، والمراد من السماء: المطر، وأطلق عليها: سماء، لكونها تنزل من جهة السماء، وكل جهة علو تسمى: سماء.

قوله: (**كانت من الليل**) ، كذا هو في رواية الأكثرين، وفي رواية المستملي والحموي: (**من الليلة**) بالإفراد، والسماء تذكر وتؤنث إذا لم يرد بها المطر. فإن قلت: ههنا قد أريد بها المطر، فكان ينبغي أن تذكر؟ قلت: ذاك على لفظها لا معناها.

قوله: (**فلما انصرف**) أي: من صلاته.

قوله: (**هل تدرون؟**) استفهام على سبيل التنبيه، ووقع عند النسائي في رواية سفيان عن صالح: (ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟) وهذا من الأحاديث القدسية.

قوله: (**أصبح من عبادي**) ، هذه الإضافة فيه تدل على العموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، بخلاف مثل الإضافة في قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢، والإسراء: ٦٥] . فإن الإضافة فيه للتشريف.

قوله: (**مؤمن بي وكافر**) ، يحتمل أن يكون المراد من الكفر كفر الشرك بقرينة مقابلته بالإيمان، ويقوي هذا ما رواه أحمد من رواية نصر بن عاصم الليثي عن معاوية الليثي مرفوعا: (**يكون الناس**

مجدبين فينزل الله عليهم رزقا من رزقه، فيصبحون مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا) . وعن هذا قال القرطبي: معناه الكفر الحقيقي، لأنه قابله بالإيمان حقيقة، وذاك في حق من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، ويحتمل أن يكون المراد به كفر النعمة إذا اعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق المطر واخترعه، ثم تكلم بهذا القول، فهو مخطئ لا كافر، وخطؤه من وجهين: **الأول**: مخالفته للشرع. **والثاني**: تشبهه بأهل الكفر في قولهم، وذلك لا يجوز، لأنا أمرنا بمخالفتهم. فقال: (**خالفوا المشركين وخالفوا اليهود**) ، ونهينا عن التشبه بهم، وذلك يقتضي الأمر بمخالفتهم في الأفعال والأقوال، فلو قال: نظير هذا اللفظ الممنوع منه يريد الإخبار عما أجرى الله به سنته جاز، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة) .

قوله: (**بنوء كذا وكذا**) ، النوء، بفتح النون وسكون الواو وفي آخره همزة، قال الخطابي: النوء: الكوكب، ولذلك سموا نجوم منازل القمر: الأنواء، وإنما سمي النجم نوأ لأنه ينوء طالعا عند مغيب مقابله ناحية المغرب. وقال ابن الصلاح: النوء في أصله ليس نفس الكوكب، فإنه مصدر: ناء النجم إذا سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع. وقال أبو عبيد: الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر مقابله في المشرق من ساعته، وإنما سمي نوأ لأنه إذا سقط الساقط ناء الطالع، وذلك النهوض هو النوء، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر يقولون: لا بد أن يكون عند ذلك مطر أو ريح فيقولون: مطرنا بنوء كذا، أي: المطر كان من أجل أن الكوكب ناء، وأنه هو الذي هاجه. وقال ابن الأعرابي: الساقطة منها في المغرب هي: الأنواء، والطالعة منها هي: البوارح، وقال صاحب (المطالع) : وقد أجاز العلماء أن يقال: مطرنا في نوء كذا، ولا يقال بنوء كذا، ويحكى عن أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه، أنه كان يقول: مطرنا بنوء الله تعالى، وفي رواية: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢].

وفي (الأنواء الكبير) لأبي حنيفة: الذي عندي في الحديث أن المطر كان من أجل أن الكوكب ناء، وأنه هو الذي هاجه. وأما من زعم أن الغيث يحصل عند سقوط الثريا فهذا، وما أشبهه، إنما هو إعلام للأوقات والفصول، وليس من وقت ولا زمن إلا وهو معروف بنوع من مرافق العباد يكون فيه دون غيره، وقد قال عمر للعباس، رضي الله تعالى عنهما، وهو يستسقي بالناس: يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم! كم بقي علينا من نوء الثريا؟ فإن العلماء يزعمون أنها تعترض بالأفق سبعا. قال ابن عباس، رضي الله تعالى عنه: لأمر أخطأ الله نوأها، يريد أخطأها الغيث، فلو لم يدلك على افتراق المذهبين في ذكر الأنواء، إلا هذان الخبران لكفى بهما دليلا.

قوله: (**مطرنا بنوء كذا وكذا**) قد عرف أن كذا يرد على ثلاثة أوجه: **أحدها**: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما: كاف، التشبيه. و: ذا، الإشارية، كقولك: رأيت زيدا فاضلا، ورأيت عمرا كذا، ويدخل عليها: هاء التنبيه كقوله تعالى: ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ [النمل: ٤٢]. **الثاني**: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنيا بها عن غير عدد، كما جاء في الحديث: أنه يقال للعبد يوم القيامة: (أتذكر يوم كذا وكذا؟ فعلت كذا وكذا؟) . **والثالث**: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنيا بها عن العدد، والذي ههنا من هذا القسم،...

ذكر ما يستفاد منه: فيه: طرح الإمام المسألة على أصحابه تنبيها لهم أن يتأملوا ما فيها من الدقة.

وفيه: أن الله تعالى خلق لكل شيء سببا يضاف إليه حكم، وفي الحقيقة الفاعل هو الله تعالى القادر على كل شيء. وفيه: أن الناس في الاعتقاد في هذا الباب على نوعين، كما قد بيناه.

وفيه: بيان جلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن الله عز وجل بلا واسطة. [عمدة القاري، ٦/١٣٧-١٣٨]

وقال إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى: "اعتقاد التأثير في الأنواء والكواكب في العالم، إشراك بالله: ثم استدل بحديث الباب، إلى أن قال:

ومغزى الحديث أن من اعتقد للنجوم تأثيرا في العالم، وما يحدث فيه من الحوادث، كان عند الله ممن كفر به، وعبد النجوم، ومن عزا كل ما يحدث في العالم من خير وشر، ومن حوادث وأمور إلى الله وحده كان عند الله من عباده المقبولين، الذين تبرأوا من عبادة النجوم والكواكب.

وقد دل الحديث على أن الإيمان بأن من الساعات ما تأتي بالسعد ومنها ما يأتي بالنحس، وسؤال المنجمين عن ساعة سعد ونحس، والاعتماد على ما يخبرون به، من الشرك، فإن لها صلة بالنجوم، والإيمان بالنجوم وتأثيرها من خصائص عبادته". [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان"، ص:١٥٣-١٥٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه:

"قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢].

قوله: "**ولهما من حديث ابن عباس**"، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما ليس عند البخاري وإنما هو عند مسلم فقط، في باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، ١/٦٠، رقم (٢٤٣).

قال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ أي فأقسم، فـ «لا» زائدة لتأكيد القسم أو للنفي تعظيما للمقسم به ﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [٧٥] أي بمساقطها لغروبها أو منازلها أو بنجوم القرآن، وهو نزوله منجما، آية بعد آية أو سورة بعد سورة، وقرئ «بموقع النجوم»، والمراد منه الجمع كما ذكر.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ ﴾

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القسم بالقرآن ﴿ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [٧٦] أي لقسم عظيم لو تعلمون ذلك، فقوله «لو تعلمون» اعتراض بين الموصوف والصفة في اعتراض بين القسم وجوابه، لأن جواب القسم ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [٧٧] أي شريف على الله تعالى لكثرة ما فيه من التقديس والتنزيه والمواعظ والأحكام.

﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾

قوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ ﴾ صفة «قرآن»، أي في لوح ﴿ مَّكۡنُونٖ ﴾ [٧٨] أي مستور من خلق الله ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [٧٩] صفة «كتاب»، أي لا يطلع على المكتوب في اللوح إلا الملائكة المطهرون من الذنب، وهم المقربون عند الله تعالى، وإن جعل صفة ل «قرآن» فالمعنى لا ينبغي أن يمس القرآن المكتوب في المصاحف إلا المطهرون من الأحداث خبر في معنى النهي ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٨٠] أي هو منزل من الله الذي خلق الخلق ورباهم، فوجب الإيمان به.

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ ﴾

قوله: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴾ [٨١] أي مكذبون أو متهاونون غير متصلبين في تلاوته والعمل به بالإخلاص، وأصل الدهن تليين جانب الدين والملين يري أنه على دينه وليس عليه وهو المنافق.

﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ ﴾

﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾ أي شكر رزقكم، يعني المطر ﴿ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٨٢] أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب، نزل حين قال الكفار مطرنا بنوء كذا، فنسبوا المطر إلى غير رازقهم وهو النوء. [عيون التفاسير، ٤/١٨٣]

قد دلت الآية على كفر من نسب النعم إلى غير الله ومنها نسبة المطر إلى الأنواء.

الباب الثلاثون

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[التوبة: ٢٤]

عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**"، أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**" . وفي رواية: "**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ...** "، إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا" رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: "المودة".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]".

قد سبق تفسير هذه الآية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤]".

قال أبو الليث السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ يعني قومكم، قرأ عاصم في رواية أبي بكر "وعشيراتكم" بالألف بلفظ الجماعة وقرأ الباقون "وعشيرتكم" بغير ألف ﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ يعني اكتسبتموها بمكة ﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ يعني تخشون أن تبقى عليكم فلا تنفق ﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ يعني منازلكم بمكة تعجبكم الإقامة فيها ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ يعني إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من أن تهاجروا إلى الله ورسوله بالمدينة ﴿ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ يعني في طاعة الله ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ يعني فانتظروا ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ يعني فتح مكة ويقال الموت والقيامة، وقال الضحاك: ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ يعني حتى يأمر الله بقتال آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم. ثم قال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وهذا وعيد من الله تعالى للذين لم يهاجروا". [بحر العلوم، ٤٨/٢]

وقال العلامة إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للذين تركوا الهجرة ﴿ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ أي أقرباؤكم من المعاشرة وهى المخالطة ﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ أي اكتسبتموها

وأصبتموها بمكة وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين ﴿ وَتِجَـٰرَةٌ ﴾ أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح ﴿ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم ﴿ وَمَسَـٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ أي منازل تعجبكم الإقامة فيها لكمال نزاهتها من الدور والبساتين ﴿ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي من طاعة الله وطاعة رسوله بالهجرة إلى المدينة ﴿ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ أي وأحب إليكم من الجهاد في طاعة الله والمراد الحب الاختياري المستتبع لأثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ أي انتظروا جواب للشرط ﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ ﴾ [تا بيارد خداى تعالى] ﴿ بِأَمۡرِهِۦ ﴾ هي عقوبة عاجلة أو آجلة وهو وعيد لمن آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ﴾ الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أي لا يرشدهم إلى ما هو خير لهم، وفى الآية الكريمة وعيد شديد لا يتخلص منه إلا اقل قليل، فانك لو تتبعت إخوان زماننا من الزهاد الورعين لوجدتهم يتحيرون ويتحزنون بفوات أحقر شيء من الأمور الدنيوية ولا يبالون بفوات اجل حظ من الحظوظ الدينية، فان محصول الآية أن من اثر هذه المشتهيات الدنيوية على طاعة الرحمن، فليستعد لنزول عقوبة آجلة أو عاجلة، ولينظر أن ما آثره من الحظوظ العاجلة هل يخلص من الأهوال والدواهي النازلة، اللهم عفوك وغفرانك يا ارحم الراحمين.

قال في التأويلات أصل الدين هو محبة الله تعالى وان صرف استعداد محبة الله في هذه الأشياء المذكورة فيه فسق وهو الخروج من محبة الخالق إلى محبة المخلوق وان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الإلهي واستوجب الحرمان وأدركه القهر والخذلان، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره أي بقهره والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن حسن الاستعداد يعنى لا يهديهم إلى حضرت جلاله وقبول فيض جماله بعد إبطال حسن الاستعداد". [روح البيان، ٣/٤٠٣-٤٠٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**"، أخرجاه.

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "**لا يؤمن أحدكم**"؛ أي: لا يكون مؤمنا كاملا "**حتى أكون أحب إليه**"، بالحب الاختياري الحاصل من الإيمان "**من والده وولده والناس أجمعين**"، مثلا لو أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبويه وأولاده الكافرين، أو بأن يقاتل الكافر حتى يكون شهيدا، لأحب أن يختار ذلك لعلمه أن السلامة في امتثال أمره صلى الله عليه وسلم، لا بالحب الاختياري الطبعي؛ لأن حب الإنسان نفسه وولده ووالده أمر غريزي ولا سبيل إلى قلبه، إذ لا تكلف نفس إلا وسعها". [شرح المصابيح، ١/٣٠-٣١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "وليس المراد الحب الطبيعي ؛ لأنه لا يدخل تحت الاختيار، و ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] بل المراد الحب العقلي الذي يوجب إيثار ما يقتضي العقل رجحانه، ويستدعي اختياره، وإن كان على خلاف الهوى كحب المريض الدواء، فإنه يميل إليه باختياره، ويتناول بمقتضى عقله؛ لما علم وظن أن صلاحه فيه، وإن نفر عنه طبعه مثلا لو أمره صلى الله عليه وسلم بقتل أبويه وأولاده الكافرين، أو بأن يقاتل الكفار حتى يكون شهيدا لأحب أن يختار ذلك؛ لعلمه أن السلامة في امتثال أمره، أو المراد الحب الإيماني الناشئ عن الإجلال والتوقير والإحسان والرحمة، وهو إيثار جميع أغراض المحبوب على جميع أغراض غيره حتى القريب والنفس، ولما كان جامعا لموجبات المحبة من حسن الصورة والسيرة وكمال الفضل والإحسان ما لم يبلغه غيره استحق أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه فضلا عن غيره، سيما وهو الرسول من عند المحبوب الحقيقي الهادي إليه، والدال عليه، والمكرم لديه.

قال القاضي: ومن محبته نصر سنته، والذب عن شريعته، وتمني إدراكه في حياته ليبذل نفسه وماله دونه اهـ.

ومن ارتقى إلى غاية هذه المرتبة ونهاية هذه المزية سيدنا عمر رضي الله عنه فإنه لما سمع هذا الحديث أخبر بالصدق حتى وصل ببركة صدقه إلى كمال ذلك، فقال بمقتضى الأمر الطبيعي: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: "**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**". فقال عمر: فإنك الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال: "**الآن يا عمر تم إيمانك**". رواه البخاري". [مرقاة المفاتيح، ٧٣/١]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، في باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، ١٠/١، رقم (١٥)، ومسلم رحمه الله تعالى في صحيحه في باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، ٤٩/١، رقم (١٧٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**". وفي رواية: "**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى** ... "، إلى آخره.

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري في صحيحه، في باب حلاوة الإيمان، ١٠/١، رقم (١٦)، ومسلم رحمه الله تعالى في صحيحه، في باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ٤٨/١، رقم (١٧٤).

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**ثلاث من كن** ... " إلى آخره، يقال: (ثلاثة) للذكور، و (ثلاث) للإناث بغير الهاء، والمراد ها هنا: الخصال؛ لأنها جمع: خصلة، وهي مؤنثة؛ يعني: ثلاث خصال من اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث وجد حلاوة الإيمان.

قوله: "**من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**"، الحب ها هنا: هو الحب الاختياري، كما ذكر. (مما سواهما)؛ أي: مما سوى الله ورسوله، وقد جمع النبي بين الله وبين نفسه بلفظ الضمير في قوله:

"مما سواهما"، وكره عليه السلام الجمع بين الله وبين نفسه بلفظ الضمير في قول الخطيب الذي قرأ خطبة بحضرته عليه السلام، وقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال النبي عليه السلام: "**اسكت؛ فبئس الخطيب أنت**"، كره له قوله: ومن يعصهما.

قيل: علة كراهيته قوله: **(ومن يعصهما)** أنه جمع بين الله وبين رسوله فيما هو حق الله تعالى على الحقيقة؛ لأن الطاعة والعصيان حق الله تعالى، فطاعة الرسول طاعة الله، وعصيان الرسول عصيان الله تعالى، فكره النبي عليه السلام أن يجمع بينه وبين الله تعالى بلفظ الضمير الذي هو (هما)، وأما ها هنا فقد جمع بين الله وبين نفسه في الحب، والحب شيء يجوز أن يكون لله ولغيره.

هذا ما قيل في علة هذين الحديثين، والأولى أن لا يجمع أحد بين الله تعالى وبين رسوله بلفظ الضمير في شيء من المواضع في الحب والطاعة والعصيان وغيرها، بل يقتصر على ما جاء في الحديث.

قوله: "**ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله**"؛ يعني: إذا أحب أحدا ينبغي أن لا يكون حبك إياه إلا لله تعالى، وإن كان ذلك الشخص هو أباك أو أمك أو ولدك أو غيرهما؛ يعني: تقول في نفسك: إني أحب أبي وأمي؛ لأن الله تعالى أمرني بالإحسان إليهما حيث قال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا** ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وتقول أيضا في نفسك: إني أحبهما لأنهما كانا سبب وجودي وولادتي، وربياني حتى بلغت إلى سن أعبد الله تعالى وأطيعه، وتقول: أحب ولدي لأنه يكبر ويعبد الله تعالى ويطيعه، وإن أحببت أجنبيا، فليكن حبك إياه لأجل صلاحه وتعبده، لا لأجل ماله ومنصبه ومعاونته إياك في الأمور الدنيوية.

قوله: "**ومن يكره** ... " إلى آخره: (الإنقاذ): التخليص والتنجية، إنما قال النبي عليه السلام هذا تحذيرا وتخويفا للصحابة؛ لأنهم كانوا كفارا فأسلموا، وكان في بعض النفوس حب ما كان فيها في الزمان الماضي، فقال عليه السلام: العود إلى الكفر كإلقاء الرجل نفسه في النار؛ لأن عاقبة الكفار دخول نار جهنم، ونقض التوبة والرجوع من التوبة إلى المعصية أيضا كإلقاء الرجل نفسه في نار جهنم.

يعني: من كان فيه هذه الخصال الثلاث، فقد وجد فيه حلاوة الإيمان، وثبت الإيمان في قلبه، وكمل يقينه، ومن لم يكن فيه أحد هذه الخصال الثلاث، فانظر؛ فإن لم يكن حب الله تعالى وحب رسول الله في قلبه أشد وأكثر من حب سوى الله تعالى وسوى رسوله، فهو كافر، ونعني بهذا الحديث: الحب الاختياري.

وإن كان فيه ترك الخصلة الثانية، وهي أن لا يحب من أحبه من الناس لله، بل يحبه لخلة أو تعصب أو لمال أو لمنصب، لم يكن بترك هذه الخصلة كافرا، بل يكون مسلما ناقصا.

وأما الخصلة الثالثة، وهي: أن لا يكره العود إلى الكفر؛ فانظر؛ فإن مالت نفسه الشيطانية إلى الأشياء التي كان عليها في حال الكفر، وهو ينقض هذا الميل من نفسه، ويستعيذ بالله من هذه الوسوسة، فلم يكن كافرا بهذه الوسوسة؛ لأن النبي عليه السلام قال: "إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم"، وإن عزم على العود إلى الكفر، ورضي به، صار كافرا. [المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٦٨-٧٠)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا"، رواه ابن جرير.

قال يحيى بن معاذ: "حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء". [فتح الباري، ٦٢/١] وهذا ضابط نافع لمعرفة الحب هل هو لله أو لغيره.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "والفرق بين الموالاة والحب أنها تكون بين اثنين، والحب أعم".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ): "وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أحب في الله، وأبغض في الله، وواد في الله، ووال في الله، فإنما ينال ولاية الله في ذلك،

لا ينال ما عند الله إلا بذلك، وقال: ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه وصدقته، حتى يكون كذلك، وقد صار عامة مؤاخاة الناس اليوم، ولكن لا تجزئ عن أهله شيئا، ثم قرأ: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ [الزخرف] وقرأ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية، فقول ابن عباس يومئ إلى أن كل خلة ومؤاخاة فيما بين المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الآخرة، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٩/١٨٣]

وقال العلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: "قرر الشارع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحب والبغض من الإيمان، أي: حب الإيمان والمؤمنين وأهل التوحيد من الإيمان وبغض الكفار والمشركين من الإيمان، فمن ساوى بينهما، فقد بريء من الإيمان.

فيا أيها المسلمون! امتثلوا أمر ربكم وتوكلوا عليه وتوبوا إليه واستعيذوا بالله من الشرك والكفر ومن فتنة أهل الشرك والكفر، ولا تهدموا باختياركم أركان دينكم وبنيانه بتولي أهل الشرك والكفر والضلال، وإن توليتم الكفرة كما تولى كثير ممن أضله الله تعالى وأزاغ قلبه من أهل الهند والصين والتركستان والترك، فإن الله تعالى هو الغني الحميد جل جلاله، وأنتم لا تضرون إلا أنفسكم". [تمييز المحظوظين عن المحرومين في تجريد الدين وتوحيد المرسلين، ص: ٢٩٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: "المودة".

يعني: مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا على غير دين الله، انقطعت يوم القيامة وخانتهم يوم القيامة.

(المودة) المحبة والكتاب أو الكتب وبه فسر ما في التنزيل العزيز ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ . [المعجم الوسيط، ٢/١٠٢٠]

المودة: الوداد والمحبة الفؤادية لا اللسانية. [جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٣/٢٦٧]

الباب الحادي والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨]

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**".

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"**من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**" رواه ابن حبان في صحيحه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]".

معنى الخوف لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: "(خوف) الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال خفت الشيء خوفا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوفني فلان فخفته، أي كنت أشد خوفا منه".

قال صاحب دستور العلماء والجرجاني رحمهما الله: "الخوف : توقع حلول مكروه أو فوات محبوب". [دستور العلماء، ٦٦/٢، والتعريفات، ص: ١٣٧]

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ): "إن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط". [شرح الطحاوية، ٣١٢/١]

وقال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "أما حقيقة الخوف، فاعلم أن الخوف هو تألم القلب بتوقع مكروه مستقبل، هذا من قبيل الخواطر، وهذا ليس في اختيار العبد وإنما المقدور للعبد مقدمات الخوف، ومقدماته أربعة:

(الأولى): ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت، وكثرة الخصوم الذين مضوا، أي مظالم العباد وأنت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد.

والثانية: ذكر شدة عقوبة الله تعالى التي لا طاقة له بها.

والثالثة: ذكر ضعف نفسك على احتمالها.

والرابعة: ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء. [تبيين المحارم، ص: ٧٣١]

قال أبو الليث السمرقندي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ): علامة الخوف من الله تتبين في سبعة أشياء:

أولها: في لسانه، فيمنعه من الكذب والغيبة وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولًا بالذكر والتلاوة ومذاكرة أهل العلم.

والثاني: أن يخاف من أمر بطنه، فلا يدخل بطنه إلا قليلا حلالاً ، ويأكل مقدار حاجته.

والثالث: أن يخاف من أمر بصره، فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة، وإنما يكون نظره إليها على وجه العبرة.

والرابع: أن يخاف من أمر سمعه، حتى لا يسمع ما لا يعنيه.

والخامس: أن يخاف من أمر قدميه، فلا يمشي في غير طاعة الله، وإنما يمشي في طاعته.

والسادس: أن يخاف من أمر يديه، فلا يمد يده إلى الحرام، وإنما يمدها إلى ما فيه طاعة الله.

والسابع: أن يخاف من أمر قلبه، فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان، ويدخل فيه النصيحة، وشفقة المسلمين، حتى يكون خائفا في أمر طاعته، فيجعل طاعته خالصًا لوجهه، ويخاف الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٥]...

وقال حكيم من الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي على الطاعة، وذكر الموت يزهد في الفضول...

وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] الآية.
أهم الذين يعملون بالمعاصي ويخافون؟ قال: «لا، ولكن هم الذين يعملون بالطاعة ويخافون أن لا تقبل منهم» .

قال الفقيه رحمه الله: من عمل الحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء فما ظنك بمن يعمل السيئة؟

أولها: خوف القبول لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ،

والثاني: خوف الرياء لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] الآية.

والثالث: خوف التسليم والحفظ لأن الله تعالى قال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، فاشترط المجيء بها إلى دار الآخرة.

والرابع: خوف الخذلان في الطاعة، لأنه لا يدري أنه هل يوفق لها أم لا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]. [تنبيه الغافلين، ص: ١٨٢-١٨٣]

أقسام الخوف:

الخوف على أربعة أقسام:

الأول: أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه لا يقدر عليه إلا الله، من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، وهذا الخوف خوف السر لا يجوز تعلقه بغير الله، لأنه من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور والأضرحة، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد.

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن، كما خوفوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لهم: ﴿ **وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾** ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨١]

الثاني: أن يترك الإنسان ما أوجب الله عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحق بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرم.

الثالث: أن يخاف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان.

الرابع: أن يخاف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، وهو الخوف الطبيعي، وهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ [القصص: ٢١]. [موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ٣/١٢٠١]

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ أي: لا تخافوه لمخالفتكم إياه، ﴿ **وَخَافُونِ** ﴾، أي: خافوا مخالفتكم أمري؛ كقوله: ﴿ **إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ** ﴾ [النحل: ٩٩ – ١٠٠] أخبر أن ليس له سلطان على

الذين آمنوا؛ إنما سلطانه على الذين يتولونه؛ لذلك قال: لا تخافوه؛ لما ليس له عليكم سلطان، وخافون؛ لما لي عليكم سلطان، وبالله العصمة". [تفسير الماتريدي، ٥٣٦/٢]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ يعني نعيم بن مسعود، لأن كل عات متمرد شيطان يخوف أولياءه، يعني بأوليائه الكفار. ويقال: يخوف أشكاله. وقال الزجاج: إنما ذلكم الشيطان أي ذلك التخويف عمل الشيطان، يخوفكم من أوليائه. وقال القتبي: يخوف أولياءه أي بأوليائه، أي كما قال تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [الكهف: ٢] يعني لينذركم ببأس شديد.

ثم قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ في الخروج ﴿ وَخَافُونِ ﴾ في القعود ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي مصدقين. قال الزجاج: معناه إن كنتم مصدقين، فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم". [بحر العلوم، ٢٦٦/١]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران] ثم قال ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ﴾ أي القائل لكم إن الناس قد جمعوا لكم تخويفا، مبتدأ، خبره ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ وهو نعيم ابن مسعود ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ وهم القاعدون عن الخروج مع رسول الله أو يخوف بأوليائه وهم المشركون ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ أي الشيطان وأولياءه، ويجوز أن يعود الضمير إلى الناس في قوله «قد جمعوا لكم»، يعني لا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا ﴿ وَخَافُونِ ﴾ في القعود عن الطاعة ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١٧٥] أي مصدقين بالله، فان الإيمان يقتضي تقديم خوف الله على خوف غيره". [عيون التفاسير، ١٩٢/١-١٩٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]".

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها أو دل عليه بقوله ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وفي قوله ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تنبيه على الإخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ألا يخشاها وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم لأن عسى كلمة إطماع والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم". [تفسير النسفي، ١/٦٦٩-٦٧٠]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. قال بعضهم: هو صلة قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة] أمر أن يخشوا الله، ولا يخشوا غيره، ثم ذكر هاهنا ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

وقال بعضهم: الخشية: العبادة؛ كأنه قال: ولم يعبد إلا الله.

﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ والعسى من الله واجب، أي كانوا من المهتدين". [تفسير الماتريدي، ٥/٣١٧]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ أي بتوحيده ولم يذكر الإيمان برسول اللّه اكتفاء بذكر الإيمان باللّه لما شهر أن هذا قرين ذلك لا ينفك أحدهما عن صاحبه فكأنهما شيء واحد لاشتمال كلمة الشهادة على الإيمان بهما ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ أي بالبعث يوم القيامة ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يداوم على الصلوات الخمس مع الجماعة ﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي الصدقة المفروضة عن طيب نفس ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي ولم يترك أمر اللّه تعالى خشية منه لا من غيره والكافر باللّه ممتنع من ذلك كله، قيل: الكافر إذا أوصي بعمارة المسجد لا يمتثل ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي فلعل أهل هذه الصفة ﴿ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [١٨] أي أهل كونهم من الراشدين لدين اللّه، ولهم أجر أعمالهم عند ربهم، وفيه حسم لإطماع المشركين في الانتفاع بأعمالهم، وتبعيد لهم عن الاتصاف بالاهتداء، قيل: مرويا عن الرسول عليه السّلام: "**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**" ، وقال عليه السّلام: "**من بنى لله مسجدا بنى الله له كهيئته في الجنة**". [عيون التفاسير، ٢/١٣٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ نزلت في عياش بن أبي ربيعة، هاجر إلى المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فجزعت أمه جزعا شديدا. فقالت لأخويه: أبي جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وهما أخواه لأمه، وأبناء عمه، فخرجوا في طلبه، فظفروا به وقالوا له: إن بر الوالدة واجب عليك، فعليك أن ترجع فتبرها فإنها حلفت أن لا تأكل ولا تشرب، وأنت أحب الأولاد إليها، فلم يزالوا به حتى تابعهم. فجاؤوا به إلى أمه، فعمدت أمه فقيدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، وضربوه حتى رجع إلى دينهم فنزل ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ ﴾ يعني: عذب في دين الله عز وجل: ﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني: عذاب إخوته في الدنيا ﴿ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ في الآخرة. ويقال: نزلت في قوم من المسلمين أخذوهم إلى مكة وعذبوهم حتى ارتدوا فنزل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله، فينبغي للمسلم أن يصبر على أذاه في الله، وصارت الآية تنبيها لجميع المسلمين ليصبروا على ما أصابهم في الله عز وجل". [بحر العلوم، ٢/٦٢٦-٦٢٧]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ نزل فيمن ارتد بعد الإيمان، وهم أناس آمنوا بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من المشركين صرفهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر ﴿ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ ﴾ أي في طاعته أو الإسلام ﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي عذابهم إياه هنا ﴿ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ ثمه، المعنى: أنه ساوى بين العذابين فخاف من العاجل وأهمل الآجل، وفيه تنبيه لكل مسلم أن يصبر على الأذى في الله تعالى". [عيون التفاسير، ٣/٢٥٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**".

قوله : "**اليقين**"، **قال الجرجاني رحمه الله تعالى**: "اليقين في اللغة: "العلم الذي لا شك معه".

وفي الاصطلاح: "اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال، والقيد الأول جنس يشتمل على الظن أيضا والثاني يخرج الظن والثالث يخرج الجهل والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان.

وقيل: هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء يقال يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه.

وقيل: اليقين رؤية العيان.

وقيل تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب.

وقيل: اليقين نقيض الشك وقيل اليقين رؤية العيان بنور الإيمان.

وقيل: اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب.

وقيل اليقين العلم الحاصل بعد الشك". [التعريفات، ص: ٣٣٢]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "اليقين الإيمان كله". [رواه البخاري، ٩/١]

قوله: "**بسخط الله**"، **قال الجوهري رحمه الله تعالى**: "السخط والسُخط: خلاف الرضا. وقد سخط، أي غضب، فهو ساخط. وأسخطه، أي أغضبه". [الصحاح، ١١٣٠/٣]

وقال الطيبي رحمه الله تعالى: "والسخط بفتح السين كراهة الشيء وعدم الرضى به". [الكاشف عن حقائق السنن، ٣٧٣٨/١٢]

قال المناوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٣١ هـ): "**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى**" إذ لولا ضعفه لما فعل ذلك لأن من قوي يقينه علم أن الله تعالى هو النافع الضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لأحد غيره من الأمر شئ فلا يهاب أحدا ولا يخشاه حتى يرضيه

لخوف لحوق ضرر منه إليه "**وأن تحمدوهم**" أي تصفهم بالجميل "**على رزق الله**" أي على ما وصل إليك على يدهم من رزق الله لأن الله هو الرزاق وحده "**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**" أي على ما منعهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع إنما هو الله لا هم فإنهم مأمورون مسخرون. "**إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص**" أي اجتهاد مجتهد متهالك على تحصيله، قالوا: والحرص الشح على الشئ أن يضيع أو يتلف. "**ولا يرده**" عنك "**كراهة كاره**" حصوله لك فما لم يقدر لك لم يأتك على كل حال وما قدر لك خرق الحجاب وطرق عليك الباب". [فيض القدير، ٢/٦٨٣-٦٨٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**" رواه ابن حبان في صحيحه".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "**من التمس رضا الله بسخط الناس**"؛ يعني بهذا الحديث: أن الرجل إذا عرض له أمر في فعله رضى الله عنه وغضب الناس، أو يكون في فعله رضى الناس وغضب الله، فإن فعل ما فيه رضى الله وغضب الناس؛ رضي الله عنه ودفع عنه شر الناس، وإن فعل ما فيه رضى الناس وغضب الله وكله الله إلى الناس؛ يعني: سلط الله الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا عليه أو يهلكوه، ولم يدفع عنه شرهم". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٢٦٠]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**من التمس رضا الله بسخط الناس**"؛ أي: من طلب رضاه في شيء يسخط الناس بسببه عليه.

"**ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**"؛ أي: سلطهم عليه، حتى يؤذوه ويظلموا عليه". [شرح المصابيح، ٥/٣٦٢-٣٦٣]

قوله: "**رواه ابن حبان في صحيحه**"، أي خرجه ابن حبان في صحيحه، في باب "ذكر رضاء الله جل وعلا عمن التمس رضاه بسخط الناس"، ١/٥١٠، رقم (٢٧٦).

وفي رواية عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن الورد عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن اكتبي إلي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي. فكتبت عائشة رضى الله عنها إلى معاوية سلام عليك أما بعد، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**". والسلام عليك. [سنن الترمذي ، ٢٦١/٩، رقم: (٢٥٩٧)]

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: " والخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، كما قال الشافعي رضي الله عنه: رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه، ودع ما سواه فلا تعانه. فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور.

وأيضا فالمخلوق لا يغني عنه من الله شيئا، فإذا اتقى العبد ربه، كفاه مؤنة الناس. كما كتبت عائشة إلى معاوية، روي مرفوعا، وروي موقوفا عليها: "**من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس له ذاما**". فمن أرضى الله كفاه مؤنة الناس ورضي عنه، ثم فيما بعد يرضون، إذ العاقبة للتقوى، ويحبه الله فيحبه الناس، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إذا أحب الله العبد نادى: يا جبرائيل، إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي جبرائيل في السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**"، وقال في البغض مثل ذلك". [شرح العقيدة الطحاوية، ٢٤٤/١-٢٤٥]

مسألة: في أيهما يقدم الخوف أم الرجاء؟

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "والأصلح أن يعتدل رجاؤه وخوفه، وكذلك قيل: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا، ولكن ما كان الغالب على قلبه الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل، يعني رجحان الخوف،

وكذا إذا كان الغالب على قلبه هو اليأس والقنوط من الرحمة فالرجاء أفضل،

وكذا إذا كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل.

وأكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي،

وأما للمتقي فالأفضل أن يعتدلا.

وقال بعضهم: ما دام العبد يكون في الحياة فالأفضل أن يكون خوفه غالبا على رجائه، وأما عند الموت فالأفضل غلبة الرجاء وحسن الظن بالله تعالى. [تبيين المحارم، ص: ٧٣٠-٧٣١]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ): "قال: أبو علي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٣١٢، ط. الأوقاف السعودية]

الباب الثاني والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤]

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]".

معنى التوكل لغة وشرعا:

قال الزبيدي رحمه الله تعالى: "التوكل : إظهار العجز والاعتماد على الغير ، هذا في عرف اللغة ، وعند أهل الحقيقة ، هو: الثقة بما عند الله تعالى واليأس مما في أيدي الناس. ويقال: المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره ". [تاج العروس، ٩٨/٣١]

وقال الجرجاني رحمه الله تعالى: " التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس". [التعريفات، ص: ٩٧]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ): "والتوكل: هو الاعتماد عليه [أي على الله]، وتفويض الأمر إليه، لا بالكثرة والأسباب التي يقوم بها، من نحو: القوة والعدة والنصرة والغلبة...". [تفسير الماتريدي، ٢/٥١٨]

وقال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ):

"واعلم أن التوكل من منازل الدين، بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها طعن في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة، وقدح في الشرع والاعتماد على الأسباب من غير أن يرى أسبابا تغير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه موافقة مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر لا يقوى على كشفه إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بأنوار الحقائق، وقد أكثر الله تعالى ذكر التوكل في القرآن العظيم، وقد ورد أيضا أحاديث كثيرة في فضل التوكل، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، وقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣، وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إبراهيم: ١١، و﴿ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ إبراهيم: ١٢، وغير ذلك من الآيات، وقد اختلفوا في حقيقة التوكل.

اعلم أن التوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكل أمره إلى فلان أي: فوضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلا ومتوكلا عليه، مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا أو قصورا، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده، وهذا إنما يتم باعتقاد منتهى الهداية والقدرة والفصاحة والشفقة في الوكيل، فإن لم تجد هذه الحالة من نفسك، فإما من ضعف اليقين بها أو من مرض القلب باستيلاء الجبن بالأوهام، فإذا أثبت في نفسك بكشف أو

باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله تعالى واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العبد، ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وبالآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية، اتكل لا محالة قلبك عليه وحده، ولم يلتفت إلى غيره وبوجه من الوجوه، وإلى نفسك وحولك وقوتك، فإن لم تجد هذه الحالة من نفسك فاعلم أنك إما ضعيف اليقين بأحد الأربع الخصال المذكورة، وإما ضعيف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه بسبب الأوهام وإبعاد الشيطان وتخويفه.

وهاهنا ثلاث مراتب:

أحدها: ما ذكرناه وهو الثقة بالوكيل.

والثانية: تضاهي ثقة الصبي بأمه، فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إليها لثقته بشفقتها، ولكنه في توكله فان عن توكله، لأن الصبي لا يعرف التوكل.

والثالثة: أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي، فإنه يزعق ويصيح بأمه ويتعلق بذيلها لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وإن لم يتعلق بذيلها، والأم تحمله وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وشفقته ودوامه، والثالثة كصفرة الوجه غالبا، والثانية كصفرة المحموم، فإنه قد يدوم يوما ويومين، والأول كصفرة مستحكم خوف المرض فلا يبعد أن يدوم ويزول.

واعلم أنه ليس معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع.

وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده وسعي العبد باختياره، إما بجلب المنافع كالكسب أو حفظه كالادخار أو لدفع ضار كدفع السارق والسباع أو إزالته كالتداوي من المرض". [تبيين المحارم، ص: ٧٢٣-٧٢٤]

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ أي: مصدقين بوعد موسى بالفتح لكم والنصر.

ويحتمل: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مسلمين؛ فان كل من توكل على الله ووثق به، نصره الله، وجعله غالبا على عدوه، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٤٩٢/٣]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ يعني فثقوا بأنه ناصركم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ يعني: مصدقين بوعد الله تعالى". [بحر العلوم، ٣٨٢/١]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ إذ الإيمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق". [تفسير النسفي، ٤٣٩/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ ويقال: إنما المصدقون الذين إذا أمروا بأمر في أمر الغنيمة وغيرها من قبل الله تعالى، خافت قلوبهم.

ويقال: إنما المصدقون الذين إذا ذكر الله أي ذكر عندهم أمر الله.

ويقال: الذين إذا أمروا بأمر من الله، وجلت قلوبهم يعني: قبلت قلوبهم، فسمى قبول القلوب وجلا، لأن بالوجل يثبت القبول، لأنهم وجلوا عقوبة الله تعالى فقبلوه.

ثم قال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ ، يعني: إذا قرئت عليهم آياته بالأمر والنهي في أمر الصلح وغيره، ﴿ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ ، يعني: تصديقا ويقينا. وقال الضحاك: يعني زادتهم تصديقا بحكم الناسخ، مع تصديقهم بالمنسوخ. وقال الزجاج: تأويل الإيمان التصديق، فكل ما تلي عليهم من عند الله تصديقا صدقوا به فزادهم تصديقا، فذلك زيادة إيمانهم. وروي عن ابن عباس أنه قال: «زادتهم تصديقا بالفرائض مع تصديقهم بالله» . ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، يعني: يفوضون أمرهم إلى الله، ويثقون به، ولا يثقون بما في أيديهم من الغنائم، ويعلمون أن الله رازقهم". [بحر العلوم، ٢/٤]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إنما الكاملون الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ أي القرآن ﴿ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لأن تظاهر الأدلة أقوى المدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم إيمانا بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه". [تفسير النسفي، ١/ ٦٣٠]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ إشارة إليهم، أي إنما كاملو الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ عندهم واقتداره على عقوبتهم ﴿ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي خشيت من الله وقبلت عنده بالوجل ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ ﴾ أي قرئت ﴿ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ بالأمر والنهي في أمر إصلاح ما بينهم وغيره من الوعد والوعيد والقصص والأمثال والناسخ والمنسوخ ﴿ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ أي تصديقا ويقينا، يعني ازدادوا بها طمأنينة نفس بحكم الله، كيف يشاء من غير اضطراب في التصديق به، لأن تظاهر الأدلة الدالة على صدق محمد عليه السلام والقرآن أقوى وأثبت، وقد حمل على زيادة العمل الخير أيضا مع تصديقهم بالله،

روي: «أن للإيمان سننا وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان» ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] أي يثقون به في الرزق وغيره لا على ما تكسب أيديهم من الغنائم وغيرها". [عيون التفاسير، ٢/١٠٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾ [الأنفال: ٦٤]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ بالنصر والعون لك، ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ومن اتبعك من المؤمنين. قال بعضهم: "**من**" في موضع الرفع، ومعناه: حسبك من اتبعك من المؤمنين خاصة وهم الأنصار. ويقال: يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقال: هذه الآية خاصة من هذه السورة، نزلت بمكة، حين أسلم عمر وكان المسلمون تسعة وثلاثين، فلما أسلم عمر رضي الله عنه تم أربعون، وظهر الإسلام بمكة بإسلام عمر.

وقال بعضهم: "**من**" في موضع النصب، يعني: حسبك ومن اتبعك من المؤمنين. وقال الضحاك: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله، وهو ناصرهم في الدنيا والآخرة". [بحر العلوم، ٢/٣٠]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكافك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت". [تفسير النسفي المسمى بـ"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ١/ ٦٥٥]

وقال محمود الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار كافة إثر بيان الكفاية في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للنداء والتنبيه على الاعتناء بمضمونها، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة للإشعار بعلية الحكم كأنه قيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحرب لنبوتك.

﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ قال الزجاج: في محل النصب على المفعول معه...

وجوز أن يكون في محل الجر عطفا على الضمير المجرور وهو جائز عند الكوفيين بدون إعادة الجار ومنعه البصريون بدون ذلك لأنه كجزء الكلمة فلا يعطف عليه، وأن يكون في محل رفع إما على أنه مبتدأ والخبر محذوف أي ومن اتبعك من المؤمنين كذلك أي حسبهم الله تعالى،

وإما على أنه خبر مبتدأ محذوف أي وحسبك من اتبعك، وإما على أنه عطف على الاسم الجليل واختاره الكسائي وغيره.

وضعف بأن الواو للجمع ولا يحسن هاهنا كما لم يحسن في ما شاء الله تعالى وشئت والحسن فيه ثم، وفي الأخبار ما يدل عليه، اللهم إلا أن يقال بالفرق بين وقوع ذلك منه تعالى وبين وقوعه منا". [روح المعاني، ٥/٢٢٦]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): " إن أحسن التأويلات في هذه الآية أن يكون «من» هاهنا في محل النّصب أي ومن اتبعك من المؤمنين يكفيهم الله.

ومن أقوى التأويلات في العربية أن «من» في محل الرفع أي: حسبك من اتبعك من المؤمنين.

وقد علم أن استقلال الرسول صلى الله عليه وسلم كان بالله لا بمن سوى الله، أو كل من هو سوى الله فمحتاج إلى نصرة الله". [تفسير الملا علي القاري، ٢/٢٦٩]

وقال العلامة محمود شكري الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٤٢هـ): " وأما التحسب فهو لله وحده، كما قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ

ﭐللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين، وهذا هو المقطوع به في معنى هذه الآية، ولهذا كانت كلمة إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام "حسبنا الله ونعم الوكيل". [غاية الأماني، ١/٥٣٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾. يجوز أن يكون معناه: أي: من يعتمده في كل نائبة، ويفوض إليه كل نازلة.

والوكيل: هو الموكول إليه الأمور.

وقيل الوكيل: هو الحافظ؛ فكأنه قال: ومن يعتمد على الله فيما نابه كفى به وكيلا موكولا إليه أمره، وكفى به حافظا وناصرا ومعينا". [تفسير الماتريدي، ١٠/٥٧]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني: من يثق بالله في الرزق فهو حسبه يعني: الله كافيه". [بحر العلوم، ٣/٤٦١]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ كافيه من الدارين". [تفسير النسفي، ٣/٤٩٨]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣]، أي فهو كافيه، لا يحوجه إلى غيره". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٦٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له:

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي".

قوله: "**رواه البخاري والنسائي**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى في "باب إن الناس قد جمعوا لكم" الآية، ٤٨/٦، رقم (٤٥٦٣)، والنسائي رحمه الله في سنن الكبرى، ٣١٦/٦، رقم (١١٠٨١).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين. وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الإبل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهزون للخروج، فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففروا، فقال عليه السلام: "والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد"، فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل.

قيل: هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار.

﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ الضمير المستكن للمقول أو لمصدر قال أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده، والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده، وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصانا، فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه، ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار.

﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي محسبنا الله وكافيا من أحسبه إذا كفاه، والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك

﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ أي نعم الموكول إليه والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل". [تفسير أبي السعود، ٢/١١٤]

وفي الآية دليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ومن علماء الحنفية من يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، ومنهم:

١-أحمد بن عمران الليموسكي الإسترابادي الحنفي المتوفى سنة ٣٣١ هـ.

قال صاحب الجواهر المضية في طبقات الحنفية في ترجمة الليموسكي: "كان يقول القرآن كلام الله غير مخلوق والإيمان قول وعمل يزيد وينقص". [١/٨٥-٨٦]

٢-الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٩٢ هـ).

قال رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية: "والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدا: منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به ؟ فهل في قول الناس"قد جمعوا لكم فاخشوهم"زيادة مشروع ؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع ؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقينا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ

أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم النساء بنقصان العقل والدين. وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**". والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان. فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء ؟ وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان ؟ !

وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضا. منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص.

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: (هلموا نزدد إيمانا)، فيذكرون الله عز وجل.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: (اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها). [٣٢٥/١ وما بعدها]

٣–الإمام العلامة محمود بن عبد الله الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ). قال رحمه الله تعالى: " ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [الأنفال: ٢] أي القرآن كما روي عن ابن عباس ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أي تصديقا كما هو المتبادر فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج مما لا ريب في كونه موجبا لذلك، وهذا أحد أدلة من ذهب إلى أن الإيمان يقبل الزيادة والنقص ، وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وبه أقول لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة من غير معارض لها عقلا ، بل قد احتج عليه بعضهم بالعقل أيضا ، وذلك أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساويا لإيمان الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، واللازم باطل فكذا الملزوم.

والحق أن الخلاف حقيقي وأن التصديق يقبل التفاوت بحسب مراتبه فما المانع من تفاوته قوة وضعفا كما في التصديق بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم وقلة وكثرة كما في التصديق الإجمالي والتصديق التفصيلي المتعلق بالكثير وما علي إذا خالفت في بعض المسائل مذهب الإمام الأعظم أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه للأدلة التي لا تكاد تحصى فالحق أحق بالإتباع والتقليد في مقل هذه المسائل من سنن العوام". [روح المعاني، ٥/١٥٥-١٥٦]

٤- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، من كبار الحنفية وانتهت إليه رياستهم في عصره.

قال رحمه الله تعالى: "﴿ **فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا** ﴾ ...، وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصانا، فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه، ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار". [تفسير أبي السعود، ٢/١١٤]

الباب الثالث والثلاثون

قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩]

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف: ٩٩]

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر: ٥٦]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال: "**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله**"، رواه عبد الرازق.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف: ٩٩]".

معنى المكر لغة وشرعا:

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "(المكر): الحيلة والتفكر في دفع العدو على وجه لا يعرف العدو طريقه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/٢٤٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "(المكر): الحيلة والفكر في دفع عدو بحيث لا يشعر به العدو". [شرح المصابيح، ٣/٢٢٥]

وقال السندي رحمه الله تعالى: "مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: واستدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة". [حاشية السندي على سنن ابن ماجة، ٢/٤٢٩]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ أَفَأَمِنُواْ ﴾ تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ﴿ مَكۡرَ ٱللَّهِ ﴾ أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلي قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه إياهم على ما هم عليه. وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنتاه أن أباك خاف البيات أراد قوله: أن يأتيهم بأسنا بياتا ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار". [تفسير النسفي، ٥٨٩/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]".

قال أبو السعود رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٩٨٢ هـ**) **في تفسير قوله تعالى:**

"﴿ وَمَن يَقۡنَطُ ﴾ استفهام إنكاري أي لا يقنط ﴿ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون". [تفسير أبي السعود، ٨٢/٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال: "**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله**"، رواه عبد الرازق".

قوله: "**رواه عبد الرزاق**"، أي رواه عبد الرزاق في مصنفه، ٤٥٩/١٠، رقم (١٩٧٠١).

قال ابن فارس رحمه الله تعالى: " (يأس) الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه. يقال منه: يئس ييأس وييئس، على يفعل ويفعل.

والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم. وقالوا في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الرعد ٣١]، أي أفلم يعلم". [معجم المقاييس، ١٥٣/٦]

وقال رحمه الله أيضا: " (قنط) القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء. يقال: قنط يقنط، وقنط يقنط". [معجم المقاييس، ٣٢/٥]

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: "القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته ، وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى إلا من الكافر". [تفسير أبي السعود، ٦٧/٦]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى: "القنوط من رحمة الله هو ضلال، والإياس من رحمته كفر". [تفسير الماتريدي، ٤٤٩/٦]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "والأمن والإياس ينقلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة". [العقيدة الطحاوية]

وقال شجاع الدين هبة الله بن احمد التركستاني الحنفي الماتريدي (المتوفى سنة ٧٣٣ هـ):
"**(والأمن والإياس ينقلان عن الملة)**، لأن الله تعالى وعد وأوعد، وهو قادر عليهما، ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة، وفي الإياس عن الرحمة ظن العجز عن العفو والمغفرة، وكل واحد منهما ناقل عن الملة. وأما قولهم: **(وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)**، يعنون بالسبيل بينهما الوقوف بين الخوف والرجاء، إذ هو حقيقة العبودية، قال الله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]، وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧]". [شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٣١-١٣٢]

وقال **أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) والشيخ محمد بن محمد بن محمود البابرتي (المتوفى: ٧٨٦ هـ) رحمهما الله تعالى**: "قوله: (**والأمن والإياس ينقلان عن الملة**)، يعني: الأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله، ينقلان المؤمن عن ملة الإسلام إلى الكفر، لأن الله تعالى وعد بالرحمة وأوعد بالعذاب وهو قادر عليهما. ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة، وفي الإياس عن الرحمة ظن العجز عن المغفرة، وكل واحد منهما ناقل عن ملة الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٨٧].

قوله: (**وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة**)، أي: بين الأمن واليأس، وهو الوقوف بين الخوف والرجاء، إذ هو حقيقة العبودية، قال الله تعالى: ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ [السجدة: ١٦]، أي: خوفا من عقابه وطمعا في رحمته وثوابه، وقال النبي عليه السلام: "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا".

وفيه إشارة إلى رد ما ذهب إليه الخوارج والمرجئة، فإن الخوارج أيسوا من ثواب الله بارتكاب الكبيرة، والمرجئة أمنوا من العقاب بارتكابها، فهما في طرفي التفريط والإفراط، وخير الأمور أوسطها، وهو مذهب أهل السنة والجماعة". [شرح عقيدة الإمام الطحاوي للغزنوي، ص: (١١٧-١١٨) وشرح العقيدة الطحاوية للبابرتي، ص: (٩٧)]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ): "يجب أن يكون العبد خائفا راجيا، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنبا ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أما إذا كان الرجل متماديا في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال: أبو علي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] الآية. وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] الآية. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا. وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

وقال صاحب منازل السائرين رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد، وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**". وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: "**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**"، ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، وروي: ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد". [شرح الطحاوية، ط. الأوقاف السعودية، (١ / ٣١٢-٣١٣)]

وقال ابن كمال باشا رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "والأمن من خوف الله تعالى كفر لقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أما أمن الذين ثبت بالنص فأمنهم لا يكون كفرا، كالأنبياء والعشرة المبشرة.

وكذلك اليأس من رحمة الله كفر، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولقوله تعالى: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فلابد للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء. [الرسالة منيرة في المواعظ والعقائد، ٥/١٣٩]

وقال العلامة شهاب الدين الخفاجي الحنفي رحمه الله تعالى: " الأمن من مكر الله كبيرة عند الشافعية وهو الاسترسال في المعاصي اتكالا على عفو الله كما في "جمع الجوامع"، وقال الحنفية : إنه كفر كاليأس لقوله تعال : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، واستدل الشافعية بحديث ابن مسعود رضي الله عنه (من الكبائر الأمن من مكر الله) وما ورد من أنه كفر محمول على التغليظ ، وفيه تفصيل ليس هذا محله". [حاشية الخفاجي على البيضاوي، ١٩٦/٤]

وقال العلامة الرازي الشافعي رحمه الله تعالى: " الأمن لا يحصل إلا عند اعتقاد العجز، واليأس لا يحصل إلا عند اعتقاد البخل، واعتقاد العجز والبخل في حق الله كفر فلا جرم كان حصول الأمن والقنوط كفرا". [تفسير الرازي، ٨٢/٢١]

وقال العلامة المباركفوري رحمه الله تعالى: "والقاعدة في هذا إن المحمود أن يكون العبد بين الخوف والرجاء ولا يبلغ به الخوف أن ييأس من رحمة الله عز وجل ولا يبلغ به الرجاء أن يأمن من مكره، وعلامة ذلك أن يكون دائبا في عمل الخير واجتناب الشر فإن من أيس من رحمة الله فلا يبعد أن يدع ذلك قائلا أنا معذب في الآخرة لا محالة لكثرة ذنوبي، فلماذا امنع نفسي هواها فأعذبها في الدنيا بترك شهواتها؟ ومن أمن مكر الله تعالى قال إنه ناج لا محالة فلا يضره أن يتبع نفسه هواها ولم يخلق الله شيئا إلا للبشر ويقرأ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وينسى إن قليلة يدعوا إلى كثيرة والاسترسال إلى الحلال الكثير يعسر عليه الاجتناب من الحرام فيغلب فيجترئ على ما لم يكن له أن يجترئ عليه ويقول إنا مؤمن وكل مؤمن حبيب الله ومن شأن المحبوب أن لا يمنع محبة ما تهواه نفسه ولا يكلفه ما يشق عليه وأشباه ذلك". [مرعاة المفاتيح، ٣٨٣/٧]

اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله ذنبان عظيمان، وهما من كبائر الذنوب كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، وقد نص جمع من أهل العلم على عدهما من كبائر الذنوب، وهما

ينافيان كمال التوحيد الواجب، وقد ينقلان عن ملة الإسلام، لأنهما قد يصلان بالعبد إلى اعتقاد سوء الظن بالله تعالى، والكفر بوعده ووعيده. [الموسوعة، ٣١٩١/٦]

الباب الرابع والثلاثون

من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**" .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**".

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**" ، حسنه الترمذي.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله".

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف كثيرة، وذكر الصبر في القرآن في بضع وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الخير والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له، ولا يحتاج إلى عد آيات الصبر وهي معلومة.

وأما حقيقة الصبر، فالصبر في اللغة: الحبس، قال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، أي: احبس نفسك.

وفي الشرع: عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، وإنما سمي هذا صبرا، لأنه حبس النفس عن الجزع والحرج فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك في الشدة، وقيل: بل إرادة الخروج عن الشدة

بالحكم والصبر، وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وأنها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر فلا فائدة في الجزع، بل فيه ضرر وخطر، وحصن هذا الحصين ذكر عوض الله تعالى وكريم الذخر في ذلك لديه.

واعلم أن الصبر صبران: **أحدهما** أفضل من الآخر: الصبر في المصيبات عند الصدمة الأولى وأفضل منه الصبر فيما حرمه الله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة،

وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة،

وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة،

فإنما فضلت هذه الرتبة لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن محارم الله تعالى.

وأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الصديقون، فإن ذلك شديد على النفس.

فإن قلت: فماذا تنال درجة الصبر في المصيبة وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى، فإن كان المراد أن لا يكون في نفسه كراهية المصيبة، فذلك غير داخل في الاختيار؟

الجواب: إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير الهيئة والعادة في المجلس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت الاختيار فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر رضاء الله تعالى ويستمر على عادته ويعتقد أن ذلك كانت وديعة عنده واسترجعت ولا يخرجه عن حد الصبر توجع القلب ولا فيضان الدمع والتوجع والبكاء على الميت من مقتضى البشرية.

واعلم أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال، وأما في الطاعة وذلك في تصميم النية والصبر عن شوائب الرياء، وهو من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص ومكائد عمن سواه ومكائد النفس والشيطان وفي حالة العمل كيلا يغفل عن تحقيق أدائه وسنته إلى تمامه وهذا صبر شديد

أيضا وبعد فراغ العمل عن إفشائه وتسميعه للرياء والنظر إليه بالعجب، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]،

وأما في الغنى فما أحوج العبد إلى الصبر فيه، فإنه أن يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلى ملاذ الدنيا المباحة أخرجه إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، والصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء، ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا: ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر.

ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والأهل والأولاد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، أما الصبر في الفقر فظاهر.

وأما في المعاصي فما أحوج العبد إلى الصبر عنها خصوصا عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تصريحا وتعريضا، وأنواع المزاح المؤذي للقلوب، وغير ذلك من الكلمات الرديئة. ومن أشد الصبر، الصبر على أذى الناس في ذلك بترك المكافأة.

والحاصل: أن العبد يحتاج إلى الصبر في جميع الأحوال في حالة الفقر والغنى والصحة والمرض والطاعة والمعصية والضراء والسراء، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وورد في الخبر: "من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي".

وبالجملة: السعادة العظمى في الصبر والهلاك والبوار والخسارة في تركه، والصبر إما بدني بالفعل كالطاعات أو بالاحتمال أي احتمال الأذى.

وإما نفسي، فإن كان عن شهوة البطن والفرج، فهو العفة، أو كان في مصيبة فيقتصر على اسم الصبر، وضده الجزع والهلع، أو في الغنى فهو ضبط النفس وضده البطر وفي المقابلة فهو الشجاعة، وضده الجبن، أو كظم الغيظ فهو الحلم وضده التذمر أو في نائبة مضجرة فهو سعة الصدر وضده الضجر، والتبرم وضيق الصدر أو في إخفاء كلام فهو كتمان السر أو عن فضول العيش فهو الزهد وضده الحرص أو على يسير من الحظوظ فهو القناعة وضده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان في الصبر، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإيمان، قال: "هو الصبر والسماحة"، كما قال: "الحج عرفة". والحاصل أن المراد من الصبر ترك العمل بمقتضى النفس. [تبيين المحارم، ص: ٧٢٠-٧٢٢]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: " فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويعلم أن ما دفع الله عنه من البلاء، أكثر مما أصابه، ويحمد الله تعالى على ذلك.

وينبغي للعبد أن يقتدي بنبيه صلى الله عليه وسلم وينظر إلى صبره على أذى المشركين". [تنبيه الغافلين، ص: ١١٩]

قوله: "**على أقدار الله**"، أقدار جمع القدر،

قال الفراهيدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٧٠ هـ): "**القدر**: القضاء الموفق، يقال: قدره الله تقديرا. وإذا وافق الشيء شيئا قيل: جاء على قدره". [كتاب العين، ٥/١١٢]

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٩٥ هـ): "والقدر: القضاء الذي يقدره الله عز وجل". [مجمل اللغة، ١/٧٤٥]

وقال رحمه الله أيضا: "(قدر) القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه. وكذلك القدر. وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا". [مقاييس اللغة، ٥/٦٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]".

قال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ أي يصدق أنه لا يصيبه شيء من ذلك إلا بمشيته ويعلم أنه من الله تعالى لا من غيره ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ أي يشرح صدره لعمل الخير ويصلحه بتوفيقه ليسترجع عند نزول المصيبة، وعن مجاهد: "إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر". [عيون التفاسير، ٤/٢٢٠]

وقال أحمد الكوراني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٩٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ يثبته، إن ابتلاه صبر، وإن أعطاه شكر، وإن ظلمه أحد غفر، أو من كان قابلا مستعدا للإيمان يوفقه له ويؤيده". [غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، ص: ١٧٥]

وقال العلامة محمود الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير ، أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه". [روح المعاني، ٤٣٧/٣]

دلت الآية الكريمة على أن الصبر على أقدار الله وعدم الجزع من علامات الإيمان بالله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**" .

قال العلامة علي محفوظ الحنفي رحمه الله تعالى: " قال الإمام النووي في شرح مسلم: وهذا الحديث على تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة.

وفي معنى الكفر أقوال أصحها: أنها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، وروى البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة

ورنة عند مصيبة. وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجها، ولا ندعو ويلا، ولا نشق جيبا، ولا ننشر شعرا". رواه أبو داود.

وخمشت المرأة وجهها بظفرها خمشا: جرحت ظاهر البشرة من بابي ضرب ونصر، ثم أطلق الخمش على الأثر وجمع على خموش كفلس وفلوس.

فأنت ترى ما اشتملت عليه هذه الأحاديث الصحيحة من اللعن وأن ذلك كفر، أي: يؤدي إليه أو لمن استحل، وغير ذلك من أنواع الوعيد الشديد، ومنها يظهر صحة ما قاله غير واحد من المحقيقين من أن تلك الأعمال كلها كبائر ويلحق بها ما في معناها.

قال الإمام الأذرعي: الأحاديث الصحيحة تقتضي أن ذلك من كبائر الذنوب لأنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من فاعل ذلك قال: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب..." الحديث، ثم قال: ويجب الجزم بأن من جمع بين النياحة وشق الجيب والصياح، مع العلم بالتحريم واستحضار النهي عنه والتشديدات فيه وتعمد ذلك خرج عن العدالة، لجمعه بين هذه القبائح وإيذاء الميت بذلك، كما نطقت به السنة، انتهى.

وقال الخادم: وأما النياحة وما بعدها فقضية الخبر بالتوعد عليه أن يكون كبيرة، اهـ.

وجملة الكلام: أنه يحرم الندب: وهو تعديد محاسن الميت كواجبلاه واعزاه.

والنوح: وهو رفع الصوت بالندب، ومثله الإفراط في رفعه بالبكاء وإن لم يكن معه ندب ولا نوح وضرب نحو الخد وشق نحو الحبيب ونشر الشعر وحلقه ونتفه وتسويد الوجه وإلقاء الرماد على الرأس، والدعاء بالويل والثبور، وكل شيء فيه تغيير للزي كلبس ما لا يعتاد لبسه أصلا أو على تلك الصفة، وكترك شيء من لباسه والخروج بدونه على خلاف العادة.

وقد ابتلي كثير من الناس بتغيير الزي، وعدم حلق الشعر، مع ما تقرر من حرمته، بل كونه كبيرة وفسقا قياسا على تلك المذكورات وإن كانت أفحش من ذلك لأنهم عللوها بما يعم الكل وهو أن ذلك يشعر إشعارا ظاهرا بالسخط وعدم الرضا بالقضاء والعياذ بالله تعالى.

"**والصغيرة**": هي التي لا يشم منها الاعتراض على القضاء ولكنها تبعد السلوة عن أهل الميت وتبعث الأسى في نفوسهم فيؤدي ذلك إلى تعذيب نفوسهم وقلة صبرهم وشدة ضجرهم، وربما حملهم ذلك على شق الجيوب وضرب الخدود وكل هذا ينهى عنه الشارع سواء في البكاء زيادة تعذيب للنفس.

أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعده لكن الأولى تركه بعده إن أمكن، إذ قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى قبله على ولده وغيره...". [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٢٣٦-٢٣٧]

قوله: "**وفي صحيح مسلم**"، أي رواه مسلم في صحيحه، في باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، (٨٢/١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**".

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

قوله: "**ليس منا**" ، أي: ليس من أهل سنتنا ولا من المهتدين بهدينا، وليس المراد الخروج به من الدين جملة، إذ المعاصي لا يكفر بها عند أهل السنة، اللهم إلا أن يعتقد حل ذلك.

وسفيان الثوري أجراه على ظاهره من غير تأويل لأن إجراءه كذلك أبلغ في الإنزجار مما يذكر في الأحاديث التي صيغها: ليس منا.

وقال الكرماني: هذا للتغليظ، أللهم إلا أن يفسر دعوى الجاهلية بما يوجب الكفر، نحو تحليل الحرام وعدم التسليم لقضاء الله تعالى، فحينئذ يكون النفي حقيقة.

وقال ابن بطال: معناه: ليس مقتديا بنا ولا مستنا بسنتنا.

وقيل معناه: ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا.

وقيل: معناه محمول على المستحل لذلك.

قوله: "**من لطم الخدود**" ، ويروى: "من ضرب الخدود" ، وهو جمع: خد، وخص بذلك لكون اللطم أو الضرب غالبا يكون في الخد، وإلا فضرب بقية الوجوه داخل في ذلك.

قوله: "**وشق الجيوب**" ، بضم الجيم: جمع: جيب وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس، وهو الطوق في لغة العامة. وقال بعضهم: المراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره، وهي من علامات التسخط،

قلت (القائل هو العيني رحمه الله): الشق أعم من ذلك، فمن أين أخذ أن المراد ما ذكره؟ فإذا شق جيبه من ورائه أو من يمينه أو من يساره لا يكون داخلا فيه.

قوله: "**ودعا بدعوى الجاهلية**" ، وفي رواية مسلم: "بدعوى أهل الجاهلية" ، وهي زمان الفترة قبل الإسلام، والمراد أنه قال في البكاء بما يقوله أهل الجاهلية مما لا يجوز في الشريعة، كقولهم: واجبلاه واعضداه، ونحو ذلك. [عمدة القاري للعيني رحمه الله، ٨/٨٧-٨٨]

قوله: "**ليس منا**"؛ أي: ليس من الذين يتبعونا؛ أي: ليس من أمتي الكاملين من ضرب يده على وجهه عند البكاء. "**وشق الجيوب**"؛ أي: خرق ثوبه عند البكاء. "**ودعا بدعوى الجاهلية**"؛ أي: وقال عند البكاء ما يقول به أهل الجاهلية مما لا يجوز في الشرع. [المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري، ٢/٤٥٧-٤٥٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة** ... " إلى آخره.

أي: ابتلاه الله تعالى بالمكاره حتى تكون تلك المكاره كفارة لذنوبه حتى إذا وصل إلى القيامة لم يبق له ذنب.

قوله: "**أمسك عنه بذنبه**"؛ أي: أخر عنه العقوبة بذنبه في الدنيا، "**حتى يوافيه**"؛ أي: حتى يجازيه. "**به**"؛ أي: بذنبه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٤٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**" ، حسنه الترمذي.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: "**إن عظم الجزاء**"؛ أي: إن كثرة الثواب تحصل بوصول كثرة البلاء إلى الرجل.

"**فمن رضي فله الرضا**"؛ أي: فمن رضي بالبلاء وصبر عليه، يحصل له رضا الله تعالى.

"**ومن سخط**"، أي: ومن كره البلاء وجزع، ولم يرض بحكم الله، يحصل له سخط الله وغضبه، والسخط من العبد: يتعلق بالقلب لا بالأنين باللسان.

فكم من رجل له أنين من شدة المرض، وفي قلبه الرضا والتسليم بأمر الله، فلا تقل عمن سمعته يئن: إنه غير صابر؛ لأن الرضا والسخط محلهما القلب، وأنت لا تطلع على قلب أحد". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٤٠٨]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء**"؛ أي: كثرة الثواب "**مع عظم البلاء**"؛ أي: يحصل بحسب كثرة البلاء. "**وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي**"؛ أي: بالبلاء وصبر عليه "**فله الرضا**"؛ أي: يحصل له رضاء الله ورحمته.

"**ومن سخط**"؛ بكسر الخاء؛ أي: كره البلاء وجزع ولم يرض بحكم الله "**فعليه السخط**" من الله والغضب عليه، والرضاء والسخط يتعلقان بالقلب لا باللسان، فكثير ممن له أنين من وجع وشدة مرض مع أن في قلبه الرضاء والتسليم بأمر الله تعالى". [شرح المصابيح، ٢/٣٢٤]

وفي الحديث إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه تعالى يحِب ويُحَب.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "ومما يدل على إثبات الحب لله قوله عز وعلا: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤، ثم في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، دليل على إثبات الحب". [شرح عين العلم وزين الحلم للقاري، ٣٥٤/٢]

وقال أيضا رحمه الله: "وورد في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤. [المصدر السابق، ٣٧٣/٢]

وفي الحديث إثبات صفة الرضا والسخط لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف". [الفقه الأكبر]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى أيضا: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه". [الفقه الأبسط]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى". [العقيدة الطحاوية]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

قوله: (**والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى**).

ش: قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ [المائدة: ١١٩]. ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١] ونظائر ذلك كثيرة.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة

بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: "إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين".

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة [الاستواء]: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروي أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا عليها، ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: "من لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه". ويأتي في كلامه"أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل".

فقول الشيخ رحمه الله: "**لا كأحد من الورى**"- نفي التشبيه. [شرح الطحاوية، ص: ٤٧١-٤٧٢]

الباب الخامس والثلاثون

ما جاء في الرياء

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

وعن أبي هريرة مرفوعا: "**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" ، رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعا: "**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**" ، رواه أحمد.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في الرياء".

معنى الرياء لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله: "الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء. والعرب تقول: ريته في معنى رأيته وتراءى القوم، إذا رأى بعضهم بعضا. وراءى فلان يرائي. وفعل ذلك رئاءَ الناس، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس". [مقاييس اللغة، ٢/٤٧٢-٤٧٣]

وقال الزبيدي رحمه الله تعالى: "و راءيته مراءاة ورئاء، بالكسر: أريته أني على خلاف ما أنا عليه". [تاج العروس، ١٩/٤٣٦]

وقال صاحب دستور العلماء: "الرياء: زيادة العمل الخير على المعتاد لإراءة الناس فلهذا يتصور في الصلاة دون الصوم نعم يتصور في عدد الصوم. وبعبارة أخرى الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [دستور العلماء، ٢/١٠٦]

وقال **البركتي:** "الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله أو عمل الخير لإرادة الغير". [التعريفات الفقهية، ص: ١٠٧]

وقال الجرجاني رحمه الله: "الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [التعريفات، ص: ١١٣]

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: " حقيقة الرياء وهو طلب المنزلة في القلوب بإرادة الفضائل، وفي العرف بإظهار العبادات واشتقاقه من الرؤية، فحد الرياء هو: إرادة العباد بطاعة الله تعالى وكل عمل من عمل الآخرة لأجل الدنيا فهو رياء، لأن كل عمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى فهو داخل في الرياء، لأن الرياء هو العمل لغير الله تعالى وإن كان أصل الاشتقاق من الرؤية، ولكن المقصود منه العمل لغير الله تعالى". [تبيين المحارم، ص: ١٤٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]".

قال النسفي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ خالصا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو مالا يستحي منه ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ هو نهي عن الشرك أو عن الرياء . [تفسير النسفي المسمى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (٢/ ٣٢٣)]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: " قوله عز وجل: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، يحتمل: حقيقة الإشراك في العبادة والألوهية، على ما أشرك أولئك: أشركوا الأصنام والأوثان التي عبدوها في عبادته وألوهيته، ويحتمل: المراءاة في العمل الصالح، على ما يرائي بعض أهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعة والخيرات، والله أعلم بالصواب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. [تفسير الماتريدي المسمى بـ "تأويلات أهل السنة" (٧/ ٢١٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة مرفوعا: "**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" ، رواه مسلم".

قال ابن الملك رحمه الله تعالى: "قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء" أفعل التفضيل من غني به عنه غنية؛ أي: استغنى به عنه، وإضافته إما للزيادة المطلقة من غير أن يكون في المضاف إليهم شيء مما يكون في المضاف؛ أي: أنا أغنى من بين الشركاء (عن الشرك) وهو اسم المصدر الذي هو الشركة، وإما للزيادة على من أضيف إليه؛ أي: أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك، فإن بعض الناس قد يكون غنيا عن الشريك، ولكن لم يكن استغناؤه عنه في جميع الأوقات. "**من عمل عملا أشرك فيه معي غيري**"؛ أي: لم يخلص العمل لي، بل كان للرياء والسمعة.

"**تركته وشركه**" الضمير راجع إلى (من)، والواو للمعية أو للعطف على الضمير المنصوب في (تركته)؛ أي: أجعله وعمله المشرك فيه مردودا من حضرتي". [شرح المصابيح، ١/٥٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء " أي: أنا أغنى من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى "عن الشرك" ، أي عما يشركون به مما بيني وبين غيري في قصد العمل، والمعنى: ما أقبل إلا ما كان خالصا لوجهي، وابتغاء لمرضاتي، فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول، ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله: "من عمل عملا أشرك فيه" أي: في قصد ذلك العمل "معي" أي: مع ابتغاء وجهي "غيري" أي: من المخلوقين، فلا يضره قصد الجنة وتوابعها مثلا، فإنها من جملة مرضاته سبحانه، وإن

كان المقام الأكمل أن لا يعبده لطمع جنة أو خوف نار، فإنه عد كفرا عند بعض العارفين، لكن التحقيق فيه: أنه لو كان بحيث لو لم تخلق جنة ولا نار لما عبده – سبحانه – لكان كافرا، فإنه يستحق العبادة لذاته ؛ ولذا مدح صهيب بما روي في حقه: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله ما عصاه» ، قوله: "تركته وشركه" : خبر من، والواو بمعنى "مع"، أو المعنى: تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول". [مرقاة المفاتيح، ٣٣٣١/٨]

وقال العلامة إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى: "وقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى لا يقبل عملا أشرك فيه معه غيره، فلا يقبل عبادة المشرك بل يتبرأ منها، وليس شأنه شأن الذين يأخذون نصيبهم من الشيء المشترك بينهم وبين غيرهم، فإنه أغنى من كل غني، وأغير من كل غيور، فلا يقبل إلا خالصا مخلصا، ليس لأحد فيه سهم أو نصيب". [رسالة التوحيد، ص: ٩١]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه في باب من أشرك في عمله غير الله، ٢٢٣/٨، رقم: (٧٦٦٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي سعيد مرفوعا: "**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**" ، رواه أحمد".

قوله: "**رواه أحمد**"، أي خرجه أحمد في المسند (٣٥٥/١٧ رقم: ١١٢٥٢).

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**ألا أخبركم**" : قال الطيبي رحمه الله: "ألا" ليست للتنبيه، بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام، يعني بقرينة بلى في جوابهم، والمعنى: ألا أعلمكم "**بما هو أخوف عليكم**" أي: لعمومه وخفائه "**عندي**" أي: في شريعتي وطريقتي "**من المسيح الدجال**"، أي لخصوص وقته، ولظهور مقته، فيجب عليكم رعاية محافظته (فقلنا: بلى يا رسول الله**!** فقال: "**الشرك الخفي أن يقوم** " بدل مما قبله، أو التقدير هو أن يقوم "**الرجل فيصلي**" بالرفع والنصب، وكذا قوله: "**فيزيد**" أي: في الكمية أو الكيفية "**صلاته**" أي: في جميع أركانها أو

بعضها "**لما يرى من نظر رجل**" أي: مخلوق مثله "**إليه**"، ولم يكتف باطلاعه سبحانه عليه". [مرقاة المفاتيح، ٣٣٤٢/٨]

وفي رواية ابن ماجة رحمه الله: "**فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل**". [سنن ابن ماجة، ٢٩١/٥، رقم (٤٢٠٤)] وفي مشكاة المصابيح (١٥٦/٣، رقم: ٥٣٣٣): "**فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل**".

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "واعلم أن الرياء حرام، والمرائي ممقوت عند الله تعالى قد شهدت بذلك الآيات والأحاديث.

أما الآيات، فمنها قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ...[البقرة: ٢٦٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، قال مجاهد: هم أهل الرياء.

وأما الأخبار، قال صلى الله عليه وسلم: "**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء**"...

وقال علي رضي الله عنه: "للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص منه إذا ذم".

وقال رجل لسعيد بن المسيب: إن أحدنا يصنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال: أتحب أن تمقت؟ قال: لا، قال: فإذا عملت لله عملا فأخلصه.

ويقال: إن المرائي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غاوي، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجرك لك عندنا.

وقال الفضيل رحمه الله: كانوا يراؤون بما يعملون، فصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون.

وينبغي للعاقل العامل أن يأخذ الأدب في عمله من راعي الغنم، لأن راعي الغنم إذا صلى عند غنمه، فإنه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه، كذلك العامل ينبغي أن لا يبالي من نظر الناس إليه، ويعمل لله تعالى عند الناس وفي الخلاء بمنزلة واحدة ولا يطلب به محمدة الناس.

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: والمراءاة **إما وصف** في البدن كالنحول والصفرة يريهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وقلة الأكل وبالصفر على سهر الليل وإغارة العين وذبول الشفتين، **وإما الزي والهيئة** كإطراق الرأس وغلظ الثياب وتركها مخرقة، **وإما القول** كالوعظ والتذكير والنطق بالحكم، وحفظ الأخبار والآثار للاستعمال في المحاورة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات، وتضعيف الصوت بالذكر والقراءة، ليدل بذلك على شدة الحزن وغلبة خوف الله تعالى وهو كثير وأنواعه لا تحصى.

وإما العمل كمراءاة المصلي بطول القيام وغيره، وكذلك بالصوم والحج والغزو والصدقة وغير ذلك من سائر العبادات، وإما الأصحاب والزائرون كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء أو عابدا من العباد، ليقال إن فلانا زار فلانا ويقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته، أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان، ليقال إنهم يتبركون به، لعظم رتبته، أو كالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرا.

والرياء إما في أصل الدين وهو النفاق، وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمة الشهادة، وباطنه مشحون بالكذب، وإما في أصل العبادة كإقامة الصلاة المكتوبة في الجماعة مع تركها في الخلوة، وكذا الصوم وحضور الجمعة، ولو لا خوف المذمة لا يحضرها وهو عظيم أيضا ولكن دون الأول، لأن صاحب هذا مصدق بأصل الدين أو أقام النوافل كحضور الجماعة والتهجد وصيام عرفة وعاشوراء وهو دون الأولين، لأن فيهما عظم ذم الخلق على عقاب الله تعالى وإيثار حمد الخلق على حمد الخالق وفي الثاني فقط وهو إيثار حمد الخلق على حمد الخالق.

وإما في وصف العبادات وهو ثلاثة:

الأول: يفعل ما في تركه نقصا كإحسان الركوع، وقوله: فعلته صيانة لهم عن الغيبة مكيدة للشيطان، لأن ضرره من نقصان صلاته وخدمة مولاه أعظم من ضرره بغيبة.

والثاني: بمقابلة، لكنه في حكم التكملة كزيادة القراءة على قراءته المعتادة.

والثالث: بزيادة خارجة عنها كقصد الصف الأول وكحضور الجماعة قبل القوم، وكل ذلك مما يعلمه الله تعالى ومنه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي به، والمراءاة بعين العادة محمودة إن يسلم عن الآفات، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ومذموم إن لم يسلم، ومباح كتحسين الثوب، وإما بالعبادة، فإن قصد به الرياء المحض فتبطل ويأثم لتلبيسه ولاستهزائه بالله تعالى وظنه أن العبد أقدر على تحصيل غرضه من الله سبحانه وتعالى، وإما قصد الأجر وحمد الناس، فهو الشرك المنافي للإخلاص.

وللمرائي له درجات:

مرتبة الأولى: التمكن من المعصية كتولية مال وجحود الودائع، أو يسلم إليه الأموال من الزكاة أو الصدقات ليفرقها، وغرضه أن يستأثر منها ما يقدر أو ملاحظة النسوان والصبيان كالمذكر، ومقصوده الملاحظة، أو حضور مجلس العلم لهذا الغرض، وهذه المرتبة أعظمها وأشدها.

المرتبة الثانية: نيل حظ مباح من مال أو نكاح كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير، فهذا رياء محظور، لأنه طلب بطاعة الله متاع الدنيا، ولكن دون الأول، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

والدرجة الثالثة: خوف الازدراء وأن لا يعد من الزهاد، كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك السبق إلى الضحك والمزاح، فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار، فيتبع ذلك الاستغفار، وإظهار الحزن أو كالذي

يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون أو يصومون الاثنين والخميس أو يتصدقون فيوافيهم خيفة أن ينسب إلى الكسل أو لإلحاق العوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه.

وأول مراتب الرياء الباعث على العمل ثم مخففه ثم السرور باطلاع غيره مع كراهة الرياء ثم حب توقيره، وإبدائه بالسلام، ومسامحته في المعاملات،

وللسرور باطلاع غيره درجات:

الأولى: فرحه بجميل نظر الله تعالى له حيث ستر معصيته وأظهر طاعته مع أنه قصد الإخفاء.

والثانية: بالاستدلال بما في الدنيا على ما في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: "**ما ستر الله على عبد له في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة**".

والثالثة: بظن رغبته المطلعين في اقتدائه.

الرابعة: بطاعتهم لله تعالى في مدح المطيع وحبه، وكل هذه المراتب محمودة.

والخامسة: بقيام منزلته في القلوب، حتى يعظموه، وهي المذمومة.

ومورد الرياء ثلاثة:

الأول بعد الفراغ من العمل، فإنه مجرد سروره بظهوره بلا إظهاره فغير محبط، ولو حدث به وإلا قيس أنه كذا، وإن دل ما في الأخبار على إحباطه منها: ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة سورة البقرة، قال: ذلك حظه منها محمول على أنه قال ذلك استدلالا على أن قلبه لم يخل عن عقد الرياء وقصده.

والثاني قبل الفراغ فمجرد السرور لا يحبط إلا عند طائفة منهم المجانسية والرياء الباعث على العمل مع ضمه به يحبط،...

وهذا في الصلاة والصوم والحج دون الصدقة والتلاوة، فإن كل جزء منها منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي...

وإذا عرفت ما سبق أن الرياء شرك ومحبط للأعمال، وقد نهى عن إضاعة العمل بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]، وأن الرياء سبب لمقت الله تعالى وأنه من الكبائر المهلكات، وما هذا وصفه، فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته، ولو بالمجاهدة، وتحمل المشقة، ويجب على العاقل قلع عروق الرياء عن باطنه، وهي: حب لذة الحمد، والفرار من الذم والطمع بما في أيدي الناس، فأي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله تعالى لأجل حمدهم، ولا يزيد مدحهم رزقا ولا أجلا، ولا ينفعه يوم القيامة غير الحسرة والخزي والحرمان عن الثواب، وأي غرض له في الطمع بما في أيدي الناس، فإن الله تعالى مسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، والخلق مضطرون فيه، ولا معطي ولا مانع إلا الله تعالى ومن يطمع من الخلق لم يخل عن الذم والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة وأي غرض له بالفرار عن ذمهم، ولا يزيد ذمهم شيئا مما يكتبه الله تعالى عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه، ولا يجعل من أهل النار إن كان من أهل الجنة.

فإذا تقرر في قلبه هذه الآفات وأسبابها وضررها فترت رغبته، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره، فمن صادف في نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء، لكن مع ذلك غير خال عن ميل الطمع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كان لحبه فلميله لا يكون في زمرة أهل الرياء، لا يكلف الله النفس إلا وسعها، وليس في وسع العبد منع نزغات الشيطان بالكلية حتى لا تميل إلى الشهوات، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استشارتها من معرفة العواقب، وعلم الدين، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف ومن علاج الرياء، تذكر اطلاع الله على ضميره، وتذكر تركه أن لو اطلع الناس عليه، وأجمع العلماء على حرمة الرياء ووجوب الإخلاص". [تبيين المحارم، ص: ١٣٧-١٤٣]

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما" . [الأذكار للنووي، ص: ٧]

الباب السادس والثلاثون

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا**".

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "واعلم أنه لا يجوز لمسلم أن يقصد بعمل الآخرة تحصيل خيرات الدنيا، فهذا حرام بالآيات والأحاديث، وكل عمل من أعمال الآخرة إذا لم يكن على الإخلاص فهو ضائع، وصاحبه خاسر، أما الآيات، منها قوله تعالى: ،﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ

مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠]، والآيتان نزلتا في شأن المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله وأهل الرياء وكل من يعمل لغير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود: ١٥]، أي: من كان يريد بعمله وإحسانه وبره الدنيا وزينتها، فنزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله تعالى.

﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ [هود: ١٥]، أي: نوف لهم أجور أعمالهم بسعة الرزق والصحة وطيب المعيشة والرئاسة وكثرة الأولاد ودفع المكاره.

﴿ وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥]، أي: في الدنيا لا ينقص عليهم، يرزقون فيها أرزاقا وافية كاملة من غير بخس.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ [هود: ١٦]، أي: هلك في الآخرة ثواب صنعهم في الدنيا، لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

فإن قيل: المؤمن الذي مات على الإيمان لابد له من نصيب في الجنة في الآخرة بمقتضى الوعد، والآيتان المذكورتان تدلان على أن المؤمن المرائي لا نصيب له في الآخرة من الجنة بل له النار.

قلنا: الآية إما أن تحمل على المستحل بأن يستحل عمل الآخرة للدنيا وهو حرام بالإجماع، لأنه رياء والرياء حرام بالأدلة القطعية، ومن استحل الرياء فقد كفر، أو يحمل على أنه لا نصيب له قبل أن يرى جزاء سيئاته هذه، إن شاء الله تعذيبه أو لم يغفر له بلا عذاب وبالعذاب أنه من أهل الجنة، والعمدة في اقتضاء ثوابه هو الإخلاص، ولا وصول إلى سعادة الآخرة إلا بالعلم والعمل على الإخلاص، فالناس هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم والعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان [سواء] والإخلاص من غير صدق هباء، وعلى كل من آمن بالله واليوم الآخر أن يعرف حقيقة النية والإخلاص أولا، ثم يصححها بالعمل، والإخلاص وسيلة

العبد إلى النجاة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦]، ولا مخلص للعبد من الشيطان إلا بالإخلاص، وتصديق هذا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠]، أخلص تخلص، أخلص النية في العمل يكفيك القليل من العمل، وقال الله تعالى: "الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببته من عبادي"،...

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"،...

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا التقى الجمعان نزلت الملائكة يكتبون الخلق على مراتبهم فلان يقاتل في الدنيا حمية وفلان يقاتل عصبة ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله تعالى، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"،...

وقال بعض العارفين: مراد الله تعالى من عمل الخلق الإخلاص فقط.

والحاصل أن عماد الأعمال النية، والنية لا تنفع إلا بالإخلاص، فإن مدار العمل عليها إنما الأعمال بالنيات، ألا ترى أن الساجد لله تعالى والساجد للصنم في الصورة واحد، إنما كانت هذه عبادة وهذه كفرا بالنية، فينبغي أن يكون المؤمن محافظا على نيته ابتداء، فإذا أراد أن يزيد في عمله فينظر أولا في نيته فيحسنها، فإن كانت حسنة فينميها إن أمكن تنميتها، وما افترق الناس في غالب أحوالهم إلا في هذا الباب، لأن الغالب على بعضهم تقارب أفعالهم، ثم إنهم يفترقون في الخيرات والبركات بحسب مقاصدهم، وتنمية أفعالهم. [تبيين المحارم، ٤٦٥-٤٦٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، ولا يريد به وجه الله تعالى. ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم في الدنيا ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم شيء في الدنيا، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أهل القبلة. وقال الحسن: نزلت في المنافقين والكافرين.

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم، لأنه لم يكن لوجه الله تعالى. ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . وروى أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كان يوم القيامة، صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله تعالى خالصا، وفرقة يعبدون الله تعالى رياء، وفرقة يعبدون الله تعالى ليصيبوا بها الدنيا. فيقول الله تعالى للذي كان يعبد الله للدنيا: وماذا أردت بعبادتك؟

فيقول: الدنيا. فيقول الله عز وجل: لا جرم، ولا ينفعك ما جمعت، ولا ترجع إليه. ويقول: انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذي كان يعبد الله رياء، ماذا أردت بعبادتك؟ فيقول: الرياء، فيقول الله تعالى: انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذي كان يعبد الله تعالى خالصا: ماذا أردت بعبادتك؟

فيقول أنت أعلم به مني، كنت أعبدك لوجهك وذاتك. قال: صدق عبدي، انطلقوا به إلى الجنة".

[بحر العلوم، ٢/١٤١-١٤٢]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ بعمله ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾ ولا يريد به وجه الله، نزل في شأن المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله ﴿ نُوَفِّ ﴾ أي نتم ﴿ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي جزاءها بسعة الرزق والصحة وطيب العيش ودفع المكاره ﴿ فِيهَا ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَهُمْ فِيهَا ﴾ أي في الدنيا ﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥] أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم، يعني يرزقونها وافية كاملة من غير بخس.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ ﴾ أي هلك في الآخرة ﴿ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ أي ثواب صنعهم في الدنيا ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [١٦] في نفسه إما لعدم مقارنة الإيمان أو لأنه لم يكن لوجه الله، قال عليه السلام: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء"، وفي رواية: "أن يصبح صائما ثم يفطر على طعام يشتهيه"، وقال أيضا: "إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة"، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضي إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطي بها خيرا". [عيون التفاسير، ٢/١٩٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**".

قوله: "**في الصحيح**"، أي في صحيح البخاري رحمه الله ٤/٤١ رقم (٢٨٨٧).

قال العلامة المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

قوله: "**تعس**"؛ أي: هلك وسقط على وجهه، "**عبد الدينار**"؛ أي: الحريص على جمع الدنيا.

"**الخميصة**": كساء أسود مربع له علمان، وأراد بعبد الخميصة: من يحب كثرة الثياب النفيسة، ويحرص على التجمل فوق قدر الحاجة.

"**وانتكس**"؛ أي: صار خسيسا ذليلا. "**شيك**" ماض مجهول من الشوك؛ أي: أدخل الشوك في جسده. "**فلا انتقش**"؛ أي: فلا أخرج الشوك منه.

هذه الكلمات دعاء من النبي على من ترك عمل الآخرة، واشتغل بجمع أموال الدنيا؛ يعني: من كانت هذه صفته صار ذليلا، وإذا أصابه غم وجراحة ما أزال الله عنه ذلك الغم.

"**أشعث**"؛ أي: متفرق شعر الرأس لا يكون له فراغ غسل رأسه، "**أغبر**"؛ أي: صار ذا غبار من كثرة المشي على التراب.

"**إن كان في الحراسة**"؛ يعني: إن كان في حراسة الجيش كان شغله ذلك.

"**وإن كان في الساقة**"؛ أي: يمشي خلف الجيش، (**الساقة**): الجماعة المتأخرة من الجيش؛ يعني: يكون مشغولا بالخيرات.

"**إن استأذن لم يؤذن له**"؛ يعني: لا يخالط الناس، ولا يجعل نفسه مشهورة، بل لا يعرف الناس، حتى لو استأذن في دخول الدار أو مجلس لم يؤذن له من قلة قدره عند الناس". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٢٧٥-٢٧٦]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ):

"**تعس**" بفتح العين؛ أي: سقط على وجهه؛ يعني: هلك.

"**عبد الدينار وعبد الدرهم**": وهذا دعاء على من يستعبده حب الدنيا، وفيه: إشارة إلى أن المذموم من يكون أسيرا لجمع الأموال بحيث لا يؤدي حق الله منها.

"**وعبد الخميصة**": وهي كساء أسود معلم، أراد به: محب الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة.

"**إن أعطي رضي**": هذا بيان لشدة حرصه.

"**وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس**"؛ أي: صار ذليلا، والانتكاس: هو الانقلاب على الرأس، إنما أعاد (**تعس**)؛ ليترقى في الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ، ثم ترقى منه إلى قوله: "**وإذا شيك**"؛ أي: دخلت شوكة في عضوه.

"**فلا انتقش**" على بناء المجهول؛ أي: فلا أخرج منه، خص انتقاش الشوكة؛ لأنه أسهل ما يتصور من المعاونة لمن أصابه مكروه، فإذا نفي ذلك الأهون يكون ما فوقه منفيا بالطريق الأولى.

"**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله**": هذا يدل على اهتمامه بالمجاهدة.

"**أشعث رأسه**": مرفوع بالفاعلية لـ (أشعث)، وهو خبر مبتدأ محذوف، والأشعث: مغبر الرأس.

"**مغبرة قدماه**"؛ أي: صار ذا غبار من كثرة المشي على التراب.

"**إن كان في الحراسة**"؛ أي: حراسة الجيش على أن يهجم عليهم العدو، وهي تكون في مقدمة الجيش "**كان في الحراسة**"؛ أي: يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها، تقرر في علم المعاني: أن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل على مخافة الجزاء.

"**وإن كان في الساقة**": وهي مؤخر الجيش.

"**كان في الساقة**"، خصهما بالذكر؛ لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة، إذ الأولى عند دخولهم دار الحرب، والأخرى عند خروجهم منها.

"**وإن استأذن لم يؤذن له**"؛ لكونه غير ملتفت إليه في الدنيا.

"**وإن شفع لم يشفع**"؛ أي: لم تقبل شفاعته؛ لكونه وضيع القدر عند الناس". [شرح المصابيح، ٥/٣٨٤-٣٨٥]

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "كل من أحب شيئا وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله، فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه". [شرح كلمة الإخلاص، ص: ٧٠]

ودل الحديث على أن من كانت الدنيا غاية أمره ومنتهى قصده، فقد عبدها واتخذها شريكا مع الله سبحانه وتعالى.

الباب السابع والثلاثون

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟ ".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: "أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم**" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله".

معنى الطاعة:

قال الجرجاني رحمه الله: "الطاعة: هي موافقة الأمر طوعا". [التعريفات، ص: ١٤٠]

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي". [شرح الطحاوية، ص: ٢٣٥]

وقال محمد البركتي الحنفي: "الطاعة هي موافقة الأمر طوعا وهي قد تجوز لغير الله تعالى لقوله تعالى ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩] أما العبادة فلا يجوز لغيره سبحانه وتعالى". [قواعد الفقه، ص: ٣٦٠]

معنى التحريم والتحليل:

قال ابن فارس رحمه الله: "(حرم) الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد. فالحرام: ضد الحلال". [معجم مقاييس اللغة، ٢/٤٥]

وقال الجوهري رحمه الله: "والتحريم: ضد التحليل". [الصحاح في اللغة، ١/١٢٥]

والتحليل مأخوذ من حل، **قال ابن فارس رحمه الله**: " (حل) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء. والحلال: ضد الحرام، وهو من الأصل الذي ذكرناه، كأنه من حللت الشيء، إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه". [معجم مقاييس اللغة، ٢/١٥]

التحليل والتحريم تشريع، وهو ما يختص به الرب سبحانه وتعالى من تنزيل الأحكام بالمنع أو الإباحة، لحكم سبقت في علمه سبحانه وتعالى. وهو من خصائص الرب سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يطاع فيه أحد من المخلوقين غير الرسل. [الموسوعة، ٢/٥٩٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟ ".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "أما تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم، أن تقولوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فلان". [شرح السنة للبغوي ، ١/ ٢١٤، وسنن الدرامي، ١/٤٠١]

قال نعمان بن محمود الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣١٧ هـ): "وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال له: قال أبو بكر، قال عمر، فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر قال عمر لما سئل

عنها فأمر بها، فعارضوه بقول عمر. فبين أن عمر لم يرد ما يقولونه، فألحوا عليه فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يتبع أم عمر؟ مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم من ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما". [جلاء العينين، ص: ٢٠٢]

دل الأثر على أن رأي ابن عباس تحريم تقديم رأي المخلوقين على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما حرم ذلك ابن عباس؛ لأنه شرك مع الله في الطاعة. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٣٤]

وفيه أنه لا يؤخذ أي رأي يخالف الكتاب والسنة، مهما كان مصدره.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال".

وفي روضة العلماء سئل أبو حنيفة إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه، قال: اتركوا قولي لكتاب الله.

قيل: إذا كان قول الرسول يخالفه، قال: اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه و سلم.

قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

فلم يقل هذا الإمام ما يدعيه جفاة المقلدين له أنه لا يقول قولا يخالف كتاب الله حتى أنزلوه بمنزلة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. [التيسير، ص: ٤٨٧]

قال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى: "يا أخي، إن أردت أن تكون في هذه الدنيا على الاستقامة، وأن تخرج منها مع الإيمان، وأن تدخل الجنة يوم القيامة، فاتبع قول الله تعالى وقول رسوله عليه الصلاة والسلام،

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، معناه: قل لهم: أحدنا على الهدى والآخر على الضلالة، يعني: إنا على الهدى وأنتم على الضلالة، وهذا كرجل

يقول: أحدنا كاذب، وهو يريد صاحبه. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، معنى هذه الآية: إنا على الهدى وإياكم لفي ضلال مبين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تركت فيكم أمرين لن تضلوا عن الصراط المستقيم ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**".

فإذا جعلت أفعالك وأقوالك موافقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام تكون من أهل الهداية والتوفيق، وإن لم تكن كذلك تكن من أهل الضلالة والشقاوة". [الرسالة منيرة، من ضمن رسائل العلامة ابن كمال باشا، ٥/٥٨-٦٠]

وقال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله أيضا: "واعلم أن المجتهد أو غيره لو وضع شيئا برأيه في الدين فعلا أو قولا مخالفا للكتب السماوية، فهذا بدعة سيئة أيضا، وقال الإمام فخر الإسلام علي البزدوي: "لأنه لم يرد في الشرع دليل على أن العقل كان موجبا شيئا في الدين بدون الشرع، إذ العلل موضوعات الشرع، وليس في ذلك للعباد سبيل، لأنه يؤدي إلى النزاع في الحكم، فمن جعل العقل موجبا بلا دليل الشرع، فقد جاوز عن حد الشرع".

واعلم أن أهل السنة والجماعة هم الذين يتبعون كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام، فلا يوجد في أفعالهم وأقوالهم بدعة". [المصدر السابق، ٥/٨٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ يحتمل قوله: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: يخالفون أمره، وحرف " عن " يكون صلة فيه.

وجائز أن يكون على ظاهر ما ذكر: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾: فإن كان على هذا فكأنه قال: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: يعدلون عن أمره ويزيغون عنه؛ كقوله: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

وقوله: ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ يحتمل: الفتنة: الكفر.

ويحتمل الفتنة: القتال والتعذيب في الدنيا، أو يصيبهم العذاب في الآخرة، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٦٠٢/٧]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ يعني: عن أمر الله تعالى. ويقال: عن أمر رسول الله عليه السلام. ويقال: عن زيادة في الكلام للصلة. ومعناه: يخالفون أمره إلى غير ما أمرهم به ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ يعني: الكفر، لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، فمن تركه على وجه الجحود كفر.

ويقال: فتنة يعني: بلية في الدنيا. ويقال: فساد في القلب. ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني: يصيبهم عذابا عظيما في الآخرة. ويقال: القتل بالسيف. ويقال: يجعل حلاوة الكفر في قلبه. وقوله: أو على معنى الإفهام، لا على وجه الشك والتخيير". [بحر العلوم، ٥٢٧/٢]

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "وضمير أمره لله عز و جل فإن الأمر له سبحانه في الحقيقة أو للرسول صلى الله عليه و سلم فإنه المقصود بالذكر والأمر له". [روح المعاني، ٢٢٦/١٨]

وفسر الإمام أحمد الفتنة بالشرك قائلا: "الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله (المتوفى: ١١٧٦ هـ):

"نماذج المنافقين في هذا العصر:

وإن كنت تحب أن تشاهد نموذجا لهؤلاء المنافقين فاشهد في مجالس الأمراء، أصحابهم وندماءهم الذين يؤثرون رضا أمرائهم على رضا الله تعالى ولا فرق إطلاقا بين المنافقين الذين سمعوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ثم نافقوا وبين هؤلاء المنافقين الآن الذين يطلعون على أحكام الشريعة الإسلامية بالوسائط اليقينية القاطعة ثم يخالفونها وينحرفون عنها". [الفوز الكبير، ص: ٦١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عدي بن حاتم: "أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

قال الزمخشرى رحمه الله تعالى: "اتخاذهم أربابا : أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم اللّه وتحريم ما حلله ، كما تطاع الأرباب في أوامرهم". [تفسير الكشاف، ٢/٢٦٤]

قال إسماعيل الحنفي الخلوتي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ): " والمعنى أطاعوا علماءهم وعبادهم فيما أمروهم به طاعة العبيد للأرباب فحرموا ما أحل الله وحللوا ما حرم الله ، ومثاله أن من اعتقد أن اللبن حرام يكون كمن اعتقد أن الخمر حلال ومن اعتقد أن لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد أن لحم الخنزير حلال". [روح البيان، ٣/٣١٦]

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٢٧٠ هـ**): "والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لكلام علمائهم ورؤسائهم والحق أحق بالإتباع فمتى ظهر وجب على المسلم اتباعه وإن أخطأه اجتهاد مقلده". [روح المعاني، ٢٧٦/٥]

وقال العلامة المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: "ما كان من إطاعة الرسول فهو إطاعة الله لا غير قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وكذا ما كان من إطاعة العلماء والأولياء والسلاطين والحكام على مقتضى الشرع، قال الله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩] وما كان منها على خلاف مقتضى الشرع فهو الاتخاذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله". [تفسير المظهري، ٥١٨/١]

وقال العلامة **الخفاجي المصري الحنفي** (**المتوفى: ١٠٦٩هـ**):

"أن التحريم والتحليل بالوحي لا بالتشهي والهوى". [حاشية الخفاجي على البيضاوي، ١٣١/٤]

وقال العلامة السهسواني الهندي (**المتوفى: ١٣٢٦هـ**): "إنما هو في بعضها [أي بعض هذه الآيات] اتخاذ الأرباب، وهذا ليس نصا على أنهم مقرون بربوبيتهم، بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الأرباب بمعنى صرف شيء من العبادة إليهم، أو بمعنى إتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام، لا أنهم كانوا يطلقون لفظ الرب عليهم". [صيانة الإنسان، ص: ٤٥٠]

وقال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠٠٠ هـ**): "ومن قال قتل فلان واجب أو فلان مستحق القتل ولم يكن عليه في الشرع ما يلزمه القتل يكفر؛ لأنه استحل ما حرمه الله تعالى، وهذا كثير الوقوع والناس عنه غافلون.

وكذا لو ضرب ظالم من الظالمين شخصا بغير حق أو قتله بغير حق وقال له واحد قد أحسنت أنه كان مستحقا للضرب أو القتل يكفر لما قلنا، انتهى". [تبيين المحارم، ص: ٤٧-٤٨]

دل الحديث على شرك من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.

قوله: "**رواه أحمد والترمذي وحسنه**"، أي خرجه الترمذي في سننه، ٥/٢٧٨، رقم (٣٠٩٥)، ولم أجده عند أحمد رحمه الله.

الباب الثامن والثلاثون

قول الله تعالى:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾....، الآية

باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء: ٦٠ – ٦٢]

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١]

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]

وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

وقيل: "نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، [النساء: ٦٠ – ٦٢] الآيات.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وذلك أن منافقا يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي انطلق بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الخصومة في حكم الإسلام على المنافقين وفي حكم اليهود على اليهود، فقال اليهودي: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم يحكم بيننا، وقال المنافق بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا فكانا في ذلك إذ سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولهما، فقال: ما شأنكما؟ فأخبراه بالقصة، فقال عمر: أنا أحكم بينكما فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف، وقتل المنافق فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني سائر الكتب المنزلة ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ يعني أمروا بتكذيبه وقال الضحاك نزلت الآية في شأن المنافقين لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم وركنوا إلى قول اليهود ومالوا إلى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم فذلك قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني إلى كهنة اليهود وسحرتهم.

ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ عن الهدى وعن الحق ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني إلى ما أمر الله في كتابه

وإلى ما أمر الرسول ﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ يعني يعرضون عنك إعراضا ويقال صد يصد يكون لازما ويكون متعديا وإنما يتبين ذلك بالمصدر ويقال صد يصد صدا إذا صرف غيره كقوله تعالى: ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤] وصد يصد صدودا إذا أعرض بنفسه كقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٥٥] وكقوله: ﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ يقول فكيف يصنعون إذا أصابتهم عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني بما عملت أيديهم ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ، قال في رواية الكلبي، نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب كانت بينه وبين الزبير بن العوام خصومة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير، فخرجا من عنده فمرا على المقداد بن الأسود، فقال المقداد: لمن كان القضاء يا ثعلبة!؟ فقال ثعلبة: قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي يليه شدقه فلما نزلت هذه الآية أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه ويحلف وهو قوله ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا ﴾ يعني ما أردنا إلا الإحسان في المقالة ﴿ وَتَوْفِيقًا ﴾ يقول صوابا. وقال الضحاك ومقاتل: نزلت في شأن الذين بنوا مسجد الضرار فلما أظهر الله تعالى نفاقهم وأمر بهدم المسجد حلفوا للرسول صلى الله عليه وسلم دفعا عن أنفسهم ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله تعالى وموافقة الكتاب. [بحر العلوم، ٣٣٩/١-٣٤٠]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ ﴾ أي يدعون ﴿ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ أي بالقرآن ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ أي بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة، نزل حين وقع بين بشر المنافق ويهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد حتى يحكم بيننا، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا، إذ سمع عمر بن الخطاب قولهما فقال: ما شأنكما فأخبراه بالقصة، فقال عمر: أنا أحكم بينكما، فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف وقتل المنافق، فأخبر الله عن حال المنافق وقال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو كعب بن الأشرف، وسمي به لتجاوزه في الطغيان ﴿ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ أي بالطاغوت، وهو يذكر ويؤنث ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي كعب بن الأشرف أو حقيقة الشيطان ﴿ أَن يُضِلَّهُمۡ ﴾ عن الهداية ﴿ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [٦٠] أي لا غاية له فلا يهتدون.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ بفتح اللام، أصله تعاليوا أمر لهم، أي جيئوا ﴿ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي إلى ما أمره الله في كتابه ﴿ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي وإلى ما أمره رسوله ﴿ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ ﴾ أي يعرضون ﴿ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [٦١] أي إعراضا عن الحق.

ثم أخبر عن عاقبتهم وحالهم بقوله ﴿ فَكَيۡفَ ﴾ أي وكيف يكون حالهم ﴿ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ ﴾ وهي قتل عمر المنافق ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي بسبب عملهم القبيح، وهو التحاكم إلى غيرك ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ أي يجيئونك، يعني أولياء المنافق لطلب دية المقتول ويعتذرون إليك ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾ أي ما قصدنا بالتحاكم إلى غيرك ﴿ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا ﴾ أي طلبا للحق ﴿ وَتَوۡفِيقًا ﴾ [٦٢] بين الخصمين لا إساءة ولا مخالفة لك. [عيون التفاسير، ١/٢٢٠-٢٢١]

دلت الآية على تكذيب من ادعى الإيمان بما أنزل الله، ثم تحاكم إلى غيره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ ﴾ [البقرة: ١١].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

والآية نزلت في شأن المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني المنافقين ﴿ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي وهو الفساد لأن الأرض كانت قبل أن يبعث النبي عليه السلام فيها الفساد، وكان يعمل فيها بالمعاصي، فلما بعث الله النبي عليه السلام ارتفع الفساد وصلحت الأرض فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦ و ٨٥] .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي نعمل بالطاعة، ولا نعمل بالمعاصي. وقد قيل: معنى لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، أي لا تداهنوا بين الناس ولا تعملوا بالمداهنة، قالوا إنما نحن مصلحون يعني لا نعادي الكفار ولا المؤمنين، حتى لو كانت الغلبة للمؤمنين أو للكفار، لا يصيبنا من دائرتهم شيء". [بحر العلوم، ١/٢٧-٢٨]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ حكاية حال المكذبين، أي قال المؤمنون للمنافقين: ﴿ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي لا تسعوا فيها بالفساد، وهو خروج الشيء عن الاعتدال والانتفاع، ونقيضه الصلاح، يعني لا تعملوا المعاصي بإضمار النفاق وصد الناس عن الإيمان، وإسناد «قيل» إلى ﴿ لَا تُفْسِدُواْ ﴾

إسناد إلى لفظه على تأويل، وإذا قيل لهم هذا القول ﴿قَالُوٓاْ﴾ كذبا منهم ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [١١] أي نحن لا نفسد والصلاح خالص لنا". [عيون التفاسير، ١/٣١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

قال بعضهم: قوله: ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ بعد ما بعث الرسل بإصلاحها من الدعاء إلى عبادة الله، والطاعة، ويأمرون بالحلال، وينهون عن الحرام.

وقال بعضهم: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾: بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي، والفواحش، وسفك الدماء، وغير ذلك.

ويقال: ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ بعد ما أعطاكم أسبابا تقدرون بها على الإصلاح، وما به تملكون إصلاحها.

وجائز أن يكون المراد بإصلاح الأرض: أهلها، أي: لا تفسدوا أهلها؛ وهو كقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق: ٨]، والقرية لا توصف بالعتو، ولكن أهلها". [تفسير الماتريدي، ٤/٤٦٣]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل". [تفسير النسفي، ١/٥٧٤]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ بإرسال الرسول وإنزال كتاب، إذ المعصية فساد الأرض وأهلها أو لا تظلموا فيها فتخربوها، إذ الأرض قامت بالعدل". [عيون التفاسير، ٢/٦٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٢٥ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي والبغي والدعاء إلى غير طاعة الله ﴿ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ أي إصلاح الله سبحانه إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله عز وجل وبالنهى عن الاعتداء في الدعاء قال البغوي هذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله تعالى بعد إصلاح الله تعالى إياها بالمطر والخصب". [تفسير المظهري، ٣/٣٦٣]

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): " ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ نهى عن سائر أنواع الإفساد كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان ﴿ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ أي إصلاح الله تعالى لها وخلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين وبعث فيها الأنبياء بما شرعه من الأحكام". [روح المعاني، ٨/١٤٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ يعني: يطلبون منك شيئا لم ينزله الله إليك في حكم الزنى والقصاص كما يفعل أهل

الجاهلية. قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام (تبغون) على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة.

ثم قال: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ يقول: ومن أعدل من الله قضاء، ﴿ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ يعني: يصدقون بالقرآن". [بحر العلوم، ١/٣٩٧]

قال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**) **في تفسير قوله تعالى:**

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ ﴾ بالتاء والياء، نزل إنكارا على من يطلب حكما غير حكم الإسلام، أي يطلبون منك شيئا لم ينزله الله إليك ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ ﴾ استفهام بمعنى النفي، ومبتدأ وخبر، أي لا أحد أحسن ﴿ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ نصبه تمييز، أي قضاء ﴿ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [٥٠] أي يعلمون باليقين أن الله هو الحاكم بالقرآن أو الحاكم بالعدل، واللام للبيان أو بمعنى عند". [عيون التفاسير، ١/٢٧٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح".

قال المظهري الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): " قوله: "حتى يكون هواه"؛ أي: إرادته، هذا اللفظ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه: حتى يكون تابعا مقتديا "لما جئت به" من الشرع عن الاعتقاد وإرادة النفس، لا عن الإكراه وخوف السيف كالمنافقين، وعلى هذا التأويل يكون قوله: (لا يؤمن أحدكم) نفي أصل الإيمان لا نفي الكمال؛ يعني: من كان تابعا للشرع لا عن إرادة النفس بل لخوف السيف فليس بمؤمن أصلا.

والأمر الثاني: أن يكون معناه: حتى تكون نفسه مطمئنة بالشرع، ولا تميل نفسه عن أحكام الشرع، وعلى هذا تكون (لا) في (لا يؤمن) لنفي الكمال؛ لا لنفي أصل الإيمان؛ لأن كثيرا يعتقدون حقيقة الشرع، ويعملون بأحكامه، ولا تطيعهم أنفسهم، بل يكرهون أنفسهم على الطاعات، فهؤلاء

مؤمنون ولكن ليسوا كاملين، بل الكامل من اطمأنت نفسه بما يأمرها من الطاعات الشديدة، ولا تثقل عليها الطاعات". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/٢٧٤-٢٧٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٤ هـ**): "**لا يؤمن أحدكم**"؛ أي: لا يبلغ كمال الإيمان، ولا يستكمل درجاته.

"**حتى يكون هواه**"؛ أي: ميل نفسه واشتهاؤها "**تبعا**"؛ أي: منقادا بالرغبة "**لما جئت به**" من الهدى والأحكام الشرعية.

وقيل: المراد: نفي أصل الإيمان؛ أي: لا يؤمن حتى يخالف هواه، ويجعله تبعا لما جئت به من الحق عن اعتقاد، لا عن إكراه وخوف سيف". [شرح المصابيح، ١/١٧٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠١٤ هـ**): "(**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه**) ، أي: ميل نفسه سمي به لأنه يهوي صاحبه في الدنيا إلى الداهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، فكأنه من هوي يهوي هوى إذا سقط (**تبعا لما جئت به**) . يجوز أن يحمل هذا على نفي أصل الإيمان، أي: حتى يكون تابعا مقتديا لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن إكراه وخوف سيف كالمنافقين، وقيل: المراد نفي الكمال، أي: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون ميل نفسه، أي: ما تشتهيه تبعا لما جئت به من الأحكام الشرعية، فإن وافقها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لأنها هوى، وإن خالفها اجتنب هواه، فحينئذ يكون مؤمنا كاملا". [مرقاة المفاتيح، ١/٢٥٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله أيضا: "والهوى لغة: مصدر: هويه، أحبه. وشرعا: ميل النفس إلى مشتهيات الطبع، دون مقتضيات الشرع.

ثم اعلم أنه روي عن ابن عباس قال: الهوى إله يعبد في الأرض، ثم تلا: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]، وفي الحديث: "**المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى**"، وجاء مرفوعا: "**ما تحت ظل السماء**

إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع"، أخرجه الخرائطي، وكذا روي عن أسماء بنت عميس مرفوعا: "**بئس العبد عبد هوى يضله، وبئس العبد عبد طمع يقوده**"، فالهوى هو البلية العظمى، فإنه منبع شهوات الدنيا.

قال النووي: "حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح".

"**حديث صحيح**"، أي إسناده. "**رويناه**"، بصيغة الفاعل أو المفعول. "**في كتاب (الحجة)**"، أي: "**في إتباع المحجة**" في عقيدة أهل السنة للحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني، وقيل: هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقديسي الشافعي الفقيه الزاهد، نزيل دمشق. "**بإسناد صحيح**" رواه محيي السنة في "المصابيح" و"شرح السنة"، وقد أخرجه أبو نعيم أيضا في كتابه "الأربعين" التي شرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار، وجياد الآثار، مما أجمع الناقلون على عدالة ناقله، ورواه الطبراني أيضا، وكذا الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم الأصفهاني. [المبين المعين لفهم الأربعين للملا علي القاري، ص: ٧٧٨-٧٨٢]

وقال صاحب التيسير رحمه الله: "معناه صحيح قطعا، وإن لم يصح إسناده، وأصله في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠]. وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده. [التيسير، ص: ٤٩٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة..."، الخ.

قوله: "**الشعبي**"، هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا. واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. [الأعلام، ٣/٢٥١]

وقد ذكر المؤلف رحمه الله هنا أسباب نزول آية الباب.

الباب التاسع والثلاثون

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الرعد: ٣٠]

وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ " .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه "عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر "الرحمن" أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات".

بين المؤلف رحمه الله في هذا الباب حكم من جحد اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته. من أنكر شيئا من الأسماء والصفات، أو شبه صفات الله بصفات المخلوقين فقد كفر.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر". [شرح الطحاوية، ٢٠٦/١]

وقال رحمه الله تعالى أيضا: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه ونصفه كما وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد حي قيوم قادر سميع بصير عالم يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه". [الفقه الأكبر]

وقال رحمه الله أيضا: "وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا". [المصدر السابق]

وقال رحمه الله أيضا: "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه". [شرح الطحاوية، ص: ٢٩٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"والضابط أن أسماء الله تعالى وصفاته قديمة أزلية أبدية، لا طريق للمخلوقات إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، إلا بتعريف الله تعالى عباده، إما بالقرآن، وإما بألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يذكر الله تعالى باسم أو صفة لم يكن مذكورا في القرآن ولا في الحديث". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/١٤٧-١٤٨]

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

"فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك. [شرح الطحاوية ، (١/ ٢٦١)]

وقال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "واعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية، أي يتوقف إطلاقها عليه على إذن الشارع عند أهل السنة والجماعة، ولا يجوز إطلاق اسم عليه تعالى إلا ما ورد به الشرع من الكتاب والسنة والإجماع. [تبيين المحارم، ص: ٤٢٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"والعصمة النافعة من هذا الباب أن يصف الله بما وصف به نفسه ووصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبت له الأسماء والصفات، وينفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزها عن التشبيه، ونفيك منزها عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوقات على المخلوق فهو مشبه، ومن قال: هو استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المنزه، اهـ". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٧٧٩]

وقال رحمه الله أيضا: "القول المجرد بالرأي والعقل المجرد في الفقه والشريعة بدعة وضلالة، فأولى أن يكون ذلك في علم التوحيد والصفات بدعة وضلالة". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٣٢]

وقال العلامة صنع الله الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٠ هـ):

"والأصل في ذلك-أي في باب الأسماء والصفات-التمسك بالكتاب والسنة والتجانب عن الهوى والبدعة، كما عليه الصحابة والتابعون والسلف الصالحون والأئمة الكبار من أرباب المذاهب الأخيار". [سيف الله على من كذب على أولياء الله، ص: ٧٦]

قال العلامة شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٧٦ هـ):

الصفات الإلهية في القرآن:

ثم لما كان إثبات الصفات الإلهية بذكر كنهها وحقائقها ودقيق مسائلها مستحيلا في حقهم، وكان تركهم من دون إطلاع على هذه الصفات الإلهية يحرمهم من معرفة الربوبية – التي هي أنفع وسيلة في تهذيب النفوس البشرية – كان حكمة الله – تعالى – وهو أحكم الحاكمين – أن يختار من الصفات البشرية التي نعهدها ونشاهدها والتي نتمادح بها ونفتخر بالتحلي بها، صفات كريمة عديدة تستعمل لأداء معان غامضة دقيقة لا تبلغ جلالها وعظمتها عقول البشر، ثم يجعل قوله الفصل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ترياقا لداء الجهل العضال، وعلاجا لقلة البصر والإدراك، ونهى عن استعمال تلك الصفات البشرية التي يخشى منها جموح الأوهام والظنون نحو العقائد الباطلة كإثبات الولد، والبكاء، والجزع وما إلى ذلك.

خطر الخوض في الصفات بدون توقيف:

وإذا أنعمت النظر وتأملت مسألة الصفات الإلهية بدقة تجلى لك أن خطوات الإنسان على درب علمه الفطري غير المكتسب، وتمييزه للصفات التي يجوز أن تنسب إلى الله تعالى ولا يقع فيها خلل، عن الصفات التي يؤدي استعمالها إلى الأوهام الباطلة والعقائد المنحرفة، أمر دقيق خطير للغاية لا يصل غوره ولا يكتنه كنهه جمهور الناس، ولذلك قرر أن يكون علم الصفات الإلهية علما توقيفيا، ولا يسمح فيه بالبحث والكلام بحرية وإطلاق. [الفوز الكبير في أصول التفسير، ص: ٦٤-٦٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]".

أي: كما أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلا ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ وقال كل واحد من الرسل: ﴿رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ . . . الآية أي: كل رسول كان أرسل قبلك كان أمر أن يقول ما ذكر؛ كذلك أرسلناك إلى قومك رسولا، وإن كانوا يكفرون بالرحمن؛ فقل أنت ما قال أولئك الرسل: ﴿رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الآية، لم تخل أمة عن رسول؛ كقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يشبه أن يكون هذا صلة قوله: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧]، يقول: أرسلناك لتتلو أنباء الرسل والأمم الذين كانوا من قبلك عليهم؛ ليكون آية لرسالتك؛ ليعلموا أنك إنما علمت تلك الأنباء بالله تعالى.

وقوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾.

يقول – والله أعلم – هم يكفرون بالرحمن؛ وفي كل الخلائق آية توحيد الرحمن وألوهيته؛ ولا في كل الخلائق آية لرسالتك، وهم مع ذلك كله يكفرون بالرحمن؛ فعلى ذلك يكفرون بآيات رسالتك.

وقال أبو بكر الأصم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ هو صلة قوله: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾، وكانوا هم أهل التعبد من الكبراء؛ فقال: لو جئتهم بقرآن سيرت به الجبال؛ أو قطعت به الأرض؛ أو كلم به الموتى، يقول: لو جئت بذلك كله كان أمرهم التكذيب والعناد؛ وهو كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ [الأنعام: ١١١] الآية وقوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحجر: ١٤] الآية، يخبر عز وجل عن عنادهم أنهم لا يؤمنون بالآية، وإن عظمت، إلا أن يشاء الله.

وقوله عز وجل: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ كقوله: ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١] أي: الأمر لله؛ من شاء أن يؤمن فيؤمن، ومن شاء ألا يؤمن فلا يؤمن ألبتة.

وقال بعضهم: قوله: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: يكفرون باسم الرحمن؛ لأنهم قالوا: إن محمدا كان يدعونا إلى عبادة الله وتوحيده فالساعة يدعونا إلى عبادة الرحمن وألوهيته؛ فذلك عبادة اثنين؛ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ ﴾ أي: دعائي إلى عبادة الرحمن وألوهيته وهو دعائي إلى عبادة الله، وهو واحد ليس هو باثنين ولا عدد؛ كقوله:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: عدد الأسماء لا يوجب عدد الذات؛ إذ يكون لشيء واحد في الشاهد أسماء مختلفة؛ فاختلاف الأسماء لا يوجب اختلاف الذات؛ فعلى ذلك في الله تعالى.

وقال بعضهم: (الرحمن) اسم من أسماء الله في الكتب الأول، قالوا: كتبها رسول الله؛ أبوا أن يقرءوا به، قالوا: وما الرحمن، إنا لا نعرفه؛ فنزل: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾. والله أعلم. [تفسير الماتريدي، ٦/٣٣٩-٣٤١]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ أي يجحدون بالله البليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، ويكذبونه ويقولون: ما نعرف الرحمن إلا مسليمة الكذاب.

قيل: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، والمعروف أن الآية مكية، وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي عليه السلام وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن، فرجع إلى المشركين وقال: إن محمدا يدعو إلهين، يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمي الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية، ونزل ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية، وقيل: نزلت هذه الآية في كفار قريش حين قال لهم النبي عليه السلام اسجدوا للرحمن! قالوا: وما الرحمن؟ فقال تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ﴾ أي الرحمن الذي كفرتم به ﴿رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [٣٠] أي توبتي ومرجعي في الآخرة". [عيون التفاسير، ٢/٢٦٧]

دلت الآية على أن إنكار شيء من أسماء الله وصفاته كفر، وذلك ينافي توحيد الأسماء والصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ " .

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: **"حدثوا"** بصيغة الأمر أي كلموا الناس بما يعرفون أي بما يفهمون، والمراد كلموهم على قدر عقولهم. وفي كتاب العلم لآدم بن أبي إياس عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره "ودعوا ما ينكرون" أي ما يشتبه عليهم فهمه.

وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.

ومثله قول ابن مسعود رضي الله عنه ذكره مسلم في مقدمة كتابه بسند صحيح، قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

قوله: "**أتحبون**" الهمزة للاستفهام وتحبون بالخطاب.

قوله: "**أن يكذب**" بصيغة المجهول وذلك لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالته جهلا، فلا يصدق وجوده، فإذا أسند إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما". [عمدة القاري، ٢/٢٠٤-٢٠٥]

وقال السندي رحمه الله تعالى في شرح أثر ابن مسعود رضي الله عنه: "قوله: "**ما أنت بمحدث**" الخ، يفيد النهي عن تحميل غير الأهل، ويفيد أن الرجل لا يحمل إلا على قدر فهمه ولا يزاد عليه في التحمل". [حاشية السندي على صحيح مسلم، ص: ٧١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه "عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

خرج الأثر عبد الرزاق رحمه الله في المصنف، ٩/٢٣٣، رقم (٢١٨٢٠).

انتفض: أي ارتعد.

استنكارا لذلك: أي استنكارا لحديث الصفات، إما لأن عقله لا يحتمله، أو لكونه اعتقد عدم صحته فأنكره.

ما فرق هؤلاء: بتخفيف الراء: ما الذي أخاف هؤلاء، وبتشديد الراء، ما فرق هؤلاء بين الحق والباطل.

رقة عند محكمه: ميلا وقبولا للحكم: وهو الواضح.

يهلكون عند متشابه: ينكرون ما يتشابه عليهم معناه.

قال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "وذهب ساداتنا الحنفية إلى أن المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل النسخ ، والمتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل: "المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال ، أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ، و المتشابهات ما يؤمن به ولا يعمل به.

وأخرج الفريابي عن مجاهد قال: المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه.

وأخرج عبيد بن عمير عن الضحاك قال: المحكمات ما لم ينسخ، والمتشابهات ما قد نسخ.

وقال الماوردي: المحكم ما كان معقول المعنى ، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

وقيل: المحكم ما لم يتكرر ألفاظه ، المتشابه ما يقابله.

وقيل: غير ذلك ، وهذا الخلاف في المحكم ، والمتشابه هنا [يشير إلى آية سورة آل عمران] وإلا فقد يطلق المحكم بمعنى المتقن النظم، والمتشابه على ما يشبه بعضه بعضا في البلاغة، وهما بهذا المعنى يطلقان على جميع القرآن وعلى ذلك خرج قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود : ١]، وقوله سبحانه : ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣]. [روح المعاني، ٢/٨٠]

واعلم أن المتشابه ينقسم إلى قسمين:

الأول: متشابه لا يعرف معناها إلا الله، فهو مما اختص الله بعلمه، كالعلم بحقائق الأشياء وما تؤول إليه وعواقبها، كالإخبار بما يكون، وما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب، فإن هذه الأمور وإن علمناها لكن العلم بحقائقها مما لا يعلمه إلا الله، ولهذا قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

الثاني: ومتشابه نسبي، أي يشتبه على بعض الناس دون بعض، فهو محكم عند البعض متشابه عند البعض، وهو المراد به هنا من كلام ابن عباس.

وفي الأثر دليل على ذكر آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم، وهو منهج السلف. قال أبو حاتم الرازي: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا وكيع بحديث في الكرسي، قال: فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. فأحاديث الصفات انتشرت في زمن ابن عباس والأعمش والثوري و وكيع مما يدل على أنه لا إنكار في تحديثها. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٦٩٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر "الرحمن" أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ** ﴾".

ذكر المؤلف رحمه الله هنا سببا من أسباب نزول الآية.

الباب الأربعون

قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]

باب قول الله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]

قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".

وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا".

وقال قتيبة: " "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: "**أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**" - الحديث وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل:

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ،

يحتمل النعمة - هاهنا - محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه لكنهم أنكروه؛ كقوله: ﴿ **يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ** ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وما ذكر: ﴿ **يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

ويحتمل: (نعمت الله): يعرفون نعمة الله، وهو ما ذكر عرفوها أنها من الله (ثم ينكرونها)؛ بعبادتهم الأصنام، وصرفهم شكرها إلى غيره، كقوله: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)، مع ما يعرفون: أن الله هو خالقهم، وأن ما لهم كله من عند الله يعبدون الأصنام؛ فتكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله". [تفسير الماتريدي، ٥٤٩/٦]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ أي: يعرفون أن خالق هذه الأشياء هو الله تعالى، ثم ينكرونها ويقولون: هي بشفاعة آلهتنا، وهذا قول الكلبي. وقال السدي: يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم أنه نبي، وأنه صادق، ولا يؤمنون به. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يعرفون نعمت الله قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها وسرابيل الحديد والثياب، يعرف هذا الكافرون ثم ينكرونها أي البعث، وأكثرهم الكافرون بالتوحيد. ويقال: جاحدون بالنعم". [بحر العلوم، ٢٨٥/٢]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي نبوة محمد عليه السلام، قيل: دين الإسلام أو كل نعمة عدت في هذه السورة ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ يعني يعرفون أن خالق كلها هو الله ثم يجحدونها بعبادة غير منعمها أو يقرون إذا ذكر لهم هذه النعم أن كلها من الله لكنهم يقولون إنها بشفاعة آلهتنا أو يقولون كان هذا لآبائنا ثم ورثناهم بعدهم، و«ثم» فيه للاستبعاد ﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣] أي الجاحدون بنعم الله أو بنبوة محمد عليه السلام، وقيل: الأكثر هنا بمعنى الكل". [عيون التفاسير، ٣٢١/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".

من قال هذا القول أو مثله فله حالتان:

الأولى: أن يقول هذا على سبيل جحود نعمة الله، وهذا هو الممنوع.

الثانية: أن يقول هذا على سبيل الخبر، ولم يقصد إنكار فضل الله تعالى، وهذا جائز.

وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا".

قال الفاضل الرومي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١٠٤١ هـ): "والخامس من أنواع الشرك: شرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك من جهلة المؤمنين، فإنهم لما رأوا ارتباط الشبع بأكل الطعام وارتباط الري بشرب الماء، وارتباط ستر العورة بلبس الثياب، وارتباط الضوء بالشمس، ونحو ذلك مما لا ينحصر، فهموا بجهلهم أن تلك الأشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها، إما بطبعها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط، وسبب غلطهم قياس إدراك الحس بإدراك العقل، فإن الذي شاهدوه إنما هو تأثير شيء عند شيء، وهذا هو حظ الحس، وأما تأثيره فيه فلا يدرك بالحس، بل إنما يدرك بالعقل.

...أن أهل هذا الشرك في اعتقادهم التأثير لتلك الأسباب مختلفون:

فمنهم من يعتقد أن تلك الأسباب تؤثر بطبعها وحقيقتها في الأشياء التي تقارنها، ولا خلاف في كفر من يعتقد هذا.

ومنهم من يعتقد أن تلك الأسباب لا تؤثر بطبعها وحقيقتها، بل بقوة أودعها الله تعالى فيها، ولو نزعها منها لا تؤثر. وقد تبعهم في هذا الاعتقاد كثير من عامة المؤمنين، ولا خلاف في بدعة من يعتقد هذا، وإنما الخلاف في كفره فمن كان فيه شيء من هذه المذكورات ولم يسع في إزالته عن نفسه وإصلاح شأنه يختم له بالسوء، وإن كان مع كمال الزهد والصلاح، لأن زهده وصلاحه إنما ينفعه إذا كان مع الاعتقاد الصحيح الموافق لكتاب الله وسنة رسوله، وأما إذا لم يكن مع الاعتقاد الصحيح الموافق لهما، بل كان مع الاعتقاد الفاسد المخالف لهما فلا ينفعه". [مجالس الأبرار، ص: ٢٠٤ و ٢٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال قتيبة: " "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

يعني يقول المشركون أن هذا الخير حصل بشفاعة آلهتنا، وهم يعتقدون أن آلهتهم يشفعون لهم عند الله على حصول الخير، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

قال الفاضل الرومي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١٠٤١ هـ): "من أنواع الشرك: شرك تقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إليه تعالى كشرك متقدمي عبدة الأصنام، فإنهم لما رأوا أن عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة، ونهاية الحقارة سوء أدب عظيم تقربوا إليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها، ثم إنهم لما رأوا غيبة ما اختاروا عبادته عنهم صنعوا الأصنام أمثلة لما غاب عنهم من معبوداتهم واشتغلوا بعبادتها ونيتهم في ذلك أن يتقربوا إلى ما جعلوه مثالا له وقصدهم من جميع ذلك أن يتقربوا إلى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان بعقولهم وأوقعهم في الضلال". [مجالس الأبرار، ص: ٢٠٣]

الباب الحادي والأربعون

قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل". وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك**". رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**" . رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ): "قوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ، أي لا تقولوا له شركاء وأنتم تعلمون أنه خالق هذه الأشياء وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئا من هذه الأشياء. ويقال: كل شيء في هذه الدنيا فيه دلالة على كونه الخالق من أربعة أوجه: فوجود هذه الأشياء وكونها يدل على وجود الصانع واستقامتها تدل على توحيده، وهو استقامة الليل والنهار، والشتاء والصيف وخروج الثمرات وحدوث كل شيء في وقته، لأن المدبر لو كان اثنين لم يكن على

الاستقامة، كما قال في آية أخرى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وتجانسها يدل على أن الخالق واحد عالم حيث خلق الأشياء أجناسا مختلفة، وتمام الأشياء يدل على أن خالقها واحد قائم قادر". [بحر العلوم، ١/٣٤]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ): "﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ هو متعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل له ند ولا شريك . ويجوز أن يكون الذي «رفعا» على الابتداء وخبره «فلا تجعلوا» . ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء . المثل والند ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء ، ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق ، أو مفعول «تعلمون» متروك أي وأنتم من أهل العلم . وجعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل ، والجملة حال من الضمير في «فلا تجعلوا» ". [تفسير النسفي، ١/٢٧]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله تعالى، يعني لا تقولوا له شركاء تعبد معه، والند: المثل المخالف، أي في الأفعال والأحكام، وهو نهي من اعتقادهم أن لهم آلهة مثله قادرة على مخالفته، والفاء عطفت «لا تجعلوا» على «اعبدوا»، أي يأمركم بالعبادة، فلا تشركوا به شيئا ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] العقل والتمييز، أنه واحد، لا شريك له في خلق هذه الأشياء الشاهدة بالوحدانية، وإن آلهتكم لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه، فحقه أن تعرفوا أنعامه عليكم بها، وتعتبروا بالنظر الصحيح الموصل إلى التوحيد، فتقابلوها بالشكر لا بالشرك". [عيون التفاسير، ١/٣٥]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "والأنداد جمع ند، كعدل وأعدال أو نديد، كيتيم وأيتام – والند مثل الشيء الذي يضاده ويخالفه في أموره وينافره ويتباعد عنه وليس من الأضداد على الأصح ، وأصله من ند ندودا إذا نفر ، وقيل : الند المشارك في الجوهرية فقط ، والشكل المشارك في القدر والمساحة ، والشبه المشارك في الكيفية فقط ، والمساوي في الكمية فقط ، والمثل عام في جميع ذلك ، وفي تسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله في ذاته تعالى وصفاته ولا تخالفه في أفعاله". [روح المعاني، ١/ ١٩٣]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "وهو متعال عن الأضداد والأنداد". [العقدية الطحاوية]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ): " الضد: المخالف، والند: المثل. فهو سبحانه لا معارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مثل له، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] ويشير الشيخ رحمه الله – بنفي الضد والند – إلى الرد على المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فعله". [شرح الطحاوية، ١/١٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك**". رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم".

قال الكاساني علاء الدين (المتوفى : ٥٨٧هـ): " وروي عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم "**من حلف بغير الله فقد أشرك**" ولأن هذا النوع من الحلف لتعظيم المحلوف وهذا النوع من التعظيم لا يستحقه إلا الله تعالى ". [بدائع الصنائع، ٦/٢٢١]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**من حلف بغير الله فقد أشرك**"؛ يعني: من حلف بغير الله وصفاته معتقدا له التعظيم فقد أشرك؛ لأنه أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به، وإذا لم يحلف به إلا من حيث العادة كما يقول: لا، وأبي! فلا بأس، هذا هو الظاهر.

قال الشيخ في "شرح السنة": وفسر هذا الحديث بعض أهل العلم على التغليظ، وهذا مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الرياء شرك"، وقد فسر بعض ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] قال: لا يرائي، وهذا التفسير يدل على أن قوله صلى الله عليه وسلم: "فقد أشرك" شرك دون شرك، يريد به: الشرك الخفي". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٧٢/٤]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**من حلف بغير الله**"، معناه: معتقدا تعظيم ذلك الغير. "**فقد أشرك**"؛ لأنه أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به، وإلا فلا بأس، كقوله: لا وأبي، ونحو ذلك، كما جرت به العادة". [شرح المصابيح، ١٠١/٤]

وقال العيني رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "والحكمة في النهي عن الحلف بالآباء أنه يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله جلت عظمته. فلا يضاهي به غيره، وهكذا حكم غير الآباء من سائر الأشياء، وما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: أفلح وأبيه، فهي كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين". [عمدة القاري، ١٧٥/٢٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "وأما الحلف بحياة شريف، ومثله بحياة رأسك وحياة رأس السلطان فذلك إن اعتقد أن البر واجب يكفر، وفي تتمة الفتاوى. قال علي الرازي: أخاف على من قال: وحياتي وحياتك أنه يكفر، ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت: إنه شرك". [مرقاة المفاتيح، ٢٢٤٢/٦]

وقال إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ): "الحلف بغير الله إشراك بالله:

أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» .

وأخرج مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**» .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله**» .

وقد دلت هذه الأحاديث على أن الحلف يضر بالإيمان والعقيدة، فإذا صدر هذا من مسلم، فليقل لا إله إلا الله. [رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان (ص: ١٦٥)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " **رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم**"، أي خرجه الترمذي في سننه، في باب كراهية الحلف بغير الله، ٤/١١٠، رقم (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرك، ٤/٢٩٧، رقم (٧٨١٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".

قال شمس الأئمة السرخسي (المتوفى : ٤٨٣هـ): "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا"، ومراده بهذا المبالغة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من حلف بغير الله فكفارته أن يقول لا إله إلا الله**"، وقال عليه السلام: "**لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت**"، فالحلف بغير الله منهي عنه سواء كان كاذبا أو صادقا ، وليس المراد الرخصة في الحلف بالله كاذبا ، فإن الكذب حرام من غير أن يؤكده باليمين فكيف يرخص فيه مع التأكيد باليمين وقد أوله بعضهم على أن الحالف بالله تعالى، وإن كان كاذبا في خبره ، فهو معظم اسم الله تعالى في حلفه ، ويروون فيه حديثا عن رجل من بني إسرائيل عن رجل أنه حلف بالله الذي لا إله إلا هو، وكان كاذبا في يمينه فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان أنه غفر له ذلك بتوحيده ، ولكن الأول أصح . [المبسوط للسرخسي، (٣٣ / ٤٩٦)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**" . رواه أبو داود بسند صحيح".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان"، وعلة النهي عن هذا الكلام أنه يلزم من هذا الكلام الاشتراك بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواو للجمع والاشتراك، ويجوز: ثم شاء الله؛ لأن (ثم) للتراخي؛ يعني: شاء الله، ثم بعد مشيئة الله يشاء فلان". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٥٩/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**لا تقولوا ما شاء الله**" فيه حذف، أي: فهو كائن، أو: كان ونحوه. "**وشاء فلان**" بالعطف عليه؛ لأنه يلزم منه الاشتراك والتسوية بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواو للجمع والاشتراك. "وقولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان" لأن (ثم) للتراخي". [شرح المصابيح، ٢١٩/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان**"، فيه حذف تقديره: فهو كائن أو كان لما فيه من التسوية بين الله وبين عباده؛ لأن الواو للجمع والاشتراك "**ولكن قولوا: ما شاء الله**" أي: كان (ثم شاء فلان) أي: ثم بعد مشيئة الله شاء فلان؛ لأن ثم للتراخي، وإنما قدرنا كان قبل ثم شاء فلان، ليندفع توهم الاشتراك في الحكم ولو بالتراخي أيضا فتأمل، فإنه مسلك دقيق، وبالتحقيق حقيق؛ وحينئذ قوله: ثم شاء فلان جملة مستأنفة، أو معطوفة على الجملة السابقة، كما أشرنا إليه، وثم لتراخي الأخبار، وهذا مجمل ما ظهر لي في حل هذا المحل. وفي شرح السنة: لما كان الواو حرف الجمع والتشريك منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى، وأمر بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة من سواه بحرف ثم الذي هو للتراخي. قال الطيبي: ثم هاهنا يحتمل التراخي في الزمان، وفي الرتبة، فإن مشيئة الله تعالى أزلية، ومشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها فأين إحداهما من الأخرى؟". [مرقاة المفاتيح، ٣٠٠٨/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**رواه أبو داود بسند صحيح**"، أي خرجه أبو داود في سننه، ٤٥٢/٤، رقم: (٤٩٨٢).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان".

قال العيني رحمه الله تعالى: " والعلة في ذلك ... وهو أن بالواو يلزم الاشتراك، وبكلمة: ثم، لا يلزم لأن مشيئة الله متقدمة". [عمدة القاري، ١٨٠/٢٣]

الباب الثاني والأربعون

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق ؛ ومن حلف له بالله فليرض ؛ ومن لم يرض فليس من الله**". رواه ابن ماجه بسند حسن.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق ؛ ومن حلف له بالله فليرض ؛ ومن لم يرض فليس من الله**". رواه ابن ماجه بسند حسن.

قوله: " **لا تحلفوا بآبائكم** "، **قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ)**: "**لا تحلفوا بآبائكم**"، لأن هذا من أيمان الجاهلية، وفي رواية مسلم: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي رواية: "لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم". قال النووي: فإن قيل: هذا الحديث مخالف لقوله، صلى الله عليه وسلم: (أفلح وأبيه إن صدق) فجوابه: إن هذه كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين، وقال غيره: بل هي من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد، ولا يراد بها القسم كما تزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد إلى النداء". [عمدة القاري، ٢٩٢/١٦]

وقال العلامة العيني رحمه الله أيضا: "والحكمة في النهي عن الحلف بالآباء أنه يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله جلت عظمته. فلا يضاهي به غيره، وهكذا حكم غير الآباء من سائر الأشياء". [المصدر السابق، ١٧٥/٢٣]

وقال العيني رحمه الله أيضا: "قال المهلب: كانت العرب في الجاهلية تحلف بآبائهم وآلهتهم فأراد الله أن ينسخ من قلوبهم وألسنتهم ذكر كل شيء سواء ويبقى ذكره تعالى لأنه الحق المعبود. والسنة اليمين بالله عز وجل". [المصدر السابق، ٢٣/ ١٧٧]

قوله: "**من حلف بالله فليصدق**"، لأن الصدق واجب والكذب حرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الصدق بر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب فجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذابا** ". [رواه البخاري، ٣٠/٨، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم ٢٩/٨، رقم (٦٨٠٤)]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون** ". [رواه أبو داود، ٢١٧/٣، رقم (٣٢٥٠)]

قوله: "**ومن حلف له بالله فليرض**"، قال صلى الله عليه وسلم: "**رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال:** "**عيسى آمنت بالله وكذبت عيني**". [البخاري، ٢٠٤/٤ رقم (٣٤٤٤)]

وفي رواية: "**آمنت بالله وكذبت نفسي**". [مسلم، ٩٧/٧، رقم (٦٢٨٦)]

قال ابن القيم رحمه الله: "كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله عز و جل وقال : ما ظننت أحدا يحلف بالله تعالى كاذبا". [إغاثة اللهفان، ١١٥/١]

وفيه أن من حلف له أخوه المسلم يجب تصديقه إلا إذا دلت القرينة على كذبه.

قوله: " **ومن لم يرض فليس من الله**"،

قال السندي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١١٣٨ هـ**): "(**فليس من الله**) أي من قربه في شيء والحاصل أن أهل القرب يصدقون الحالف فيما حلف عليه تعظيما لله ومن لا يصدقه مع إمكان التصديق فليس منهم". [حاشية السندي على سنن ابن ماجة، ٦٤٦/١]

قوله: " **رواه ابن ماجه بسند حسن**"، أي رواه ابن ماجة في سننه، في باب من حلف له بالله فليرض، ٢٤٠/٣، رقم (٢١٠١).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وسنده حسن". [فتح الباري، ٥٣٦/١١].

الباب الثالث والأربعون

قول : ما شاء الله وشئت

باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت" . رواه النسائي وصححه.

وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده" .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال: **هل أخبرت بها أحدا؟** قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول ما شاء الله وشئت".

وقد سبق بيان هذا القول في الباب الحادي والأربعون.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن قتيلة: "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "**ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**" . رواه النسائي وصححه.

قوله: "**قتيلة**"، هي قتيلة بنت صيفي الجهنية ويقال الأنصارية وكانت من المهاجرات الأول. [أسد الغابة، ٢٣٣/٧]

قوله: "**إنكم تشركون**"، أي تقعون في الشرك.

قوله: "**وتقولون والكعبة**"، أي تحلفون بالمخلوق، والحلف بغير الله شرك.

قوله: " فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "**ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**" .

في الحديث إثبات الإرادة والمشيئة للعبد، لكن مشيئته تابع لمشية الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وفيه قبول الحق ممن جاء به كائنا من كان.

وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله.

وفيه بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهودي على قوله: "إنكم تشركون".

وفيه أن أهل الهوى والباطل قد يفهمون الحق.

قوله: "**رواه النسائي وصححه**"، أي رواه النسائي في سننه في باب الحلف بالكعبة، ٦/٧، رقم (٣٧٧٣).

قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "فكان فيما روينا في هذا الباب [يعني: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السلام من نهيه أمته أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وأمره إياهم أن يقولوا مكان ذلك ما شاء الله ثم ما شاء محمد] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نهيه أمته أن يقولوا: ما شاء الله وشئت وأمره إياهم أن يقولوا مكان ذلك ما شاء الله ، ثم شئت. قال قائل: فإن في كتاب الله تعالى ما قد دل على إباحة هذا المحظور في هذه الأحاديث ، ثم

ذكر قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ولم يقل ، ثم لوالديك فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله أن هذا مما كان مباحا قبل نهي رسول الله عليه السلام عن مثله في هذه الأحاديث ثم نهى عن ما نهى عنه في هذه الأحاديث فكان ذلك نسخا لما قد كان مباحا مما قد تلوته قبل ذلك ومذهبنا أن السنة قد تنسخ القرآن ؛ لأن كل واحد منهما من عند الله ينسخ ما شاء منهما بما شاء منهما ولأنا قد وجدنا كتاب الله قد دلنا على ذلك ، وهو قوله فيه: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] الآية ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك " خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ".
[شرح مشكل الآثار، ٢١٩/١]

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "والحلف بغير الله تعالى حرام وشرك، قال صلى الله عليه وسلم: "**إن الله تعالى نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**"، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول: والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**"، رواه الترمذي وحسنه.

وفي رواية للحاكم: "**كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك**"، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق"، رواه الطبراني.

ومن حلف وقال: بالله وبروحك أو برأسك، قال بعض المشايخ: كفر، ولو قال: وبتراب قدمك كفر عند الكل.

وقال ابن الهمام: أما الحلف بحياة شريف، ومثله بحياة رأسك وحياة رأس السلطان، فذلك إن اعتقد أن البر واجب فيه يكفر.

وفي تتمة الفتاوى، قال علي الرازي: أخاف على من قال بحياتي وحياتك وما أشبه ذلك الكفر، ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت أنه شرك، لأنه لا يمين إلا بالله تعالى.

فإذا حلف بغيره فقد أشرك، ومن قال: إن فعلت فهو يهودي أو نصراني أو كافر وهو يعلم أنه قد فعله، قال في الفتاوى الصغرى كفر.

وقال الفضلي رحمه الله: تبين امرأته، قال ابن الهمام في شرح الهداية: فهي يمين غموس لا كفارة فيها إلا التوبة، وهل يكفر حتى التوبة اللازمة عليه التوبة من الكفر وتجديد الإسلام، قيل: نعم، لأنه تنجيز معنى، لأنه لما علقه بأمر كائن، قال ابتداء هو كافر.

والصحيح أنه إن كان يعلم أنه يمين فيه الكفارة إذا لم يكن غموسا لا يكفر، وإن كان في اعتقاده أنه يكفر به يكفر فيهما، لأنه رضي بالكفر حيث أقدم على الفعل الذي عليه كفره، وهو يعتقد أنه يكفر إذا فعله انتهى. [تبيين المحارم، ص: ١٢٠-١٢١]

قال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله: "قد صرح في جميع كتب الحنفية متونا وشروحا وفتاوى، أنه لا يجوز القسم بغير اسم من أسماء الله تعالى، وها أنا أحرر لك نصوص المذهب بحول الله وقوته.

وقد كنت حررت في مادة (٣٦٩) من كتابي"حبل الشرع المتين"، خلاصة المذهب: أن الحلف بغير الله لا يجوز، ولا يصح القسم ولا يكون حالفا أصلا، كبالنبي، أو الكعبة أو الأولياء أو النصب أو برأسك أو بحياتك أو نحو ذلك، وهو حرام وكبيرة، لما أخرجه الترمذي في "سننه"، والحاكم في "المستدرك" وأحمد في "مسنده"، والسيوطي في "الصغير"، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من حلف بغير الله، فقد أشرك**".

وفي رواية: "**كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك**".

ولما أخرجه الديلمي في "الفردوس" وابن عساكر والعلاء المتقي في "منتخب كنز العمال"، عن أبي هريرة ويزيد بن سنان رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "**من حلف بغير الله عز وجل فليس منا، ولا يحلف أحدكم بالكعبة، فإن ذلك شرك، وليقل: ورب الكعبة**".

وذلك مذهب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله.

قال العلامة أحمد بن حجر المكي في "الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر": "الكبيرة (٤١٢): الحلف بغير الله، ومن جملته: اليمين الغموس والحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والأمانة ، ونحوها، وهي من أشدها نهيا، وتربة فلان ، وغيرها، والدليل: ما أخرجه الشيخان وغيرهما : "**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**"، وفي مسلم: "**لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم**"، والطواغي جمع طاغية وهي الصنم.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة. فقال: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك**".

وقال بعض أئمة الشافعية: إن الحلف بغير الله مكروه، وإن اعتقد التعظيم لذلك، فحينئذ كفر.

وهكذا رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "مستدركه" صححه...الخ.

قال ابن عابدين في "رد المحتار": "وهل يكره الحلف بغير الله تعالى؟ قيل: نعم، للنهي".

ثم ذكر أقوالا عجيبة سخيفة، في مقابلة النص، وهي كلها مردودة بالنص!

ثم قال: "وأما إقسامه تعالى بغيره كالضحى والنجم والليل، فقالوا: إنه مختص به تعالى، إذ له أن يعظم ما شاء وليس لنا ذلك بعد أن نهينا عنه"...الخ.

وبالجملة: إن الأدلة المانعة عن الحلف بغير الله أكثر من أن تحصر، وذكر كلها يطول، فما بينا يكفي لأهل الدين والعقول". [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ص: ١٣٣-١٣٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: "**أجعلتني لله ندا؟! ما شاء الله وحده**" .

قوله: "**وله أيضا**"، أي للنسائي رحمه الله.

قوله: "**أجعلتني لله ندا؟**"، أي نظيرا وشبيها.

قوله: "**ما شاء الله وحده**" ،

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): قال الطيبي: فإن قلت: كيف رخص أن يقول ما شاء الله ثم شاء فلان ولم يرخص في اسمه صلى الله عليه وسلم، حيث قال: قولوا ما شاء الله وحده.

قلت (القائل هو الطيبي): فيه جوابان.

أحدهما: قال دفعا لمظنة التهمة في قولهم ما شاء الله وشاء محمد تعظيما له ورياء لسمعته.

وثانيهما: أنه رأس الموحدين ومشيئته مغمورة في مشيئة الله تعالى، ومضمحلة فيها.

أقول (القائل هو القاري): أصل السؤال مدفوع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم داخل في عموم فلان، فيجوز أن يقال ما شاء الله ثم شاء محمد، ولا يجوز أن يقال ما شاء الله وشاء محمد، فجوابه الأول خطأ فاحش؛ لأنهم لو قالوا: ما شاء الله وشاء محمد، لكان شركا جليا لا مظنة للتهمة التي ذكرها، وجوابه الثاني في نفس الأمر صحيح، لكن لا يفيد جواز الإتيان بالواو، مع أن مشيئة غيره صلى الله عليه وسلم أيضا مضمحلة في مشيئة الله تعالى سبحانه، وأيضا ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لمجرد الرخصة، ولو قال هنا قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، لكان أمر وجوب أو ندب، وليس الأمر كذلك، مع أن المشيئة المسندة إلى فلان إنما هي مشيئة جزئية لا يجوز حملها على المشيئة الكلية، كما رمزنا إليه فيما سبق من الكلام، والله سبحانه أعلم بالمرام". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٠٩)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال: **هل أخبرت بها أحدا؟** قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**".

قوله: "**ولابن ماجه**"، أي رواه ابن ماجة في سننه، في باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، ٢٥٢/٣، رقم (٢١١٨)، ولم يروه ابن ماجة رحمه الله بهذا اللفظ.

قوله: "**إنكم لأنتم القوم**"، وفي رواية ابن ماجة : "نعم القوم أنتم".

قوله: "**رأى رؤيا**"، الرؤيا: ما يرى في المنام.

ولا تثبت الأحكام الشرعية بالمنام إلا في حق الأنبياء أو تقريرهم.

وقال العلامة علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "لا اعتماد على رؤية المنام في غير حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أن الرؤى قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرائي أو غيره في هذا المقام، فلو فرض أن أحدا رأى النبي عليه الصلاة والسلام، وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام؛ فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع علماء الأعلام". [المقدمة السالمة في خوف الخاتمة، ضمن مجموع رسائل العلامة الملا علي القاري، ٧/ ٣٣٤]

دل الحديث على تحريم عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الله بالواو، لأن الواو تقتضي التشريك بين المتعاطفين وذلك يؤدي إلى الشرك بالله. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٧٧]

الباب الرابع والأربعون

من سب الدهر فقد آذى الله

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى وقالوا: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**" .

وفي رواية: "**لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من سب الدهر فقد آذى الله".

معنى السب: الشتم. [الصحاح، ١/٤٤]

الأذى: هو ما تسمعه من مكروه. [تهذيب اللغة، ١٥/٣٩]

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ):

"واعلم: أن الإيذاء إيصال المكروه إلى الغير قولا وفعلا أثر فيه أو لم يؤثر، وإيذاء بني آدم ربهم تعالى يؤثر فيه ولا يضره، بل يضر القائلين. فإذا كان كذلك عرفت أن معنى ﴿ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] عبارة عن فعل ما يكرهه ولا يرضى به، ولا يليق بحضرته.

واعلم أن إيذاء الله تعالى **قسمان:**

أحدهما: شرك بالله تعالى وإنكار لقدرته وعلمه كإيذاء اليهود والنصارى والمجوس بقولهم: عزير ابن الله والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وعبادتهم الأوثان وإنكارهم الحشر والنشر وغير ذلك من أنواع كفرهم "سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا" فالمؤذي بمثل هذه الإيذاءات مبعد من الله تعالى بعدا أبديا مخلدا في النار أبدا.

والثاني: ليس بشرك، ولكن عدم رضاء بقضاء الله تعالى وقدره والمخالفة لأمره ونهيه كأفعال المؤمنين من المناهي وشكاية بعضهم بعضا مما أصابه من المكروهات والمصائب ونوائب الدهر، معتقدين أنها من الله تعالى ودوران الفلك وتحول الدهر سبب لها، فهؤلاء تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم، فسبحانه، ما أحلمه وما أرحمه ﴿ **وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا** ﴾ [الكهف: ٥٨]. [تبيين المحارم، ص: ٦٠٧-٦٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى وقالوا: ﴿ **مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الجاثية: ٢٤]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي: ما قالوا: ما الحياة إلا حياة الدنيا.

ويحتمل أنهم يقولون: ﴿ **مَا هِىَ** ﴾ أي: لا حياة إلا الحياة التي دنت منا.

وقوله عز وجل: ﴿ **نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾ يخرج على وجهين:

أحدهما: أي: نموت نحن وتحيا أبناؤنا وأولادنا.

والثاني: ﴿ **نَمُوتُ** ﴾ أي: كنا ميتين فحيينا ﴿ **نَمُوتُ** ﴾ بمعنى: كنا أمواتا ﴿ **وَنَحْيَا** ﴾ أي: فصرنا أحياء، ثم لا حياة بعد تلك الحياة، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾ هذا يخرج على وجهين:

أحدهما: أي: ما يهلكنا إلا مرور الأزمنة والأوقات؛ أي: بسبب مرور الأوقات ينتهي آجالنا، ونبلغ إلى الهلاك، وكذلك قال القتبي: ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾ أي: إلا مرور السنين والأيام.

والثاني: أن يكون الدهر عندهم عبارة عن الأبد؛ فكأنهم يقولون في قوله: ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾: وما يهلك أنفسنا إلا الدهر؛ لأن أنفسنا لم تجعل للأبد، ولا للبقاء للأبد، بل جعلت للانقضاء والفناء، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ **وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾ أي: ما هم إلا على ظن يظنون.

والثاني: ﴿ **وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ** ﴾ أي: وما لهم بما قالوا: ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾ - ﴿ **مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾ أي: ما هم إلا على ظن يظنون؛ أي: على ظن يقولون ذلك، لا عن علم، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٢٢٨/٩]

قال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "﴿ **وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا** ﴾ أي ما الحيوة إلا حيوتنا في الدنيا لا حيوة بعد الموت في الآخرة ﴿ **نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾ أي يموت بعضنا ويحيى بعضنا كأولادنا أو نحيى ونموت لأن الواو للجمع لا للترتيب ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ** ﴾ أي لا يميتنا ﴿ **إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾ أي مضي الأيام والليالي وانقضاء الآجال ﴿ **وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ** ﴾ أي بما يقولون ﴿ **مِنْ عِلْمٍ** ﴾ أي برهان قطعي بل يتكلمون عن جهل ﴿ **إِنْ هُمْ** ﴾ أي ما القائلون بذلك ﴿ **إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾ [٢٤] به ظنا بلا تحقيق، لأنهم ينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وينسبون الحوادث إلى الدهر ولا يعلمون أن خالق الدهر هو الآتي بالحوادث لا الدهر والزمان". [عيون التفاسير، ١٠٥/٤]

دلت الآية على ذم من نسب الحوادث إلى الدهر وذلك إيذاء لله لأنه يكرهه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري ٦/١٣٣ رقم (٤٨٢٦)، ومسلم ٤/١٧٦٢ رقم (٢/٢٢٤٦).

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قال الله تعالى: "يؤذني ابن آدم"، (**الإيذاء**): إيصال شيء يكرهه من القول أو الفعل سواء أثر فيه أو لم يؤثر فيه، وإيذاء بني آدم ربهم تعالى لم يؤثر فيه ولم يضره بل يضر القائلين، فإذا كان كذلك يكون معنى (يؤذيني ابن آدم): يقول لي ابن آدم ما أكرهه وأبغضه، ولا يليق بحضرتي.

"**يسب الدهر**" يروى: "**بسب الدهر**" بالباء الجارة وبعدها المصدر المجرور بالباء، ويروى: "**يسب الدهر**" على أنه فعل مضارع، و (**الدهر**) منصوب على أنه مفعوله.

و (**السب**): الشتم، وذكر معناه في الحديث الذي قبل هذا.

و (**الدهر**): هو الزمان من أول خلق الله تعالى العالم إلى آخر الدنيا، ويقال: بعض الزمان دهر أيضا.

"**وأنا الدهر**" يروى برفع الراء ونصبها:

فإن نصب يكون ظرفا مقدما على الفعل، فيكون التقدير: وأنا أقلب الليل والنهار في الدهر.

وان رفع يكون (**الدهر**) مضافا إليه أقيم مقام المضاف، والتقدير: وأنا خالق الدهر، أو مصرف الدهر – فحذف (خالق) أو (مصرف) وما أشبه ذلك، وأقيم (الدهر) مقامه – يؤذيني ابن آدم بشتمه الدهر بسبب فقر وقحط ومرض وما أشبه ذلك من مكروهات تصيبه، وأنا خالق الدهر ومقلب الليل والنهار، فما أصابه أصاب مني لا من الدهر؛ لأن الدهر مخلوق ومسخر لا يقدر على إيصال نفع وضر، بل النفع والضر والغنى والفقر والصحة والمرض والحياة والممات كلها بقضائي وقدري، فمن شتم الدهر فقد شتمني؛ لأن من عاب مصنوعا عاب صانعه.

فإن قيل: هذه الأحاديث تدل على أنه لا يحدث فعل ولا قول ولا نفع ولا ضر ولا غير ذلك مما يحدث إلا بقضاء الله تعالى وقدره، وإذا كان كذلك فلم يعيبون الكفار على كفرهم والعصاة على عصيانهم؟

قلنا: ليس الأمر كما يظن، بل ما يجري في العالم قسمان:

أحدهما: ما يجري على شيء ليس له اختيار فيما يصدر منه، كمرور الليل والنهار، ونزول المطر، والنفع والضر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والخسران والبرودة، والريح الطيبة وغير الطيبة، وتحرك الشجر، وغير ذلك مما لا اختيار له، فلا يجوز أن يعيب أحد شيئا من هذه الأشياء.

والقسم الثاني: ما يصدر ممن له اختيار وكسب، كالجن والإنس وغيرهم ممن له اختيار، فهؤلاء مثابون بخير يصدر منهم ويعاقبون بشر يصدر منهم؛ لأن لهم اختيارا واكتسابا، فيجوز أن يعيب أحد هؤلاء أحد على فعلهم القبيح ومخالفتهم الأنبياء والكتب، إلا أن القضاء والقدر من الله تعالى والفعل من العباد ولهم اختيار، وبحث هذه المسألة طويل ليس هذا موضعه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/١٠٧-١٠٨]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم"؛ أي: يقول في حقي ما أكرهه وأبغضه.

"**يسب الدهر**"؛ أي: يشتمه، وهو اسم لزمان مبدأ إيجاد العالم إلى انصرامه، وقد يعبر به عن المدة الطويلة.

"**وأنا الدهر**" بالرفع، قيل: هو الصواب؛ أي: حالق الدهر ومقلبه، بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فما يصيبه من حوادث الدهر هو مني؛ لأن الدهر لا يقدر على إيصال نفع وضر، أو مصدر بمعنى الفاعل؛ أي: أنا الداهر المتصرف المدبر لما يحدث، ويروى بالنصب على الظرفية مقدما على فعله وهو: "أقلب"؛ أي: أقلب "الليل والنهار" في الدهر، وإنما عقب قوله: (**أنا الدهر**)، بقوله: (**أقلب الليل والنهار**)، لرفع وهم أن الدهر حقيقة به تعالى؛ خلافا لمن زعم ذلك إذ مقلب الشيء ومصرفه يستحيل أن يكون نفسه". [شرح المصابيح، ١/٥٣]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): قوله: أقلب الليل والنهار، قرينة قوية دالة على أن المضاف في قوله: إنا الدهر. محذوف وأن أصله خالق الدهر، لأن الدهر في الأصل عبارة عن الزمان مطلقا والليل والنهار زمان، فإذا كان كذلك يطلق على الله أنه مقلب الليل والنهار، بكسر اللام، والدهر يكون مقلبا بالفتح، فلا يقال: الله الدهر مطلقا. لأن المقلب غير المقلب فافهم، وقد تفردت به من (الفتوحات الربانية) وعلى هذا لا يجوز نسبة الأفعال الممدوحة والمذمومة للدهر حقيقة، فمن اعتقد ذلك فلا شك في كفره، وأما من يجري على لسانه من غير اعتماد صحته فليس بكافر ولكنه تشبه بأهل الكفر وارتكب ما نهاه عنه الشارع فليتب وليستغفر". [عمدة القاري، ١٦٧/١٩]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**قال الله تعالى: يؤذيني**" بالهمز ويبدل، أي يقول في حقي (**ابن آدم**) ما أكره، وينسب إلي ما لا يليق بي، أو ما يتأذى به من يصح في حقه التأذي؛ ولذا قيل: هذا الحديث من المتشابه؛ لأن تأذي الله تعالى محال فإما أن يفوض وإما أن يئول كما تقدم، وقد يطلق الإيذاء على إيصال المكروه للغير بقول أو فعل، وإن لم يتأثر به فإيذاء الله تعالى فعل ما يكرهه، وكذا إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] (**يسب الدهر**) بصيغة المضارع استئناف بيان، وروي بحرف الجر وفتح السين وجر الدهر، يعني ظنا منه أن الدهر يعطي ويمنع ويضر وينفع. (**وأنا الدهر**) يروى برفع الراء، قيل: هو الصواب، وهو مضاف إليه أقيم مقام المضاف أي أنا خالق الدهر، أو مصرف الدهر، أو مقلبه، أو مدبر الأمور التي نسبوها إليه، فمن سبه بكونه فاعلها عاد سبه إلي؛ لأني أنا الفاعل لها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور، وأتى بأداة الدهر مبالغة في الرد على من يسبه، وهم صنفان: دهرية لا يعرفون للدهر خالقا ويقولون: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] أو معترفون بالله تعالى لكنهم ينزهونه عن نسبة المكاره إليه، فيقولون: تبا له، وبؤسا، وخيبة، ونحو ذلك. وقد يقع من بعض عوام المؤمنين جهالة وغفلة، ويروى بنصب الدهر على الظرفية أي أنا الفاعل أو المتصرف في الدهر، وقيل: الدهر الثاني غير الأول، فإنه

بمعنى زمان مدة العالم من مبدأ التكوين إلى أن ينقرض، أو الزمن الطويل المشتمل على تعاقب الليالي والأيام، بل هو مصدر بمعنى الفاعل، ومعناه أنا الداهر المتصرف المدبر المفيض لما يحدث. وقال الراغب: الأظهر أن معناه أنا فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموني (**بيدي الأمر**) : بالإفراد وفتح الياء وتسكن، ويجوز التثنية وفتح الياء المشددة للتأكيد والمبالغة، أي الأمور كلها خيرها وشرها حلوها ومرها تحت تصرفي (**أقلب الليل والنهار**) كما أشاء بأن أنقص فيهما أو أزيد، وأقلب قلوب أهلهما كما أريد". [مرقاة المفاتيح، ٩٦/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية: "**لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر**" .

قوله: "**وفي رواية**"، أي في رواية مسلم رحمه الله.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**فإن الله هو الدهر**"؛ أي: فإن الله خالق الدهر ومصرفه، فمن سب الدهر فقد سب خالقه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٥٥/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**" أي خالقه ومصرفه في الخير والشر.

وفي النهاية كان من شأن العرب تذم الدهر، وتسبه عند النوازل والحوادث، ويقولون آباءهم، وقد ذكره والدهر عنهم في كتابه العزيز، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] والدهر اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذم الدهر، وسبه، أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء، فإنهم إذا سبوه، وقع السب على الله تعالى، لأنه هو الفعال لما يريد". [شرح مسند أبي حنيفة، ص: ٣٨٨-٣٨٩]

وفي الحديث أن سب الدهر يؤذي الله سبحانه وتعالى.

الباب الخامس والأربعون

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**" .

قال سفيان مثل: شاهان شاه.

وفي رواية: "**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**" .

قوله: " **أخنع** " يعني: أوضع.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه".

ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياسا على ما في حديث الباب؛ لكونه يشبهه في المعنى، فينهى عنه. [الفتح، ص: ٥٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**" .

قال سفيان: "**شاهان شاه**".

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري ٤٥/٨، رقم (٦٢٠٦)، ومسلم ١٦٨٨/٣، رقم (٢١٤٣).

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " أخنع، فهو من الخنوع وهو الذل وقد فسره الحميدي عند روايته به بقوله: الأخنع الأذل.

والخانع الذليل من خنع الرجل إذا ذل.

وإنما كان: ملك الأملاك أبغض إلى الله وأكره إليه أن يسمى به مخلوق لأنه صفة الله تعالى، ولا يليق بمخلوق صفات الله وأسماؤه، لأن العباد لا يوصفون إلا بالذل والخضوع والعبودية.

قوله: "**ملك الأملاك**" بكسر اللام من ملك والأملاك جمع ملك بكسر اللام أيضا،

وقيل: التحق بذلك قاضي القضاة وإن كان اشتهر في بلاد المشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة، وقد سلم أهل الغرب من ذلك، واسم: كبير القضاة، عندهم قاضي الجماعة. قلت: أول من تسمى قاضي القضاة أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة، وفي زمنه كان أساطين الفقهاء والعلماء والمحدثين فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك، نعم يمتنع أن يقال: أقضى القضاة، لأن معناه: أحكم الحاكمين، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، وهذا أبلغ من قاضي القضاة، لأنه أفعل التفضيل، ومن جهلاء هذا الزمان من مسطري سجلات القضاة يكتبون للنائب: أقضى القضاة، وللقاضي الكبير: قاضي القضاة". [عمدة القاري، ٢٢/٢١٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**قال سفيان: شاهان شاه**"،

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى: "ومعناه بالعربي: ملك الأملاك، لأن شاهان الأملاك لأنه جمع شاه ويجمع عندهم بالألف والنون في بني آدم، وشاه مفرد ومعناه الملك، ولكن من قاعدة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف وتقديم الصفة على الموصوف، وشاهان بسكون النون لا بكسرها. [عمدة القاري، ٢٢/٢١٥-٢١٦]

قال المباركفوري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٣٥٣ هـ**): "وقد تعجب بعض الشراح من تفسير سفيان بن عيينة اللفظة العربية باللفظية العجمية وأنكر ذلك آخرون وهو غفلة منهم عن مراده وذلك أن لفظ شاهان شاه كان قد كثر التسمية به في ذلك العصر فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم.

وزعم بعضهم أن الصواب شاه شاهان وليس كذلك لأن قاعدة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف فإذا أرادوا قاضي القضاة بلسانهم قالوا موبذان موبذ فموبذ هو القاضي وموبذان جمعه فكذا شاه هو الملك وشاهان هو الملوك

واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعد الشديد ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين...". [تحفة الأحوذي، ٨/١٠٢]

وقال جار الله رحمه الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ) في قوله تعالى: "أحكم الحاكمين أى أعلم الحكام وأعدلهم، لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل. ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ، ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر". [الكشاف، ٢/٣٩٨-٣٩٩]

قال أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير في حاشية الكشاف: "ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أقضى القضاة إلى قاضى القضاة ، والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الأولى :

أن الأولى تقتضي مشاركة القضاة لأقضاهم في الوصف ، وأن يزاد عليهم ، فترفعوا أن يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المنصب ، فعدلوا عما يشاركه فيه إلى ما ليس كذلك ، فأفردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضى القضاة : أي هو الذي يقضى بين القضاة ولا يشاركهم منهم أحد في وصفه ، وجعلوا الذي يليه في الرتبة أقضى القضاة إلا أنهم إنما يعنون قاضى قضاة زمانه أو إقليمه. وإذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال «أقضاكم على» فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم ، فلا حرج إن شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الإقليم وأعلمهم : قاضى القضاة ، وأقضى القضاة ، أي قضاة زمانه وبلده ، وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا هذا اللقب. [تفسير الكشاف مع الحواشي، ٢/٣٩٨]

يعني التسمي بقاضي القضاة مطلقا لا يجوز، وإذا قيد بالزمان والعصر والبلد، فلا بأس به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية: "**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**" .

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "أغيظ رجل على الله" أفعل تفضيل من الغيظ، مجاز عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم؛ أي: أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله "يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله" استئناف لبيان تعليل تحريم

التسمية، فبين أن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكية غيره مستعارة، فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبدا لله، فيكون له الخزي". [شرح المصابيح، ٥/٢٠٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: قوله: "أخنع" يعني: أوضع.

قال الكوراني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٩٣ هـ): "أخنع" بالخاء المعجمة بعدها نون وبالعين أي: أذل وأحقر، من الخنوع". [الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ٩/٥٢٨]

الباب السادس والأربعون

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**". فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: **ما أحسن هذا فما لك من الولد؟** قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح. قال: **فأنت أبو شريح**"، رواه أبو داود وغيره.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك".

قوله: "**باب احترام أسماء الله**"، أي إكرامها وتعظيمها وعدم إهانتها، وقد نص أهل العلم على أن ذلك من تعظيم الله، وهذا وجه إدخال هذه الترجمة هنا، فمن إكرامها:

١-أنه لا يجوز أن تمتهن أو تبتذل، كأن تكتب على وسائد فيستند إليها أو أكواب فيشرب فيها.

٢-أو توضع في أشياء تستعمل وتهان، كأن تكتب على أشياء تداس بالأقدام، ومن وجد شيئا من ذلك وجب عليه رفعه أو إتلافه، أو إزالة اسم الله تعالى منه، فهذا من احترام أسماء الله سبحانه وتعالى.

٣-ومن إكرامها أن لا تسمى بها مخلوقاته.

٤-ومن إكرامها أن لا نكذب بها ولا نتأولها بإبطال معانيها.

وقوله: "**وتغيير الاسم لأجل ذلك**"، أي: إذا سمي شيء من المخلوقات باسم من أسماء الله الخاصة به، كـ "الله" أو "الرحمن" أو ما أشبه ذلك من أسمائه الخاصة به التي لا يسمى بها غيره، فإنه يجب تغيير الاسم احتراما لأسماء الله. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، للعبري حفظه الله ص: ٧٦٦-٧٦٧]

وقال ابن الهمام الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٦٨١ هـ): "تكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش". [فتح القدير، ١/١٧٣، ط. دار الكتب العلمية]

قال العلامة فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "ويكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على ما يفرش لما فيه من ترك التعظيم، وكذا على المحاريب والجدران لما يخاف من سقوط الكتابة، وكذا على الدراهم والدنانير". [تبيين الحقائق، ١/٥٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**". فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: **ما أحسن هذا فما لك من الولد؟** قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح. قال: **فأنت أبو شريح**"، رواه أبو داود وغيره.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**إن الله هو الحكم**" عرف الخبر وأتى بضمير الفصل فدل على الحصر، وأن هذا الوصف مختص به لا يتجاوز إلى غيره "**وإليه الحكم**" أي: منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] ، لا راد لحكمه، ولا يخلو حكمه عن حكمته. وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة، وإن لم يطلق عليه سبحانه أبو الحكم لما فيه من إيهام الوالدية والولدية، وقد غير صلى الله عليه وسلم اسم عمرو بن هشام المكنى بأبي الحكم بأبي جهل. وفي شرح السنة: الحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى، ومن أسمائه الحكم. "**فلم تكنى أبا الحكم؟**" أي: فلأي شيء وبأي سبب من أنواع الكنية تكنى بأبي الحكم؟ "**قال: إن قومي**" : استئناف تعليل "**إذا اختلفوا في شيء**": وصاروا فرقتين مختلفتين وكاد أن يقتتلا "**أتوني فحكمت بينهم**" أي: بأي نوع من الحكم "**فرضي كلا الفريقين بحكمي**" أي: لمراعاتي الجانبين والعدل بين الخصمين، وحصول الصلح من الطرفين. "**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا**" أي: الذي ذكرته من الحكم بالعدل، أو من وجه التكنية وهو الأولى، وأتى بصيغة التعجب مبالغة في حسنه، لكن لما كان فيه من الإيهام ما سبق في الكلام أراد تحويل كنيته إلى ما يناسبه في المرام، فقال:

إذا كان الأمر كذلك "**فما لك من الولد؟**" : وأغرب المظهر في قوله: ما للتعجب، يعني: الحكم بين الناس حسن، ولكن هذه الكنية غير حسنة، وتبعه الطيبي فقال: ولما لم يطابق جواب أبي شريح قال له صلى الله عليه وسلم على ألطف وجه وأرشقه ردا عليه ذلك: ما أحسن هذا، لكن أين ذلك من هذا؟ فاعدل عنه إلى ما هو يليق بحالك من التكني بالأبناء، وهو من باب الرجوع والتنبيه على ما هو أولى به وأليق بحاله. "**قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله**" : ظاهر الترتيب المقتضي لعقله أنه قدم الأكبر فالأكبر، لكن الواو لدلالته على مطلق الجمع كان غير صريح في المدعى "**قال: ومن أكبرهم**" : في شرح السنة: فيه أن الأولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها.

"**قال**" أي: هانئ "**قلت: شريح**" أي: أكبرهم "**قال: فأنت أبو شريح**" أي: رعاية للأكبر سنا، فصار ببركته صلى الله عليه وسلم أكبر رتبة، وأكثر فضلا، فإنه من أجلة أصحاب علي رضي الله عنه وكان مفتيا في زمن الصحابة، ويرد على بعضهم، وقد ولاه علي رضي الله عنه قاضيا. [مرقاة المفاتيح، ٣٠٠٣/٧-٣٠٠٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**رواه أبو داود وغيره**"، أي رواه أبو داود ٣٠٩/٧، رقم (٤٩٥٥)، والنسائي ٢٢٦/٨، رقم (٥٣٨٧)، والبخاري في الأدب المفرد، ص: ٢٨٧، رقم (٨١١) وغيره.

الباب السابع والأربعون

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه "قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه".

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول".

قال علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ): "عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله: أن كل من قال قولا لزم منه استنقاص بالدين، أو استهانة به، أو بما هو مضاف إليه مما هو مضاف إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه يكفر؛ حتى لو قال للمسجد: مسيجد ، وللفقيه فقيه، أو استهان بالعلم أو بأهله، أو بالصالحين، أو استهزأ بالصلاة أو بأهلها، فإنه يكفر في جميع ذلك، ولم يخالفه أحد في جميع ذلك". [الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ص: ١٧٤-١٧٥]

وقال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "أن الدور والارتفاع وضرب الرجل لعب واللعب حرام، وكلمة التوحيد قرآن، وجعل اللعب مقارنا إلى القرآن تخفيف بالقرآن، والتخفيف بالقرآن كفر.

وذكر في "**الخلاصة**": "من وصف الله تعالى بما لا يليق به، أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر وعده أو وعيده يكفر". [الرسالة منيرة ١٥٧/٥، ضمن مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا]

وقال ابن نجيم رحمه الله تعالى (المتوفى : ٩٧٠هـ): "ويكفر إذا أنكر آية من القرآن، أو سخر بآية منه إلا المعوذتين، ففي إنكارهما اختلاف، والصحيح كفره". [البحر الرائق، ٤٨٠/١٣]

وقال شيخي زاده رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٧٨ هـ): "إذا أنكر آية من القرآن واستخف بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يعظم في الشرع أو عاب شيئا من القرآن أو خطئ أو سخر بآية منه كفر إلا المعوذتين ففي إنكارهما اختلاف والصحيح كفره.

وفي فصول العمادية: "إذا قرأ القرآن على دق الدف والقصب يكفر"...

والحاصل أن من استعمل كلام الله تعالى في بدل كلامه هازلا كفر ". [مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٥٠٧/٢]

وجاء في (الفتاوى البزازية، ٣٣٨/٣): إدخال القرآن في المزاح، والدعابة كفر؛ لأنه استخفاف به.

وجمع محمد بن إسماعيل الرشيد الحنفي أقوال الأحناف في هذه المسألة، فكان مما أورده:

"وفي الخلاصة: من قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب يكفر، وكذا من لم يؤمن بكتاب من كتب الله تعالى، أو جحد وعدا أو وعيدا مما ذكره الله تعالى في القرآن، أو كذب شيئا منه.

وفي يتيمة الفتاوى: من استخف بالقرآن، أو بالمسجد، أو بنحوه مما يعظم في الشرع كفر.

وفي جواهر الفقه: من قيل له: ألا تقرأ القرآن، أو ألا تكثر قراءته؟ فقال: شبعت أو كرهت، أو أنكر آية من كتاب الله، أو عاب شيئا من القرآن، أو أنكر المعوذتين من القرآن غير مؤول كفر.

وفي الفتاوى الظهيرية: من قرأ آية من القرآن على وجه الهزل يكفر. [ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "من قرأ آية من القرآن على وجه الهزل يكفر، لأنه تعالى قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطارق: ١٣ – ١٤]. [منح الروض الأزهر في شرح فقه الأكبر، ص: ٤٥٨]

وفي فوز النجاة: "من قال لآخر: أجعل بيته مثل ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ [الطارق]؟ يكفر، لأنه يلعب بالقرآن". [المصدر السابق، ص: ٤٥٩]

وفي التتمة: "من أهان الشريعة أو المسائل التي لابد منها، كفر". [المصدر السابق، ص: ٤٧٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥]".

قال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ ﴾ يا محمد، أي المستهزئين بالقرآن وبك ما هذا الكلام الذي تتحدثون، وذلك حين ساروا إلى غزوة تبوك مع النبي عليه السلام، وكانوا بين يديه يقولون: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات! فيضحكون، فاطلع الله نبيه على ما قالوا، فقال احبسوا الركب فجاءهم، فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: يا نبي الله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، فقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ ﴾ من استهزائهم ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ ﴾ أي نتحدث

ونقطع الطريق كراكبي السفر ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهم ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ ثم اعتذروا عن فعلهم القبيح فقال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ﴾ أي لا تظهروا عذركم الكاذب فانه لا ينفعكم بعد ظهور سركم ﴿ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ في السر ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ في العلانية، فقيل: فيه دليل على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ بالتوبة وبترك الاستهزاء بالإخلاص ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ في الدنيا أو في الآخرة ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ ﴾ أي بسبب كونهم ﴿ مُجْرِمِينَ ﴾ [٦٦] أي مستهزئين من غير توبة، قرئ بالنون في الفعلين وكسر الدال ونصب «طائفة» مفعولا، وبالياء في الأول والتاء في الثاني مجهولين ورفع «طائفة» لإسناد الفعل إليه". [عيون التفاسير، ٢/١٤٥-١٤٦]

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ عما قالوه ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوته إلى تبوك إذ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون: أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه الصلاة و السلام على ذلك فقال: احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قلتم: كذا وكذا قالوا: يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله : فأنا رأيت الرجل متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب، ورسول الله عليه الصلاة و السلام يقول ما أمره الله تعالى به في قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

وجاء في بعض الروايات أن هذا المتعلق عبد الله بن أبي رأس المنافقين. وهل أنكروا ما قالوه واعتذروا بهذا العذر الباطل أو لم ينكروه وقالوا ما قالوا فيه خلاف والإمام على الثاني وهو أوفق بظاهر النظم الجليل.

وأصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث وإذاء.

وأرادوا إنما نلعب ونتلهى لتقصر مسافة السفر بالحديث والمداعبة كما يفعل الركب ذلك لقطع الطريق ولم يكن ذلك منا على طريق الجد والاستفهام للتوبيخ وأولى المتعلق إيذانا بأن الاستهزاء واقع لا محالة لكن الخطاب في المستهزأ به أي قل لهم غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم قد استهزأتم بمن لا يصح الاستهزاء به وأخطأتم مواقع فعلكم الشنيع الذي طالما ارتكبتموه ومن تأمل علم أن قولهم السابق في سبب النزول متضمن للاستهزاء المذكور ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ﴾ أي لا تشتغلوا بالاعتذار وتستمروا عليه فليس النهي عن أصله لأنه قد وقع، وإنما نهوا عن ذلك لأن ما يزعمونه معلوم الكذب بين البطلان والاعتذار.

قيل: إنه عبارة عن محو أثر الذنب من قولهم : اعتذرت المنازل إذا درست لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه واندراسه.

وقيل: هو القطع ومنه يقال للقلفة عذرة لأنها تعذر أي تقطع وللبكارة عذرة لأنها تقطع بالافتراع، ويقال: اعتذرت المياه إذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمي عذرا والقولان منقولان عن أهل اللغة وهما على ما قال الواحدي متقاربان قد كفرتم أي أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة و

السلام والطعن فيه بعد إيمانكم أي إظهاركم الإيمان وهذا وما قبله لأن القوم منافقون فأصل الكفر في باطنهم ولا إيمان في نفس الأمر لهم.

واستدل بعضهم بالآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك". [روح المعاني، ١٠/١٣٠-١٣١]

دلت الآيتان على كفر من استهزأ بالله أو آياته أو برسوله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة- دخل حديث بعضهم في بعض- أنه "قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه".

قوله: "**عن ابن عمر**": هو عبد الله.

وقوله: "**ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة**": والثلاثة تابعيون؛ فالرواية عن ابن عمر مرفوعة، وعن الثلاثة الآخرين مرسلة.

قوله: "**دخل حديث بعضهم في بعض**": أي: إن هذا الحديث مجموع من كلامهم، وهذا يفعله بعض أئمة الرواة كالزهري وغيره، فيحدثه جماعة بشأن قصة من القصص، كحديث الإفك مثلا،

فيجمعون هذا ويجعلونه في حديث واحد، ويشيرون إلى هذا، فيقولون -مثلا-: دخل حديث بعضهم في بعض، أو يقول: حدثني بعضهم بكذا، وبعضهم بكذا، وما أشبه ذلك.

قوله: "**في غزوة تبوك**": تبوك في أطراف الشام، وكانت هذه الغزوة في رجب حين طابت الثمار، وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة نحو ثلاثين ألفا، ولما خرجوا رجع عبد الله بن أبي بنحو نصف المعسكر، حتى قيل: إنه لا يدرى أي الجيشين أكثر: الذين رجعوا، أو الذين ذهبوا؟

مما يدل على وفرة النفاق في تلك السنة، وكانت في السنة التاسعة، وسببها أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن قوما من الروم، ومن متنصرة العرب يجمعون له، فأراد أن يغزوهم صلى الله عليه وسلم ؛ إظهارا للقوة، وإيمانا بنصر الله عز وجل.

قوله: "**ما رأينا**": تحتمل أن تكون بصرية، وتحتمل أن تكون علمية قلبية.

قوله: "**مثل قرائنا**": المفعول الأول، والمراد بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قوله: "**أرغب بطونا**": المفعول الثاني؛ أي: أوسع، وإنما كانت الرغبة هنا بمعنى السعة؛ لأنه كلما اتسع البطن رغب الإنسان في الأكل.

قوله: "**ولا أكذب ألسنا**": الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، والألسن: جمع لسان، والمراد: ولا أكذب قولا، واللسان يطلق على القول كثيرا في اللغة العربية؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ أي: بلغتهم.

قوله: "**ولا أجبن عند اللقاء**": الجبن: هو خور في النفس، يمنع المرء من الإقدام على ما يكره؛ فهو خلق نفسي ذميم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه١؛ لما يحصل فيه من الإحجام عما ينبغي الإقدام إليه؛ فلهذا كان صفة ذميمة، وهذه الأوصاف تنطبق على المنافقين لا على المؤمنين، فالمؤمن يأكل بمعي واحد: ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث

لنفسه، والكافر يأكل بسبعة أمعاء، والمؤمن أصدق الناس لسانا، ولاسيما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فإن الله وصفهم بالصدق في قوله: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

والمنافقون أكذب الناس؛ كما قال الله فيهم: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم الكذب من علامات النفاق، والمنافقون من أجبن الناس، قال تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤]، فلو سمعوا أحدا ينشد ضالته؛ لقالوا: عدو، عدو، وهم أحب الناس للدنيا؛ إذ أصل نفاقهم من أجل الدنيا، ومن أجل أن تحمى دماؤهم وأموالهم وأعراضهم.

قوله: "**كذبت**": أي: أخبرت بخلاف الواقع، وفي ذلك دليل على تكذيب الكذب مهما كان الأمر، وأن السكوت عليه لا يجوز.

قوله: "**ولكنك منافق**": لأنه لا يطلق هذه الأوصاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجل تسمى بالإسلام إلا منافق، وبهذا يعرف أن من يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر؛ لأن الطعن فيهم طعن في الله ورسوله وشريعته.

فيكون طعنا في الله؛ لأنه طعن في حكمته، حيث اختار لأفضل خلقه أسوأ خلقه.

وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم أصحابه، والمرء على دين خليله، والإنسان يستدل على صلاحه أو فساده أو سوء أخلاقه، أو صلاحها بالقرين.

وطعنا في الشريعة: لأنهم الواسطة بيننا وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في نقل الشريعة، وإذا كانوا بهذه المثابة؛ فلا يوثق بهذه الشريعة.

قوله: "**فوجد القرآن قد سبقه**": أي: بالوحي من الله تعالى، والله عليم بما يفعلون، وبما يريدون، وبما يبيتون، قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨].

قوله: "**وقد ارتحل، وركب ناقته**": الظاهر أن هذا من باب عطف التفسير؛ لأن ركوب الناقة هو الارتحال.

قوله: "**كأني أنظر إليه**": كأن إذا دخلت على مشتق؛ فهي للتوقع، وإذا دخلت على جامد؛ فهي للتشبيه، وهنا دخلت على جامد، والمعنى: كأنه الآن أمامي من شدة يقيني به.

قوله: "**بنسعة**": هي الحزام الذي يربط به الرحل.

قوله: "**والحجارة تنكب رجليه**": أي: يمشي والحجارة تضرب رجليه، وكأنه – والله أعلم – يمشي بسرعة، ولكنه لا يحس في تلك الحال؛ لأنه يريد أن يعتذر.

قوله: "**وما يزيده عليه**": أي: لا يزيده على ما ذكر من توبيخ؛ امتثالا لأمر الله عز وجل، وكفى بالقول الذي أرشد الله إليه نكاية وتوبيخا. [القول المفيد، ٢/٢٧٣-٢٧٧]

دل الحديث المتضمن الآية على كفر من استهزأ بالله أو كتابه أو رسوله.

الباب الثامن والأربعون

قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾

فصلت: ٥٠

باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: "هذا بعملي، وأنا محقوق به".

وقال ابن عباس: "يريد من عندي".

وقوله: "إنما أوتيته على علم عندي" قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل" وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف".

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله (المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر.

فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رض ي الله عنك وسخط على صاحبيك".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال بعضهم: ﴿ هَٰذَا لِي ﴾ ، أي: أعطانيه من خير علمه مني.

وجائز أن يكون ما ذكرنا أنهم كانوا يتطيرون بالرسل عند البلاء والشدة، والسعة يرونها من أنفسهم؛ حيث قال: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١]. . . الآية.

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ .

كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عملوا في الدنيا، ثم يقولون: ولئن كان يذكر محمد من البعث والجزاء للأعمال والجنة؛ إن ذلك لنا دونهم، وهو قوله: ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ ،

أي: إن رجعت إلى ربي على ما يقوله محمد: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهو على ما قالوا في الدنيا: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف: ١١] لما رأوا السعة لأنفسهم في الدنيا دون المؤمنين؛ فعلى ذلك في الآخرة قالوا لنا دونهم، والله الهادي.

ثم أخبر تعالى عما ينزل بهم بأعمالهم في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾، أي: ننبئنهم بخبر ما عملوا؛ لأن ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا بمن يذيقهم العذاب الغليظ". [تفسير الماتريدي، ٩٧/٩]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ يعني: أصبناه عافية منا، وغنى، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ يعني: من بعد شدة أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ يعني: أنا أهل لهذا، ومستحق له. ويقال: أنا أحق بهذا. ويقال: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ يعني: ما أحسب القيامة كائنة، ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ يعني: الجنة ولئن كان يوم القيامة، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلي الجنة.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: لنخبرنهم، ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ من أعمالهم الخبيثة، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ يعني: لنجزينهم، ﴿مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ يعني: عذاب شديد لا يفتر عنهم". [بحر العلوم، ٣/ ٢٣٢]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أي ما أظنها تكون قائمة ﴿

﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ كما يقول المسلمون ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ ﴾ عند الله ﴿ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أي الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ فلخبرهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد لا يفتر عنهم". [تفسير النسفي، ٣/ ٢٤١-٢٤٢]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**) **في تفسير قوله تعالى**:

"﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ ﴾ أي آتيناه ﴿ رَحْمَةً ﴾ أي سعة وعافية ﴿ مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ أي شدة أصابته ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ أي أنا مستحق له بعلمي وعملي أو هذا لي لا يزول عني البتة ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كزعم محمد ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ فرضا ﴿ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أي الجنة، يقوله استهزاء بالبعث فقال تعالى ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي لنخبرنهم ﴿ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ من الأعمال الخبيثة ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم ﴾ أي لنجزينهم ﴿ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [٥٠] أي شديد لا يفتر عنهم". [عيون التفاسير، ٤/ ٧١]

دلت الآية على أن نسبة النعم إلى غير الله كفر بها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا ..." الخ.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠١٤ هـ**):

"عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى**» منصوبات على البدلية من " ثلاثة " «**فأراد الله أن يبتليهم**» أي: يمتحنهم ليعرفوا أنفسهم أي: ليعرفهم الناس أو ليعلم تعالى أحوالهم علم ظهور كما يعلمها علم بطون، قال الطيبي: هو خبر إن عند من يجوز دخول الفاء في خبرها، ومن لم يجوز قدر الخبر أي: فيما أقص عليكم، فقوله فأراد تفسير للمجمل، ولو رفع " **أبرص**" وما عطف عليه بالخبرية تعين للتفسير اهـ. يعني أن رفعها بتقدير أحدهم

أبرص أو منهم أبرص «**فبعث إليهم ملكا**» أي: في صورة رجل مسكين كما دل عليه قوله الآتي في صورته وهيئته «**فأتى الأبرص فقال**» أي: الملك «**أي شيء أحب إليك**» أي: من الأحوال، "**قال: لون حسن**" كالبياض "**وجلد حسن**" أي ناعم طري "**ويذهب عني**" بالرفع كقوله أحضر الوغى، وفي نسخة علي بصيغة المجهول أي: يزول عني «**الذي قد قذرني الناس**» بكسر المعجمة أي: كرهوا مخالطتي من أجله وهو البرص "**قال**" أي: النبي "**فمسحه**" أي: الملك «فذهب عنه قذره» بفتحتين «**وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال**» أي: الملك «فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر» (شك إسحاق)، قال الطيبي: هو إسحاق بن عبد الله أحد رواة هذا الحديث، أقول: والإبل أرجح بقرينة قوله الآتي فأعطي ناقة بصيغة الجزم «**إلا أن الأبرص أو الأقرع**» استثناء من الشك «**قال أحدهما: الإبل، وقال الأخر: البقر**» أي: لم يشك إسحاق في هذا بل في التعيين؛ قاله الطيبي "**قال**" أي: النبي "**فأعطي**" أي: طالب الإبل لا الأبرص كما جزم به ابن حجر "**ناقة عشراء**" بضم العين وفتح الشين والمد: التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم أطلق على الحامل مطلقا "**فقال**" أي: الملك «**بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن**» بفتح العين وتسكن «**ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، قال: وأعطي شعرا حسنا، فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر**» بالنصب والرفع «**به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا**». قيل: هي التي عرف منها كثرة النتاج وقيل: الحامل "**فأنتج**" بصيغة الفاعل من الإنتاج، قال الطيبي: هكذا الرواية ومعناه تولي الولادة والمشهور نتج والناتج للإبل كالقابلة للنساء، وقال ابن حجر: أي: استولد الناقة والبقرة "**هذان**" أي: الأبرص والأقرع "**وولد**" فعل ماض معلوم من التوليد بمعنى الإنتاج "**هذا**" أي: الأعمى "**فكان لهذا**" أي: للأبرص «**واد من الإبل ولهذا**» أي: للأقرع «**واد من البقر ولهذا**» أي: للأعمى «**واد من الغنم**»، "**قال**" أي: النبي صلى الله عليه وسلم "**ثم أنه**" أي: الملك «**أتى الأبرص في صورته**» أي: التي جاء الأبرص عليها أول مرة "**وهيئته**"، قال الطيبي: ولا يبعد أن يكون الضمير راجعا إلى الأبرص لعله يتذكر حاله ويرحم عليه بماله،

والأول أظهر في الحجة عليه حيث جاءه في صورته التي تسبب في جماله وحصول كثرة ماله "**فقال**" أي: له "**رجل مسكين**" أي: أنا "**قد انقطعت بي الحبال**" أي: الأسباب "**في سفري**"، قال الطيبي: الباء للتعدية، قال السيد جمال الدين: فيه تأمل لأن المعنى لا يساعد التعدية، والأصوب أن يقال بالباء بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] اهـ. والأظهر أن الباء للسببية والملابسة كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] والحبال بكسر المهملة بعدها موحدة جمع الحبل وهو العهد والزمان والوسيلة وكل ما ترجو فيه خيرا أو فرجا أو تستدفع به ضررا والحبل هاهنا السبب، فكأنه قال: انقطعت بي الأسباب، وفي شرح الشيخ ابن حجر العسقلاني أي: الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق، ولبعض رواة مسلم "**الحيال**" بالمهملة والتحتانية جمع حيلة أي: لم تبق لي حيلة، ذكره السيد جمال الدين وقال ابن الملك وفي بعض نسخ البخاري " الجبال " بالجيم وهو جمع جبل أي: طال سفري وقعدت عن بلوغ حاجتي "**فلا بلاغ**" أي: كفاية "**لي اليوم إلا بالله**" أي: إيجادا وإمدادا "**ثم بك**" أي: سببا وإسعادا وفيه من حسن الأدب ما لا يخفى حيث لم يقل وبك، وثم لتراخي الرتبة والتنزل في المرتبة، قال الطيبي: أمثال ذلك من الملائكة ليست إخبارا بل من معاريض الكلام كقول إبراهيم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩] اهـ. وكقولهم: " ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [ص: ٢٣] " الآية.

"**أسألك**" أي: مقسما عليك أو متوسلا إليك «**بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال**» أي: الإبل "**بعيرا**" مفعول أسألك أي: أطلب منك بعيرا «**أتبلغ به في سفري**» أي إلى مقصودي أو وطني «**فقال: الحقوق كثيرة**» أي: حقوق المال كثيرة علي ولم أقدر على أدائها أو حقوق المستحقين كثيرة فلم يحصل لك البعير، وقد أراد به دفعه وهو غير صادق فيه "**فقال: إنه**" أي: الشأن "**كأني أعرفك**" ونكتة التشبيه المغالطة لتمكنه المكابرة «**ألم تكن أبرص**» ؟ أي: قد كنت أبرص "**يقذرك الناس**" بفتح الذال أي: يكرهونك ويستقذرونك وهو حال كقوله "**فقيرا**" أو هذا خبر ثان وهو الأظهر لقوله "**فأعطاك الله**" أي: مالا أو جمالا ومالا «**فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا**»

حال "**عن كابر**" أي: كبيرا أخذا عن كبير أو كبيرا بعد كبير والمعنى حال كوني أكبر قومي سنا ورياسة ونسبا وأخذا عن آبائي الذين هم كذلك حسبا، ونعم من قال من أرباب الحال:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

وهذا من باب الاكتفاء في الجواب فإنه يلزم عرفا من التكذيب في شيء تكذيبه في آخر "**فقال**" أي: الملك «**له إن كنت كاذبا**» أورد بصيغة الماضي لأنه أراد المبالغة في الدعاء عليه كذا في فتح الباري ووجهه غير ظاهر، وقيل: ذكر (إن) دون (إذا) مع أن كذبه كان مقطوعا به عند الملك لقصد التوبيخ وتصوير أن الكذب في مثل هذا المقام يجب ألا يكون إلا على مجرد الفرض والتقدير اهـ. وفيه ما فيه، والأظهر أنه عدل عن "**إذا كذبت**" إلى قوله "**إن كنت كاذبا**" بصيغة الماضي وبالوصف الدال على المتصف بالكذب غالبا للإشارة إلى أن مثل هذا يستحق الدعاء عليه، ولا يبعد أن تكون إن بمعنى إذا كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] «**فصيرك الله إلى ما كنت**» من البرص والفاقة أي: جعلك حقيرا فقيرا «**قال: وأتى الأقرع في صورته**» لم يقل هنا وهيئته اختصارا أو اكتفاء «**فقال له مثل ما قال لهذا**» أي: لهذاك «**ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت**»، قال ميرك: فإن قلت لم دخل الفاء في الجزاء وهو فعل ماض قلت هو دعاء اهـ. أي: هذا في معنى الدعاء فلذا جاز دخول الفاء وإن جعل خبرا يكون التقدير فقد صيرك الله «**قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل**» أي: مسافر «**انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال**» اعترافا وتحدثا بنعمة الله «**قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك**» بفتح الهمزة والهاء وفي نسخة بضم الهمزة وكسر الهاء أي: لا أستفرغ طاقتي "**اليوم بشيء**" أي: بمنع شيء "**أخذته لله تعالى**" كذا قاله الطيبي، ولا يخفى أن هذا المعنى لا يناسب المقام بل الأولى أن يقال معناه لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني أو تأخذه من مالي كما نقله الشيخ ابن حجر العسقلاني عن القاضي عياض، والله أعلم، ذكره السيد جمال الدين، «**قال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم**» أي: أنت ورفيقاك والمعنى اختبرتم، هل تذكرون سوء

حالتكم وشدة خدمتكم أولا وتشكرون نعمة ربكم عليكم آخرا؟ «**فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك**» بصيغة المجهول فيهما. [مرقاة المفاتيح، ٤/١٣٢٧-١٣٢٩]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري ٤/١٧١، رقم (٣٤٦٤) ومسلم ٤/٢٢٧٥، رقم (٢٩٦٤).

من فوائد الحديث:

١- إثبات معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم. **٢-** نسبة النعمة إلى غير الله كفر بها وسبب لزوالها. **٣-** نسبة النعمة إلى الله شكر لها وسبب لبقائها. **٤-** إثبات المشيئة للمخلوق ولكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته. **٥-** إثبات صفة الرضا لله تعالى. **٦-** إثبات صفة السخط لله تعالى. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٩٤]

وفيه جواز السؤال بالله لقوله: (أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن).

-أن الابتلاء يظهر الحقائق كما قال الملك (فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)، فواجب على العبد أن ينسب الفضل إلى الله من جميع الوجوه خلقا وإيجادا وفضلا وإحسانا، وأن الله مبتليه بالنعم كما يبتليه بالنقم وأن النعم منه وحده فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوفيقه. وانظر حال سليمان عليه السلام لما رأى من فضل الله قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠]، ولم يقل هذا من كرامتي أو لعلمي واستحقاقي ثم قرأ ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، بخلاف حال قارون الذي قال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

وما أجمل قول ابن القيم: "وليحذر كل الحذر من طغيان:

"أنا" ،

"ولي" ،

"وعندي"،

فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها:

إبليس

وفرعون،

وقارون،

فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليس،

و ﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون،

و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون.

وأحسن ما وضعت "أنا" في قول العبد أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف ونحوه .

"ولي"، في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل.

و"عندي" في قوله: "اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي". [خلاصة التفريد للعبري حفظه الله، ص: ٧٩٦-٧٩٧]

الباب التاسع والأربعون

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآية

باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾"، رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ ، قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا".

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ يعني: أعطاهما ﴿ صَٰلِحًا ﴾ خلقا آدميا سويا ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر جعلا له شركا بكسر الشين وجزم الراء، وقرأ الباقون

شركاء بالضم ونصب الراء. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى التسمية، وهو اسم يقوم مقام المصدر ومن قرأ بالضم فمعناه: جعلا له شركاء يعني: الشريك في الاسم، وإنما ذكر الشركاء وأراد به الشريك يعني: الشيطان. فإن قيل: من قرأ بالكسر كان من حق الكلام أن يقول جعلا لغيره شركا، لأنهما لا ينكران أن الأصل لله تعالى، وإنما جعلا لغيره شركا أي نصيبا.

قيل له: معناه جعلا له شركاء يعني: ذا شرك. فذكر الشرك والمراد به شركه كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية فضرب الله تعالى بهذا مثلا للكفار يعني: كما أن آدم وحواء أعطاهما ورزقهما فأشركوا في عبادته.

ثم نزه نفسه عن الشرك فقال تعالى: فتعالى الله عما يشركون أي هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك". [بحر العلوم، ١/ ٥٧٤-٥٧٥]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴾ أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي آتى أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي آتى أولادهما دليله ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ حيث جمع الضمير ، وآدم وحواء بريئان من الشرك ، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك ، مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها ، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزي وعبد قصي وعبد الدار". [تفسير النسفي، ١/٤٠٥]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي أعطى آدم وحواء ولدا ﴿ صَٰلِحًا ﴾ أي صحيح البدن كما طلبا ﴿ جَعَلَا ﴾ أي جعل آدم وحواء ﴿ لَهُۥ ﴾ أي لله ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ بكسر الشين، أي ذوي شرك، إذ الشرك ليس لهما أو الشرك بمعنى الإشراك، أي أحدثا إشراكا له تعالى، وقرئ شركاء جمع شريك، وأراد بلفظ الجمع الشيطان للمبالغة، يعني جعلاه شريكا له تعالى عنه ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي في الولد الذي أعطاهما بتسميته عبد الحارث من غير اعتقاد لذلك، روي: «أن إبليس خدعهما مرتين، مرة في السماء ومرة في الأرض»، وقيل: الضمير في «جعلا» وفي «آتاهما» لأولادهما، ففيه حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: فلما آتى أولادهما صالحا جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما بأن سمى بعضهم ولده عبد الشمس وبعضهم عبد العزى وبعضهم عبد يغوث أو عبد يعوق إلى غير ذلك، وهذا التأويل حسن، لأن آدم وحواء بريئان من الشرك، ويؤيد ذلك التأويل قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [١٩٠] أي الله علا وجل من أن يوصف بالشرك. [عيون التفاسير، ٢/٩٨-٩٩]

وقال العلامة إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٤٦ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠].

وقد دلت الآية على قلة وفاء الإنسان وكنوده، وكفره بالنعمة، فقد خلقه الله، ورزقه زوجا يأنس بها، وجعل بينهما مودة ورحمة، فلما قرب المخاض، دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين،

فلما رزقا الولد، أقبلا على غير الله بالخضوع والنذر، وتقديم القرابين، فمنهم من يأخذ الولد إلى قبر، ومنهم من يحمله إلى نصب، أو الأولياء المقربين، ومنهم من يقلده قلادة، ومنهم من يقيد رجله بقيد، ومنهم من يسمي ولده عبد النبي، والله غني عن عبادتهم ونذورهم، فلا يضرونه، ولا ينقصون من ملكه شيئا، ولكن على أنفسهم يجنون، ويستحقون سخط الله ولعنته". [رسالة التوحيد، ص: ١٥٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب".

وكلامه رحمه الله في كتابه "مراتب الإجماع، ص: ١٥٤".

قوله: "**حاشا عبد المطلب**"، وقد أجمع أهل العلم على تحريم كل اسم معبد لغير الله، قال ابن حزم : حاشا عبد المطلب ؛ لأنه جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (أنا ابن عبد المطلب). ومن المعلوم أن هذا شيء كان متقدماً ولا يمكن تغييره، لكن جاء في بعض الصحابة من اسمه عبد المطلب ولم يغير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه، كما غير بعض الأسماء التي هي معبدة لغير الله، قالوا: فدل هذا على أن اسم عبد المطلب مستثنى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغيره، ولكن كما هو معلوم عند التسمية يختار الاسم الذي لا إشكال فيه، وأما هذا ففيه إشكال، كيف وقد جاء فيه أنه معبد لغير الله؟ لكن كون الرسول صلى الله عليه وسلم أقره وكان في بعض أقاربه من يسمى عبد المطلب ولم يغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه، فدل على أن التسمية في ذلك جائزة، لكن الأولى خلافها، وذلك بأن يكون التعبيد لله عز وجل فقط. [شرح سنن أبي داود، لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد، ٣٨٦/١].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله ﴿ **جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا** ﴾"، رواه ابن أبي حاتم".

قوله: "**لما تغاشاها**"، أي جامعها.

قوله: "**أيل**"، أي ذكر الوعال.

قوله: "**رواه ابن أبي حاتم**"، أي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٤ رقم (٨٦٥٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

قوله: "**وله بسند صحيح**"، أي لابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٤ رقم (٨٦٥٩).

حكم شرك الطاعة: أنه من اتخاذ الأرباب من دون الله، فمن أطاع غير الله في معصية الله، أو في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه: فقد اتخذ ذلك المتبوع ربا من دون الله.

وقد جعله الله ورسوله شركا.

أما إن كان إيمانه بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا، لكنه أطاعه في معصية الله، كما يفعل المسلم فيما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. [موسوعة العقيدة، ٤/١٦٥٤]

الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة:

الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة، فشرك الطاعة قد يكون أكبر وأصغر، بخلاف الشرك في العبادة فلا يكون إلا أكبر. [خلاصة التفريد، ص: ٨١٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ ، قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا".

قوله: "**وله بسند صحيح**"، أي لابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٣ رقم (٨٦٤٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما".

أي ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره معنى قول مجاهد عن الحسن البصري وسعيد بن جبير وغيرهما.

ذكر في الباب قصة آدم وحواء، وقد اختلف في ثبوتها على قولين:

القول الأول: أنها قصة باطلة ولا تصح، وممن قال بذلك الحسن البصري وابن كثير، وعلل بعض العلماء لهذا بعلل منها:

١-أن مثل هذه الأخبار لا تتلقى إلا بالوحي، وليس لهذه القصة إسناد صحيح.

٢-أن الأنبياء معصومون من الشرك.

٣-لو كانت ثابتة فلماذا لم يذكر الله توبتهما من الشرك، والله إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ذكر توبتهم.

٤-أن فيها أن إبليس جاء إليهما، وقال: أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، وليس هذا بمدخل لمن يريد الإغواء.

٥-أن الناس حين يأتون آدم للشفاعة يعتذر بذكر ذنبه حين أكل من الشجرة، ولو ثبت وقوعه في هذا الشرك لكان أعظم، فلم لم يذكره!

٦-قال إبليس: "لأجعلن له قرني أيل..."، فإن كانا صدقاه في أنه قادر فهذا شرك في الربوبية، وإن كانا لم يصدقاه فلا يمكن أن يقبلا قوله.

٧-قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير جمع، ولو كان آدم وحواء لقال: (عما يشركان).

وهؤلاء يوجهون الآية بأن المراد: تعالى الله عما يشركون، أي: ذرية آدم وحواء.

قال الشنقيطي- وقد ذكر في الآية وجهين-: "معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١] ، أي بتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ ، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده:

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَـمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٠ - ١٩١] ، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير، والعلم عند الله تعالى". [أضواء البيان، ٢/٤٦-٤٧]

القول الثاني: أن القصة ثابتة بتعدد أسانيدها، وهؤلاء وجهوا ما وقع من آدم وحواء: بأنه تشريك في الطاعة، وكل طاعة للشيطان أو للهوى، ففيهما نوع من التشريك، ولم يقع منهما شرك أكبر ولا أصغر وليس في القصة نقص في مقام آدم وحواء، ويشهد له تفسير قتادة: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته". [بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤١٧-٤١٨]

الباب الخمسون

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ الأعراف: ١٨٠

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: "﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾: يشركون".

وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]".

الإلحاد لغة: هو الميل عن الشيء. **قال ابن فارس رحمه الله (المتوفى: ٣٩٥ هـ):** "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق(٤) والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث". [مقاييس اللغة، ٥/١٩٠]

وقال الزبيدي رحمه الله (المتوفى: ١٢٠٥ هـ): "وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء". [تاج العروس، ٩/١٣٥]

والإلحاد اصطلاحا: هو الميل عن الحق.

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "**الإلحاد:** العدول عن الحق وإدخال ما ليس فيه، وقال أهل معاني: الإلحاد في أسماء الله تعالى تسمية ما لم يسم ولم ينطق به كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم". [تبيين المحارم، ص: ٤٢٤]

وقال ابن كمال باشا الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "**الملحد:** هو من مال عن النهج المستقيم وعدل عن سنن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر ونحو من أنحاء الضلالة أي نحو كان،

من ألحد بمعنى مال، يقال: ألحد في دين الله، أي مال وعدل...وبالجملة: الملحد أوسع فرق الكفر حدا". [تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق، ٤٤٣/٥، ضمن مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا]

أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: " الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع :

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلها وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر .

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا". [بدائع الفوائد، ١٧٩/١-١٨٠]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وذلك أن رجلا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن. فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجل فقال: «ادع الله أو ادع الرحمن رغما لأنف المشركين» . ويقال: ولله الأسماء الحسنى يعني: الصفات العلى فادعوه بها. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة ومن أسمائه عز وجل الرحمن الرحيم» ...

ثم قال: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ قرأ حمزة يلحدون بنصب الياء والحاء.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء يلحدون فمن قرأ بالنصب فمعناه: وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني: يجورون ويمارون في أسمائه ويعدلون، فسموا اللات والعزى. ومن قرأ بالضم فمعناه: وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه.

وأصل الإلحاد هو الميل ولهذا سمي اللحد لحدا لأنه في ناحية". [بحر العلوم، ١/٥٦٩-٥٧٠]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والجبار والمتكبر ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ فسموه بتلك الأسماء ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخي يا رفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك". [تفسير النسفي، ١/٦٢٠]

قال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ ، قيل: تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وتعالى وعما يليق بشأنه عز شأنه أثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم التامة، وسيأتي إن شاء الله تعالى وجه آخر لذكر ذلك.

والمراد بالأسماء كما قال حجة الإسلام الغزالي وغيره الألفاظ المصوغة الدالة على المعاني المختلفة، والحسنى تأنيث الأحسن أفعل تفضيل، ومعنى ذلك أنها أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها.

وقيل : المراد بالأسماء الصفات ويكون من قولهم طار اسمه في البلاد أي صيته ونعته ، والجمهور على الأول لقوله عز اسمه: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ لأنه إما من الدعوة بمعنى التسمية كقولهم : دعوته زيدا أو بزيد أي سميته أو من الدعاء بمعنى النداء كقولهم : دعوت زيدا أي ناديته ، وعلى التقديرين إنما يلائم ظاهر المعنى الأول على ما قيل.

﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل يقال : ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه ، وقرأ حمزة هنا وفي [فصلت: ٤٠] «يلحدون» بالفتح من الثلاثي والمعنى واحد ، وروى أبو عبيدة عن الأحمر أن ألحد بمعنى مارى وجادل ، ولحد بمعنى مال وانحرف ، واختار الواحدي قراءة الجمهور قال : ولا يكاد يسمع لأحد بمعنى ملحد ، والإلحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسدا كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة ، وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال : يلحدون بها ، وما قيل : إنه أريد بالأسماء التسميات فلذا ترك الإضمار ليس بشيء ، ومن فسر الإلحاد في الأسماء بما ذكر ذهب إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية يراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع فكل اسم ورد في هذه الأصول جاز إطلاقه عليه جل شأنه وما لم يرد فيها لا يجوز إطلاقه وإن صح معناه". [روح المعاني، ١١٢/٥-١١٣]

وقال أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ): "...عن ابن مسعود، قال: كنت مستندا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر- قرشي

وثقفيان، أو ثقفي وقرشيان- كثير لحم بطونهم؛ قليل عفة قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمعه، وإذا لم نرفع لم يسمع، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣] فهذا هو الإلحاد في الصفات. وأنت تعلم أن ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الإلحاد في الأسماء والصفات فوق ما كان عليه أهل الجاهلية، فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ومنهم من قال: ليس لله صفات قامت به، ومنهم من قال: صفاته ليست عين ذاته ولا غيره، ومنهم من قال: إن صفاته غيره، ومنهم من قال: إن الله لم يتكلم بالكتب التي أنزلها، وأثبتوا له الكلام النفسي، وأنه لم يكلم أحدا من رسله، إلى غير ذلك من الإلحاد الذي حشوا به كتبهم ملؤوها من الهذيان، وظنوا أن الآية مختصة بأهل الجاهلية، وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها. ومن بصره ونور قلبه، أعرض عن أخذ عقائده من كتب هؤلاء الطوائف، وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على نصوص الكتاب والسنة". [فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص: ٢٣٤-٢٣٥].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: " ﴿ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾: يشركون".

روى هذا الأثر ابن أبي حاتم عن قتادة في تفسيره ٥/١٦٢٣ رقم (٨٦٨٦)، ولم يروه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وقوله: "**وعنه**": أي: ابن عباس رضي الله عنهما.

تسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز نوع من أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٢٣، رقم (٨٥٨٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

"**الأعمش**" هو سليمان بن مهران الكوفي الفقيه ثقة حافظ ورِع مات سنة ١٤٧هـ رحمه الله.

قوله: "**يدخلون فيها ما ليس منها**"، أي يسمون الله بما لم يسم نفسه ولم يسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٢٣، رقم (٨٥٨٧).

الباب الحادي والخمسون

لا يقال: السلام على الله

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يقال: السلام على الله".

قال العيني الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "وجه النهي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فمن هذا الوجه لا يوجه القول بالسلام على الله". [البناية شرح الهداية، ٢/٢٦٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١/٢١٢، رقم (٨٣٥)، ومسلم رحمه الله في باب التشهد في الصلاة، ٥٥-(٤٠٢).

قوله: "**في الصلاة**"، أي في التشهد.

قوله: "**السلام على الله**"، والسلام مصدر بمعنى السلامة، واسم من أسمائه، وصف به مبالغة في كونه سليما من النقائص، أو إعطائه السلامة،... والسلام على الله، بمعنى الاعتراف بسلامته تعالى من كل نقص، فـ"على" فيه، بمعنى (اللام) .

قوله: "**السلام على فلان وفلان**"، يعنون الملائكة.

قوله: "**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**"، أي: "لأن معنى السلام عليك هو الدعاء بالسلامة من الآفات، أي: سلمت من المكاره أو من العذاب، وهذا لا يجوز لله تعالى، فإن الله هو السلام، أي: هو الذي يعطي السلام لعباده، فأنى يدعى له وهو المدعو على الحالات؟

وورد في الدعاء: اللهم أنت السلام أي المختص به لا غيرك لتعريف الجزأين الدال على الحصر، ومنك السلام، أي: حصوله لا من غيرك، وإليك يعود السلام، أي: ما صدر من غيرك من السلام، فإنما لهم صورة، وأما حقائقه فراجعة إليك". [مرقاة المفاتيح، ٧٣١/٢]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**لا تقولوا: السلام على الله**"؛ يعني: قول الرجل للرجل: السلام عليك، معناه: أنت آمن من شري، وهذا اللفظ لا يجوز أن يقال لله؛ لأنه منزه عن أن يلحقه ضرر.

قوله: "**فإن الله هو السلام**"؛ يعني: هو الذي يخلص عبادَه ويحفظهم عن الآفات، ولا تصل إليه آفة وضرر. [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٥٦/٢]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "معنى (السلام): هو الدعاء بالسلامة من آفات الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا لا يجوز لله". [شرح المصابيح، ٢٣/٢]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " وحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر التسليم على الله وعلمهم أن ما يقولونه عكس ما يجب أن يقال فإن كل سلامة ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها. **وقال الخطابي**: المراد أن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا السلام على الله فإن السلام منه بدىء وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافة السلام إليه، أنه ذو السلام من كل نقص وآفة وعيب. ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة عن الآفات والمهالك.

وقال النووي: معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى يعني السالم من النقائص وقيل المسلم أولياءه وقيل المسلم عليهم. **وقال ابن الأنباري**: أمرهم أن يصرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة وغناه سبحانه وتعالى عنها". [عمدة القاري، ١١٠/٦]

وأفاد الحديث أن السلام على الله ناف للتوحيد؛ وذلك أن السلام دعاء بالسلامة من العيوب والنقائص، والله منزه عن ذلك. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٠٩]

الباب الثاني والخمسون

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكره له**" .

ولمسلم: "**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى" **باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت**". أي ما جاء في النهي عن الاستثناء في الدعاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكره له**". ولمسلم: "**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله ٧٤/٨ رقم (٦٣٣٩)، ومسلم رحمه الله ٢٠٦٣/٤، رقم (٩/٢٦٧٩).

قوله: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت**..."،

قال المظهري الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): " نهى عن قول: (**إن شئت**) في الدعاء؛ لأن هذا شك في قبول الدعاء، ولأن لفظ يشأ، فإذا قلت: (إن شئت) جعلته مخيرا، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى، فإنه لا حكم لأحد عليه، وليس لأحد أن يكرهه، بل هو فعال لما يريد، فكيف يجوز أن يقال: (إن شئت)، بل يعزم السائل مسألته، وليسأل من غير شك وتردد، بل ليكن مستيقنا في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخل عنده، وقدير لا يعجز عن شيء.

قوله: "**لا مكره**"؛ يعني: لا يقدر أحد أن يكرهه على أمر، ولا حكم لأحد عليه، بل يفعل ما يشاء، فإذا لم يكن له مكره، ولم يكن لأحد عليه حكم، فلا يجوز أن يقال له: اغفر لي إن شئت.

قوله: "**لا يتعاظمه شيء أعطاه**": الضمير في (أعطاه) يرجع إلى (شيء)؛ يعني: لا يعظم عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات والمعدومات في أمره يسير، يقال: تعاظم زيدا هذا الأمر؛ أي: كبر عليه وعسر عليه. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/١١٩-١٢٠]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت"؛ لأن هذا شك في قبول الدعاء، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى؛ لأنه كريم وقدير.

"**وليعزم مسألته**" أي: ليقطع وليجزم فيها من غير شك وتردد بالإجابة.

"**أنه**": بفتح الهمزة في الرواية المعتبرة: مفعولا له للعزم؛ أي: لأنه "يفعل ما يشاء"، أو مفعولا به للمسألة؛ أي: ليعزم مسألته فعل ما يشاء.

"**لا مكره له**"؛ أي: لا يقدر أحد أن يكرهه على فعل أمر وتركه، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

"وفي رواية: ولكن ليعزم وليعظم الرغبة؛ فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه"؛ أي: لا يعظم ولا يكبر عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات والمعدودات في أمره يسير. [شرح المصابيح، ٣/٦٩-٧٠]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**لا مكره له**) : أي: لله على الفعل أو لا يقدر أحد أن يكرهه على فعل أراد تركه، بل يفعل ما يشاء فلا معنى لقوله: إن شاء؛ لأنه أمر معلوم من الدين بالضرورة، فلا حاجة إلى التقييد به، مع أنه موهم لعدم الاعتناء بوقوع ذلك الفعل أو لاستعظامه على الفاعل على المتعارف بين الناس، والله أعلم". [مرقاة المفاتيح، ٤/١٥٢٤]

دل الحديث على تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة لأن ذلك يشعر بضعف الافتقار إلى الله وذلك مناف للتوحيد. [الجديد، ص: ٤١١]

الباب الثالث والخمسون

لا يقول: عبدي وأمتي

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**" .

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب لا يقول: عبدي وأمتي".

أورد المؤلف هذا الباب في كتابه "كتاب التوحيد" لأنه كتاب جامع ذكر فيه التوحيد، وذكر فيه ما يكون من كماله وتمامه، وذكر ما ينافيه ويضاده، وذكر ما يكمله، وذكر ما ينافي كماله.

وهذا باب مما ينافي كمال التوحيد فلهذا ذكره "باب لا يقول: عبدي وأمتي" ، يعني: لا يقول العبد عندما يخاطب جاريته أو غلامه بعبدي وأمتي، تأدبا مع الله عز وجل، بل يقول: فتاي وفتاتي وغلامي وخادمي، ونحو ذلك، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله، هذا من باب كمال التأدب مع الله عز وجل والاعتراف بأنه سبحانه هو المالك لكل شيء وهو رب كل شيء سبحانه وتعالى، بخلاف ما إذا قيل: عبد فلان، أو إماء فلان، فهذا ليس من باب الإضافة إلى نفسه، بل من باب الإخبار، وهو أسهل. [شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالى ص: ٤٢٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٣/١٥٠ رقم (٢٥٥٢) ومسلم رحمه الله ٤/١٧٦٥ رقم (٢٢٤٩).

قوله: "**ربك**": الرب هو الخالق المربي المتصرف، وهو من الأسماء الخاصة بالله إذا قطع عن الإضافة.

قوله: "**سيدي**": السيد هو المقدم في قومه ومنه المالك؛ لأنه مقدم على مملوكه.

قوله: "**مولاي**": المولى هو كثير التصرف.

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: (**أطعم**) بفتح الهمزة أمر من الإطعام، (**وربك**) منصوب مفعوله.

قوله: (**وضيء**) ، أمر بمن: وضأه يوضئه.

قوله: (**اسق**) ، بكسر الهمزة: أمر من سقاه يسقيه، تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج.

قوله: (**وليقل سيدي ومولاي**)، وقال الكرماني: السياق يقتضي أن يقال: سيدك ومولاك، لتناسب: ربك.

قلت: الأول خطاب للسادات. والثاني: للمماليك. أي: لا يقول السيد المملوك: أطعم ربك، إذ فيه نوع من التكبر، ولا يقول العبد أيضا لفظا يكون فيه نوع تعظيم له، بل يقول: أطعمت سيدي ومولاي ونحوه.

قلت: روى مسلم والنسائي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في ذا الحديث نحوه، وزاد: "**ولا يقل أحدكم مولاي، فإن مولاكم الله**".

قلت: اختلفوا في هذه الزيادة على الأعمش، منهم من ذكرها، ومنهم من حذفها، وقال عياض: حذفها أصح، وقال القرطبي: المشهور حذفها، قال: وإنما صرنا إلى الترجيح للتعارض مع تعذر الجمع وعدم العلم بالتاريخ.

وسبب النهي عن قول: أطعم ربك، ونحوه ما ذكرناه في أوائل الكتاب.

وقال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لأحد غير الله: رب، كما لا يجوز أن يقال: إله.

قلت: النهي عند الإطلاق، وأما الإضافة فيجوز، كما في ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] ونحو ذلك، ويحتمل أن يكون النهي للتنزيه، وما ورد من ذلك فلبيان الجواز.

وقيل: هو مخصوص بغير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد ما في القرآن، إذ المراد النهي عن الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة.

فإن قلت: ذكر قوله: (**أطعم ربك، وضيء ربك، اسق ربك**) ، أمثلة تدل على التخصيص أم لا؟

قلت: لا، وإنما ذكرت دون غيرها لغلبة استعمالها في المخاطبات.

قوله: (**ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي**) ، زاد مسلم في روايته، من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: (**كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله**) ، فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى العلة، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله عز وجل، ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه.

قوله: (**وليقل: فتاي وفتاتي**) ، زاد مسلم: وجاريتي، فأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يؤدي المعني مع السلامة من التعاظم، لأن لفظ: الفتى والغلام، لا يدل على محض الملك كدلالة العبد، فقد كثر استعمال الفتى في الحر، وكذلك الغلام والجارية، وقال النووي: المراد بالنهي من استعمله على جهة التعاظم لا من أراد التعريف. [عمدة القاري، ١٣/١١٢-١١٣]

وقال الخطابي: لا يقال أطعم ربك، لأن الإنسان مربوب مأمور بإخلاص التوحيد وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم. وأما غيره من سائر الحيوان والجماد فلا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الدابة". [عمدة القاري، ١٣/١١١]

وفي الحديث النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الباب الرابع والخمسون

لا يرد من سأل بالله

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**". رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب لا يرد من سأل بالله". هذا الباب في النهي عن رد من سأل بالله.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**من استعاذكم بالله فأعيذوه**"، و (استعاذ): إذا طلب أحد أن يدفع عنه شرا، و (أعاذ): إذا دفع عنه الشر الذي يطلب منه دفعه؛ يعني: إذا طلب أحد منكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله، مثل أن يقول: يا فلان! بالله عليك أن تدفع عني شر فلان وإيذاءه، أو احفظني من شر فلان، فأجيبوه واحفظوه؛ لتعظيم اسم الله.

قوله: "**ومن صنع إليكم معروفا**"؛ أي: من أحسن إليكم إحسانا.

"**فكافئوه**"؛ أي: فأحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم، (المكافأة) مهموز باللام: مثل المجازأة.

قوله: "**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**"؛ يعني: فإن لم تجدوا من المال ما تكافئوه فكافئوه بالدعاء.

قوله: "**حتى تروا أن قد كافأتموه**"؛ يعني: كرروا الدعاء له حتى تعلموا أن قد أديتم حقه.

وقد جاء في حديث آخر: "**من صنع إليه معروف، فقال: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء**".

فبدليل هذا الحديث من قال لأحد: جزاك الله خيرا مرة واحدة فقد أدى حقه، وإن كان حقه كثيرا.

وكانت عادة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذا دعا لها السائل أن تجيبه بمثل ما يدعو لها السائل، ثم تعطيه من المال ما تعطيه، فقيل لها: أتعطين السائل المال وتدعين له بمثل ما يدعو لك؟ فقالت: لو لم أدع له لكان حقه بالدعاء لي أكثر من حقي بالصدقة، فأدعو له بمثل ما يدعو، حتى أكافئ دعاءه بدعائي؛ لتخلص لي صدقتي". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥٥٢/٢-٥٥٣]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**من استعاذ بالله**"؛ أي: من التجأ إليكم من شر أحد، واستغاث لديكم بالله، مثل أن يقول: بالله ادفعوا عني شر فلان وإيذاءه.

"**فأعيذوه**"؛ أي: أغيثوه وارحموه؛ تعظيما لاسم الله تعالى.

"**ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا**"؛ أي: أحسن إليكم إحسانا،"فكافئوه": من المكافأة؛ أي: أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم.

"**فإن لم تجدوا ما تكافئونه** ": من المال وغير ذلك.

"**فادعوا له**"؛ أي: فكافئوه بالدعاء؛ يعني: كرروا الدعاء.

"**حتى تروا**"؛ أي: تظنوا "**أن قد كافأتموه**"، وأديتم حقه". [شرح المصابيح، ٤٩٢/٢]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى: "وهذا الحديث جامع لأنواع الخير من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب". [شرح أبي داود للعيني، ٤٢٤/٦]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**من استعاذ**" أي من سأل منكم الإعاذة مستغيثا "**بالله فأعيذوه**"، قال الطيبي: أي من استعاذ بكم وطلب منكم دفع شركم أو شر غيركم عنه، قائلا: بالله عليك أن تدفع عني شرك، فأجيبوه وادفعوا عنه الشر، تعظيما لاسم الله تعالى، فالتقدير من استعاذ منكم متوسلا بالله مستعطفا به، ويحتمل أن تكون الباء صلة استعاذ، أي من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له، بل أعيذوه وادفعوا عنه، فوضع أعيذوا موضع ادفعوا ولا تتعرضوا مبالغة "**ومن سأل بالله فأعطوه**" أي تعظيم لاسم الله وشفقة على خلق الله، "**ومن دعاكم**" أي إلى دعوة "**فأجيبوه**" أي إن لم يكن مانع شرعي "**ومن صنع إليكم معروفا**" أي أحسن إليكم إحسانا قوليا أو فعليا "**فكافئوه**" من المكافأة أي أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم، لقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧] "**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**" أي بالمال، والأصل تكافئون فسقط النون بلا ناصب وجازم إما تخفيفا أو

سهوا من الناسخين، كذا ذكره الطيبي والمعتمد الأول لأن الحديث على الحفظ معول، ونظيره: كما تكونو يول عليكم، على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة، "**فادعوا له**" أي للمحسن يعني فكافئوه بالدعاء له "**حتى تروا**" بضم التاء أي تظنوا وبفتحها أي تعلموا أو تحسبوا "**أن قد كافأتموه**" أي كرروا الدعاء حتى تظنوا قد أديتم حقه". [مرقاة المفاتيح، ٤/١٣٥٥]

قوله: "**رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح**"، أي رواه أبو داود ٢/٥٢ رقم (١٦٧٤)، و ٤/٤٨٩ رقم (٥١١١)، والنسائي ٥/٨٢ رقم (٢٥٦٧).

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ):

"**السؤال قسمان:**

أحدهما: جائز.

والآخر: غير جائز،

ومما يدل على الأول قوله صلى الله عليه وسلم: "**للسائل حق وإن جاء على فرس**".

وفي رواية: "**ردوا السائل ولو بظلف محرق**"، ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه، والإعطاء إعانة.

والحاصل أن السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح لضرورة أو حاجة مهمة قريبة إلى الضرورة، وإن كان عنه بد فهو حرام. وإنما كان الأصل فيه الحرمة، لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

الأول: إظهار الشكوى، كما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله شنيعا على سيده، فكذا سؤال العبد شنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا للضرورة، كما لا تحل الميتة إلا ضرورة.

والثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى بل عليه أن يذل لمولاه، فإن فيه عزة، والإذلال لغير الله تعالى لا يجوز إلا للضرورة.

والثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبا، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع منه ربما استحى وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة...

ضعف بعض الفقراء من الجوع، فقيل له: لِـم لا تسأل، والسؤال عليك الآن حلال؟!

فقال: أخاف أن أسأل الناس فيردوني محروما مع قدرتهم على الإعطاء، فيهلكهم الله تعالى، فينبغي للعاقل أن لا يرد سائلا ولو بشيء قليل خيفة أن يكون صادقا في سؤاله فيهلك الراد محروما له". [تبيين المحارم، ص: ٧٠٥ وما بعدها]

الباب الخامس والخمسون

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" . رواه أبو داود.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة".

معنى السؤال:

قال ابن فارس: "السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالا ومسألة. ورجل سؤلة: كثير السؤال". [مقاييس اللغة، ٣/٩٥]

وقال الرازي: "السؤل ما يسأله الإنسان وقرئ ﴿ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦] بالهمز وبغيره و سأله الشيء وسأله عن الشيء سؤالا و مسألة وقوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: ١] أي عن عذاب واقع قال الأخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال يسأل والأمر منه سل ومن الأول اسأل ورجل سؤلة بوزن همزة كثير السؤال و تساءلوا سأل بعضهم بعضا". [مختار الصحاح، ١ / ٣٢٦]

وقال المناوي: "السؤال طلب الأدنى من الأعلى". [التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٤١٧]

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "السؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة ، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد. إن قيل كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة ومعلوم أن الله تعالى يسأل عباده نحو ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، قيل إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالا عن المعرفة، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت كقوله

تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨] ولتعرف المسئول. والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار، تقول سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: ١]. وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن نحو ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢] ويعبر عن الفقير إذا كان مستدعيا لشيء بالسائل نحو: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ١٠] وقوله: ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩] ". [المفردات، ص: ٢٥٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" . رواه أبو داود.

قوله: " **لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): " هذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه: لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله، مثل أن تقولوا لأحد: يا فلان! أعطني شيئا بوجه الله، أو بالله؛ فإن اسم الله تعالى أعظم من أن يسأل به شيء من متاع الدنيا لأحد، بل اسألوا به الجنة، مثل أن تقولوا: بالله، ويا ربنا نسألك الجنة بوجهك الكريم.

والأمر الثاني: أن يكون معناه: لا يسأل الله شيئا من متاع الدنيا، بل اسألوا الله الجنة ورضاه؛ فإن متاع الدنيا لا قدر له". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥٥٣/٢-٥٥٤]

وقال الطيبي رحمه الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "وفي الوجهين نظر". [الكاشف عن حقائق السنن، ١٥٦٧/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "لا ينبغي أن يقال: يا فلان! أعطني شيئا بوجه الله أو بالله؛ فإن اسمه أعظم أن يسأل به متاع الدنيا، بل اسألوا به الجنة، مثل أن تقول: يا ربنا! نسألك الجنة بوجهك الكريم". [شرح المصابيح، ٤٩٣/٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "أي لا يسأل بوجه الله شيء إلا الجنة، مثل أن يقال: اللهم إنا نسألك بوجهك الكريم أن تدخلنا جنة النعيم، ولا يسأل روي غائبا نفيا ونهيا ومجهولا، ورفع الجنة، ونهيا مخاطبا معلوما مفردا، ونصب الجنة، قال الطيبي: أي لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله، مثل أن تقولوا: أعطني شيئا بوجه الله أو بالله، فإن اسم الله أعظم من أن يسئل به متاع الدنيا، بل اسألوا به الجنة، أو لا تسألوا الله متاع الدنيا بل رضاه والجنة". [مرقاة المفاتيح، ١٣٥٥/٤]

وقال أبو الحسن السندي الحنفي رحمه الله تعالى (١١٣٨ هـ): " قوله: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**"؛ إذ كل شيء حقير دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب فصار التوسل به تعالى فيها مناسب، والله تعالى أعلم. [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٢٥٨/٢]

قوله: "**بوجه الله**"، فيه إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ): "له يد ووجه ونفس بلا كيف". [الفقه الأكبر]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): " [وله] أي لله سبحانه [يد ووجه ونفس] أي كما يليق بذاته وصفاته [فما ذكر الله في القرآن من ذكر الوجه] أي كقوله تعالى: ﴿

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٩١]

وقال الشيخ سليمان رحمه الله تعالى: "وفيه إثبات الوجه خلافا للجهمية ونحوهم فإنهم أولوا الوجه بالذات، وهو باطل إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجها، فلا يسمى الإنسان وجها ولا تسمى يده وجها، ولا تسمى رجله وجها، والقول في الوجه عند أهل السنة كالقول في بقية الصفات، فيثبتونه لله على ما يليق بجلاله وكبريائه من غير كيف ولا تحديد، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل". [التيسير، ص: ٥٩٤]

قوله: "**رواه أبو داود**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب "كراهية المسألة بوجه الله تعالى"، ١٢٦/٢ رقم (١٦٧١).

وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى أنه قال: "يعجبني أن السائل إذا سأل لوجه الله تعالى لا يعطى له شيء لأن الدنيا خسيس فإذا سأل لوجه الله تعالى فقد عظم ما حقره الله تعالى فلا يعطى له زجرا". [فتاوى قاضيخان، ١٥٨/٣]

قال ابن عابدين رحمه الله: "(قوله سأل) أي طلب من شخص شيئا من الدنيا الحقيرة (قوله يعجبني أن لا يعطيه شيئا) محمول على ما إذا لم يعلم ضرورته.

أقول: وليتأمل المنع مع ما ذكره شيخ مشايخنا الجراحي مما عند الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا**" يعني قبيحا، ولأبي داود والنسائي وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه "**من يسأل بوجه الله فأعطوه**" وللطبراني "**ملعون من سأل بوجه الله وملعون من يسأل بوجه الله فيمنع سائله**"

اه، إلا أن يحمل على السؤال من غير الدنيا أو على ما إذا علم عدم حاجته وأن سؤاله للتكثير، تأمل". [رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين الحنفي، ٣٩٧/٦]

صور السؤال بوجه الله تعالى مع بيان حكمها

١-سؤال الله بوجهه أمرا دينيا أو أخرويا وهذا صحيح.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**".

وقد قال العلماء هنا: إن وجه الله جل جلاله يسأل به الجنة ، ولا يجوز أن يسأل به غيرها إلا ما كان وسيلة إلى الجنة ، أو كان من الأمور العظيمة التي هي من جنس السؤال بالجنة ، أو من لوازم السؤال بالجنة كالنجاة من النار ، وكالتثبيت عند السؤال ، ونحو ذلك .

فالأمر المطلوب الجنة أو ما قرب إليها من قول أو عمل ، والنجاة من النار أو ما قرب إليها من قول وعمل ، فهذا يجوز أن تسأل الله جل وعلا إياه متوسلا بوجهه العظيم سبحانه وتعالى .

وأما غير الوجه من الصفات أو من الأسماء فالأدب أن لا يسأل به إلا المطالب العظيمة ، أما المطالب الوضيعة أو غيرها مما ليس بعظيم ، فلا يتوسل إليها بصفات الله الجليلة العظيمة ، بل يقال : اللهم أعطني كذا ، اللهم أسألك كذا ، والله أعلم ". [التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص: ٥٢٨]

٢-سؤال الله بوجهه أمرا دنيويا وهذا غير جائز.

وقال أبو الحسن السندي الحنفي رحمه الله تعالى (١١٣٨ هـ): " إذ كل شيء حقير دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب فصار التوسل به تعالى فيها مناسب، والله تعالى أعلم. [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٢٥٨/٢]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "من غير الجائز أن يسأل الله جل وعلا بنفسه أو بوجهه أو بصفة من صفاته أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب، فإن الله جل جلاله لا يسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة؛ بل يسأل بها أعظم المطلوب". [التمهيد، ص: ٥٢٧]

٣-سؤال غير الله بوجه الله أمرا دنيويا، وهو غير جائز.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **ملعون من سأل بوجه الله عز وجل وملعون من سئل بوجه الله عز وجل ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا**". [رواه الطبراني في كتاب الدعاء، ١/٥٨١]

ذهب بعض العلماء إلى تحريم سؤال المخلوق بوجه الله أمرا دنيويا استدلالا بهذا الحديث.

٤-سؤال غير الله بوجه الله أمرا دينيا، فهذا مشروع.

وقد جاء في الأحاديث ما يدل على جواز أن يسأل غير الله بوجه الله أمرا دينيا، كما في حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه و سلم حين أتيته فقلت والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك ولا آتى دينك وجمع بهز بين كفيه وقد جئت امرأ لا أعقل شيئا إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا؟ قال: بالإسلام قلت وما آيات الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة كل مسلم على مسلم محرم إخوان نصيران لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملا وتفارق المشركين إلى المسلمين". [مسند الإمام أحمد، ٥/٤ رقم (٢٠٠٥٥)]

الشاهد من الحديث: قوله: " وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا؟".

قوله: "أسألك بوجه الله عز وجل"، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقره عليه، فدل على أن السؤال بوجه الله عز وجل مشروع. والله تعالى أعلم. [ذخيرة العقبى، ٢٣/٨٨]

حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: تحريم رد من سأل بوجه الله، ووجوب إعطائه، ما لم يسأل ممتنعا وهو قول الحنفية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة وعد بعض الشافعية وبعض الحنابلة رد السائل بوجه الله كبيرة من الكبائر.

القول الثاني: كراهة رد من سأل بوجه الله تعالى، واستحباب إعطائه وعدم رده خائبا، وهو قول لبعض الشافعية وبعض الحنابلة. [أحكام المسألة، ص: ٢٤٢]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ألا أخبركم بشر الناس منزلا**" أي: مرتبة عند الله (قيل: نعم) أي: قالوا: بلى" قال: "**الذي يسأل بالله**" على بناء المجهول "**ولا يعطي**" بصيغة المعلوم "**به**" أي: بالله أو بهذا السؤال، قال الطيبي: الباء كالباء في كتبت بالقلم أي: يسأل بواسطة ذكر الله أو للقسم والاستعطاف أي: بقول السائل أعطوني شيئا بحق الله، وهذا مشكل إلا أن يكون السائل متهما بحق الله ويظن أنه غير مستحق، وقال ابن حجر: أي مقسما عليه بالله استعطافا إليه وحملا له على الإعطاء، بأن يقال له بحق الله أعطني كذا لله ولا يعطي مع ذلك شيئا، أي: والصورة أنه مع قدرة علم اضطرار السائل إلى ما سأله، وعلى هذا حمل قول الحليمي أخذا من هذا الحديث وغيره: إن رد السائل بوجه الله كبيرة اهـ. [مرقاة المفاتيح، ١٣٣٠/٤]

الباب السادس والخمسون

ما جاء في الـ"لو"

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في اللو**"، أي: من الوعيد والنهي عن الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر، لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات، مما لا يمكن استدراكه.

فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة. [فتح المجيد، ص: ٥٥٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (**المتوفى: ٣٧٣** هـ): "﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾ أي يقولون لو كان ديننا حقا ﴿مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾. قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه يقولون: هل لنا من الأمر من شيء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل إن الأمر كله لله. وقال الضحاك: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ يعني القدر خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بضم اللام، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالرفع جعله اسما مستأنفا، ومن نصب جعله نعتا للأمر". [بحر العلوم، ٢٥٨/١]

قال أحمد الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ٨٦٠ هـ**): "﴿ يَقُولُونَ ﴾ للنبي عليه السلام ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي أمر النصرة ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾ و«من» زائدة فيه، وهو مبتدأ، خبره «من الأمر»، و«لنا» تبيين، والجملة بدل من «يظنون» بدل اشتمال، لأن سؤالهم كان صادرا عن الظن، ويجوز أن يكون «يقولون» استئنافا ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ ﴾ بالرفع مبتدأ، خبره ﴿ لِلَّهِ ﴾ والجملة خبر «إن»، وبالنصب تأكيدا للاسم، أي جميع الأمر لله من النصرة والغلبة ولأوليائه المؤمنين، قال تعالى: وإن جندنا لهم الغالبون، فأنكروا ذلك فأخبر الله بقوله ﴿ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَ ﴾أي ما لا يظهرون من قولهم ﴿ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ كما قال محمد: إن الأمر لله ولأوليائه ﴿ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا ﴾ أي لما قتل أحد من المسلمين في هذه المعركة". [عيون التفاسير، ١/١٨٧]

فوائد الآية:

١. أن الخير والشر مقدر من الله عز وجل.

٢. أن الشدائد تظهر الحقائق.

٣. الاعتراض على القدر من علامات النفاق الاعتقادي.

٤. الأسباب لا تمنع الأقدار.

مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على تحريم الاعتراض على القدر.

مناسبة الآية للتوحيد: حيث دلت الآية على وجوب الاستسلام للقضاء والقدر؛ لأن ذلك من كمال التوحيد. [الجديد، ص: ٤٢١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ): " وقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ... ﴾. وقيل: لإخوانهم في الدين، ومعارفهم من المنافقين: ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا ﴾ ولم يخرجوا إلى الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾.

وقيل: لإخوانهم في النسب والقرابة، وليسوا بإخوانهم في الدين والولاية؛ كقوله عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا ﴾ ليس بأخيهم في الدين ولا في الولاية؛ ولكن كان أخاهم في النسب والقرابة.

قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا ﴾ وقعدوا عن الخروج في الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾ في الغزو". [تفسير الماتريدي، ٥٢٧/٢]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ): ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ من المنافقين ﴿ وَقَعَدُواْ ﴾ عن الجهاد ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا ﴾ في القعود عن الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾ أي في الغزو. ﴿ قُلۡ ﴾ لهم يا محمد ﴿ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ﴾ في حال حضر ﴿ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في مقالتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول لما نزلت هذه الآية " فادرؤوا عن أنفسكم الموت "مات يؤمئذ سبعون نفسا من المنافقين". [بحر العلوم، ٢٨٩/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه ٢٠٥٢/٤ رقم (٢٦٦٤).

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز"؛ أي: عن العمل بما أمرت، ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة، بل كمال الإيمان أن ينتفع أحدهما بالآخر.

"**وإن أصابك شيء**" مما تكرهه "**فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله**"؛ أي: كذا وكذا؛ أي: كان ذلك بتقدير الله ومشيئته، "**وما شاء الله فعل**"، لا مرد له، ومعناه: لا تنازع القدر ولا تتأسف على الفائت.

"**فإن لو**"؛ أي لفظة (لو) "**تفتح عمل الشيطان**"؛ أي: تقع فاتحة كلام يفضي إلى عمل الشيطان؛ لأن التكذيب بالقدر وعدَم الرضا بصنع الله من عمل الشيطان، قيل: النهي عن تلفظ (لو) إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأما قوله صلى الله عليه وسلم في قلب الحج إلى العمرة: "لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي" فليس من هذا القبيل، وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم، وتحريضهم على التحلل من أعمال الحج إلى أعمال العمرة". [شرح المصابيح، ٤٣٦/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**احرص**" : بكسر الراء، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ [النحل: ٣٧] وفي نسخة بفتحها، ففي القاموس: حرص كضرب وسمع، والمعنى كن حريصا "**على ما ينفعك**" أي: من أمور الدين "**واستعن بالله**" أي: على فعلك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله "**ولا تعجز**" بكسر الجيم، ومنه قوله تعالى جل جلاله: أعجزت وفي نسخة بالفتح ففي القاموس: عجز كضرب وسمع أي: ولا تعجز عن الحرص والاستعانة، فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطيك قوة على طاعته إذا استقمت على استعانته، وقيل: معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت، ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة به، فإن كمال الإيمان أن يجمع بينهما.

قال الطيبي رحمه الله: يمكن أن يذهب إلى اللف والنشر، فيكون قوله "احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد" بيانا للقوي "**ولا تعجز**" بيانا للضعيف "**وإن أصابك شيء**" أي: من أمر دينك أو دنياك "**فلا تقل لو أني فعلت**" أي: كذا وكذا "**كان**" أي: لصار "**كذا وكذا**" : فإن هذا القول غير سديد، ومع هذا غير مفيد فإنه قال تعالى جل شأنه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١] وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: "**ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**". وقد قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] "**ولكن قل**" أي: بلسان القال أو لسان الحال. "**قدر الله**": بتشديد الدال أي: قل قدر الله، ويجوز

تخفيفها. أي: قل قدر الله كذا وكذا. أي: وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره. "**وما شاء**" أي: الله فعله "**فعل**": فإنه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، "**فإن لو**" أي: كلمة الشرط أو إن "**تفتح عمل الشيطان**".

قال الشاطبي رحمه الله: ولم ولو وليت تورث القلب انفلاقا.

قال بعض شراح المصابيح، أي: أن قول "لو" واعتقاد معناها يفضي بالعبد إلى التكذيب بالقدر، أو عدم الرضا بصنع الله ؛ لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد، قال: لو فعلت كذا لم يكن كذا، وقد قدر في علم الله أنه لا يفعل إلا الذي فعل، ولا يكون إلا الذي كان، وقد أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله قبل ذلك، ولكن قدر الله وما شاء فعل،

ولم يرد كراهة اللفظ بـ"لو" في جميع الأحوال وسائر الصور، وإنما عنى الإتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتأسف على ما فاته من أمور الدنيا، وإلا فقد ورد في القرآن مثل: ﴿ لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] . وفي الحديث: "**لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت**" لأنه لم يرد به منازعة القدر.

وقال القاضي رحمه الله: قوله: "**فإن لو تفتح**" أي: لو كان الأمر لي وكنت مستبدا بالفعل والترك كان كذا وكذا، فيه تأسف على الفائت، ومنازعة للقدر وإيهام بأن ما كان يفعله باستبداده، ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر إليه من حيث أن "لو" تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيما مضى، ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث فسخ الحج إلى العمرة "**ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت**" ليس من هذا القبيل، وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة.

وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله، وقال القاضي عياض رحمه الله: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأما "**قول أبي بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا**" ، فهذا لا حجة فيه، لأنه إنما أخبر عن مستقبل، وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذا**" وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر، فلا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل

لولا المانع وعما هو في قدرته، وأما الماضي فليس في قدرته، وأما معنى قوله: فإن لو تفتح عمل الشيطان، أنه يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وقد جاء استعمال "**لو**" في الماضي كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي**"، فالظاهر إنما ورد فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم، وأما من قاله متأسفا على ما فات من طاعة الله أو هو معتذر من ذلك فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر استعمال "**لو**" الموجودة في الأحاديث. [مرقاة المفاتيح، ٣٣١٨/٨-٣٣١٩]

دل الحديث على تحريم الاعتراض على القدر.

الباب السابع والخمسون

النهي عن سب الريح

باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**" . صححه الترمذي.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب النهي عن سب الريح".

قال الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠ هـ): "الريح: ياؤها واو، صيرت ياء لانكسار ما قبلها، وتصغيرها: رويحة، وجمعها: رياح وأرواح". [العين، ٢٩٢/٣]

وقال الجوهري رحمه الله (المتوفى: ٣٩٣ هـ): " والريح: واحدة الرياح والأرياح، وقد تجمع على أرواح، لأن أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها". [الصحاح، ٣٦٧/١]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الريح من روح الله". [رواه أبو داود، ٤٢٦/٧ رقم (٥٠٩٧)]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: (الريح من روح الله تعالى)؛ أي: من رحمة الله تعالى...

والريح كيف تكون من رحمة الله تعالى مع أنه تجيء بالعذاب؟

جواب هذا الإشكال: أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم؛ فذلك العذاب يكون رحمة للمؤمنين خلصوا من أيدي الكفار الذين أهلكوا بالريح.

ويحتمل أن تكون (الريح) هنا مصدرا بمعنى الفاعل كـ (عدل) بمعنى (العادل)، وحينئذ يكون معناه: من رائح الله؛ أي: من الأشياء التي تجيء من حضرة الله بأمر الله كالمطر والحرارة والبرودة وغير ذلك، فتارة تجيء للراحة بأمر الله، وتارة تجيء للعذاب بأمر الله تعالى، فإذا كان مجيئها بأمر الله، فلا يجوز سبها بأن يلحق منها ضرر إلى أحد، بل ليتوب ذلك الأحد؛ بل جميع الناس إلى الله تعالى، ويستعيذون به من عذابه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٧٨/٢]

وقال السندي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٣٨ هـ): "الريح" من روح الله، "الروح" بالفتح بمعنى النفس والفرح والرحمة، فإن قلت: كيف يكون الريح من رحمته تعالى مع أنها تجيء بالعذاب؟، قلت: إذا كان عذابا للظلمة يكون رحمة للمؤمنين، وأيضا الروح بمعنى الرائح، أي: الجائي من حضرته تعالى بأمره تارة للكرامة وأخرى للعذاب، "فلا تسب" بل تجب التوبة عندها؛ ولأنها تأديب والتأديب حسن ورحمة". [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٦٧٤/٤]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "والريح من أعظم منن الله تعالى على عباده، وعن كعب الأحبار لو حبس الله تعالى الريح عن عباده ثلاث أيام لأنتن أكثر أهل الأرض. وفي بعض الآثار: أن الله تعالى خلق العالم وملأه هواء ولو أمسك الهواء ساعة لأنتن ما بين السماء والأرض. وذكر غير واحد من العلماء أنه يكره سب الريح". [روح المعاني، ١٤٥/٨]

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها الله رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء". [التيسير، ص: ٦٠٣]

وقال إسماعيل الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "قال بعض المشايخ : لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ، ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه يعلم أن الريح لا تتحرك بنفسها بل لها محرك". [روح البيان، ١٣٦/٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**". صححه الترمذي".

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**لا تسبوا الريح**" : فإن المأمور معذور.

"**فإذا رأيتم ما تكرهون**" أي: ريحا تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها، أو تأذيتم لشدة هبوبها.

"**فقولوا**" أي: راجعين إلى خالقها وآمرها.

"**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به**": على بناء المفعول.

"**ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**". [مرقاة المفاتيح، ١١١٧/٣]

قوله: "**صححه الترمذي**"، أي رواه الترمذي في سننه ٥٢١/٤ رقم (٢٢٥٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الملا علي القاري رحمه الله أيضا: " (**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح**) أي: باعتبار ذاتها، (**وخير ما فيها**) أي: باعتبار صفاتها، (**وخير ما أمرت به**) أي: من خالقها لطفا وجمالا، (**ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**) أي: من صانعها قهرا وجلالا". [الحرز الثمين للحصن الحصين، ١١٢١/٣]

الخلاصة: سب الريح لا يجوز، لأن الريح مسخرة مدبرة، وحقيقة المسبة عائدة على مدبرها وهو الله تعالى. فمسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد. [انظر: موسوعة العقيدة والأديان، ١٥٢٩/٣]

الباب الثامن والخمسون

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٤

باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر.

وفتش نفسك، هل أنت سالم.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالك ناجيا.

❁ ❁ ❁

أراد المؤلف رحمه الله بهذا الباب التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ**﴾ الآية، [آل عمران: ١٥٤].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ**﴾، قيل: يظنون بالله ألا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ذا في غير المؤمنين.

وقيل: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ**﴾ [ظنونا] كاذبة، إنما هم أهل شرك وريبة في أمر الله، يقولون: [(لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا)].

وقوله عز وجل: ﴿**يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ**﴾:

قيل: يقولون بعضهم لبعض: (هل لنا من الأمر من شيء)، يعني بالأمر: النصر والغنيمة.

وقيل: قالوا ذلك للمؤمنين.

﴿**قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾: يعني النصر والفتح كله بيد الله. ﴿**يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ**﴾: والذين يخفون قولهم: لو أقمنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا، وقيل: يقولون: ﴿**لَوْ كَانَ لَنَا**

﴿ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ ، قالوا: ليس لنا من الأمر من شيء؛ إنما الأمر إلى محمد، ولو كان الأمر لنا ما خرجنا إلى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾: قيل: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ ﴾ كما يقولون: ﴿ لَبَرَزَ ﴾ ، يعني: لخرج من البيوت ﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ ﴾ ؛ ليقتلوا.

وقيل: من كتب عليه القتل يظهر الذي كتب عليه حيث كان.

وقيل: إذا كتب على أحد القتل لأتاه، ولو كان في البيت، وكقوله: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء: ٧٨]، وقيل: متى كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا أبدا؟! وفي هذا بيان أن الآجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الأعمار: إن كان قتلا فقتل، وإن كان موتا فموت، لا على ما قالت المعتزلة: إن القتل تعجيل عن أجله المكتوب له وعليه، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾، والابتلاء هو الاستظهار؛ كقوله عز وجل: ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩] تبدي وتظهر، وذلك يكون بوجهين: يظهر بالجزاء مرة، ومرة بالكتاب، يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء، وكذلك إذا كانت سيئة، أو يعلم ذلك بالكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ ، أي: ليظهر الله للخلق ما في صدورهم مما مضى، وليجعله ظاهرا لهم.

﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ من الذنوب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " الابتلاء والتمحيص هما واحد ".

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، يقول: هو عالم بما في صدورهم من سرائرهم، ولكن يجعلها ظاهرا عندكم.

ويحتمل الابتلاء -هاهنا- الأمر بالجهاد؛ ليعلموا المنافق منهم من المؤمن، والله أعلم. [تفسير الماتريدي المسمى بـ "تأويلات أهل السنة" ٢/ ٥١٠-٥١٢]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ في حكم المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي النصر والغلبة ﴿ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ ولأوليائه المؤمنين وإن جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للأمر ولله خبر إن كله بصري وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبران ﴿ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ خوفا من السيف ﴿ يَقُولُونَ ﴾ في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أي قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ أي علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم ﴿

﴿ لَبَرَزَ ﴾ من بينكم ﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾ مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بخفياتها". [مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٠٣-٣٠٤)]

دلت الآية على تحريم سوء الظن بالله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ [الفتح: ٦]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ وظنهم ترك التصديق بالله تعالى ورسوله، مخافة ألا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [الفتح: ١٢] .

ثم قال: ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ يعني: عاقبة العذاب والهزيمة ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ ﴾ في الدنيا ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ ﴾ في الآخرة ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴾ يعني: بئس المصير الذي صاروا إليه". [بحر العلوم، ٢/٣١٢]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَيُعَذِّبَ ﴾ عطف على «ليدخل»، أي الفتح والمغفرة لك لعذب ﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ من أهل المدينة ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ منهم، والمراد من ظن ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ ظنهم ترك الإيمان بالله ورسوله مخافة أن لا ينصرف محمد عليه السلام ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ﴾ المذمة ﴿ ٱلسَّوْءِ ﴾ بالضم والفتح، أي عاقبة العذاب الشديد والهزيمة، قيل: "السوء" بالفتح غالب فيما يراد ذمه من كل شيء، "والسوء" بالضم الشر الذي هو نقيض الخير ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي انتقم منهم بالهزمية ﴿ وَلَعَنَهُمْ ﴾ في الدنيا بالقتل والطرد من الرحمة ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ جهنم في الآخرة ﴿ وَسَآءَتْ ﴾ جهنم ﴿ مَصِيرًا ﴾ [٦] أي مرجعا ومقاما لهم يصيرون إليه في الآخرة. [عيون التفاسير، ٤/١٢٥]

وقال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ صفة لطائفتي أهل النفاق وأهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والإضافة فيه كالإضافة في سيف شجاع من حيث أن المضاف إليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الأمر السوء وهو أن الله لا ينصر رسوله ولا يرجعهم إلى مكة فاتحين والى المدينة سالمين كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسل والمؤمنون إلى أهليهم أبدا...

وفي التأويلات النجمية: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ في ذاته وصفاته بالأهواء والبدع وفي أفعاله وأحكامه بالظلم والعبث". [روح البيان، ٩/١٤]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٢٥ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ يعنى ظانين أن الله لا ينصر رسوله والمؤمنين ولا يرجع النبي عليه السلام إلى المدينة سالما أو أن له تعالى شريكا، فالمفعولان محذوفان وقوله: ﴿ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ أي ظن الأمر السوء منصوب على المصدرية والسوء عبارة عن رداة الشيء وفساده يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ جملة دعائية يعنى يجعل الله عليهم دائرة الهلاك والعذاب لا يتخطاهم أو دائرة ما يظنون ويتربصون بالمؤمنين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الأصل مصدران- ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ ﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ جهنم". [تفسير المظهري، ٩/٥]

فوائد الآية:

١. المنافقون أشد خطرا على المسلمين من الكفار.

٢. تحريم سوء الظن بالله.

٣. من أسلوب القرآن تقديم الرجل على المرأة في الخطاب.

٤. سوء الظن بالله من علامات النفاق الاعتقادي.

٥. إثبات صفة الغضب لله عز وجل على وجه يليق بجلاله.

٦. جواز لعن الكفار على سبيل العموم.

٧. إثبات أن النار موجودة الآن. [الجديد، ص: ٤٢٩]

الباب التاسع والخمسون

ما جاء في منكري القدر

باب ما جاء في منكر القدر

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا فليس مني**" .

وفي رواية لأحمد: "**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**".

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**".

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم" حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في منكر القدر".

معنى القدر لغة وشرعا

والقدر: بالفتح، وتسكن ما يقدره الله تعالى من القضايا. [مرقاة المفاتيح، ١٤٧/١]

القدر: وهو مصدر قدر يقدر قدرا، وقد تسكن داله، ومنه ليلة القدر التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى، ومنه حديث الاستخارة: "**فاقدره لي**". [مرقاة المفاتيح، ٩٨٦/٣]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"الإيمان بالقدر هو التصديق بأن ما قدره الله في أزله لابد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه، فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه، لا خالق سواه، ولا محدث إلا إياه، خلق الخلق وصنعتهم وأوجد قدرتهم وحركتهم". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٨٦]

مراتب القدر

للقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب جل جلاله بالأشياء قبل كونها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في إثبات هذه المرتبة: "وكان الله عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦]

وقال رحمه الله أيضا: "ويعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا، ويعلم كيف يكون فناؤه...

يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال إيمانه من غير أن يتغير علمه وصفته". [المصدر السابق، ص: ١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

وقال رحمه الله أيضا: "وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه". [المصدر السابق، ص: ٣١]

وقال رحمه الله أيضا: "وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه". [المصدر السابق، ص: ٣٢]

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في تقرير هذه المرتبة: "ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦-١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه". [العقيدة الطحاوية، ص: ٣٢]

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦-١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن ". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

المرتبة الرابعة: خلقه لها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦]

وقال رحمه الله أيضا: "وكان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق". [المصدر السابق، ص: ١٨]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "خالق بلا حاجة... خلق الخلق بعلمه". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: " واعلم: أن الإيمان بالقدر على قسمين:

أحدهما: الإيمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر، وما يجازون عليه، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

ثانيهما: أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان، وهذا القسم تنكره القدرية كلهم، والأول لا ينكره إلا قليلون، وكفرهم بإنكاره كثيرون، ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم، وإلا كفروا كما نص عليه الشافعي وأحمد وغيرهما". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩٠]

وقال رحمه الله أيضا: "روي أنه كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم يسأله عن القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن بن علي رضي الله عنه: "من لم يؤمن بقضاء الله، وقدره، خيره وشره، فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وأن الله تعالى لا يطاع استكراها، ولا يعصى بغلبة لأنه تعالى مالك لما ملكهم وقادر على ما أقدرهم عليه، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا، فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك، ولو أجبر الله الخلق على الطاعة، لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزا في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم، والسلام". [مرقاة المفاتيح، ١/٥٩-٦٠، والمبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩٢-١٩٣]

وقال رحمه الله أيضا: "ثم اعلم بأن الإيمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق، لأن إتيان المقدورات وأحكامها المختلفة على ما هو حقها في أزمنة وأمكنة مخصوصة يدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدر لها.

ويستلزم أيضا العلم بصفاته، كسعة علمه ورحمته على العالمين، وآثار قدرته وأنوار حكمته للمخلوقين، ونفوذ قضائه فيهم مطيعين أو مكرهين، والعلم بكمال صنعه وأفعاله العلية وأن الحوادث مستندة إلى الأسباب الإلهية". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله تعالى: "هذا الذي قاله بن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية .

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات، قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة.

قال غيره ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة، فيكون من قبيل كفران النعم إلا أن قوله "**ما قبله الله منه**" ظاهر في التكفير، فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم لا يقبل عمله لمعصيته، وإن كان صحيحا كما أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة غير محوجة إلى القضاء عند جماهير العلماء، بل بإجماع السلف، وهي غير مقبولة، فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا والله أعلم". [شرح النووي على مسلم، ١/١٥٦]

وقال محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: "أن ابن عمر رضي الله عنهما يرى أن المكذب بالقدر كافر لا تقبل منه النفقة، حيث قال: "لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر". [التعليق على صحيح مسلم، ١/٨٧]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى، وكذب بالقدر، نقض التوحيد". [القدر للفريابي، ص: ١٤٣]

وقال الحسن البصري رحمه الله: "من كفر بالقدر، فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله خلق خلقا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء بقدر، والعافية بقدر". [القدر للفريابي، ص: ١٨٨]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "أي: يؤمن بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، بحيث لا يخطر بقلبه شك وتردد في شيء منها، فمن شك في شيء منها فهو كافر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/٤٠]

قوله: " **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "و(الإيمان): من الأمن وسكون النفس وزوال الخوف عن القلب، (أمن زيد): إذا زال عنه الخوف، وزال عن قلبه التحرك والقلق الذي كاد عليه من الخوف، و (آمن زيد عمرا) على وزن أفعل: إذا أزال عنه الخوف، وأسكن قلبه عن التحرك من الخوف، و (المؤمن): اسم فاعل منه، وهو: الذي أمن قلبه؛ أي: جعل قلبه ساكنا مطمئنا بما أخبره المخبر من غير أن يجعل للشك أو التردد في قلبه سبيلا.

وإنما يكون الإيمان ثابتا في قلب المؤمن إذا حصل له يقين بما أخبره المخبر، واليقين ضد الشك والظن، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من ظن أو شك فيما أخبر به المخبر، فليس بمؤمن البتة، ومن ضرورة تصديق المخبر قبوله جميع أوامر الشارع ونواهيه عن الطوع والرغبة، ومن ترك مأمورا أو فعل منهيا فانظر، فإن كان تركه المأمور وفعله المنهي عن تكذيبه المخبر في ذلك فهو كافر، وإن ترك المأمور تكاسلا، وهو يعلم أنه حق، فليس بكافر، ولكنه عاص مستحق للعقوبة؛ إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عاقبه، وكذا فعل المنهي.

وأما الأشياء الستة التي أخبر رسول الله عليه السلام جبريل:

فأحدها: الإيمان بالله، ومعنى الإيمان بالله: أنك تعتقد أن الله تعالى قديم أزلي أبدي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]، وليس القديم إلا ذاته وأسماؤه وصفاته، وما سوى الله وأسمائه وصفاته فهو مخلوق خلقه الله.

والثاني: الإيمان بملائكته، وهو: أن يعتقد أن الملائكة عباد الله، يعبدونه ولا يشركون به شيئا، ولا يعصونه لحظة، ولا يفترون عن عبادته لمحة، ومن قال: ليس لله ملائكة، فهو كافر، ومن قال: الملائكة موجودون، ولكنهم بنات الله، فهو كافر أيضا، بل هم روحانيون مخلوقون، ولا يأكلون ولا يشربون، وهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فهم يهلكون بأمر الله تعالى، ويعودون إلى ما كانوا قبل الهلاك من الحال، كما أن الإنس والجن وغيرهم يحشرون.

والثالث: الإيمان بكتبه، وهو: أن يعتقد أن جميع ما أنزل على رسله من الكتب كلام الله القديم غير مخلوق، وصار جميعها منسوخا بحكم الله تعالى إلا القرآن، فإنه محكم لا ينسخ إلى يوم القيامة؛ لأنه لا نبي بعد محمد عليه السلام.

ومن رأى كتابا من كتب الله غير القرآن فلا يجوز أن ينظر إليه بالحقارة، فإن حقر منها شيئا صار كافرا، بل يجب إعزازها وإكرامها؛ لأنها كتب الله، ولكن لا يجوز العمل بها، فهل يجوز إتلافها أم لا؟ فانظر؛ إن كان لحربي، يجوز إتلافها عليه، كما يجوز إتلاف سائر أمواله وقتل نفسه، وإن كان لذمي، لا يجوز إتلافه عليه، كما لا يجوز قتل الذمي ولا إتلاف ماله؛ لأن كتبهم مال كما أن مصحف القرآن عندنا مال؛ يباع ويشترى، وطريق إتلاف كتب الحربي بغسلها؛ لأنه ليس فيه تحقير، وأما التحريق بالنار فالأدب أن لا يحرق، فإن حرق لم يأثم في أصح القولين.

والرابع: الإيمان برسله، وهو: أن يعتقد أن جميع رسل الله مبعوثون إلى الخلق بالحق، والإيمان بهم واجب، وهم خير البشر، وأدنى الأنبياء خير من أكمل الأولياء.

وقولنا: (أدنى الأنبياء) أردنا به: أن الأنبياء بينهم تفاوت، فبعضهم أفضل من بعض، كما قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ولا يجوز لأحد أن يفضل نبيا على نبي من تلقاء نفسه؛ لأن فضل أحد على أحد شيء لا يعلمه أحد إلا أن ينبئه الله تعالى في كلامه أو يبينه الرسول عليه السلام، فما وجدنا في القرآن والحديث من فضل نبي على نبي نقول به، وما لم نجده لا نقول به، بل نقول: لا نفرق بين أحد من رسله، ولكن يجوز أن نقول: الرسول خير من النبي، ونبينا محمد خير من جميع الرسل والنبيين.

والخامس: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان به: أن يعتقد أن الله يبعث الخلق بعد الموت، ويقفهم في عرصات يوم القيامة، ويضع الميزان، ويحاسب الخلق بالحق، ولا يظلم أحدا؛ فبعضهم يدخلهم الجنة بفضله، وبعضهم يدخلهم النار بعدله.

والسادس: **الإيمان بالقدر خيره وشره**، ومعنى القدر: ما قدر الله تعالى وقضى به، فالمسلمون به على طوائف في القدر؛ فطائفة تقول: كل ما يجري في العالم من الأقوال والأفعال والحركات والسكنات كلها بقضاء الله تعالى وقدره، لا اختيار للعباد فيه، وسمي هذه **الطائفة: جبرية**، ومعنى الجبر: القهر والإكراه على الفعل، يقولون: أجرى الله تعالى على عباده أفعالهم وأقوالهم بغير اختيار منهم فيها وهذا المذهب باطل، فإن قالوا هذا القول؛ ليسقطوا عن أنفسهم التكليف، ويشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان الخطاب بهم، فقد كفروا بهذا القول، وهذا القول مفض إلى إبطال الكتب والرسل؛ لأنه إذا لم يكن للعباد اختيار فلا يكونون مكلفين، ومجيء الكتب والرسل إلى غير المكلف غير صواب، وإن قالوا هذا القول لا عن اعتقاد إبطال الكتب والرسل، بل لتعظيم الله وتحقير أنفسهم وعجزهم عن دفع قضاء الله، فليسوا بكافرين بهذا القول، ولكن صاروا مبتدعين فاسقين؛ لأنهم خالفوا الإجماع في الاعتقاد.

والطائفة الثانية: القدرية، وهم يقولون: إن ما يجري في العالم من الأفعال والأقوال، من الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والعصيان الاختيارية، كلها بأفعال العباد واختيارهم، لا تقدير لله تعالى فيها.

وهذا المذهب أيضا باطل؛ فإن قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى، صاروا بهذا القول كافرين؛ لأن العجز على الله تعالى غير جائز البتة، وإن قالوا هذا القول لا عن اعتقاد تجويز عجز على الله تعالى بل، عن خطأ ظنونهم واجتهاداتهم في هذا القول، ولتنزيه الله تعالى عن تقدير أفعالهم القبيحة، ولأنهم لا يجوزون أن يخلق الله تعالى فعلا قبيحا، فليسوا بكافرين بهذا القول، ولكن صاروا مبتدعين فاسقين؛ لأنهم خالفوا الإجماع، ومن هذه الطائفة قوم يقولون: الخير بتقدير الله تعالى، والشر ليس بتقديره، وهذا أيضا خطأ.

والطائفة الثالثة: هم أهل السنة والجماعة، وهم يقولون: جميع ما يجري في العالم من الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وغير ذلك، كلها بتقدير الله تعالى وقضائه، ولكن للعباد اختيارها، فالتقدير من الله، والكسب من العباد، ويخلق الله تعالى الأفعال في العباد كل فعل في الوقت الذي قدره في الأزل، والتقدير والفعل يجريان معا، لا يجري الفعل بدون تقدير الله، ولا التقدير بحصول الأفعال في العباد بدون اختيارهم واكتسابهم، فهم مثابون بالخير ومعاقبون بالشر بسبب أن لهم اختيارا في الفعل.

ومن لم يكن له اختيار كالمجنون والصبي والنائم والمغمى عليه والمكره، فهم كالمرتعش في أنه لا مؤاخذة عليهم بأفعالهم فيما هو حق الله تعالى، وأما ما هو حق العباد، كإتلاف المال وقتل النفس، فهم يؤاخذون بالغرم.

والمرتعش: هو الذي تتحرك أعضاؤه بغير اختياره من علة، والثواب والعقاب يتعلقان بما في العبد من الاختيار.

وعلة تكريره عليه الصلاة والسلام لفظة (تؤمن)، فقال: "**وتؤمن بالقدر خيره وشره**" للتأكيد؛ لأن الإيمان بالقدر أحوج إلى المبالغة فيه؛ لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ظاهر مشهور

عند المسلمين، وأما الإيمان بالقدر لا يعلمه كل أحد إلا حاذق في علوم الدين، فلأجل هذا أكد وكرر لفظة: (تؤمن) عند لفظ (القدر). [المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٤١-٤٤)]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه، في باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ٢٨/١ رقم (١٠٢).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا فليس مني**" .

قوله: "**لن تجد طعم الإيمان**": هذا يفيد أن للإيمان طعما كما جاءت به السنة وطعم الإيمان ليس كطعم الأشياء المحسوسة؛ فطعم الأشياء المحسوسة إذا أتى بعدها طعام آخر أزالها، لكن طعم الإيمان يبقى مدة طويلة، حتى إن الإنسان أحيانا يفعل عبادة في صفاء وحضور قلب وخشوع لله عز وجل فتجده يتطعم بتلك العبادة مدة طويلة؛ فالإيمان له حلاوة وله طعم لا يدركه إلا من أسبغ الله عليه نعمته بهذه الحلاوة وهذا الطعم. [القول المفيد، ٤١٨/٢]

قوله: "**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب**...".

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح، من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: "وعرشه على الماء".

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا. ولا يخلو قوله : "**أول ما خلق الله القلم**"... إلخ.

إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: "اكتب"، كما في اللفظ: "أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب" بنصب "أول" و "القلم"، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع "أول" و "القلم"، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم فيتفق الحديثان إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم وفي اللفظ الآخر: "لما خلق الله القلم قال له: اكتب"، فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير : إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١].

والقلم الثاني : قلم الوحي: وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله وأصحاب هذا القلم هم: الحكام على العالم والأقلام كلها خدم لأقلامهم وقد رفع النبي صلى الله عليه و سلم لله ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي". [شرح العقيدة الطحاوية، ٢٦٣/١]

قوله: "**فليس مني**"، **قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ)**: "**فليس مني**" تكون للزجر والوعيد، ويكون معناه: فليس من المقتدين والعاملين بسنتي. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢٤٦/١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**فليس مني**"؛ أي: من المقتدين بي والعاملين بسنتي". [شرح المصابيح، ١٥١/١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**فليس مني**)، أي: من أشياعي". [مرقاة المفاتيح، ٢٢٨/١]

وقال رحمه الله تعالى أيضا: "أي ليس هو على سنتي وطريقتي". [المصدر السابق، ١٩٣٥/٥]

وقال العلامة محمد بن صالح رحمه الله: "من مات على غير هذا فليس مني"، وهذه البراءة مطلقة؛ لأن من لم يؤمن بالقدر فهو كافر كفرا مخرجا عن الملة". [القول المفيد، ٢/٤٣٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية لأحمد: "**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**".

رواه الإمام أحمد في المسند، ٥/٣١٧ رقم (٢٢٧٥٧)، وتمام الرواية: "يا بني إن مت ولست على ذلك، دخلت النار".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**".

رواه ابن وهب في "القدر"، في باب أن أول ما خلق الله القلم، ص: ١٢١ رقم (٢٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم". حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه".

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(وعن ابن الديلمي رضي الله عنه) : هو أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو الضحاك فيروز الديلمي، ويقال له الحميري؛ لنزوله في حمير، وهو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن. قال محمد بن سعيد: ومن أهل الحديث من يقول: فيروز بن الديلمي، وهو واحد. وفد فيروز على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب المدعي للنبوة، قتله في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ووصل خبر قتله إياه إليه في مرض الموت فقال عليه الصلاة والسلام: "قتله الرجل الصالح فيروز، فاز فيروز،

فاز فيروز" ، ويقال: إن فيروز ابن أخت النجاشي، روى عن ابن الضحاك، وعبد الله، وغيرهما، توفي في خلافة عثمان، وقيل: في زمن معاوية بعد الخمسين كذا في "تهذيب الأسماء". قال ميرك شاه: هذا كلام صحيح في نفس الأمر ليس المراد من ابن الديلمي في هذا المحل هو فيروز الديلمي، بل المراد ابن الضحاك بن فيروز، وهو تابعي مقبول من أوساط التابعين، وأبوه معدود في الصحابة، وله أحاديث، ويحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن فيروز أخا الضحاك، وهو ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة، وهذا الاحتمال عندي أظهر، والله أعلم اه.

وقد ذكر المصنف في أسماء الرجال للمشكاة ابن الديلمي هو: الضحاك بن فيروز؛ تابعي حديثه في المصريين، روى عن أبيه، والديلمي بفتح الدال منسوب إلى الديلم، هو الجبل المعروف بين الناس، وفيروز بفتح الفاء، وسكون الياء تحتها نقطتان، وضم الراء، وبالزاي: (قال: أتيت أبي بن كعب) : أقرأ الصحابة رضي الله عنهم. قال المصنف: هو أبي بن كعب الأكبر الأنصاري الخزرجي، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا المنذر، وعمر أبا الطفيل، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنصار، وعمر سيد المسلمين، مات بالمدينة سنة تسعة عشر، روى عنه خلق كثير. (فقلت له) : بحكم قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] (وقد وقع في نفسي شيء من القدر) أي: حزازة، واضطراب عظيم من جهة أمر القضاء والقدر باعتبار العقل لا بموجب النقل. قال ابن حجر؛ أي: من بعض شبه القدر التي ربما تؤدي إلى الشك فيه كاعتقاد أن الإنسان يخلق فعل نفسه كما قالته المعتزلة، أو أنه مجبور على الفعل كما قالته الجبرية فكيف يعذب، وأنا أريد الخلاص منه أي: من هذا المبحث. (فحدثني) أي: بحديث (لعل الله أن يذهبه من قلبي) أي: رجاء أن يزيل ذلك مني، وقال أولا في نفسي، وثانيا من قلبي إشعارا بأن ذلك تمكن منه، وأخذ بمجامعه من ذاته، وقلبه كذا قاله الطيبي، والأظهر أن الحزازة تنشأ من الخطرات النفسية، والثبات والاطمئنان من الصفات القلبية، ثم قوله: أن يذهبه: خبر لعل أعطاه حكم عسى في دخول أن في خبره، (فقال) أي:

أبي رضي الله عنه متحريا غاية البيان الشافي، وغاية الإرشاد الوافي (لو) أي: فرض (أن الله عذب أهل سماواته) من الملائكة المقربين (وأهل أرضه) : من الأنبياء والمرسلين (عذبهم) : وفيه إشكال، ودفعه أن الشرطية غير لازمة الوقوع (وهو غير ظالم لهم) : الواو للحال لأنه متصرف في ملكه، وملكه فعذابه عدل، وثوابه فضل. قيل فيه إرشاد عظيم، وبيان شاف لإزالة ما طلب منه؛ لأنه يهدم منه قاعدة الحسن، والقبح العقليين لأنه مالك الجميع، فله أن يتصرف كيف شاء، ولا ظلم أصلا (ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) أي: الصالحة؛ إشارة إلى أن رحمته ليست بسبب من الأعمال، وإيجابها إياها إذ هي لا توجبها عليه، كيف وهي من جملة رحمته بهم، فرحمته إياهم محض فضل منه تعالى عليهم، فلو رحم الأولين والآخرين فله ذلك، ولا يخرج عن حكمة غايته أنه أخبر أن المطيعين لهم الثواب، وأن العاصين لهم العقاب كما هو مثبت في أم الكتاب، فالأمر المقدر لا يتبدل، ولا يتغير، وهذا هو الصواب في الجواب (ولو أنفقت مثل أحد) : بضمتين جبل عظيم قريب المدينة المعظمة (ذهبا) تمييز (في سبيل الله) أي: مرضاته، وطريق خيراته (ما قبلها الله) أي: ذلك الإنفاق، أو مثل ذلك الجبل (منك) : وهو تمثيل على سبيل الفرض لا تحديد؛ إذ لو فرض إنفاق ملء السماوات والأرض كان كذلك (حتى تؤمن بالقدر) أي: بأن جميع الأمور الكائنة خيرها، وشرها، وحلوها، ومرها، ونفعها، وضرها، وقليلها، وكثيرها، وكبيرها، وصغيرها، بقضائه وقدره، وإرادته وأمره وأنه ليس فيها لهم إلا مجرد الكسب، ومباشرة الفعل، والمراد هنا كمال الإيمان، وسلب القبول مع فقده يؤذن بأن المبتدعة لا تقبل لهم أعمال أي: لا يثابون عليها ما داموا على بدعتهم، ويؤيده خبر: أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته، وفيه إشعار بأن أهل البدعة ليسوا من المتقين؛ لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] وأنه لا يحبهم فإن الله يحب المتقين. (وتعلم) : تخصيص بعد تعميم (أن ما أصابك): من النعمة، والبلية، أو الطاعة، والمعصية مما قدره الله لك أو عليك (لم يكن ليخطئك) أي: يجاوزك (وأن ما أخطأك): من الخير، والشر (لم يكن ليصيبك): وهذا وضع موضع المحال كأنه قيل: محال أن يخطئك، وفيه ثلاث مبالغات: دخول أن، ولحوق اللام المؤكدة

للنفي، وتسليط النفي على الكينونة، وسرايته في الخبر، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١] ، وفيه حث على التوكل والرضا، ونفي الحول والقوة، وملازمة القناعة، والصبر على المصائب (ولو مت): بضم الميم من مات يموت، وبكسرها من مات يميت، (على غير هذا) أي: على اعتقاد غير هذا الذي ذكرت لك من الإيمان بالقدر (لدخلت النار): يحتمل الوعيد، ويحتمل التهديد، (قال) أي: ابن الديلمي (ثم أتيت عبد الله بن مسعود): صاحب السجادة، والمخدة، والنعلين، والمطهرة رضي الله عنه (فقال مثل ذلك) أي: مثل جواب أبي في سؤالي (قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان) : مر ذكره، وهو صاحب سر النبي صلي الله عليه وسلم، وأبوه اسمه حسيل بالتصغير، واليمان لقب له، وقتل بأحد شهيدا رضي الله عنهما (فقال مثل ذلك) : فالحديث من طرقهم صار موقوفا (ثم أتيت زيد بن ثابت) : أفضل كتبة الوحي، وأفرض الصحابة.

قال المصنف: هو زيد بن ثابت الأنصاري، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، كان له حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة إحدى عشرة سنة، وكان أحد فقهاء الصحابة الأجلة القائم بالفرائض، وهو أحد من جمع القرآن، وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من المصحف في زمن عثمان، روى عنه خلق كثير، مات بالمدينة سنة خمس وأربعين، وله ست وخمسون سنة. (فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك). فصار الحديث من طريقه مرفوعا. قال الطيبي: في سؤاله من الصحابة واحدا بعد واحد، واتفاقهم في الجواب من غير تغيير، ثم انتهاء الجواب إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم دليل على الإجماع المستند إلى النص الجلي، فمن خالف ذلك فقد كابر الحق الصريح. [مرقاة المفاتيح، ١/١٨٨-١٩٠]

رواه أحمد ٤٦٥/٣٥ رقم (٢١٥٨٩، ٢١٦١١)، وأبو داود ٥١/٥ رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه ٢٩/١ رقم (٧٧) .

وكل هذه الأحاديث فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر.

الباب الستون

ما جاء في المصورين

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**" ، أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**" .

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**" .

ولهما عنه مرفوعا: "**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**" .

ولمسلم عن أبي الهياج قال: "**قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته**" .

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في المصورين". أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**" ، أخرجاه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**ذهب يخلق كخلقي**"؛ أي: طفق يصور صورة يشبه صورة خلقتها؛ يعني: لا يقدر أحد أن يخلق مثل ما أخلق، فإن الخلق ليس بتصوير صورة مجردة عن الروح، بل الخلق أن يصور صورة وينفخ فيها الروح، فلا يقدر أحد على نفخ الروح في الصورة إلا الله". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٦٣-٦٤]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قال الله تعالى: ومن أظلم"، (من) هذه للاستفهام. "ممن ذهب"؛ أي: أراد وطفق "يخلق كخلقي"؛ أي: يصور صورة شبه صورة خلقتها. "فليخلقوا ذرة"، والأمر للتعجيز". [شرح المصابيح، ٨٣/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**قال الله تعالى: ومن أظلم**": أي لا أحد أظلم "**ممن ذهب**": أي أراد وطفق وشرع "**يخلق**" أي: خلقا كما في رواية "**كخلقي**" أي يصور صوره تشبه صورة خلقتها، فإن زعموا ذلك "**فيخلقوا**" أمر تعجيز "**ذرة**" أي نملة صغيرة أو هباء في هواء أو مثلهما من غير أسباب خلقتها "**ليخلقوا**" : الظاهر أن "**أو**" هذه للتنويع ويحتمل الترديد "**حبة**" أي من الحبوب "**أو شعيرة**" أي حبة خاصة و "**أو**" للتقسيم". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٢/٧]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١٦٧/٧ رقم (٥٩٥٣)، ومسلم ١٦٧١/٣ رقم (٢١١١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١٦٨/٧ رقم (٥٩٥٤) ومسلم رحمه الله ١٦٦٨/٣ رقم (٩٢/٢١٠٧).

قوله: "**يضاهئون بخلق الله**"، **قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى**: "(يضاهون) أصله: يضاهيون، فنقلت ضمة الياء إلى الهاء وحذفت الياء، لسكونها وسكون الواو؛ أي: يشابهون بالله في عمل الصور؛ يعني: التصوير لا ينبغي لأحد سوى الله تعالى، فمن صور صورة فقد ظلم نفسه واستحق العذاب". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٦٣/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: " وروي: "عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون**"؛ أي: يشابهون "**بخلق الله**"، فيفعلون ما يضاهي خلقه؛ أي: مخلوقه، أو يشبهون فعلهم بفعله في التصوير والتخليق، فإن اعتقد ذلك فهو كافر يزيد عذابه بزيادة قبح كفره، وإلا فالحديث محمول على التهديد". [شرح المصابيح، ٥/٨٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قال: **أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون**: بضم الياء وسكون الهاء والواو، وفي نسخة بكسر الهاء وضم همز قبل الواو وهما لغتان قراءتان في قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة: ٣٠] ، والأول هو زيادة الأشهر والأكثر، "**بخلق الله**": أي يشابهون عملهم التصوير بخلق الله. قال القاضي: أي يفعلون ما يضاهي خلق الله أي مخلوقه، أو يشبهون فعلهم بفعله، أي في التصوير والتخليق". [مرقاة المفاتيح، ٧/٢٨٥١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٣/٨٢ رقم (٢٢٢٥)، ومسلم رحمه الله تعالى ٣/١٦٧١ رقم (٢١١٠).

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: "**كل مصور في النار، يجعل له**"؛ أي: يخلق في القيامة "**بكل صورة**"؛ أي: بعدد كل صورة "**صورها**"، في الدنيا "**نفس، فتعذبه**"؛ أي: تلك النفس ذلك المصور "**في جهنم**". [شرح المصابيح، ٥/٨٣-٨٤]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**كل مصور**" أي فاعل صورة "**في النار يجعل**" بصيغة المفعول، وفي نسخة ببناء الفاعل على ما ضبطه النووي في شرح مسلم أي يجعل الله "**له بكل صورة صورها نفسا**" ونصبه على صيغة الفاعل ظاهر، وأما على صيغة المفعول ففي بعض نسخ المصابيح،

وهو المطابق لرواية الجامع الصغير نفس بالرفع وهو ظاهر أيضا، وأما أكثرها بصيغة المفعول ونصب نفسا، وهو المطابق لما في جامع الأصول، وأكثر نسخ المصابيح فهو مشكل، لكن توجيهه أنه أسند إلى الجار والمجرور. "**فتعذبه**" بصيغة التأنيث أي تعذبه تلك النفس، وأسند الفعل إليها مجازا ؛ لأنها السبب والباعث على تعذيبه، وفي بعض النسخ بالياء أي فيعذبه الله، وفي نسخة فيعذب به على صيغة المجهول أي بسبب تصوير تلك النفس "**في جهنم**". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٣/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عنه مرفوعا: "**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ١٦٩/٧ رقم (٥٩٦٣)، ومسلم رحمه الله تعالى ١٦٧١/٣ رقم (١٠٠/٢١١٠).

قوله: "**عنه**"، أي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٥ هـ**): " قوله: وكلف يحتمل أن يكون عطفا تفسيريا لقوله: عذب وأن يكون نوعا آخر. قوله: أن ينفخ فيها أي: أن ينفخ الروح في تلك الصورة. قوله: وليس بنافخ أي: ليس بقادر على النفخ". [عمدة القاري، ١٦٧/٢٤]

وقال رحمه الله أيضا: " وفيه: ما قاله القرطبي: يستفاد من قوله: (وليس بنافخ) جواز التكليف بما لا يقدر عليه، قال: ولكن ليس مقصود الحديث التكليف، وإنما المقصود منه تعذيب المكلف وإظهار عجزه عما تعاطاه مبالغة في توبيخه وإظهار قبح فعله". [المصدر السابق، ٤٠/١٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: " (ومن صور صورة) : أي ذات روح أو مطلقا (عذب وكلف) : أي في ذات الروح تغليظا (أن ينفخ) : أي الروح كما في رواية (فيها) : أي في تلك الصورة (وليس بنافخ)". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٤/٧]

وقال رحمه الله أيضا: "أي فيلزم أن يكون عذابه سرمدا، وهو محمول على الوعيد الشديد، أو على فرض الاستحلال". [المصدر السابق، ٢٨٥٧/٧]

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله (المتوفى: ١١٧٦هـ):

النهي عن التصاوير في الثياب والمنازل:

ومنها: صناعة التصاوير في الثياب والجدران والأنماط، فنهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، ومدار النهي شيئان:

أحدهما: أنها أحد وجوه الإِرفاه والزينة فإنهم كانوا يتفاخرون بها ويبذلون أموالا خطيرة فيها فكانت كالحرير، وهذا المعنى موجود في صورة الشجر وغيرها.

وثانيهما: أن المخامرة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح باب عبادة الأصنام وينوه أمرها ويذكرها لأهلها، وما نشأت عبادة الأصنام في أكثر الطوائف إلا من هذه، وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان ولذلك أمر بقطع رأس التماثيل لتصير كهيئة الشجر، وخف فساد صناعة صور الأشجار.

قال صلى الله عليه وسلم: "**إن البيت الذي فيه الصورة لا تدخله الملائكة**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه في جهنم**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ**".

أقول: لما كانت التصاوير فيها معنى الأصنام، وقد تحقق في الملأ الأعلى داعية غضب ولعن على الأصنام وعبدتها وجب أن يتنفر منها الملائكة، وإذا حشر الناس يوم القيامة بأعمالهم تمثل عمل المصور بالنفوس التي تصورها في نفسه وأراد محاكاتها في عمله لأنها أقرب ما هنالك وظهر إقدامه على المحاكاة، وسعيه أن يبلغ فيها غاية المدى في صورة التكليف بأن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ". [حجة الله البالغة، ط. إحياء العلوم (٢/ ٥١٩-٥٢٠)]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله (**المتوفى: ٣٢١ هـ**): "فلما أبيحت التماثيل بعد قطع رءوسها الذي لو قطع من ذي الروح ، لم يبق ، دل ذلك على إباحة تصوير ما لا روح له ، وعلى خروج ما لا روح لمثله من الصور ، مما قد نهي عنه في الآثار". [شرح معاني الآثار ٢٨٧/٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن أبي الهياج قال: "**قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: " قوله: "**ألا أبعثك**"، أي: ألا أرسلك على أمر قد بعثني رسول الله عليه السلام إليه. "**لا تدع**"؛ أي: لا تترك "**تمثالا**"؛ أي: صورة وشكلا يشبه شكل الحيوان، (**التمثال**): ما يجعل على مثال شيء يشبهه، "**إلا طمسته**"؛ أي: إلا محوته، فإن جعل صورة الحيوان محرم إلا على الفراش. "**ولا قبرا مشرفا**"؛ أي: قبرا مرتفعا، "**إلا سويته**": أي: أزلت ارتفاعه، وليس معنى التسوية هنا جعل القبر مستويا على وجه الأرض بحيث لا يعلم أنه قبر، بل هذا لا يجوز في قبور المسلمين، بل السنة: أن تجعل قبور المسلمين مرتفعة من الأرض بقدر شبر: إما مسطحا، وإما مسنما، ولا ترفع أكثر من شبر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٤٦/٢-٤٤٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "(وعن أبي الهياج) بتشديد التحتية. (الأسدي) بفتح السين ويسكن. (قال: قال لي علي: ألا أبعثك) بتشديد اللام للتخصيص وقيل بفتحها للتنبيه. (على ما بعثني عليه) أي: أرسلني إلى تغييره، ولذا عدي بـ"على". قال التوربشتي: أي: ألا أرسلك للأمر الذي أرسلني له. (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وإنما ذكر تعديته بحرف على لما في البعث من معنى الاستعلاء والتأمير، أي: هلا أجعلك أميرا على ذلك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن لا تدع) أن مصدرية، ولا نافية، خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أن لا تدع وقيل أن تفسيرية ولا ناهية أي: لا تترك. (تمثالا) أي: صورة. (إلا طمسته) أي: محوته وأبطلته، والاستثناء من أعم الأحوال، في الأزهار قال العلماء: التصوير حرام، والمحو واجب، حيث لا يجوز الجلوس في مشاهدته. (ولا قبرا مشرفا) هو

الذي بني عليه حتى ارتفع دون الذي أعلم عليه بالرمل والحصباء، أو محسومة بالحجارة ليعرف ولا يوطأ. (إلا سويته) في الأزهار قال العلماء: يستحب أن يرفع القبر قدر شبر، ويكره فوق ذلك، ويستحب الهدم، ففي قدره خلاف، قيل إلى الأرض تغليظا، وهذا أقرب إلى اللفظ، أي: لفظ الحديث من التسوية، وقال ابن الهمام: هذا الحديث محمول على ما كانوا يفعلونه من تعلية القبور بالبناء العالي، وليس مرادنا ذلك بتسنيم القبر بل بقدر ما يبدو من الأرض، ويتميز عنها، والله سبحانه أعلم". [مرقاة المفاتيح، ١٢١٦/٣]

دل كل هذه الأحاديث على تحريم تصوير ذوات الأرواح.

الباب الحادي والستون

ما جاء في كثرة الحلف

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**". أخرجاه.

وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل** (الله) **بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**" رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**".

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" .

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى" باب ما جاء في كثرة الحلف".

معنى الحلف في اللغة:

الحلف هو اليمين، كما تقول: حلف يحلف حلفا، وأصلها العقد بالعزم والنية. [الكاشف عن حقائق السنن للطيبي، ٢٤٣٩/٨]

وفي الشرع: "تقوية أحد طرفي الخبر بالمقسم به". [عمدة القاري للعيني الحنفي، ١٦٣/٢٣]

قال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله". [روح البيان، ٦/١٧١]

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحلف بقوله: "**إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق**". [صحيح مسلم، ٥/٥٦ رقم (٤٢١٠)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] ".

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] فبروا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا". [تفسير النسفي، ١/٤٧٢]

وقال أبو سعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] بأن تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى إذا حلفتم وقيل بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم وقيل: احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها". [تفسير أبي سعود، ٣/٧٥]

وقال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر وبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر أو رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ أن يحنث ويكفر كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصي لان ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين. ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصي وترك الواجبات وفى الحديث (من حلف أن يطيع الله فليطعه ومن حلف أن يعصيه فلا يعصه) . ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الأقسام الثلاثة من الأيمان التي يستوي فيها الحنث والبر يفضل فيه البر

حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد والناسي والمكره في الحلف والحنث لقوله عليه السلام (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين)". [روح البيان، ٤٣٤/٢]

وقال محمد ثناء الله المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: **١٢٢٥ هـ**) **في تفسير قوله تعالى:** "﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] قيل أراد به ترك الحلف أي لا تحلفوا لكل أمر والصحيح أن المراد منه حفظ اليمين عن الحنث وإيفاء ما أوجب على نفسه القيام بمقتضاه ويؤيده قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة: ١] والحكم في الباب أن المحلوف عليه أن كان طاعة لزمه الوفاء بها وهل له أن يعدل عن الوفاء إلى الكفارة مع القدرة على الوفاء قال أبو حنيفة واحمد ليس له ذلك عملا بهذه النص وقال الشافعي الأولى أن لا يعدل فان عدل جاز ولزمه الكفارة وعن مالك روايتان كالمذهبين وكذا أن حلف على أمر مباح ليس تركه خيرا من فعله وان كان المحلوف عليه معصية يجب عليه أن يحنث ويكفر لأن إثم المعصية لازم وإثم الحنث مكفر بالكفارة وان حلف على ترك أمر مستحب فالأولى أن يحنث ويكفر قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] يعنى حاجزا مانعا من الحسنات، وقال عليه السلام "**كفر عن يمينك وائت بالذي هو خير**". عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: "إني احلف لا أعطى أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم فاطعم عشرة مساكين صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو نصف صاع من قيح". وعن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا حلف لم يحنث حتى نزلت آية الكفارة وكان بعد ذلك يقول: "لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وقبلت رخصة الله"، رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والبخاري وابن مردوية". [تفسير المظهري، ١١٣٥/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**". أخرجاه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): " قوله: "منفقة" بفتح الميم؛ أي: جاعل المتاع رابحا. "للسلعة": المتاع. قوله: "ممحقة" بفتح الميم؛ أي: مزيلة مذهبة للبركة". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤٠٤/٣]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٤ هـ**): "الحلف منفقة للسلعة": – بفتح الميم –؛ أي: مظنة وسبب لنفاقها وموضع له. "ممحقة للبركة"؛ أي: مظنة لمحق البركة وذهابها وموضع له". [شرح المصابيح، ٣٩٧/٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠١٤ هـ**): "**الحلف**" : أي إكثاره أو الكاذب منه "**منفقة**": بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه، وكذا ممحقة. ذكره ميرك، "**للسلعة**": بالكسر أي مظنة وسبب لنفاقها أي: رواجها في ظن الحالف "**ممحقة للبركة**": أي: سبب لذهاب بركة المكسوب إما بتلف يلحقه في ماله، أو بإنفاذه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل، أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه، أو ورثه من لا يحمده، وروي بضم الميم وكسر ثالثه". [مرقاة المفاتيح، ١٩٠٩/٥]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٦٠/٣ رقم (٢٠٨٧)، ومسلم رحمه الله تعالى ١٢٢٨/٣ رقم (١٦٠٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل** (الله) **بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**" رواه الطبراني بسند صحيح.

(**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة**) استهانة بهم وغضبا عليهم بما انتهكوا من محرماته وخالفوا من أوامره (**ولا يزكيهم**) لكونهم لم يزكوا أحكامه (**ولهم عذاب أليم**) يعرفون به ما جهلوا من عظمته واجترحوا من حرمته (**أشيمط زان**) في النهاية الشمط الشيب (**وعائل مستكبر**) أي فقير ذو عيال لا

يقدر على تحصيل مؤونتهم ولا يطلب من بيت المال أو من الناس المتكبر فهو آثم لإيصال الضرر إلى عياله (**ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**) فيه أن المن صفة ذم في حق العبد إذ لا يكون غالبا إلا عن بخل وكبر وعجب ونسيان منن الله عليه. (تنبيه) قال القونوي : سر ما تقرر في الحديث أن الزنا في الشباب له فيه نوع عذر فإن الطبيعة تنازعه وتتقضاه وأما الشيخ فشهوته ضعفت وقوته انحطت فإذا كان زانيا فليس ذلك إلا لكونه مفسدا بالطبع فهو مجبول على الفساد فلذلك وصف ذاتي له فيستلزم النتائج الرديئة وأما العائل المستكبر فالعائل الفقير والمستكبر الذي يتعانى الكبر وهذا ينقسم أعني التكبر إلى قسمين ذاتي وصفاتي فالتكبر الصفاتي محصور في موجبين المال والجاه فالتكبر من الناس وإن كان قبيحا شرعا وعقلا لكن لأصحاب الجاه والمال فيه صورة عذر وأما عادمهما إذا تكبر فلا عذر له بوجه فالتكبر إذن صفة ذاتية له فلا جرم ينتج نتيجة رديئة ويأتي نحو ذلك التوجيه في الخلاف". [فيض القدير، ٣/٤٣٦-٤٣٧]

قوله: "**رواه الطبراني بسند صحيح**"، أي رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦/٥٧ رقم (٥٩٨٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**".

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: (**قرني**) أي: أهل قرني الذين أنا فيهم، وهم الصحابة. قوله: (**ثم الذين يلونهم**) أي: ثم قرن الذين يلون قرني وهم التابعون. قوله: (**ثم الذين يلونهم**) وهم أتباع التابعين. قوله: (**ينذرون**) بكسر الذال وضمها. قوله: (**ولا يفون**) وفي رواية الكشميهني: ولا يوفون، وأصله. يوفيون، لأنه من أوفى إيفاء استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فاجتمع ساكنان وهم الياء والواو فحذفت الياء فصار: يوفون، على وزن يفعون ولم تحذف الواو لأنها علامة الجمع، وكذا الكلام في: لا يفون. قوله: (**ويخونون**) أي خيانة ظاهرة حتى لا يؤتمنون

أي: لا يعتقدونهم أمناء. قوله: (**ويشهدون**) أي: يتحملون الشهادة بدون التحميل، أو يؤدونها بدون الطلب، وشهادة الحسبة في التحمل خارجة عنه بدليل آخر. قوله: (**ويظهر فيهم السمن**) بكسر السين وفتح الميم أي: يتكثرون بما ليس فيهم من الشرف، أو يجمعون الأموال أو يغفلون عن أمر الدين، لأن الغالب على السمين أن لا يهتم بالرياضة، والظاهر أنه حقيقة في معناه لكن إذا كان مكتسبا لا خلقيا، ويقال معنى: (**ويظهر فيهم السمن**) أنه كناية عن رغبتهم في الدنيا وإيثارهم شهواتها على الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه من الشهوات التي لا تنفد والنعيم الذي لا يبيد يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القوت والبلغة وتأخير شهواتهم إلى الآخرة. [عمدة القاري، ٢٣/٢٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: " قوله: "**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**"؛ يعني: يشهد من غير أن يستشهد، ثم يحلف بأن يقول: والله إني لصادق فيما شهدت به.

وقوله: "**ويمينه شهادته**"؛ أي: يحلف بأن يقول: إني لصادق فيما أشهد به، ثم يشهد، ويحتمل أن يكون هذا مثل هذا في سرعة الشهادة واليمين، وحرص الرجل عليهما؛ يعني: يحرص عليهما، وشرع فيهما حتى لا يدري أنه بأيهما يبتدئ، فكأنه يسبق شهادته يمينه، ويمينه شهادته من قلة مبالاته بالدين.

وإنما تكون الشهادة مذمومة قبل أن يستشهد إذا علم صاحب الحق أن له في ذلك الحق شاهدا، فإذا كان كذلك لا يجوز للشاهد أن يشهد حتى يطلب صاحب الحق منه الشهادة، وكذلك لا يجوز اليمين إذا وجبت عليه يمين قبل أن يستحلفه صاحب الحق، فلو حلف قبل أن يستحلفه ولم يعتد

بحلفه، بل يلزمه إعادة الحلف إذا استحلفه صاحب الحق". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٤/٣٢٤-٣٢٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: "ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته" وذلك عبارة عن تكثير شهادة الزور واليمين الفاجرة.

وقيل: أن يكون متهما في شهادته لاشتهاره بالزور، فيروج شهادته تارة باليمين قبلها بأن يقول: والله إني لصادق، ثم يشهد، أو بالعكس، وهذا مثل في سرعة الشهادة واليمين والحرص عليهما حتى لا يدري بأيهما يبتدئ من قلة مبالاته بالدين". [شرح المصابيح، ٤/٢٩٠]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "(ثم يجيء قوم) وفي رواية: أقوام **(تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه)**: بالرفع ؛ أي: وتسبق يمينه **(شهادته)**: قيل: ذلك عبارة عن كثرة شهادة الزور واليمين فتارة يحلفون قبل أن يأتوا بالشهادة، وتارة يعكسون. وقال المظهر: هذا يحتمل أن يكون مثلا في سرعة الشهادة واليمين، وحرص الرجل عليهما، والإسراع فيهما، حتى لا يدري أنه بأيهما يبتدئ، وكأنه تسبق شهادته يمينه ويمينه شهادته من قلة مبالاته بالدين. قال النووي: واحتج به المالكية في رد شهادة من حلف معها، والجمهور على أنها لا ترد". [مرقاة المفاتيح، ٦/٢٤٤٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

قوله: **(يضربونا)** وروى يضربوننا، أي: على الجمع بين اليمين والشهادة، والمراد من العهد هنا اليمين. [عمدة القاري ١٦/١٧١]

قوله: **(يضربوننا)** أي ضرب التأديب أي يضربون رجالنا على الحرص على الشهادة واليمين يعني يأمروننا بالانكفاف عنهما والاحتياط فيهما وعدم الاستعجال بهما قال المهلب **(على الشهادة)** أي على قول الرجل أشهد بالله ما كان كذا على معنى الحلف، فكره ذلك كما كره الحلف وإن كان صادقا فيها، أي قال إبراهيم النخعي: كانوا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد، ... وقال بعضهم

معناه يضربوننا على الجمع بين اليمين والشهادة. [الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ١٤/٢٠٠]

قال أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الحنفي (المتوفى ٨٩٣ هـ): "(قال إبراهيم) هو النخعي (**كان أصحابنا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد**) أي: بهذين اللفظين فإنهن من ألفاظ اليمين. قال ابن الأثير: العهد قد يكون بمعنى اليمين. [الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ١٠/٢٦٥]

وقال صاحب التيسير رحمه الله تعالى: "وذلك لكثرة علم التابعين وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم". [تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٦٤٨]

الباب الثاني والستون

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال –، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ١، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا" رواه مسلم.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه". الذمة: هي العهد والميثاق، والمصنف لما ذكر تعظيم اليمين بالله واحترامها وعدم ابتذالها تعظيما لله، ناسب أن يذكر بعده

الوفاء بالعهود، فإن فيها تعظيما لله جل وعلا، كما أن نقض العهود فيه عدم تعظيم له، وذلك قادح في التوحيد. [خلاصة التفريد للعبري حفظه الله، ص: ١٤٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ يقول: إذا حلفتم بالله فأتموا له بالفعل. ويقال: أوفوا بعهد الله أي: العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهود التي بينكم وبين الناس. ثم قال: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ أي: لا تنكثوا العهود بعد تغليظها، وتشديدها، ﴿ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا ﴾ أي: شهيدا على إتمام العهود والوفاء بها. ويقال: حفيظا على ما قال الفريقان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ في وفاء العهد والنقض". [بحر العلوم، ٢/٢٨٨-٢٨٩]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ أيمان البيعة ﴿ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها ﴿ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا ﴾ شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا

تَفۡعَلُونَ ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به". [تفسير النسفي المسمى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (٢/ ٢٣٠)] دلت الآية على وجوب الوفاء بالعهد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال: **اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله**..." الخ.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠١٤ هـ**): "(**إذا أمر**) بتشديد الميم؛ أي: جعل أحدا (**أميرا على جيش، أو سرية أوصاه**) أي: ذلك الأمير (**في خاصته**) أي: في حق نفسه خصوصا وهو متعلق بقوله: (**بتقوى الله**) وهو متعلق بأوصاه،

وقوله: (**ومن معه**) معطوف على خاصته ؛ أي: وفيمن معه (**من المسلمين**)،

وقوله: (**خيرا**) نصب على انتزاع الخافض ؛ أي: بخير. قال الطيبي: ومن محل الجر، وهو من باب العطف على عاملين مختلفين، كأنه قيل: أوصى بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصى بخير فيمن معه من المسلمين، وفي اختصاص التقوى بخاصة نفسه، والخير بمن معه من المسلمين إشارة إلى أن عليه أن يشدد على نفسه فيما يأتي ويذر، وأن يسهل على من معه من المسلمين ويرفق بهم، كما ورد: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» . (**ثم قال: اغزوا بسم الله**) أي: مستعينين بذكره (**في سبيل الله**) أي: لأجل مرضاته وإعلاء دينه (**قاتلوا من كفر بالله**) جملة موضحة لاغزوا...

(**ولا تقتلوا وليدا**) أي: طفلا صغيرا. قال ابن الهمام: والصبي والمجنون يقتلان في حال قتالهما، وكذا الصبي الملك والمعتوه الملك ؛ لأن في قتل الملك كسر شوكتهم". [مرقاة المفاتيح، ٦/٢٥٢٨]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٧٢٧ هـ**): قوله: "**أوصاه في خاصته بتقوى الله**"؛ يعني: أوصاه في أمر نفسه، وفي أمر من معه من الجيش، فأما وصيته إياه في أمر نفسه أن يقول له: اتق الله، ووصيته إياه في أمر الجيش أن يأمره بحفظ مصالحهم، وأمره إياهم بما فيه الخير.

قوله: "**ولا تغلوا**"؛ أي: ولا تسرقوا شيئا من الغنيمة.

"**ولا تغدروا**"؛ أي: ولا تحاربوا الكفار قبل أن تدعوهم إلى الإسلام.

"**ولا تمثلوا**"؛ أي: ولا تجعلوا المثلة، وهي قطع الأعضاء؛ يعني: من قتلتموه فاتركوه ولا تقطعوا أعضاءه.

"**ولا تقتلوا وليدا**"؛ أي: ولا تقتلوا الأطفال بل اسبوهم، وكذلك النساء.

"**وإذا لقيت**" هذا خطاب مع أمير الجيش.

قوله: "**إلى ثلاث خصال، أو خلال**": هذا شك من الراوي في أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (ثلاث خصال)، أو (ثلاث خلال)، و (الخصال): جمع الخصلة، و (الخلال): جمع خلة – بفتح الخاء – وهي الخصلة.

"**فأيتهن ما أجابوك**"، (ما) هنا زائدة.

"**وكف عنهم**"؛ يعني: فإذا فعلوا شيئا من هذه الخصال اتركهم ولا تقتلهم.

"**ادعهم إلى الإسلام**" هذا هو الخصلة الأولى،

"**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**"؛ يعني: فلما أسلموا فمرهم بالانتقال من دار الكفار إلى دار المسلمين.

"**فلهم ما للمهاجرين**"؛ أي: فإن انتقلوا من دارهم إلى دار المسلمين فأخبرهم أن حكمهم حكم المهاجرين من حصول الثواب واستحقاق الفيء، وذلك الاستحقاق كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم كان ينفق على المهاجرين مما أتاه الله من الفيء، ولم يعط من الفيء شيئا لأعراب المسلمين.

"**وعليهم ما على المهاجرين**"؛ يعني: يجب عليهم الخروج إلى الجهاد إذا أمرهم الإمام، سواء كان بإزاء العدو من به الكفاية أو لم يكن، بخلاف غير المهاجرين فإنه لم يجب عليهم الخروج إلى الجهاد إذا كان بإزاء العدو من به الكفاية، هكذا قال الخطابي.

"**منها**"؛ أي: من دار الكفار.

"**فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين**"، (الأعراب): أهل البادية؛ يعني: فإن لم ينتقلوا إلى دار المسلمين فلن يكون حكمهم حكم المهاجرين، بل حكمهم حكم المسلمين الذين لازموا أوطانهم في البادية لا في دار الكفار.

"**يجري عليهم حكم الله**" من وجوب الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الأحكام، ويجري عليهم القصاص أو الدية والكفارة إذا قتلوا أحدا، وليس لهم من الفيء والغنيمة شيء وإذا لم يجاهدوا، بخلاف المهاجرين، فإن رسول الله ينفق عليهم من الفيء وإن لم يجاهدوا.

"**فإن هم أبوا**"؛ يعني: فإن لم يقبلوا الإسلام.

"**فسلهم الجزية**" اعلم أن الجزية عند الشافعي لا تؤخذ إلا من المجوس وأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى عربا كانوا أو عجما.

وقال مالك: تؤخذ من جميع الكفار إلا من المرتد ومشركي قريش.

وقال أبو حنيفة: تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس ومن الوثني إذا كان من العجم.

وعن أحمد روايتان: رواية كأبي حنيفة، ورواية كالشافعي.

اعلم أن الخصال الثلاثة غير متضحة تحتاج إلى تبيينها:

فإحدى الخصال: الإسلام والتحول إلى دار المسلمين.

وثانيها: الإسلام وترك التحول.

وثالثها: الجزية.

"فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله".

"**الذمة**": العهد؛ يعني: فإن قال أهل القلعة من الكفار لأمير جيش المسلمين: اجعل لنا ذمة الله وذمة رسول الله، فلا تقل؛ أيها الأمير: جعلت لكم ذمة الله وذمة رسوله، بل قل: جعلت لكم ذمتي، أو ذمتي وذمة أصحابي، فإنهم لو نزلوا ثم نقضوا عهدكم أهون من أن ينقضوا عهد الله وعهد رسوله.

"وإن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ ".

يعني إن اشترط أهل القلعة معك وقالوا: إنا ننزل من القلعة بما تحكم علينا باجتهادك، فاقبل منهم هذا الشرط؛ لأنك تقدر على اجتهادك فيهم: من قتلهم، أو ضرب الجزية عليهم، أو استرقاقهم، أو المن، أو الفداء، فأي شيء رأيت فيه المصلحة لجيشك من هذه الأشياء فاحكم به، وإن قالوا: ننزل بما يحكم الله علينا – أي: بما يوحي على نبيه فينا – فلا تقبل هذا الشرط منهم؛ لأنك

لا تدري أن الله ينزل الوحي على نبيه فيهم أو لم ينزل.

ومع أن زمان النبي زمان الوحي لا يجوز للإمام أن يشترط نزول أهل قلعة بحكم الله، فكيف يجوز بعد النبي لإمام أو لأمير جيش أن يشترط نزول أهل قلعة بحكم الله على واحد من الأشياء المذكورة على التعيين؛ لأن أحدا لا يعرف مراد الله تعالى، بل يشترط الإمام مع أهل القلعة النزول بما يقتضي إليه اجتهاده من الأشياء المذكورة. [المفاتيح في شرح المصابيح (٤/٣٩٣- ٣٩٧)]

فوائد الحديث:

١. مشروعية بعث الأمراء وتوجيههم إلى فعل الحق.

٢. تحريم الغلول والغدر والتمثيل وقتل الولدان.

٣. وجوب دعوة المشركين إلى الإسلام قبل قتالهم إذا لم تبلغهم الدعوة، واستحباب ذلك إن كانت الدعوة قد بلغتهم.

٤. يدعو أمير الجهاد الكفار إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية فإن أبوا فالقتال، وذلك عام في الكفار من المشركين وغيرهم.

٥. استحباب الهجرة ودعوة المسلمين إليها.

٦. أن الغنيمة والفيء خاصة بالمهاجرين، وليس للأعراب منها شيء إلا إذا جاهدوا.

٧. لا يجوز إعطاء ذمة الله أو ذمة نبيه أحدا.

٨. تحريم نقض العهد.

٩. ليس كل مجتهد مصيبا، وإنما المصيب واحد، وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر.

مناسبة الحديث للباب:

حيث دل الحديث على وجوب حفظ ذمة الله وذمة نبيه عن النقض.

مناسبة الحديث للتوحيد:

حيث دل الحديث على وجوب حفظ ذمة الله وذمة رسوله عن النقض؛ لأن نقض ذمة الله استخفاف به وذلك مناف للتوحيد. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٦٤-٤٦٥]

الباب الثالث والستون

ما جاء في الإقسام على الله

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**" ، رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في الإقسام على الله".

الإقسام على الله: هو الحلف على الله أن يفعل كذا، كأن يقول: أقسمت عليك يا رب أن تفعل لي كذا، ونحو ذلك، والمصنف ذكر في الباب ما جاء من الأدلة على تحريم الحلف على الله، لأن من تألى وحلف على الله، فقد أساء الأدب معه سبحانه وتجرأ عليه.

الإقسام على الله تعالى لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: يكون جائزا، إذا كان الإقسام على الله هو على جهة حسن الظن به، وباعثه الطمع في رحمة الله وقوة الرجاء به، وصادر من عبد من أولياء الله، وفي أمر طاعة ومصلحة لا في معصية فيجوز، وقد يجيب الله قسمه لكرامته عليه، وسابقة طاعاته، وخبيئة من صالحاته.

ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك: "**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**"، وحديث حارثة بن وهب رضي الله عنه مرفوعا: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره**"...

الحالة الثانية: يكون ممنوعا، إذا صدر:

١-على وجه التحجير على الله في فضله، كمن يقول: والله لا يغفر الله لفلان، أو والله لا يرزق فلانا.

٢-أو يقع من غير أهله-وهم أهل الصلاح-.

٣-أو يقع ودافعه العجب بالنفس، والكبر، ونحو ذلك.

قال السعدي رحمه الله: "أما الإقسام على الله، فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله".

الحالة الثالثة: الإقسام على الله بحق شخص من الناس، كمن يقول: أقسمت عليك يا رب بحق الولي فلان ونحو ذلك، فهذا منهي عنه باتفاق العلماء". [بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٨٢-٤٨٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**" ، رواه مسلم.

قوله: "**جندب بن عبد الله رضي الله عنه**"، هو جندب [بضم أوله والدال تفتح وتضم] ابن عبد الله ابن سفيان البجلي ثم العلقي بفتحتين ثم قاف أبو عبد الله وربما نسب إلى جده له صحبة ومات بعد الستين. [تقريب التهذيب للعسقلاني، ١/١٤٢]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**من ذا الذي**"؛ أي: من الذي "**يتألى**"؛ أي: يحلف.

قوله: "**وأحبطت عملك**"؛ أي: أبطلت قسمك؛ أي: جعلت حلفك كاذبا أيها الحالف على أني لا أغفر عبدي فلانا.

وهذا الحديث يحكم بأنه لا يجوز الحكم بأن الله تعالى لا يغفر لفلان أو يعذب فلانا، وكذلك لا يجوز أن يقال: يغفر الله لفلان جرما؛ لأن أحدا لا يعلم مشيئة الله وإرادته في عباده، بل نرجو للمطيع ونخاف على العاصي، وإنما نجزم القول في حق من جاء فيه نص عن رسول الله عليه السلام". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/١٨٢]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**وإن الله قال: من ذا الذي يتألى علي**"؛ أي: يحلف باسمي. "**أني لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**"؛

أي: أبطلت قسمك وجعلته كذبا أيها الحالف، أني لا أغفر لعبدي فلان، قد غفرت له على خلاف زعمك وأدخلته الجنة على رغمك". [شرح المصابيح، ٣/١٤١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"(وعن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث) أي: حكى لأصحابه (**أن رجلا**): يحتمل أنه من هذه الأمة أو من غيرهم (**قال: والله لا يغفر الله لفلان**): قاله استكثارا، أو استكبارا لذنبه، أو تعظيما لنفسه حين جنى عليه، كما يصدر عن بعض جهلة الصوفية (**وأن الله تعالى**) : بفتح الهمزة، أي: وحدث أن الله تعالى وبكسرها. أي: والحال أن الله تعالى (**قال: من ذا الذي يتألى علي**): بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة أي: يتحكم علي ويحلف باسمي (**أني لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان**) أي: رغما لأنفك (**وأحبطت عملك**)، قال المظهر: أي: أبطلت قسمك وجعلت حلفك كاذبا، لما ورد في حديث آخر: " «من يتأل على الله يكذبه» " فلا متمسك للمعتزلة أن ذا الكبيرة مع عدم الاستحلال يخلد في النار، كالكفر يحبط عمله.

قال الطيبي: هذا استفهام إنكار، والظاهر أن يقال: أنت الذي يتألى علي، ويدل عليه قوله: وأحبطت عملك، وإنما عدل عن الخطاب أولا شكاية لصنيعه إلى غيره، وإعراضا عنه على عكس الحديث السابق، ولا يجوز لأحد الجزم بالجنة أو النار إلا لمن ورد فيه نص، كالعشرة المبشرة بالجنة، فإن قلنا: إن قوله هذا كفر فأحبطت عملك، ظاهر. وإن قلنا: إنه معصية فكذا على مذهب المعتزلة، وأما على مذهب أهل السنة، فيكون محمولا على التغليظ. اهـ.

وفيه أنه يبعد كونه كفرا، وعلى التنزل فقوله ظاهر أي: على مذهبنا، لأن في مذهب الشافعي يشترط للإحباط موته على الكفر، لا يعرف في مذهبه المعتزلي أن كل معصية تحبط جميع الأعمال، ثم حمله على ما ذكرناه أولى من حمله على التغليظ، مع أنه لا ينافيه، والله تعالى أعلم. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦١٨-١٦١٩)]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم رحمه الله في صحيحه، ٤/٢٠٢٣ رقم (٢٦٢١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

قال أبو هريرة: "**تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**"، يعني: هذه الكلمة -أوبقت-يعني: أهلكت- "**دنياه وآخرته**" لأنها خطيرة، حيث قال: "**والله لا يغفر الله لفلان**"، فقال الله: "**قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**" مما اجترأت على الله، هذا وعيد عظيم يفيد الحذر من الجرأة على الله، وأن الإنسان قد يتكلم بكلمة تهلكه، كما في الحديث. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**"، رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وفي اللفظ الآخر: "**يزل بها في النار سبعين خريفا**".

وفي اللفظ الآخر: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يتبين فيها-يعني: ما يتثبت فيها-يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**".

فالواجب على المؤمن وعلى طالب العلم وعلى الغيور لله: أن يتثبت، وأن يحفظ لسانه، وأن لا يتكلم إلا عن بصيرة، وأن لا يعمل إلا عن بصيرة. [شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالى، ص: ٤٧٦-٤٧٧].

الباب الرابع والستون

لا يستشفع بالله على خلقه

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **سبحان الله ! سبحان الله !** فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: **ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد**" ، وذكر الحديث، رواه أبو داود.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يستشفع بالله على خلقه".

(استشفع) طلب الناصر والشفيع ويقال استشفع فلانا وبه واستشفع إلى فلان واستشفع في الأمر وعليه. [المعجم الوسيط، ٤٨٧/١]

والاستشفاع مأخوذ من الشفاعة وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله..."، الخ.

قوله: "**عن جبير بن مطعم رضي الله عنه**"، هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة في السنة ٥٩ هـ. وعده الجاحظ من كبار النسابين. وفي الإصابة: كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة. له ٦٠ حديثا. [الأعلام، ١١٢/٢]

قوله: "**أعرابي**"، نسبة إلى الأعراب وهم الذين يسكنون البادية.

قوله: "**نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال**"، وفي رواية أبي داود رحمه الله: "جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

قوله: "**جهدت الأنفس، وجاع العيال، ونهكت الأموال**"، الحديث.

(**الجهد**): المشقة، وبالضم: الطاقة.

(**الأنفس**): جمع نفس، والنفس: الروح والدم والجسد، والمراد بها ها هنا الجسد.

(**وجاع**): فعل ماض من الجوع، وهو ضد الشبع.

(**العيال**): جمع عائل، من (**عال**) إذا افتقر.

وعيال الرجل: من يتمونه من الزوجة والأولاد والعبيد والإماء.

"**نهكت**" إذا نقصت، يقال: نهكته الحمى إذا جهدته ونقصته من قوته.

"**الأنعام**": جمع نعم، وهو الإبل والبقر والغنم.

"**الاستسقاء**": طلب السقي، و"**الاستشفاع**" طلب الشفاعة.

"**سبحان الله**"، نصب على المصدر، ولا يتغير نصبه لأنه من مصادر لا تنصرف، (سبحان الله) كلمة تقال عند التعجب "الشأن": الأمر والحال، "ويحك"؛ يعني: أتى أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكيا عن قلة المطر والجدب.

فقال: يا رسول الله! أخذت النفوس في الفتك والشدة، والعيال في الجوع والعبرة، وهلكت المواشي والضروع، ونقصت الثمار والزروع، فاطلب من الله سبحانه أن يسقينا بلطفه بغيث مدرار ومغيث، ونحن نطلب الشفاعة بوجودك على الله سبحانه، ونطلب الشفاعة أيضا بالله سبحانه عليك؛ يعني: نجعلك شفيعا على الله سبحانه؛ ليجيب دعاءنا، ونجعله تعالى شفيعا عليك؛ ليحصل مقصودنا، بأن تستسقي لنا من الله سبحانه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم.

"**سبحان الله**"، متعجبا عن قوله: (**إنا نستشفع بالله عليك**).

"**فما زال**"؛ أي: فما دام "يسبح"؛ أي: يكرر التسبيح "**حتى عرف ذلك**"؛ أي: التغير "في وجوه أصحابه" صلى الله عليه وسلم؛ أي: ساءهم تكرير التسبيح منه صلى الله عليه وسلم، وتوهموا أنه

غضب من هذا السؤال، فخافوا من غضبه، وتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الحزن رق لهم، وقطع التسبيح، وبين عظمة الرب حتى نزه أن يجعل أحدا من الخلق وسيلة إليه، فإنه أعظم من ذلك.

ثم قال: "**ويحك! شأن الله أعلى وأجل أن يستشفع على أحد**"، ثم قال: "أتدري"؛ أي: أتعلم وتعرف "ما الله؟ "؛ أي: ما عظمة الله سبحانه؟ وطفق يقرر عظمة الله سبحانه وتعالى". [المفاتيح في شرح المصابيح (٦/ ٧٨-٨٠)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (٨٥٤ هـ): "عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: "**جهدت الأنفس**"؛ أي: حملت فوق طاقتها.

"**وجاع العيال**"، عيال الرجل: من يمونه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك.

"**ونهكت الأموال**"؛ أي: نقصت.

"**وهلكت الأنعام**": جمع النعم بفتح النون والعين، وهي الإبل والبقر والغنم.

"**فاستسق الله**"؛ أي: اطلب السقي "**لنا، فإنا نستشفع بك**"؛ أي: نطلب الشفاعة بوجودك "**على الله، ونستشفع بالله عليك**"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**سبحان الله، سبحان الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك**"؛ أي: التغير.

"**في وجوه أصحابه**"؛ يعني: ساءهم تكرير التسبيح منه صلى الله عليه وسلم، وتوهموا أنه عليه السلام غضب من هذا السؤال، فخافوا من غضبه، فتغيرت وجوههم؛ خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الخوف، رق لهم صلى الله عليه وسلم وقطع التسبيح.

"**ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد؛ شأن الله أعظم من ذلك**"؛ أي: من أن يستشفع به على أحد.

"**ويحك، أتدري ما الله**"؛ أي: ما عظمة الله سبحانه وتعالى. [شرح المصابيح لابن الملك (٦/ ١٧٨-١٧٩)]

وقال الملا علي القاري رحمه الله (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

(**وعن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**) أي: جاءه (**أعرابي**) أي: بدوي (**فقال: جهدت الأنفس**) ، بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة، والمعنى حملت فوق طاقتها (**وجاع العيال**) ، عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك. (**ونهكت**) : بضم النون وكسر الهاء أي نقصت (**الأموال**) ، أي التي تنمو من الأمطار (**وهلكت الأنعام**) ، وهو جمع نعم محركة الإبل والبقر والغنم، كما أخبر الله عنها بقوله: (ثمانية أزواج)، (**فاستسق الله لنا**) ، أي: فاطلب الله للسقي بالمطر من أجل معاشنا الذي هو زاد معادنا (**نستشفع**) أي: نطلب الشفاعة (**بك**) أي: بوجودك وحرمتك وبعظمتك (**على الله، ونستشفع الله**) أي: نستجير ونستغيث به (**عليك**) . في أن تشفع لنا عنده بأن يوفقك على مساعدتنا، لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهنا للتساوي في القدر، أو التشارك في الأمر، والحال أن الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقال: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] أنكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستعظم الأمر لديه، وتعجب من هذه النسبة إليه.

(**فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: سبحان الله**) ، أي تنزيها له عن المشاركة (**سبحان الله**) ، كرره تأكيدا، أو ذكر الثاني تعجبا (**فزال يسبح حتى عرف ذلك**) ، بصيغة المجهول أي حتى تبين أثر ذلك التغير إلى وجوه أصحابه) ، لأنهم فهموا من تكرير تسبيحه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غضب من ذلك، فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت إليهم (**ثم قال: ويحك**) : بمعنى ويلك إلا أن الأول فيه معنى الشفقة عن المزلة والمزلقة، والثاني دعا عليه بالهلكة والعقوبة، فالمعنى اعلم أيها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه (**إنه**) أي: الشأن (**لا يستشفع**) : بصيغة المجهول (**بالله على أحد شأن الله**) : استئناف تعليل أي لأن شأنه العلي وبرهانه الجلي (**أعظم من ذلك**) ، أي من أن يستشفع به على أحد.

قال الطيبي، يقال: استشفعت بفلان على فلان ليشفع لي إليه فشفعه أجاب شفاعته، ولما قيل: إن الشفاعة هي الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه إلى ذي سلطان عظيم منع صلى الله عليه وسلم

أن يستشفع بالله على أحد، وقوله ذلك إشارة إلى أثر هيبة أو خوف استشعر من قوله سبحان الله تنزيها عما نسب إلى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد وتكراره مرارا. (ويحك) : كرره تأكيدا لزجره وتبيينا لأمره (أتدري ما الله) ؟ أي عظمته التي تدل على عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته". [مرقاة المفاتيح، ٣٦٦٣/٩]

وقال نعمان الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣١٧هـ): "ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعا إلى من هو دونه في القدر، وأسفل منه في الدرجة، وتعالى الله أن يكون مشبها لشيء أو مكيفا بصورة خلق، أو مدركا بحد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير". [جلاء العينين، ص: ٣٩٨]

وقال الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦ هـ):

"كل كلمة تدل على الجهل بالله وإساءة الأدب معه لا يحل السكوت عليها:

أخرج أبو داود عن جبير بن مطعم قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " سبحان الله سبحان الله " فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: " ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» .

وقد علمنا من هذا الحديث شدة استنكار النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، وكيف فزع لذلك، واستشعر الخشية وهيبة الله، وجعل يسبح الله، ويكثر من التسبيح والتنزيه، وتغيرت وجوه الناس من الهيبة والدهشة، وأوضح أن من يستشفع به على أحد يكون عادة أحط شأنا من الذي يشفع عنده، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا يستشفع به عند أحد، وقد جرت العادة أن يستشفع عند من يملك الأمر، ببعض خاصته، وأهل

المنزلة عنده، فيحقق الرغبة ويعطى السؤال إرضاء لهذا الشفيع، وتشريفا لقدره، والله هو الذي يملك زمام الأمور، وغيره ضعيف عاجز، مفتقر إلى الله، فكيف يستشفع به على أحد من خلقه، فجميع الأنبياء والأولياء إذا قيسوا بعظمة الله وجبروته، كانوا أقل من ذرة، وإن العرش الذي أحاط بالسماوات والأرضين كالقبة، ليئط به أطيط الرحل بالراكب، فليس في طاقة مخلوق أن يشرح عظمته أو أن يتخيلها، فمن يجرؤ على أن يتدخل في مملكته، وينفذ فيها أمره، إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يحتاج في ذلك إلى وزير أو مشير، يصرف أمورا لا يأتي عليها الإحصاء، ولا يبلغها الاستقصاء، في أقل من طرفة عين، فكيف يشفع عند غيره، ومن الذي يستبد بالأمور دونه؟.

يا للعجب إن محمدا صلى الله عليه وسلم الذي شرفه الله على جميع خلقه لا يكاد يسمع من أعرابي جلف كلمة تدل على جهله بالله، وقصور عقله، أن يملأه الخوف أو المهابة، فيفيض في بيان عظمة الله التي ملأت العالم من العرش إلى الفرش، وما بال أقوام طالت ألسنتهم، وحملهم الطيش والجرأة، فتشدقوا بكلام تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا، وبدأوا يتكلمون عن الله جلت عظمته، كأن بينه وبينهم دالة أو قرابة، فقال بعضهم: إني اشتريت ربي بدانق، ومنهم من يقول: أنا أكبر من ربي بسنتين، ويقول الثالث: إذا تجلى ربي في صورة غير صورة شيخي، لم أرفع إليه بصري، ويقول شاعر: إني أحمل قلبا قد جرح بحب محمد صلى الله عليه وسلم وعطفه، فأنا منافس لله تعالى أغار منه على حبيبي، وقال بعضهم: قل عن الله ما شئت متفننا، واذهب في الجنون مذاهب، ولكن إياك إياك أن تدخل في حمى محمد، وأن تغلب فيه على أمرك، ويقول بعضهم: إن الحقيقة المحمدية أفضل من الحقيقة الإلهية، أعاذنا الله عن أمثال هذه الشطحات، والافتراءات، وقد أحسن شاعر فارسي إذ قال: نسأل الله التوفيق للأدب، فإن قليل الأدب بعيد عن فضل الله.

وقد اعتاد بعض الناس إذا عرضت لهم حاجة، أو ألمت بهم ملمة، أن يقرأوا ورد "يا شيخ عبد القادر جيلاني شيئا لله " .

في عدد مخصوص، ومدة مخصوصة، ودل هذا الحديث على كراهة هذا التعبير وشناعته، فإنه سؤال للشيخ عبد القادر الجيلاني، وتوسل بالله تعالى إليه، والعكس أصح، فيجوز التوسل بدعاء الشيخ إلى الله، لا التوسل بالله إليه.

والحاصل أنه لا يجوز التلفظ بكلمة تشم منها رائحة الشرك، أو إساءة أدب مع الله فإن الله هو المتعالى، الغني، القادر، الملك الجبار، لا يبالي بأحد، إذا شاء بطش على شيء دق وصغر، وإذا شاء عفا عن كبير ولو كان مثل جبل، ولا يصح أن يتكلم الإنسان بلفظ ظاهره إساءة الأدب، وباطنه الإجلال والتعظيم، ويقول المتكلم تكلمت بالكلمة الفلانية وإنما أقصد غيرها، فإن الألغاز والمعميات لها مجالات كثيرة، وهي لا تليق بالله تعالى، ولا نعرف عاقلا يهزأ بملكه أو بأبيه، أو يستعمل معهما الصنائع البديعية، والكنايات الأدبية، التي اخترعها الأدباء، بل يكون كلامه واضحا يصدر عن وعي ويدل على أدب، إن مجال هذه الأساليب الأدبية هي مجالس الإخوان والنوادي الأدبية. [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان" (ص: ١٥٩-١٦٢)]

هل يستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم؟

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز ذلك وتكون شفاعته بطلب الدعاء منه، وأما بعد حياته صلى الله عليه وسلم فلا يجوز.

الباب الخامس والستون

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: "**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**" . رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا فقال: "**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** " . رواه النسائي بسند جيد.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا..."، الخ.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"قوله: "**قولوا قولكم أو بعض قولكم**"؛ يعني: قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق، ولا يليق بالمخلوق.

"**ولا يستجرينكم الشيطان**"، (الجري) - غير مهموز -: الوكيل؛ يعني: لا يجعلنكم الشيطان ولا يتخذنكم وكلاء نفسه في الإضلال والتكلم بكلمات الكفر والبدع والفسق.

والجريء - مهموز -: الشجاع، فعلى هذا معناه: لا يجعلنكم أصحاب جرأة؛ أي: شجاعة على التكلم بما لا يجوز.

ذكر هنا: "**أن مطرفا قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم**"، هذا سهو، بل الصواب أن يقال: مطرفا قال: إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم .
[المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ١٩٨)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ):

"وعن مطرف بن عبد الله [بن] الشخير أنه قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا"، سلك القوم فيه على عادتهم في الخطاب مع رؤسائهم، فكرهه صلى الله عليه وسلم لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي صلى الله عليه وسلم والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، وحول الأمر فيه إلى الحقيقة.

"فقال: **السيد هو الله**؛ أي: الذي يملك أمور الخلق ويسوسهم هو الله تعالى، وأما العبد فسيادته قاصرة، قيل: إنما منعهم أن يدعوه سيدا مع أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم"؛ لأنهم قوم حديثوا عهد بالإسلام، فحسبوا أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا.

"فقلت: أنت أفضلنا فضلا وأعظمنا طولا"؛ أي: عطاء.

"فقال: **قولوا قولكم**"؛ أي: قولوا مجموع ما قلتم من قولكم: (أفضلنا فضلا وأعظمنا طولا).

"**أو بعض قولكم**" بأن تقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما.

أو معناه: قولوا قول أهل ملتكم، فخاطبوني بما يخاطبونني: بالنبي والرسول، ودعوا التكلف في الثناء.

"**ولا يستجرينكم الشيطان**"؛ أي: لا يتخذنكم جريه؛ أي: وكيله، وهو من الجري: الوكيل؛ لأنه يجري مجرى موكله، يريد: تكلموا بما حضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان تنطقون عنه في الإضلال والكفر والبدع، أو من الجرأة -بالهمزة- وهو الشجاعة، فالمعنى: لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. [شرح المصابيح لابن الملك (٥/ ٢٦٩-٢٧٠)]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"(وعن مطرف) : بتشديد الراء المكسورة (ابن عبد الله بن الشخير) : بكسر فتشديد خاء معجمة وفي نسخة بالتعريف. قال المؤلف في فصل التابعين: مطرف عامري بصري، روى عن أبي ذر وعثمان بن أبي العاص، وفد أبوه على النبي صلى الله عليه وسلم في بني عامر، روى عنه ابناه مطرف ويزيد. (قال) أي: قال أبي: (انطلقت) : كما في سنن أبي داود، ذكره السيد جمال الدين، وهو المفهوم من أسماء الرجال (في وفد بني عامر إلى رسول الله) أي: قاصدين ومتوجهين إليه (صلى الله عليه وسلم فقلنا) أي: بعدما وصلنا (أنت سيدنا، فقال: " السيد الله) ، وفي نسخة السيد هو الله. بزيادة ضمير الفصل لمزيد تأكيد إفادة الحصر مبالغة في تعظيم ربه وتواضع نفسه، فحول الأمر فيه إلى الحقيقة مراعاة لآداب الشريعة والطريقة، أي: الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم هو الله سبحانه، وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية ؛ حيث قال: "**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**" أي: لا أقول افتخارا، بل تحدثا بنعمة الله وإخبارا بما أمرني الله، وإلا فقد روى البخاري عن جابر: أن عمر كان يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا. اهـ. وهو بالنسبة إلى بلال تواضع، والله أعلم. (فقلنا: وأفضلنا فضلا) أي: مزية ومرتبة ونصبه على التمييز (وأعظمنا طولا) أي: عطاء للأحباء وعلوا على الأعداء، والواو الأولى استئنافية لربط الكلام، أو من قبيل العطف على التوهم. (فقال: **قولوا قولكم**) أي: مجموع ما قلتم، أو هذا القول ونحوه (**أو بعض قولكم**) أي: اقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما، ويمكن أن تكون " أو " بمعنى " بل " أي: بل قولوا بعض ما قلتم مبالغة في التواضع، وقيل: قولوا قولكم الذي جئتم لأجله وقصدتموه ودعوا غيركم مما لا يعنيكم، ونظيره «قوله – صلى الله عليه وسلم – لجويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد: " دعي هذه وقولي ما كنت تقولين» ، أو قولوا قولكم المعتاد المسترسل فيه على السجية دون المستعمل للإطراء والتكلف لمزيد الثناء "، وحاصله لا تبالغوا في مدحي فضلا عن غيري (**ولا يستجرينكم الشيطان**) أي: لا يتخذنكم جريا بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية، أي: كثير الجري في طريقه ومتابعة خطراته، وقيل: هو من الجراءة بالهمزة أي: لا

يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. وفي النهاية أي: لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي: رسولا ووكيلا، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى: تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه. هذا زبدة الكلام في مقام المرام.

وقد تكلف الطيبي ؛ حيث قال: وأفضلنا عطف على قوله سيدنا كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكل وخص الرد بالسيد، فأدخل الراوي كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه، والذي يدل على كراهة الكل قوله: قولوا قولكم، أي: بقول أهل ملتكم وما هو من شعار المسلمين، وذلك قولهم: رسول الله ونبي الله، وقال المظهر: قوله: " قولوا قولكم " يعني: قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بالمخلوق.

وقال الخطابي: أراد صلى الله عليه وسلم بقوله: " قولوا بقول أهل دينكم أو ملتكم، وادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله في كتابه، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ؛ لأني لست كأحد منهم، إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالرسالة والنبوة، فسموني رسولا ونبيا. وقال التوربشتي: سلك القوم في الخطاب معه مسلكهم مع رؤساء القبائل، فإنهم يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب، فكره ذلك ؛ لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٧٤-٣٠٧٥)]

قوله: "**رواه أبو داود بسند جيد**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب في الجهمية، ٣٦٩/٤ رقم (٤٧٢٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أنس رضي الله عنه: "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا فقال: "**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا**

محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله " . رواه النسائي بسند جيد.

قوله: "**رواه النسائي**"، أي رواه النسائي في السنن الكبرى ١٠٣/٩ رقم (١٠٠٠٧).

قال الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٢٤٦ هـ**):

" **تأذي النبي صلى الله عليه وسلم بالغلو في شخصه، والزيادة على ما وصفه الله به:**

وأخرج رزين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"، رواه النسائي.

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يبالغ فيه الناس ويطروه شأن الأمراء والملوك الذين يحبون المبالغة والملق، فإنهم لا شأن لهم بدين هؤلاء الندماء والشعراء، واعتقادهم، فلا عليهم إذا فسدت عقيدتهم، أو باءوا بالإثم، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان مربيا عطوفا على أمته: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكانت عنايته مصروفة إلى إصلاح عقيدتهم وتقويم دينهم.

وقد جرت العادة أن المحبين يبالغون في مدح من يحبونهم، ويسرفون في ذلك لينالوا رضاهم، ويدخلوا السرور عليهم، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته من أشد الأمم حبا لنبيها، وامتنانا له، ومعرفة لفضله، وقد خاف أن تبالغ أمته في مدحه بدافع هذا الحب فتتخطى الحدود وتسيء الأدب مع الله أحيانا، فيتلف بذلك دينها وتهلك، وتعادي النبي وتؤذيه، لذلك صرح بأنه لا يرضى بالمبالغة والغلو، وأن اسمه ما سماه به أهله، وناداه به ربه، ليس له من أسماء الله شيء، وأنه ولد كما يولد سائر الناس من أب وأم، وحسبه فخرا أن يكون عبدا لله، ولكنه يمتاز عن سائر عباد الله بالرسالة، والناس عنها في جهل وغفلة، لا سبيل لهم إليها إلا عن طريقه، فليرجعوا إليه ويلوذوا به في تعلم دين الله، وفي معرفة أحكامه وشرائعه. [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان" (ص: ١٧٢-١٧٣)]

الباب السادس والستون

ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الزمر: ٦٧

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي رواية لمسلم: "**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله**".

وفي رواية للبخاري: "**يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**"، أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: "**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**

ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" .

وروى عن ابن عباس قال: "**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**".

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**".

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**".

وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**" أخرجه أبو داود وغيره.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ أي: ما عظموا الله حق عظمته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عرفوا الله حق معرفته. وذلك أن اليهود والمشركين، وصفوا الله تعالى بما لا يليق بصفاته، فنزل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟

ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ وفيه تنبيه للمؤمنين، لكيلا يقولوا مثل مقالتهم، ويعظموا الله حق عظمته، ويصفوه حق صفته، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ". [بحر العلوم، ١٩٣/٣]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): " وفيه تنبيه للناس على عظمته ليعرفوه حق معرفته ويعظموه حق عظمته ولا يصفوه كما وصفه اليهود والمشركون بنسبة الولد إليه والشريك ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] أي نزه نفسه تنزيها وتعظم عما يصفون له مما لا يليق بذاته وصفاته، قيل: فيه معنى التعجب، أي ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عن إضافة الشريك إليه". [عيون التفاسير، ٤٥/٤]

قال العلامة أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٤٢هـ):

"قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه، فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال إنه لم يرسل إلى خلقه رسولا ولا أنزل كتابا بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه من إهمال خلقه وتركهم سدى، وخلقهم باطلا عبثا.

ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فنفى سمعه وبصره، وإرادته، واختياره، وعلوه فوق خلقه، وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد، أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم، فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما

يشاؤون بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى، فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون، تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا.

وكذلك ما قدره من لم يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره، بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه، يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وتعرج الملائكة والروح إليه وتنزل من عنده، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، فصانه عن استوائه على سرير الملك، ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه.

وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه، فنفى حقيقة محبته وإتيانه واستوائه على عرشه، وتكليمه موسى عليه السلام من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قدروا الله حق قدره.

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا، وجعله يحل في مخلوقاته وجعله عين هذا الوجود". [غاية الأماني، ١/٣٥٤-٣٥٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع..."، الخ.

قوله: "**حبر**"، بفتح الحاء وكسرها و العالم بالفتح وما يكتب به بالكسر، أي عالم من علماء اليهود.

قوله: "**إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع**"، وفيه إثبات صفة الإصبع لله سبحانه وتعالى. وورد في صحيح مسلم (٥١/٨ رقم ٦٩٢١) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**".

وورد في سنن ابن ماجة (١/١٣٨ رقم ١٩٩) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه**".

وقال الإمام ابن قتيبة الدينوري رحمه الله (**المتوفى: ٢٧٦ هـ**): "ولا نقول أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضاتنا، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئا منا". [تأويل مختلف الحديث، ص: ٣٠٣]

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "لا يشبهه شيء من الأشياء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ط. دار النفائس، ص: ١٥]

قوله: "**والثرى على إصبع**"، الثرى أي: التراب الندي.

قوله: "**فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه**"، (نواجذه) بالنون والجيم والذال المعجمة، وقال الأصمعي: هي الأضراس كلها لا أقصى الأسنان، والأحسن ما قاله ابن الأثير: النواجذ من الإنسان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان، والمراد الأول لأنه صلى الله عليه وسلم، ما كان يبلغ به الضحك حتى يبدو آخر أضراسه، كيف وقد جاء في صفة ضحكه: (جل ضحكه التبسم)، وإن أريد بها الأواخر فالوجه فيه أن يراد مبالغة مثله في الضحك من غير أن يراد ظهور نواجذه في الضحك، وهو أقيس القولين لاشتهار النواجذ بأواخر الأسنان. [عمدة القاري، ١٩/١٤٤]

قوله: "**تصديقا لقول الحبر**"، أي موافقة، وهذا قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال النووي رحمه الله: وظاهر السياق يدل على أنه ضحك تصديقا بدليل قراءته الآية التي تدل على صحة ما قال الحبر. [شرح النووي على مسلم ١٧/١٣٠]

قال ابن التين: "تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكه صلى الله عليه وسلم تعجبا وإنكارا لما قال الحبر". [فتح الباري، ٨/٥٥١]

قوله: " ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]".

قوله: "**قبضته**"، القبضة في اللغة هي ما قبضت عليه بجميع كفك.

(القبضة) من الشيء ما قبضت عليه من ملء كفك يقال أعطاه قبضة من تمر أو سويق كفا منه. [المعجم الوسيط، ٧١١/٢]

قال الفراء: "القبضة بالكف كلها". [لسان العرب، ٦٨/٧]

والقبضة: هي ما يقبض باليد، وليس المراد بها الملك كما قيل، نعم، لو قال: والأرض في قبضته؛ لكان تفسيرها بالملك محتملا.

قوله: "جميعا": حال من الأرض، فيشمل بحارها وأنهارها وأشجارها وكل ما فيها، الأرض كلها جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات على عظمها وسعتها مطويات بيمينه، قال الله عز وجل ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. [القول المفيد، ٥٢٣/٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**". [رواه البخاري ١٢٦/٦ رقم (٤٨١٢)]

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال: عن ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب تعالى نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به ".

مطويات من الطي الذي هو ضد النشر ، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ﴾ وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه. [تفسير الكشاف، ٤/١٤٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية لمسلم: "**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله**".

قوله: "**في رواية مسلم**"، أي رواه مسلم في صحيحه ٤/٢١٤٧ رقم (٢٧٨٦).

قوله: "**يهزهن**" أي يحركهن، وفيه إشارة إلى حقارتها.

قوله: "**فيقول: أنا الملك**" أي: القادر القوي القاهر "**أنا الله**" أي: المعبود بالحق المستحق للمعبودية والعبادة في الباطن والظاهر". [مرقاة المفاتيح، ٨/٣٥٠٧]

قوله: "وفي رواية للبخاري: "**يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**"، أخرجاه.

أي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه رقم (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ومسلم رحمه الله في صحيحه رقم (٢٧٨٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: "**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**" .

قوله: " **ثم يأخذهن بيده اليمنى**"، فيه إثبات صفة يد اليمنى، وفيه دلالة على عظمة الرب سبحانه وتعالى.

والأدلة على إثبات صفة اليد من كتاب الله تعالى ومن السنة الصحيحة المحكمة الصريحة:

١-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤]

٢-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].

٣-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الفتح: ١٠].

٤-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

٥-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

٦-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

٧-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: "**يا آدم أما ترى الناس خلقك الله بيده**". [رواه البخاري ٩/١٤٩ رقم (٧٤١٠)]

٨- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار – وقال – أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يده – وقال – عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**". [رواه البخاري ٩/١٥٠ رقم (٧٤١١)]

٩- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**". [رواه البخاري ٨/١٣٥ رقم (٦٥٢٠)]

١٠- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحاج آدم وموسى عليهما السلام: "**قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده**". [رواه البخاري رحمه الله ٨/١٥٧ رقم (٦٦١٤)، ومسلم رحمه الله ٨/٤٩ رقم (٦٩١٢)]

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ): "وله يد ووجه ونفس فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته، أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري ص: ١٦]

وقال علي بن محمد البزدوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٤٨٢ هـ): "وكذلك إثبات اليد والوجه حق عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف و إنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات فصاروا معطلة". [أصول البزدوي، ص: ١٠ ، ومع شرحها كشف الأسرار للعلاء الدين البخاري (المتوفى: ٧٣٠ هـ) ١/٦٠، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص: ٩٣]

وقال شمس الأئمة السرخسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٤٨٣ هـ): "وكذلك الوجه واليد على ما نص الله تعالى في القرآن معلوم وكيفية ذلك من المتشابه فلا يبطل به الأصل المعلوم، والمعتزلة خذلهم الله لاشتباه الكيفية عليهم، أنكروا الأصل فكانوا معطلة بإنكارهم صفات الله تعالى، وأهل السنة والجماعة نصرهم الله أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص، وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية، فلم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله تعالى به الراسخين في العلم فقال: ﴿ **وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [آل عمران: ٧]. [أصول السرخسي ١/١٧٠]

وقال أبو المنتهى المغنيساوي الحنفي (المتوفى في حدود ١٠٠٠ هـ): "(**فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف**)، أي أصلها معلوم ووصفها مجهول لنا، فلا يبطل الأصل المعلوم بسبب التشابه، والعجز عن درك الوصف إدراك، وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: أن الكيفية مجهولة، والبحث عنها بدعة. (**ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته**

لأن فيه) أي: في هذا القول **(إبطال الصفة)** التي دل على ثبوتها القرآن، **(وهو)** أي إبطال الصفة **(قول أهل القدر والاعتزال)**. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٢٦]

وقد أقر العلامة الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ) كلام الإمام أبي حنيفة والإمامين البزدوي والسرخسي رحمهما الله تعالى، وكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن تأويل الصفات تعطيل لها. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٩١-٩٣]

وقال القاري رحمه الله تعالى أيضا: "ولا يقال إن الرضى إرادة الإكرام، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريده ولا يشاؤه وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب ويرضى ما لا يريده ويكره ويسخط ويغضب لما أراده، ويقال لمن تأول الغضب بإرادة الانتقام، والرضى بإرادة الإنعام والإكرام، لـِم تأولت ذلك الكلام؟

فلابد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا، هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا مائل إلى ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه يزداد بوجوده وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذلك، فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة،

قيل له: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات

الله لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لابد أن يثبت شيئا لله على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به ووجود الباري كما يليق به.[شرح الفقه الأكبر، ص: ٩٥-٩٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وروى عن ابن عباس قال: "**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**".

قوله: "**في كف الرحمن**"، هكذا ساقه المؤلف، وفي السنة للإمام عبد الله وتفسير ابن جرير بلفظ (في يد الله)، إلا أن صفة الكف لله تعالى ثابتة في أحاديث أخر صحيحة كما في الحديث: "**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**" رواه مسلم ٧٠٢/٢ رقم (١٠١٤).

قوله: "**إلا كخردلة في يد أحدكم**"، حبة نبات صغيرة جدا، يضرب بها المثل في الصغر والقلة، وهذا يدل على عظمته سبحانه، وأن السموات وما فيهن والأرض ومن فيهن كلهم في قبضة الخالق لا يثقله حملهم ولا يخفى عليه شيء من عملهم، كما ثبت عن وهب بن منبه أنه قال: (ما الخلق في قبضة الله إلا كخردلة هاهنا من أحدكم). [خلاصة التفريد ص: ٩٧٦]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: " عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.

ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف". [شرح العقيدة الطحاوية، ٣٧٤/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**".

قوله (**ترس**): هو شيء من جلد أو خشب يحمل عند القتال يتقي به السيف والرمح ونحوهما، فلو ألقيت سبعة دراهم لكانت صغيرة جدا، والكرسي كالقبة على السموات، السموات في داخله صغيرة، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه قائم بنفسه وليس شيئا معنويا، وفيه رد على من تأوله بمعنى الملك وسعة السلطان، ويشهد له ما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: (المرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره أحد). [خلاصة التفريد، ص: ٩٧٧-٩٧٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**".

قوله: (فلاة) أي: مفازة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قوله: "**والعرش فوق الماء**"، ثم فوق الماء عرش الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، فكما أن في الأرض بحرا يغمرها فكذلك في السماء بحر آخر غير البحر الذي في الأرض، وهذا البحر الذي في السماء بحر هائل عمقه خمسمائة عام.

إذا يكون العرش هو أعظم المخلوقات، أعظم من هذا البحر، وأعظم من الكرسي، وأعظم من السموات، وأوسعها، وأعظمها، والله سبحانه وتعالى أضافه إلى نفسه فقال: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾

[البروج: ١٥]، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، فتمدح سبحانه وتعالى به وذلك لأنه خلق عظيم، ولا خلق فيه عبر عظيمة يدل على عظمة خالقه.

قوله: "**والله فوق العرش**"، وفيه إثبات صفة الفوقية والعلو لله سبحانه وتعالى.

والنصوص الواردة في إثبات صفة الفوقية والعلو لله سبحانه وتعالى:

١-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]،

٢-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

٣-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[يونس: ٣]،

٤-وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد: ٢]،

٥-وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]،

٦-وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]،

٧-وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤]،

٨-وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد: ٤]،

٩-وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]،

١٠-وقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨]،

١١-وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]،

١٢-وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]،

١٣-وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]،

١٤-وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: ٥]،

١٥-وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧]،

١٦-وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]،

١٧-وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية: ٢]،

١٨-وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦ – ١٧]، وغيرها من الآيات التي تدل على هذه الصفة.

الأحاديث التي تدل على صفة الفوقية والعلو وهي:

١ – منها حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: (كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فأطلقتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم، فأسفت فصككتها فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فعظم ذلك على، فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ فقال: **أدعها**، فدعوتها، فقال لها: **أين الله؟** قالت: في السماء، قال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله، قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**)، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

٢ – ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**)، متفق عليه.

٣ – حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة: (**ألا هل بلغت**) فقالوا: نعم، يرفع أصبعه إلى السماء ينكتها إليهم ويقول: (**اللهم اشهد**)، أخرجه مسلم.

٤ – حديث أبي هريرة: (**إن الله لما قضى الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**)، متفق عليه.

٥ – حديث أبي سعيد الطويل في الخوارج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني الوحي صباحا ومساء**).

٦ – حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**).

٧ – حديث أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: (**زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات**).

وفي لفظ أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (**زوجنيك الرحمن من فوق عرشه**). صحيح رواه البخاري.

٨ - حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها**)، أخرجه مسلم.

٩ - حديث أبي هريرة أيضًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإنه يتقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تصير مثل الجبل**)، أخرجه البخاري.

١٠ - حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن معاذ يوم بني قريظة: (**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات**).

١١ - حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل: (**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**).

وفي رواية: (**فآتي باب الجنة فيفتح لي فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجدا**).

١٢ - حديث أبي هريرة وغيره في نزول الرب تبارك وتعالى هو حديث متواتر ولفظه (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال هكذا حتى يطلع الفجر**).

وقد ورد في بعض الروايات (لا أسأل عن عبادي غيري) فهل يعقل نزول إلا ممن هو عال؟

لكن بعض العلماء يمارون في حديث النزول ويعترضون عليه بأن في كل لحظة من الزمان ثلث ليل آخر، فهلا اعترضوا بذلك على قائله عليه الصلاة والسلام؟.

وإذا كان هذا هو مبلغ إيمان هؤلاء بكلام نبيهم، فماذا نملك نحن لهم؟ اللهم إنها فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء.

١٣ – حديث الإسراء والمعراج، وهو متواتر أيضًا، وفيه: (ودنا الجبار فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدني) وفيه أيضا أن موسى قال لنبينا عليهما الصلاة والسلام (**ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف**) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**مازلت أرجع بين ربي وبين موسى**).

ونجتزئ بهذا القدر من السنة المطهرة، وكلها أحاديث متونها وأسانيدها كالشمس في الإشراق، ولكن المعطل الجاحد بما في قلبه من غرض التعطيل لا يسيغها بل يشرق بها.

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا

وأورد بعد ذلك ما يتسع له المجال من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى الذين هم أعرف بالله ودينه وكتابه، وأشد تنزيها له من هؤلاء النافين الجاحدين.

١ – أخرج البخاري في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر قال: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه: (أيها الناس: إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإنه قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء، فإن إلهكم لم يمت).

٢ – قال عمر رضي الله عنه في شأن خولة بنت ثعلبة: (هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات).

٣ – قال عبد الرحمن بن غنم: سمعت عمر بن الخطاب يقول: (ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضي بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ورهبة، وجعل كتاب الله مرآة عينيه).

٤ – روى عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: (العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم).

٥ – وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (من قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر، تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجئ بهن وجه الرحمن عز وجل).

٦ – وصح عنه كذلك أنه قال: (إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له، نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار).

وصح عن عائشة أنها قالت يوم قتل عثمان: (وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت، ولكن علم الله فوق عرشه أني لم أحب قتله).

٨ – روى الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر) وهذا القول محفوظ كذلك عن ربيعة الرأي ومالك بن أنس وأبي جعفر الترمذي وغيرهم.

٩ – كان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: (حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات).

١٠ – قال نوف البكالي – من وعاظ التابعين – (إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال أنا ربك الأعلى).

١١ – وروى الالكائي عن ثابت البناني قال: (كان داود يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول إليك رفعت رأسي، نظر العبيد إلى أربابها، يا ساكن السماء).

١٢ – روى مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ [المجادلة: ٧] قال: (هو على عرشه وعلمه معهم – وفي لفظ – هو فوق العرش وعلمه معهم حيث كانوا)...[من بداية الأحاديث إلى هنا من كلام محمد خليل هراس رحمه الله تعالى]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ):

"من قال: لا اعرف ربي في السماء أو في الأرض، فقد كفر. وكذا من قال: إنه على العرش ولا ادري العرش أفي السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل، ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء. وعليه ما روى في الحديث أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال وجب علي عتق رقبة أفتجزىء هذه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **أمؤمنة أنت؟** فقالت: نعم. فقال: "**أين الله؟**"، فأشارت إلى السماء. فقال: "**اعتقها فإنها مؤمنة**". [الفقه الأبسط، ص: ١٣٥ وشرح الطحاوية، ص: ٢٦٧]

روى البيهقي في كتاب " الأسماء والصفات ٣٣٨/٢" بإسناده إلى نعيم ابن حماد قال : سمعت نوح بن أبي مريم أبا عصمة يقول: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشره آلاف من الناس تدعو إلى رأيها، فقيل لها : إن ههنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة . فأتته فقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إليها وقد وضع كتابا : **الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض** .

فقال له رجل : أرأيت قول الله عز وجل :﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ [الحديد: ٤]؟

قال : هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه .

قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله : إن الله عز وجل في السماء ، وقد رواه الذهبي في كتاب " العلو " من طريق البيهقي ".

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

"ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته. وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في

بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استتابته بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش – مشهورة، رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره". [شرح الطحاوية، ص: ٢٦٧]

قال بشار بن موسى الخفاف: جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول يتكلمون! قال: وما يقولون: قال: يقولون: الله في كل مكان، فقال أبو يوسف: علي بهم، فانتهوا إليهم وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول وبالآخر شيخ، فقال أبو يوسف –ونظر إلى الشيخ–: لولا أن فيك موضع أدب لأوجعتك فأمر به إلى الحبس، وضرب الأحول وطوف به". [مختصر العلو للعلي العظيم، ص: ١٥٤-١٥٥]

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي يقول: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي–وحبس رجلا في التجهم "فتاب" فجئ به إليه ليمتحنه–فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد.

كان هشام بن عبيد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين". [المصدر السابق، ص: ١٨١]

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ) في بيان عقيدة أهل السنة عامة وللحنفية خاصة: "والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه". [العقيدة الطحاوية]

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة ((من)) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ [النحل: ٥٠] .

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿ **وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ** ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١] .

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] . وقوله صلى الله عليه وسلم: «فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم» .

الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] .

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] . وقوله: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] .

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدخان: ١ – ٥] .

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾

[الأنبياء: ١٩] . ففرق بين ((من له)) عموما وبين ((من عنده)) من ملائكته وعبيده خصوصا، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: «أنه عنده فوق العرش» .

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون ((في)) بمعنى ((على)) ، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة ((على)) مختصا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبا في الأكثر لأداة ((ثم)) الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا**".

والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع، ...

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: أنتم مسئولون عني، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا. نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلا: اللهم اشهد. فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله،

وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: اللهم اشهد، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ " الأين " كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلا بوجه: " أين الله "، في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته صلى الله عليه وسلم لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] .

فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.

السابع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم: "**أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار**".

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]. ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم رواه الإمام أحمد في المسند، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه.

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية. ولهذا طرد الجهمية النفيين، وصدق أهل السنة بالأمرين معا، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذبا بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!

وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك! [شرح الطحاوية، ٣٧٦/١-٣٨٠، ط. مكتبة المعارف]

خطأ من ظن أن السماء قبلة الدعاء

واعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض؟ وأجيب على هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء – لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو إن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء –: فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة. والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازا، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك. ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته! هذا لا يخطر في قلب ساجد. لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سمع وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا. وإن من أفضى به النفي إلى هذه الحال حري أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية. [شرح العقيدة الطحاوية، ٣٩٢/٢-٣٩٤، وروح المعاني ١١٥/٧-١١٦، وجلاء العينين، ص: ٤١٠-٤١١، وغاية الأماني ٥٧١/١-٥٧٢]

قوله: "**لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**"،

أي مع علوه على خلقه لا يتصور أحد أنه بعيد عن عباده، بل له هذا العلو، ومع هذا لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، فهو سبحانه وتعالى فوق العرش وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه شيء:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥]،

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣]،

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿ مَعَكُمْ ﴾ أي: بعلمه سبحانه وتعالى وإحاطته، لا تخفون عليه، ولا تخفى عليه أعمالكم خيرها وشرها، وكل ما يصدر من عباده، فإنه يعلمه سبحانه وتعالى من الطاعات والمعاصي والخير والشر، كله يعلمه سبحانه وتعالى، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. [خلاصة التفريد، ص: ٩٨٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**" أخرجه أبو داود وغيره.

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى: "فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله وعظم مخلوقاته وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه و سلم ويدل على كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه وبالله التوفيق". [التيسير، ص: ٦٧٨]

قوله: " **أخرجه أبو داود وغيره**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب في الجهمية والمعتزلة، ٦٤٣/٢، رقم (٤٧٢٣) و(٤٧٢٥)، والإمام أحمد في مسنده ٢٠٦/١، رقم (١٧٧٠)، والدارمي في الرد على الجهمية ص: ٥٠، والترمذي في سننه ٤٢٤/٥، رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجة في سننه ١٣٣/١، رقم (١٩٣).

هذا ما تيسير جمعه في هذا الشرح، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح وأن يجعله خالصا لوجهه وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى أعلم، وصلى الله على خير خلقه نبيينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، أجمعين. قد تم هذا الشرح بعون الله وتوفيقه وفضله يوم الأربعاء ٢٢/جمادي الأولى/١٤٤٢ هـ الموافق بـ ٦/يناير/٢٠٢١ م.

فهرست الموضوعات

المجموع من كلام الحنفية

في شرح

كتاب التوحيد

المؤلف

أبو أحمد شهاب الدين بن صالح بن سيد

التاجيكي

الجزء الثاني

الباب الرابع والثلاثون

من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**" .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**".

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**" ، حسنه الترمذي.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله".

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف كثيرة، وذكر الصبر في القرآن في بضع وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الخير والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له، ولا يحتاج إلى عد آيات الصبر وهي معلومة.

وأما حقيقة الصبر، فالصبر في اللغة: الحبس، قال الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، أي: احبس نفسك.

وفي الشرع: عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى، وإنما سمي هذا صبرا، لأنه حبس النفس عن الجزع والحرج فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك في الشدة، وقيل: بل إرادة الخروج عن الشدة

بالحكم والصبر، وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وأنها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر فلا فائدة في الجزع، بل فيه ضرر وخطر، وحصن هذا الحصين ذكر عوض الله تعالى وكريم الذخر في ذلك لديه.

واعلم أن الصبر صبران: **أحدهما** أفضل من الآخر: الصبر في المصيبات عند الصدمة الأولى وأفضل منه الصبر فيما حرمه الله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة،

وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة،

وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة،

فإنما فضلت هذه الرتبة لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن محارم الله تعالى.

وأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الصديقون، فإن ذلك شديد على النفس.

فإن قلت: فماذا تنال درجة الصبر في المصيبة وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى، فإن كان المراد أن لا يكون في نفسه كراهية المصيبة، فذلك غير داخل في الاختيار؟

الجواب: إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير الهيئة والعادة في المجلس والمفرش والمطعم وهذه الأمور داخلة تحت الاختيار فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر رضاء الله تعالى ويستمر على عادته ويعتقد أن ذلك كانت وديعة عنده واسترجعت ولا يخرجه عن حد الصبر توجع القلب ولا فيضان الدمع والتوجع والبكاء على الميت من مقتضى البشرية.

واعلم أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال، وأما في الطاعة وذلك في تصميم النية والصبر عن شوائب الرياء، وهو من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص ومكائد عمن سواه ومكائد النفس والشيطان وفي حالة العمل كيلا يغفل عن تحقيق أدائه وسننه إلى تمامه وهذا صبر شديد

أيضا وبعد فراغ العمل عن إفشائه وتسميعه للرياء والنظر إليه بالعجب، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]،

وأما في الغنى فما أحوج العبد إلى الصبر فيه، فإنه أن يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلى ملاذ الدنيا المباحة أخرجه إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، والصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء، ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا: ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر.

ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والأهل والأولاد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، أما الصبر في الفقر فظاهر.

وأما في المعاصي فما أحوج العبد إلى الصبر عنها خصوصا عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تصريحا وتعريضا، وأنواع المزاح المؤذي للقلوب، وغير ذلك من الكلمات الرديئة. ومن أشد الصبر، الصبر على أذى الناس في ذلك بترك المكافأة.

والحاصل: أن العبد يحتاج إلى الصبر في جميع الأحوال في حالة الفقر والغنى والصحة والمرض والطاعة والمعصية والضراء والسراء، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وورد في الخبر: "من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي".

وبالجملة: السعادة العظمى في الصبر والهلاك والبوار والخسارة في تركه، والصبر إما بدني بالفعل كالطاعات أو بالاحتمال أي احتمال الأذى.

وإما نفسي، فإن كان عن شهوة البطن والفرج، فهو العفة، أو كان في مصيبة فيقتصر على اسم الصبر، وضده الجزع والهلع، أو في الغنى فهو ضبط النفس وضده البطر وفي المقابلة فهو الشجاعة، وضده الجبن، أو كظم الغيظ فهو الحلم وضده التذمر أو في نائبة مضجرة فهو سعة الصدر وضده الضجر، والتبرم وضيق الصدر أو في إخفاء كلام فهو كتمان السر أو عن فضول العيش فهو الزهد وضده الحرص أو على يسير من الحظوظ فهو القناعة وضده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان في الصبر، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإيمان، قال: "هو الصبر والسماحة"، كما قال: "الحج عرفة". والحاصل أن المراد من الصبر ترك العمل بمقتضى النفس. [تبيين المحارم، ص: ٧٢٠-٧٢٢]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: " فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويعلم أن ما دفع الله عنه من البلاء، أكثر مما أصابه، ويحمد الله تعالى على ذلك.

وينبغي للعبد أن يقتدي بنبيه صلى الله عليه وسلم وينظر إلى صبره على أذى المشركين". [تنبيه الغافلين، ص: ١١٩]

قوله: "**على أقدار الله**"، أقدار جمع القدر،

قال الفراهيدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٧٠ هـ): "**القدر**: القضاء الموفق، يقال: قدره الله تقديرا. وإذا وافق الشيء شيئا قيل: جاء على قدره". [كتاب العين، ١١٢/٥]

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٩٥ هـ): "والقدر: القضاء الذي يقدره الله عز وجل". [مجمل اللغة، ٧٤٥/١]

وقال رحمه الله أيضا: "(قدر) القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه. وكذلك القدر. وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا". [مقاييس اللغة، ٦٢/٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]".

قال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ أي يصدق أنه لا يصيبه شيء من ذلك إلا بمشيته ويعلم أنه من الله تعالى لا من غيره ﴿ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ أي يشرح صدره لعمل الخير ويصلحه بتوفيقه ليسترجع عند نزول المصيبة، وعن مجاهد: "إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر". [عيون التفاسير، ٢٢٠/٤]

وقال أحمد الكوراني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٩٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ يثبته، إن ابتلاه صبر، وإن أعطاه شكر، وإن ظلمه أحد غفر، أو من كان قابلا مستعدا للإيمان يوفقه له ويؤيده". [غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، ص: ١٧٥]

وقال العلامة محمود الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير ، أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه". [روح المعاني، ٤٣٧/٣]

دلت الآية الكريمة على أن الصبر على أقدار الله وعدم الجزع من علامات الإيمان بالله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**" .

قال العلامة علي محفوظ الحنفي رحمه الله تعالى: " قال الإمام النووي في شرح مسلم: وهذا الحديث على تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة.

وفي معنى الكفر أقوال أصحها: أنها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، وروى البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة

ورنة عند مصيبة. وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجها، ولا ندعو ويلا، ولا نشق جيبا، ولا ننشر شعرا". رواه أبو داود.

وخمشت المرأة وجهها بظفرها خمشا: جرحت ظاهر البشرة من بابي ضرب ونصر، ثم أطلق الخمش على الأثر وجمع على خموش كفلس وفلوس.

فأنت ترى ما اشتملت عليه هذه الأحاديث الصحيحة من اللعن وأن ذلك كفر، أي: يؤدي إليه أو لمن استحل، وغير ذلك من أنواع الوعيد الشديد، ومنها يظهر صحة ما قاله غير واحد من المحقيقين من أن تلك الأعمال كلها كبائر ويلحق بها ما في معناها.

قال الإمام الأذرعي: الأحاديث الصحيحة تقتضي أن ذلك من كبائر الذنوب لأنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من فاعل ذلك قال: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب..." الحديث، ثم قال: ويجب الجزم بأن من جمع بين النياحة وشق الجيب والصياح، مع العلم بالتحريم واستحضار النهي عنه والتشديدات فيه وتعمد ذلك خرج عن العدالة، لجمعه بين هذه القبائح وإيذاء الميت بذلك، كما نطقت به السنة، انتهى.

وقال الخادم: وأما النياحة وما بعدها فقضية الخبر بالتوعد عليه أن يكون كبيرة، اهـ.

وجملة الكلام: أنه يحرم الندب: وهو تعديد محاسن الميت كواجبلاه واعزاه.

والنوح: وهو رفع الصوت بالندب، ومثله الإفراط في رفعه بالبكاء وإن لم يكن معه ندب ولا نوح وضرب نحو الخد وشق نحو الحبيب ونشر الشعر وحلقه ونتفه وتسويد الوجه وإلقاء الرماد على الرأس، والدعاء بالويل والثبور، وكل شيء فيه تغيير للزي كلبس ما لا يعتاد لبسه أصلا أو على تلك الصفة، وكترك شيء من لباسه والخروج بدونه على خلاف العادة.

وقد ابتلي كثير من الناس بتغيير الزي، وعدم حلق الشعر، مع ما تقرر من حرمته، بل كونه كبيرة وفسقا قياسا على تلك المذكورات وإن كانت أفحش من ذلك لأنهم عللوها بما يعم الكل وهو أن ذلك يشعر إشعارا ظاهرا بالسخط وعدم الرضا بالقضاء والعياذ بالله تعالى.

"**والصغيرة**": هي التي لا يشم منها الاعتراض على القضاء ولكنها تبعد السلوة عن أهل الميت وتبعث الأسى في نفوسهم فيؤدي ذلك إلى تعذيب نفوسهم وقلة صبرهم وشدة ضجرهم، وربما حملهم ذلك على شق الجيوب وضرب الخدود وكل هذا ينهى عنه الشارع سواء في البكاء زيادة تعذيب للنفس.

أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعده لكن الأولى تركه بعده إن أمكن، إذ قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى قبله على ولده وغيره...". [الإبداع في مضار الابتداع، ص: ٢٣٦-٢٣٧]

قوله: "**وفي صحيح مسلم**"، أي رواه مسلم في صحيحه، في باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، (٨٢/١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**".

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

قوله: "**ليس منا**" ، أي: ليس من أهل سنتنا ولا من المهتدين بهدينا، وليس المراد الخروج به من الدين جملة، إذ المعاصي لا يكفر بها عند أهل السنة، اللهم إلا أن يعتقد حل ذلك.

وسفيان الثوري أجراه على ظاهره من غير تأويل لأن إجراءه كذلك أبلغ في الإنزجار مما يذكر في الأحاديث التي صيغها: ليس منا.

وقال الكرماني: هذا للتغليظ، أللهم إلا أن يفسر دعوى الجاهلية بما يوجب الكفر، نحو تحليل الحرام وعدم التسليم لقضاء الله تعالى، فحينئذ يكون النفي حقيقة.

وقال ابن بطال: معناه: ليس مقتديا بنا ولا مستنا بسنتنا.

وقيل معناه: ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا.

وقيل: معناه محمول على المستحل لذلك.

قوله: "**من لطم الخدود**" ، ويروى: "من ضرب الخدود" ، وهو جمع: خد، وخص بذلك لكون اللطم أو الضرب غالبا يكون في الخد، وإلا فضرب بقية الوجوه داخل في ذلك.

قوله: "**وشق الجيوب**" ، بضم الجيم: جمع: جيب وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس، وهو الطوق في لغة العامة. وقال بعضهم: المراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره، وهي من علامات التسخط،

قلت (القائل هو العيني رحمه الله): الشق أعم من ذلك، فمن أين أخذ أن المراد ما ذكره؟ فإذا شق جيبه من ورائه أو من يمينه أو من يساره لا يكون داخلا فيه.

قوله: "**ودعا بدعوى الجاهلية**" ، وفي رواية مسلم: "بدعوى أهل الجاهلية" ، وهي زمان الفترة قبل الإسلام، والمراد أنه قال في البكاء مما يقوله أهل الجاهلية مما لا يجوز في الشريعة، كقولهم: واجبلاه واعضداه، ونحو ذلك. [عمدة القاري للعيني رحمه الله، ٨/٨٧-٨٨]

قوله: "**ليس منا**"؛ أي: ليس من الذين يتبعونا؛ أي: ليس من أمتي الكاملين من ضرب يده على وجهه عند البكاء. "**وشق الجيوب**"؛ أي: خرق ثوبه عند البكاء. "**ودعا بدعوى الجاهلية**"؛ أي: وقال عند البكاء ما يقول به أهل الجاهلية مما لا يجوز في الشرع. [المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري، ٢/٤٥٧-٤٥٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة** ... " إلى آخره.

أي: ابتلاه الله تعالى بالمكاره حتى تكون تلك المكاره كفارة لذنوبه حتى إذا وصل إلى القيامة لم يبق له ذنب.

قوله: "**أمسك عنه بذنبه**"؛ أي: أخر عنه العقوبة بذنبه في الدنيا، "**حتى يوافيه**"؛ أي: حتى يجازيه. "**به**"؛ أي: بذنبه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٤٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**" ، حسنه الترمذي.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: "**إن عظم الجزاء**"؛ أي: إن كثرة الثواب تحصل بوصول كثرة البلاء إلى الرجل.

"**فمن رضي فله الرضا**"؛ أي: فمن رضي بالبلاء وصبر عليه، يحصل له رضا الله تعالى.

"**ومن سخط**"، أي: ومن كره البلاء وجزع، ولم يرض بحكم الله، يحصل له سخط الله وغضبه، والسخط من العبد: يتعلق بالقلب لا بالأنين باللسان.

فكم من رجل له أنين من شدة المرض، وفي قلبه الرضا والتسليم بأمر الله، فلا تقل عمن سمعته يئن: إنه غير صابر؛ لأن الرضا والسخط محلهما القلب، وأنت لا تطلع على قلب أحد". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٤٠٨]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**إن عظم الجزاء**"؛ أي: كثرة الثواب "**مع عظم البلاء**"؛ أي: يحصل بحسب كثرة البلاء. "**وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي**"؛ أي: بالبلاء وصبر عليه "**فله الرضا**"؛ أي: يحصل له رضاء الله ورحمته.

"**ومن سخط**"؛ بكسر الخاء؛ أي: كره البلاء وجزع ولم يرض بحكم الله "**فعليه السخط**" من الله والغضب عليه، والرضاء والسخط يتعلقان بالقلب لا باللسان، فكثير ممن له أنين من وجع وشدة مرض مع أن في قلبه الرضاء والتسليم بأمر الله تعالى". [شرح المصابيح، ٢/٣٢٤]

وفي الحديث إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه تعالى يِحب ويُحَب.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "ومما يدل على إثبات الحب لله قوله عز وعلا: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤، ثم في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، دليل على إثبات الحب". [شرح عين العلم وزين الحلم للقاري، ٣٥٤/٢]

وقال أيضا رحمه الله: "وورد في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤. [المصدر السابق، ٣٧٣/٢]

وفي الحديث إثبات صفة الرضا والسخط لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف". [الفقه الأكبر]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى أيضا: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه". [الفقه الأبسط]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى". [العقيدة الطحاوية]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

قوله: (**والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى**).

ش: قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ [المائدة: ١١٩]. ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١] ونظائر ذلك كثيرة.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة

بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: "إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين".

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة [الاستواء]: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروي أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا عليها، ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: "من لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه". ويأتي في كلامه"أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل".

فقول الشيخ رحمه الله: "**لا كأحد من الورى**"- نفي التشبيه. [شرح الطحاوية، ص: ٤٧١-٤٧٢]

الباب الخامس والثلاثون

ما جاء في الرياء

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

وعن أبي هريرة مرفوعا: "**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" ، رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعا: "**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**" ، رواه أحمد.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في الرياء".

معنى الرياء لغة وشرعا:

قال ابن فارس رحمه الله: "الراء والهمزة والياء أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء. والعرب تقول: ريته في معنى رأيته وتراءى القوم، إذا رأى بعضهم بعضا. وراءى فلان يرائي. وفعل ذلك رئاءَ الناس، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس". [مقاييس اللغة، ٢/٤٧٢-٤٧٣]

وقال الزبيدي رحمه الله تعالى: "و راءيته مراءاة ورئاء، بالكسر: أريته أني على خلاف ما أنا عليه". [تاج العروس، ١٩/٤٣٦]

وقال صاحب دستور العلماء: "الرياء: زيادة العمل الخير على المعتاد لإراءة الناس فلهذا يتصور في الصلاة دون الصوم نعم يتصور في عدد الصوم. وبعبارة أخرى الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [دستور العلماء، ٢/١٠٦]

وقال البركتي: "الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله أو عمل الخير لإرادة الغير". [التعريفات الفقهية، ص: ١٠٧]

وقال الجرجاني رحمه الله: "الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه". [التعريفات، ص: ١١٣]

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: " حقيقة الرياء وهو طلب المنزلة في القلوب بإرادة الفضائل، وفي العرف بإظهار العبادات واشتقاقه من الرؤية، فحد الرياء هو: إرادة العباد بطاعة الله تعالى وكل عمل من عمل الآخرة لأجل الدنيا فهو رياء، لأن كل عمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى فهو داخل في الرياء، لأن الرياء هو العمل لغير الله تعالى وإن كان أصل الاشتقاق من الرؤية، ولكن المقصود منه العمل لغير الله تعالى". [تبيين المحارم، ص: ١٤٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]".

قال النسفي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ خالصا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو مالا يستحي منه ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ هو نهي عن الشرك أو عن الرياء . [تفسير النسفي المسمى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (٢/ ٣٢٣)]

وقال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: " قوله عز وجل: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، يحتمل: حقيقة الإشراك في العبادة والألوهية، على ما أشرك أولئك: أشركوا الأصنام والأوثان التي عبدوها في عبادته وألوهيته، ويحتمل: المراءاة في العمل الصالح، على ما يرائي بعض أهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعة والخيرات، والله أعلم بالصواب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. [تفسير الماتريدي المسمى بـ "تأويلات أهل السنة" (٧/ ٢١٧)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة مرفوعا: "**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" ، رواه مسلم".

قال ابن الملك رحمه الله تعالى: "قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء" أفعل التفضيل من غني به عنه غنية؛ أي: استغنى به عنه، وإضافته إما للزيادة المطلقة من غير أن يكون في المضاف إليهم شيء مما يكون في المضاف؛ أي: أنا أغنى من بين الشركاء (عن الشرك) وهو اسم المصدر الذي هو الشركة، وإما للزيادة على من أضيف إليه؛ أي: أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك، فإن بعض الناس قد يكون غنيا عن الشريك، ولكن لم يكن استغناؤه عنه في جميع الأوقات. "**من عمل عملا أشرك فيه معي غيري**"؛ أي: لم يخلص العمل لي، بل كان للرياء والسمعة.

"**تركته وشركه**" الضمير راجع إلى (من)، والواو للمعية أو للعطف على الضمير المنصوب في (تركته)؛ أي: أجعله وعمله المشرك فيه مردودا من حضرتي". [شرح المصابيح، ١/٥٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء " أي: أنا أغنى من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى "عن الشرك" ، أي عما يشركون به مما بيني وبين غيري في قصد العمل، والمعنى: ما أقبل إلا ما كان خالصا لوجهي، وابتغاء لمرضاتي، فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول، ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله: "من عمل عملا أشرك فيه" أي: في قصد ذلك العمل "معي" أي: مع ابتغاء وجهي "غيري" أي: من المخلوقين، فلا يضره قصد الجنة وتوابعها مثلا، فإنها من جملة مرضاته سبحانه، وإن

كان المقام الأكمل أن لا يعبده لطمع جنة أو خوف نار، فإنه عد كفرا عند بعض العارفين، لكن التحقيق فيه: أنه لو كان بحيث لو لم تخلق جنة ولا نار لما عبده – سبحانه – لكان كافرا، فإنه يستحق العبادة لذاته ؛ ولذا مدح صهيب بما روي في حقه: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله ما عصاه» ، قوله: "تركته وشركه" : خبر من، والواو بمعنى "مع"، أو المعنى: تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول". [مرقاة المفاتيح، ٣٣٣١/٨]

وقال العلامة إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى: "وقد دل هذا الحديث على أن اللّٰه تعالى لا يقبل عملا أشرك فيه معه غيره، فلا يقبل عبادة المشرك بل يتبرأ منها، وليس شأنه شأن الذين يأخذون نصيبهم من الشيء المشترك بينهم وبين غيرهم، فإنه أغنى من كل غني، وأغير من كل غيور، فلا يقبل إلا خالصا مخلصا، ليس لأحد فيه سهم أو نصيب". [رسالة التوحيد، ص: ٩١]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه في باب من أشرك في عمله غير الله، ٢٢٣/٨، رقم: (٧٦٦٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي سعيد مرفوعا: "**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**" ، رواه أحمد".

قوله: "**رواه أحمد**"، أي خرجه أحمد في المسند (٣٥٥/١٧ رقم: ١١٢٥٢).

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**ألا أخبركم**" : قال الطيبي رحمه الله: "ألا" ليست للتنبيه، بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام، يعني بقرينة بلى في جوابهم، والمعنى: ألا أعلمكم "**بما هو أخوف عليكم**" أي: لعمومه وخفائه "**عندي**" أي: في شريعتي وطريقتي "**من المسيح الدجال**"، أي لخصوص وقته، ولظهور مقته، فيجب عليكم رعاية محافظته (فقلنا: بلى يا رسول الله**!** فقال: "**الشرك الخفي أن يقوم** " بدل مما قبله، أو التقدير هو أن يقوم "**الرجل فيصلي**" بالرفع والنصب، وكذا قوله: "**فيزيد**" أي: في الكمية أو الكيفية "**صلاته**" أي: في جميع أركانها أو

بعضها "**لما يرى من نظر رجل**" أي: مخلوق مثله "**إليه**"، ولم يكتف باطلاعه سبحانه عليه". [مرقاة المفاتيح، ٣٣٤٢/٨]

وفي رواية ابن ماجة رحمه الله: "**فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل**". [سنن ابن ماجة، ٢٩١/٥، رقم (٤٢٠٤)] وفي مشكاة المصابيح (١٥٦/٣، رقم: ٥٣٣٣): "**فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل**".

قال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "واعلم أن الرياء حرام، والمرائي ممقوت عند الله تعالى قد شهدت بذلك الآيات والأحاديث.

أما الآيات، فمنها قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ...[البقرة: ٢٦٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، قال مجاهد: هم أهل الرياء.

وأما الأخبار، قال صلى الله عليه وسلم: "**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء**"...

وقال علي رضي الله عنه: "للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص منه إذا ذم".

وقال رجل لسعيد بن المسيب: إن أحدنا يصنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال: أتحب أن تمقت؟ قال: لا، قال: فإذا عملت لله عملا فأخلصه.

ويقال: إن المرائي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غاوي، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجرك لك عندنا.

وقال الفضيل رحمه الله: كانوا يراؤون بما يعملون، فصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون.

وينبغي للعاقل العامل أن يأخذ الأدب في عمله من راعي الغنم، لأن راعي الغنم إذا صلى عند غنمه، فإنه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه، كذلك العامل ينبغي أن لا يبالي من نظر الناس إليه، ويعمل لله تعالى عند الناس وفي الخلاء بمنزلة واحدة ولا يطلب به محمدة الناس.

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: والمراءاة **إما وصف** في البدن كالنحول والصفرة يريهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وقلة الأكل وبالصفر على سهر الليل وإغارة العين وذبول الشفتين، **وإما الزي والهيئة** كإطراق الرأس وغلظ الثياب وتركها مخرقة، **وإما القول** كالوعظ والتذكير والنطق بالحكم، وحفظ الأخبار والآثار للاستعمال في المحاورة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات، وتضعيف الصوت بالذكر والقراءة، ليدل بذلك على شدة الحزن وغلبة خوف الله تعالى وهو كثير وأنواعه لا تحصى.

وإما العمل كمراءاة المصلي بطول القيام وغيره، وكذلك بالصوم والحج والغزو والصدقة وغير ذلك من سائر العبادات، وإما الأصحاب والزائرون كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء أو عابدا من العباد، ليقال إن فلانا زار فلانا ويقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته، أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان، ليقال إنهم يتبركون به، لعظم رتبته، أو كالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرا.

والرياء إما في أصل الدين وهو النفاق، وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمة الشهادة، وباطنه مشحون بالكذب، وإما في أصل العبادة كإقامة الصلاة المكتوبة في الجماعة مع تركها في الخلوة، وكذا الصوم وحضور الجمعة، ولو لا خوف المذمة لا يحضرها وهو عظيم أيضا ولكن دون الأول، لأن صاحب هذا مصدق بأصل الدين أو أقام النوافل كحضور الجماعة والتهجد وصيام عرفة وعاشوراء وهو دون الأولين، لأن فيهما عظم ذم الخلق على عقاب الله تعالى وإيثار حمد الخلق على حمد الخالق وفي الثاني فقط وهو إيثار حمد الخلق على حمد الخالق.

وإما في وصف العبادات وهو ثلاثة:

الأول: يفعل ما في تركه نقصا كإحسان الركوع، وقوله: فعلته صيانة لهم عن الغيبة مكيدة للشيطان، لأن ضرره من نقصان صلاته وخدمة مولاه أعظم من ضرره بغيبة.

والثاني: بمقابلة، لكنه في حكم التكملة كزيادة القراءة على قراءته المعتادة.

والثالث: بزيادة خارجة عنها كقصد الصف الأول وكحضور الجماعة قبل القوم، وكل ذلك مما يعلمه الله تعالى ومنه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي به، والمراءاة بعين العادة محمودة إن يسلم عن الآفات، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، ومذموم إن لم يسلم، ومباح كتحسين الثوب، وإما بالعبادة، فإن قصد به الرياء المحض فتبطل ويأثم لتلبيسه ولاستهزائه بالله تعالى وظنه أن العبد أقدر على تحصيل غرضه من الله سبحانه وتعالى، وإما قصد الأجر وحمد الناس، فهو الشرك المنافي للإخلاص.

وللمرائي له درجات:

مرتبة الأولى: التمكن من المعصية كتولية مال وجحود الودائع، أو يسلم إليه الأموال من الزكاة أو الصدقات ليفرقها، وغرضه أن يستأثر منها ما يقدر أو ملاحظة النسوان والصبيان كالمذكر، ومقصوده الملاحظة، أو حضور مجلس العلم لهذا الغرض، وهذه المرتبة أعظمها وأشدها.

المرتبة الثانية: نيل حظ مباح من مال أو نكاح كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير، فهذا رياء محظور، لأنه طلب بطاعة الله متاع الدنيا، ولكن دون الأول، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

والدرجة الثالثة: خوف الازدراء وأن لا يعد من الزهاد، كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك السبق إلى الضحك والمزاح، فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار، فيتبع ذلك الاستغفار، وإظهار الحزن أو كالذي

يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون أو يصومون الاثنين والخميس أو يتصدقون فيوافيهم خيفة أن ينسب إلى الكسل أو لإلحاق العوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه.

وأول مراتب الرياء الباعث على العمل ثم مخففه ثم السرور باطلاع غيره مع كراهة الرياء ثم حب توقيره، وإبدائه بالسلام، ومسامحته في المعاملات،

وللسرور باطلاع غيره درجات:

الأولى: فرحه بجميل نظر الله تعالى له حيث ستر معصيته وأظهر طاعته مع أنه قصد الإخفاء.

والثانية: بالاستدلال بما في الدنيا على ما في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: "**ما ستر الله على عبد له في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة**".

والثالثة: بظن رغبته المطلعين في اقتدائه.

الرابعة: بطاعتهم لله تعالى في مدح المطيع وحبه، وكل هذه المراتب محمودة.

والخامسة: بقيام منزلته في القلوب، حتى يعظموه، وهي المذمومة.

ومورد الرياء ثلاثة:

الأول بعد الفراغ من العمل، فإنه مجرد سروره بظهوره بلا إظهاره فغير محبط، ولو حدث به وإلا قيس أنه كذا، وإن دل ما في الأخبار على إحباطه منها: ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة سورة البقرة، قال: ذلك حظه منها محمول على أنه قال ذلك استدلالا على أن قلبه لم يخل عن عقد الرياء وقصده.

والثاني قبل الفراغ فمجرد السرور لا يحبط إلا عند طائفة منهم المحانسية والرياء الباعث على العمل مع ضمه به يحبط،...

وهذا في الصلاة والصوم والحج دون الصدقة والتلاوة، فإن كل جزء منها منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي...

وإذا عرفت ما سبق أن الرياء شرك ومحبط للأعمال، وقد نهى عن إضاعة العمل بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]، وأن الرياء سبب لمقت الله تعالى وأنه من الكبائر المهلكات، وما هذا وصفه، فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته، ولو بالمجاهدة، وتحمل المشقة، ويجب على العاقل قلع عروق الرياء عن باطنه، وهي: حب لذة الحمد، والفرار من الذم والطمع بما في أيدي الناس، فأي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله تعالى لأجل حمدهم، ولا يزيد مدحهم رزقا ولا أجلا، ولا ينفعه يوم القيامة غير الحسرة والخزي والحرمان عن الثواب، وأي غرض له في الطمع بما في أيدي الناس، فإن الله تعالى مسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، والخلق مضطرون فيه، ولا معطي ولا مانع إلا الله تعالى ومن يطمع من الخلق لم يخل عن الذم والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة وأي غرض له بالفرار عن ذمهم، ولا يزيد ذمهم شيئا مما يكتبه الله تعالى عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه، ولا يجعل من أهل النار إن كان من أهل الجنة.

فإذا تقرر في قلبه هذه الآفات وأسبابها وضررها فترت رغبته، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره، فمن صادف في نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء، لكن مع ذلك غير خال عن ميل الطمع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كان لحبه فلميله لا يكون في زمرة أهل الرياء، لا يكلف الله النفس إلا وسعها، وليس في وسع العبد منع نزغات الشيطان بالكلية حتى لا تميل إلى الشهوات، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استشارتها من معرفة العواقب، وعلم الدين، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف ومن علاج الرياء، تذكر اطلاع الله على ضميره، وتذكر تركه أن لو اطلع الناس عليه، وأجمع العلماء على حرمة الرياء ووجوب الإخلاص". [تبيين المحارم، ص: ١٣٧-١٤٣]

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما" . [الأذكار للنووي، ص: ٧]

الباب السادس والثلاثون

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا**".

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى: "واعلم أنه لا يجوز لمسلم أن يقصد بعمل الآخرة تحصيل خيرات الدنيا، فهذا حرام بالآيات والأحاديث، وكل عمل من أعمال الآخرة إذا لم يكن على الإخلاص فهو ضائع، وصاحبه خاسر، أما الآيات، منها قوله تعالى: ،﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ

مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠]، والآيتان نزلتا في شأن المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله وأهل الرياء وكل من يعمل لغير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود: ١٥]، أي: من كان يريد بعمله وإحسانه وبره الدنيا وزينتها، فنزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله تعالى.

﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ١٥]، أي: نوف لهم أجور أعمالهم بسعة الرزق والصحة وطيب المعيشة والرئاسة وكثرة الأولاد ودفع المكاره.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥]، أي: في الدنيا لا ينقص عليهم، يرزقون فيها أرزاقا وافية كاملة من غير بخس.

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا ﴾ [هود: ١٦]، أي: هلك في الآخرة ثواب صنعهم في الدنيا، لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى.

فإن قيل: المؤمن الذي مات على الإيمان لابد له من نصيب في الجنة في الآخرة بمقتضى الوعد، والآيتان المذكورتان تدلان على أن المؤمن المرائي لا نصيب له في الآخرة من الجنة بل له النار.

قلنا: الآية إما أن تحمل على المستحل بأن يستحل عمل الآخرة للدنيا وهو حرام بالإجماع، لأنه رياء والرياء حرام بالأدلة القطعية، ومن استحل الرياء فقد كفر، أو يحمل على أنه لا نصيب له قبل أن يرى جزاء سيئاته هذه، إن شاء الله تعذيبه أو لم يغفر له بلا عذاب وبالعذاب أنه من أهل الجنة، والعمدة في اقتضاء ثوابه هو الإخلاص، ولا وصول إلى سعادة الآخرة إلا بالعلم والعمل على الإخلاص، فالناس هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم والعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان [سواء] والإخلاص من غير صدق هباء، وعلى كل من آمن بالله واليوم الآخر أن يعرف حقيقة النية والإخلاص أولا، ثم يصححها بالعمل، والإخلاص وسيلة

العبد إلى النجاة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦]، ولا مخلص للعبد من الشيطان إلا بالإخلاص، وتصديق هذا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠]، أخلص تخلص، أخلص النية في العمل يكفيك القليل من العمل، وقال الله تعالى: "الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببته من عبادي"،...

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"،...

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا التقى الجمعان نزلت الملائكة يكتبون الخلق على مراتبهم فلان يقاتل في الدنيا حمية وفلان يقاتل عصبة ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله تعالى، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله"،...

وقال بعض العارفين: مراد الله تعالى من عمل الخلق الإخلاص فقط.

والحاصل أن عماد الأعمال النية، والنية لا تنفع إلا بالإخلاص، فإن مدار العمل عليها إنما الأعمال بالنيات، ألا ترى أن الساجد لله تعالى والساجد للصنم في الصورة واحد، إنما كانت هذه عبادة وهذه كفرا بالنية، فينبغي أن يكون المؤمن محافظا على نيته ابتداء، فإذا أراد أن يزيد في عمله فينظر أولا في نيته فيحسنها، فإن كانت حسنة فينميها إن أمكن تنميتها، وما افترق الناس في غالب أحوالهم إلا في هذا الباب، لأن الغالب على بعضهم تقارب أفعالهم، ثم إنهم يفترقون في الخيرات والبركات بحسب مقاصدهم، وتنمية أفعالهم. [تبيين المحارم، ٤٦٥-٤٦٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٦ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، ولا يريد به وجه الله تعالى. ﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم في الدنيا ﴿ وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴾ يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم شيء في الدنيا، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أهل القبلة. وقال الحسن: نزلت في المنافقين والكافرين.

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم، لأنه لم يكن لوجه الله تعالى. ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ . وروى أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كان يوم القيامة، صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله تعالى خالصا، وفرقة يعبدون الله تعالى رياء، وفرقة يعبدون الله تعالى ليصيبوا بها الدنيا. فيقول الله تعالى للذي كان يعبد الله للدنيا: وماذا أردت بعبادتك؟

فيقول: الدنيا. فيقول الله عز وجل: لا جرم، ولا ينفعك ما جمعت، ولا ترجع إليه. ويقول: انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذي كان يعبد الله رياء، ماذا أردت بعبادتك؟ فيقول: الرياء، فيقول الله تعالى: انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذي كان يعبد الله تعالى خالصا: ماذا أردت بعبادتك؟

فيقول أنت أعلم به مني، كنت أعبدك لوجهك وذاتك. قال: صدق عبدي، انطلقوا به إلى الجنة".

[بحر العلوم، ٢/١٤١-١٤٢]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ بعمله ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾ ولا يريد به وجه الله، نزل في شأن المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعملون لغير الله ﴿ نُوَفِّ ﴾ أي نتم ﴿ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ أي جزاءها بسعة الرزق والصحة وطيب العيش ودفع المكاره ﴿ فِيهَا ﴾ أي في الدنيا ﴿ وَهُمۡ فِيهَا ﴾ أي في الدنيا ﴿ لَا يُبۡخَسُونَ ﴾ [١٥] أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم، يعني يرزقونها وافية كاملة من غير بخس.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ ﴾ أي هلك في الآخرة ﴿ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ أي ثواب صنعهم في الدنيا ﴿ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [١٦] في نفسه إما لعدم مقارنة الإيمان أو لأنه لم يكن لوجه الله، قال عليه السلام: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء"، وفي رواية: "أن يصبح صائما ثم يفطر على طعام يشتهيه"، وقال أيضا: "إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة"، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضي إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطي بها خيرا". [عيون التفاسير، ١٩٥/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**".

قوله: "**في الصحيح**"، أي في صحيح البخاري رحمه الله ٤١/٤ رقم (٢٨٨٧).

قال العلامة المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

قوله: "**تعس**"؛ أي: هلك وسقط على وجهه، "**عبد الدينار**"؛ أي: الحريص على جمع الدنيا.

"**الخميصة**": كساء أسود مربع له علمان، وأراد بعبد الخميصة: من يحب كثرة الثياب النفيسة، ويحرص على التجمل فوق قدر الحاجة.

"**وانتكس**"؛ أي: صار خسيسا ذليلا. "**شيك**" ماض مجهول من الشوك؛ أي: أدخل الشوك في جسده. "**فلا انتقش**"؛ أي: فلا أخرج الشوك منه.

هذه الكلمات دعاء من النبي على من ترك عمل الآخرة، واشتغل بجمع أموال الدنيا؛ يعني: من كانت هذه صفته صار ذليلا، وإذا أصابه غم وجراحة ما أزال الله عنه ذلك الغم.

"**أشعث**"؛ أي: متفرق شعر الرأس لا يكون له فراغ غسل رأسه، "**أغبر**"؛ أي: صار ذا غبار من كثرة المشي على التراب.

"**إن كان في الحراسة**"؛ يعني: إن كان في حراسة الجيش كان شغله ذلك.

"**وإن كان في الساقة**"؛ أي: يمشي خلف الجيش، (**الساقة**): الجماعة المتأخرة من الجيش؛ يعني: يكون مشغولا بالخيرات.

"**إن استأذن لم يؤذن له**"؛ يعني: لا يخالط الناس، ولا يجعل نفسه مشهورة، بل لا يعرف الناس، حتى لو استأذن في دخول الدار أو مجلس لم يؤذن له من قلة قدره عند الناس". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٢٧٥-٢٧٦]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ):

"**تعس**" بفتح العين؛ أي: سقط على وجهه؛ يعني: هلك.

"**عبد الدينار وعبد الدرهم**": وهذا دعاء على من يستعبده حب الدنيا، وفيه: إشارة إلى أن المذموم من يكون أسيرا لجمع الأموال بحيث لا يؤدي حق الله منها.

"**وعبد الخميصة**": وهي كساء أسود معلم، أراد به: محب الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة.

"**إن أعطي رضي**": هذا بيان لشدة حرصه.

"**وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس**"؛ أي: صار ذليلا، والانتكاس: هو الانقلاب على الرأس، إنما أعاد (**تعس**)؛ ليترقى في الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ، ثم ترقى منه إلى قوله: "**وإذا شيك**"؛ أي: دخلت شوكة في عضوه.

"**فلا انتقش**" على بناء المجهول؛ أي: فلا أخرج منه، خص انتقاش الشوكة؛ لأنه أسهل ما يتصور من المعاونة لمن أصابه مكروه، فإذا نفي ذلك الأهون يكون ما فوقه منفيا بالطريق الأولى.

"**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله**": هذا يدل على اهتمامه بالمجاهدة.

"**أشعث رأسه**": مرفوع بالفاعلية لـ (أشعث)، وهو خبر مبتدأ محذوف، والأشعث: مغبر الرأس.

"**مغبرة قدماه**"؛ أي: صار ذا غبار من كثرة المشي على التراب.

"**إن كان في الحراسة**"؛ أي: حراسة الجيش على أن يهجم عليهم العدو، وهي تكون في مقدمة الجيش "**كان في الحراسة**"؛ أي: يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها، تقرر في علم المعاني: أن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل على مخافة الجزاء.

"**وإن كان في الساقة**": وهي مؤخر الجيش.

"**كان في الساقة**"، خصهما بالذكر؛ لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة، إذ الأولى عند دخولهم دار الحرب، والأخرى عند خروجهم منها.

"**وإن استأذن لم يؤذن له**"؛ لكونه غير ملتفت إليه في الدنيا.

"**وإن شفع لم يشفع**"؛ أي: لم تقبل شفاعته؛ لكونه وضيع القدر عند الناس". [شرح المصابيح، ٥/٣٨٤-٣٨٥]

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "كل من أحب شيئا وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله، فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه". [شرح كلمة الإخلاص، ص: ٧٠]

ودل الحديث على أن من كانت الدنيا غاية أمره ومنتهى قصده، فقد عبدها واتخذها شريكا مع الله سبحانه وتعالى.

الباب السابع والثلاثون

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله
أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟ ".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: "أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم**" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله".

معنى الطاعة:

قال الجرجاني رحمه الله: "الطاعة: هي موافقة الأمر طوعا". [التعريفات، ص: ١٤٠]

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: "الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي". [شرح الطحاوية، ص: ٢٣٥]

وقال محمد البركتي الحنفي: "الطاعة هي موافقة الأمر طوعا وهي قد تجوز لغير الله تعالى لقوله تعالى ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩] أما العبادة فلا يجوز لغيره سبحانه وتعالى". [قواعد الفقه، ص: ٣٦٠]

معنى التحريم والتحليل:

قال ابن فارس رحمه الله: "(حرم) الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد. فالحرام: ضد الحلال". [معجم مقاييس اللغة، ٤٥/٢]

وقال الجوهري رحمه الله: "والتحريم: ضد التحليل". [الصحاح في اللغة، ١٢٥/١]

والتحليل مأخوذ من حل، **قال ابن فارس رحمه الله**: " (حل) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء. والحلال: ضد الحرام، وهو من الأصل الذي ذكرناه، كأنه من حللت الشيء، إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه". [معجم مقاييس اللغة، ١٥/٢]

التحليل والتحريم تشريع، وهو ما يختص به الرب سبحانه وتعالى من تنزيل الأحكام بالمنع أو الإباحة، لحكم سبقت في علمه سبحانه وتعالى. وهو من خصائص الرب سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يطاع فيه أحد من المخلوقين غير الرسل. [الموسوعة، ٥٩٠/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟ ".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "أما تخافون أن تعذبوا أو يخسف بكم، أن تقولوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فلان". [شرح السنة للبغوي ، ١/ ٢١٤، وسنن الدرامي، ٤٠١/١]

قال نعمان بن محمود الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣١٧ هـ): "وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال له: قال أبو بكر، قال عمر، فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر قال عمر لما سئل

عنها فأمر بها، فعارضوه بقول عمر. فبين أن عمر لم يرد ما يقولونه، فألحوا عليه فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يتبع أم عمر؟ مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم من ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما". [جلاء العينين، ص: ٢٠٢]

دل الأثر على أن رأي ابن عباس تحريم تقديم رأي المخلوقين على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما حرم ذلك ابن عباس؛ لأنه شرك مع الله في الطاعة. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٣٤]

وفيه أنه لا يؤخذ أي رأي يخالف الكتاب والسنة، مهما كان مصدره.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال".

وفي روضة العلماء سئل أبو حنيفة إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه، قال: اتركوا قولي لكتاب الله.

قيل: إذا كان قول الرسول يخالفه، قال: اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه و سلم.

قيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

فلم يقل هذا الإمام ما يدعيه جفاة المقلدين له أنه لا يقول قولا يخالف كتاب الله حتى أنزلوه بمنزلة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. [التيسير، ص: ٤٨٧]

قال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى: "يا أخي، إن أردت أن تكون في هذه الدنيا على الاستقامة، وأن تخرج منها مع الإيمان، وأن تدخل الجنة يوم القيامة، فاتبع قول الله تعالى وقول رسوله عليه الصلاة والسلام،

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، معناه: قل لهم: أحدنا على الهدى والآخر على الضلالة، يعني: إنا على الهدى وأنتم على الضلالة، وهذا كرجل

يقول: أحدنا كاذب، وهو يريد صاحبه. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، معنى هذه الآية: إنا على الهدى وإياكم لفي ضلال مبين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تركت فيكم أمرين لن تضلوا عن الصراط المستقيم ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**".

فإذا جعلت أفعالك وأقوالك موافقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام تكون من أهل الهداية والتوفيق، وإن لم تكن كذلك تكن من أهل الضلالة والشقاوة". [الرسالة منيرة، من ضمن رسائل العلامة ابن كمال باشا، ٥/٥٨-٦٠]

وقال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله أيضا: "واعلم أن المجتهد أو غيره لو وضع شيئا برأيه في الدين فعلا أو قولا مخالفا للكتب السماوية، فهذا بدعة سيئة أيضا، وقال الإمام فخر الإسلام علي البزدوي: "لأنه لم يرد في الشرع دليل على أن العقل كان موجبا شيئا في الدين بدون الشرع، إذ العلل موضوعات الشرع، وليس في ذلك للعباد سبيل، لأنه يؤدي إلى النزاع في الحكم، فمن جعل العقل موجبا بلا دليل الشرع، فقد جاوز عن حد الشرع".

واعلم أن أهل السنة والجماعة هم الذين يتبعون كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام، فلا يوجد في أفعالهم وأقوالهم بدعة". [المصدر السابق، ٥/٨٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ يحتمل قوله: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: يخالفون أمره، وحرف " عن " يكون صلة فيه.

وجائز أن يكون على ظاهر ما ذكر: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾: فإن كان على هذا فكأنه قال: ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: يعدلون عن أمره ويزيغون عنه؛ كقوله: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

وقوله: ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ يحتمل: الفتنة: الكفر.

ويحتمل الفتنة: القتال والتعذيب في الدنيا، أو يصيبهم العذاب في الآخرة، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٦٠٢/٧]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ يعني: عن أمر الله تعالى. ويقال: عن أمر رسول الله عليه السلام. ويقال: عن زيادة في الكلام للصلة. ومعناه: يخالفون أمره إلى غير ما أمرهم به ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ يعني: الكفر، لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، فمن تركه على وجه الجحود كفر.

ويقال: فتنة يعني: بلية في الدنيا. ويقال: فساد في القلب. ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني: يصيبهم عذابا عظيما في الآخرة. ويقال: القتل بالسيف. ويقال: يجعل حلاوة الكفر في قلبه. وقوله: أو على معنى الإفهام، لا على وجه الشك والتخيير". [بحر العلوم، ٥٢٧/٢]

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "وضمير أمره لله عز و جل فإن الأمر له سبحانه في الحقيقة أو للرسول صلى الله عليه و سلم فإنه المقصود بالذكر والأمر له". [روح المعاني، ٢٢٦/١٨]

وفسر الإمام أحمد الفتنة بالشرك قائلا: "الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله (المتوفى: ١١٧٦ هـ):

"نماذج المنافقين في هذا العصر:

وإن كنت تحب أن تشاهد نموذجا لهؤلاء المنافقين فاشهد في مجالس الأمراء، أصحابهم وندماءهم الذين يؤثرون رضا أمرائهم على رضا الله تعالى ولا فرق إطلاقا بين المنافقين الذين سمعوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ثم نافقوا وبين هؤلاء المنافقين الآن الذين يطلعون على أحكام الشريعة الإسلامية بالوسائط اليقينية القاطعة ثم يخالفونها وينحرفون عنها". [الفوز الكبير، ص: ٦١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عدي بن حاتم: "أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

قال الزمخشرى رحمه الله تعالى: "اتخاذهم أربابا : أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم اللّه وتحريم ما حلله ، كما تطاع الأرباب في أوامرهم". [تفسير الكشاف، ٢/٢٦٤]

قال إسماعيل الحنفي الخلوتي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ): " والمعنى أطاعوا علماءهم وعبادهم فيما أمروهم به طاعة العبيد للأرباب فحرموا ما أحل الله وحللوا ما حرم الله ، ومثاله أن من اعتقد أن اللبن حرام يكون كمن اعتقد أن الخمر حلال ومن اعتقد أن لحم الغنم حرام يكون كمن اعتقد أن لحم الخنزير حلال". [روح البيان، ٣/٣١٦]

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لكلام علمائهم ورؤسائهم والحق أحق بالإتباع فمتى ظهر وجب على المسلم اتباعه وإن أخطأه اجتهاد مقلده". [روح المعاني، ٥/٢٧٦]

وقال العلامة المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: "ما كان من إطاعة الرسول فهو إطاعة الله لا غير قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وكذا ما كان من إطاعة العلماء والأولياء والسلاطين والحكام على مقتضى الشرع، قال الله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩] وما كان منها على خلاف مقتضى الشرع فهو الاتخاذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله". [تفسير المظهري، ١/٥١٨]

وقال العلامة **الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)**:

"أن التحريم والتحليل بالوحي لا بالتشهي والهوى". [حاشية الخفاجي على البيضاوي، ٤/١٣١]

وقال العلامة السهسواني الهندي (المتوفى: ١٣٢٦هـ): "إنما هو في بعضها [أي بعض هذه الآيات] اتخاذ الأرباب، وهذا ليس نصا على أنهم مقرون بربوبيتهم، بل يحتمل أن يكون اتخاذهم الأرباب بمعنى صرف شيء من العبادة إليهم، أو بمعنى إتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام، لا أنهم كانوا يطلقون لفظ الرب عليهم". [صيانة الإنسان، ص: ٤٥٠]

وقال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "ومن قال قتل فلان واجب أو فلان مستحق القتل ولم يكن عليه في الشرع ما يلزمه القتل يكفر؛ لأنه استحل ما حرمه الله تعالى، وهذا كثير الوقوع والناس عنه غافلون.

وكذا لو ضرب ظالم من الظالمين شخصا بغير حق أو قتله بغير حق وقال له واحد قد أحسنت أنه كان مستحقا للضرب أو القتل يكفر لما قلنا، انتهى". [تبيين المحارم، ص: ٤٧-٤٨]

دل الحديث على شرك من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.

قوله: "**رواه أحمد والترمذي وحسنه**"، أي خرجه الترمذي في سننه، ٥/٢٧٨، رقم (٣٠٩٥)، ولم أجده عند أحمد رحمه الله.

الباب الثامن والثلاثون

قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾....، الآية

باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء: ٦٠ – ٦٢]

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١]

وقوله: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]

وقوله: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ ﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

وقيل: "نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، [النساء: ٦٠ – ٦٢] الآيات.

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وذلك أن منافقا يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي انطلق بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الخصومة في حكم الإسلام على المنافقين وفي حكم اليهود على اليهود، فقال اليهودي: نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم يحكم بيننا، وقال المنافق بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا فكانا في ذلك إذ سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولهما، فقال: ما شأنكما؟ فأخبراه بالقصة، فقال عمر: أنا أحكم بينكما فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف، وقتل المنافق فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني سائر الكتب المنزلة ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ يعني أمروا بتكذيبه وقال الضحاك نزلت الآية في شأن المنافقين لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم وركنوا إلى قول اليهود ومالوا إلى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم فذلك قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني إلى كهنة اليهود وسحرتهم.

ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ عن الهدى وعن الحق ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني إلى ما أمر الله في كتابه

وإلى ما أمر الرسول ﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ يعني يعرضون عنك إعراضا ويقال صد يصد يكون لازما ويكون متعديا وإنما يتبين ذلك بالمصدر ويقال صد يصد صدا إذا صرف غيره كقوله تعالى: ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤] وصد يصد صدودا إذا أعرض بنفسه كقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٥٥] وكقوله: ﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ يقول فكيف يصنعون إذا أصابتهم عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني بما عملت أيديهم ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ، قال في رواية الكلبي، نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب كانت بينه وبين الزبير بن العوام خصومة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير، فخرجا من عنده فمرا على المقداد بن الأسود، فقال المقداد: لمن كان القضاء يا ثعلبة!؟ فقال ثعلبة: قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي يليه شدقه فلما نزلت هذه الآية أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه ويحلف وهو قوله ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا ﴾ يعني ما أردنا إلا الإحسان في المقالة ﴿ وَتَوْفِيقًا ﴾ يقول صوابا. وقال الضحاك ومقاتل: نزلت في شأن الذين بنوا مسجد الضرار فلما أظهر الله تعالى نفاقهم وأمر بهدم المسجد حلفوا للرسول صلى الله عليه وسلم دفعا عن أنفسهم ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله تعالى وموافقة الكتاب. [بحر العلوم، ١/٣٣٩-٣٤٠]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ ﴾ أي يدعون ﴿ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ أي بالقرآن ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ أي بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة، نزل حين وقع بين بشر المنافق ويهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد حتى يحكم بيننا، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا، إذ سمع عمر بن الخطاب قولهما فقال: ما شأنكما فأخبراه بالقصة، فقال عمر: أنا أحكم بينكما، فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف وقتل المنافق، فأخبر الله عن حال المنافق وقال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو كعب بن الأشرف، وسمي به لتجاوزه في الطغيان ﴿ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ أي بالطاغوت، وهو يذكر ويؤنث ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي كعب بن الأشرف أو حقيقة الشيطان ﴿ أَن يُضِلَّهُمۡ ﴾ عن الهداية ﴿ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [٦٠] أي لا غاية له فلا يهتدون.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ بفتح اللام، أصله تعاليوا أمر لهم، أي جيؤا ﴿ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي إلى ما أمره الله في كتابه ﴿ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي وإلى ما أمره رسوله ﴿ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ ﴾ أي يعرضون ﴿ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ [٦١] أي إعراضا عن الحق.

ثم أخبر عن عاقبتهم وحالهم بقوله ﴿ فَكَيۡفَ ﴾ أي وكيف يكون حالهم ﴿ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ ﴾ وهي قتل عمر المنافق ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي بسبب عملهم القبيح، وهو التحاكم إلى غيرك ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ أي يجيئونك، يعني أولياء المنافق لطلب دية المقتول ويعتذرون إليك ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾ أي ما قصدنا بالتحاكم إلى غيرك ﴿ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا ﴾ أي طلبا للحق ﴿ وَتَوۡفِيقًا ﴾ [٦٢] بين الخصمين لا إساءة ولا مخالفة لك. [عيون التفاسير، ١/٢٢٠-٢٢١]

دلت الآية على تكذيب من ادعى الإيمان بما أنزل الله، ثم تحاكم إلى غيره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

والآية نزلت في شأن المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني المنافقين ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي وهو الفساد لأن الأرض كانت قبل أن يبعث النبي عليه السلام فيها الفساد، وكان يعمل فيها بالمعاصي، فلما بعث الله النبي عليه السلام ارتفع الفساد وصلحت الأرض فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦ و ٨٥] .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي نعمل بالطاعة، ولا نعمل بالمعاصي. وقد قيل: معنى لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، أي لا تداهنوا بين الناس ولا تعملوا بالمداهنة، قالوا إنما نحن مصلحون يعني لا نعادي الكفار ولا المؤمنين، حتى لو كانت الغلبة للمؤمنين أو للكفار، لا يصيبنا من دائرتهم شيء". [بحر العلوم، ١/٢٧-٢٨]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ حكاية حال المكذبين، أي قال المؤمنون للمنافقين: ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي لا تسعوا فيها بالفساد، وهو خروج الشيء عن الاعتدال والانتفاع، ونقيضه الصلاح، يعني لا تعملوا المعاصي بإضمار النفاق وصد الناس عن الإيمان، وإسناد «قيل» إلى ﴿ لَا تُفْسِدُوا ﴾

إسناد إلى لفظه على تأويل، وإذا قيل لهم هذا القول ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ كذبا منهم ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴾ [١١] أي نحن لا نفسد والصلاح خالص لنا". [عيون التفاسير، ٣١/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

قال بعضهم: قوله: ﴿ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ بعد ما بعث الرسل بإصلاحها من الدعاء إلى عبادة الله، والطاعة، ويأمرون بالحلال، وينهون عن الحرام.

وقال بعضهم: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾: بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي، والفواحش، وسفك الدماء، وغير ذلك.

ويقال: ﴿ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ بعد ما أعطاكم أسبابا تقدرون بها على الإصلاح، وما به تملكون إصلاحها.

وجائز أن يكون المراد بإصلاح الأرض: أهلها، أي: لا تفسدوا أهلها؛ وهو كقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ [الطلاق: ٨]، والقرية لا توصف بالعتو، ولكن أهلها". [تفسير الماتريدي، ٤٦٣/٤]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل". [تفسير النسفي، ٥٧٤/١]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ بإرسال الرسول وإنزال كتاب، إذ المعصية فساد الأرض وأهلها أو لا تظلموا فيها فتخربوها، إذ الأرض قامت بالعدل". [عيون التفاسير، ٢/٦٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٢٥ هـ) في تفسير قوله تعالى: " ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بالكفر والمعاصي والبغي والدعاء إلى غير طاعة الله ﴿ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ أي إصلاح الله سبحانه إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله عز وجل وبالنهى عن الاعتداء في الدعاء قال البغوي هذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله تعالى بعد إصلاح الله تعالى إياها بالمطر والخصب". [تفسير المظهري، ٣/٣٦٣]

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): " ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ نهى عن سائر أنواع الإفساد كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان ﴿ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ أي إصلاح الله تعالى لها وخلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين وبعث فيها الأنبياء بما شرعه من الأحكام". [روح المعاني، ٨/١٤٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ ﴾ يعني: يطلبون منك شيئا لم ينزله الله إليك في حكم الزنى والقصاص كما يفعل أهل

الجاهلية. قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام (تبغون) على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على معنى المغايبة.

ثم قال: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ يقول: ومن أعدل من الله قضاء، ﴿ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ يعني: يصدقون بالقرآن". [بحر العلوم، ١/٣٩٧]

قال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ ﴾ بالتاء والياء، نزل إنكارا على من يطلب حكما غير حكم الإسلام، أي يطلبون منك شيئا لم ينزله الله إليك ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ ﴾ استفهام بمعنى النفي، ومبتدأ وخبر، أي لا أحد أحسن ﴿ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ نصبه تمييز، أي قضاء ﴿ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [٥٠] أي يعلمون باليقين أن الله هو الحاكم بالقرآن أو الحاكم بالعدل، واللام للبيان أو بمعنى عند". [عيون التفاسير، ١/٢٧٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح".

قال المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "حتى يكون هواه"؛ أي: إرادته، هذا اللفظ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه: حتى يكون تابعا مقتديا "لما جئت به" من الشرع عن الاعتقاد وإرادة النفس، لا عن الإكراه وخوف السيف كالمنافقين، وعلى هذا التأويل يكون قوله: (لا يؤمن أحدكم) نفي أصل الإيمان لا نفي الكمال؛ يعني: من كان تابعا للشرع لا عن إرادة النفس بل لخوف السيف فليس بمؤمن أصلا.

والأمر الثاني: أن يكون معناه: حتى تكون نفسه مطمئنة بالشرع، ولا تميل نفسه عن أحكام الشرع، وعلى هذا تكون (لا) في (لا يؤمن) لنفي الكمال؛ لا لنفي أصل الإيمان؛ لأن كثيرا يعتقدون حقيقة الشرع، ويعملون بأحكامه، ولا تطيعهم أنفسهم، بل يكرهون أنفسهم على الطاعات، فهؤلاء

مؤمنون ولكن ليسوا كاملين، بل الكامل من اطمأنت نفسه بما يأمرها من الطاعات الشديدة، ولا تثقل عليها الطاعات". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/٢٧٤-٢٧٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**لا يؤمن أحدكم**"؛ أي: لا يبلغ كمال الإيمان، ولا يستكمل درجاته.

"**حتى يكون هواه**"؛ أي: ميل نفسه واشتهاؤها "**تبعا**"؛ أي: منقادا بالرغبة "**لما جئت به**" من الهدى والأحكام الشرعية.

وقيل: المراد: نفي أصل الإيمان؛ أي: لا يؤمن حتى يخالف هواه، ويجعله تبعا لما جئت به من الحق عن اعتقاد، لا عن إكراه وخوف سيف". [شرح المصابيح، ١/١٧٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه**) ، أي: ميل نفسه سمي به لأنه يهوي صاحبه في الدنيا إلى الداهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، فكأنه من هوي يهوي هوى إذا سقط (**تبعا لما جئت به**) . يجوز أن يحمل هذا على نفي أصل الإيمان، أي: حتى يكون تابعا مقتديا لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن إكراه وخوف سيف كالمنافقين، وقيل: المراد نفي الكمال، أي: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون ميل نفسه، أي: ما تشتهيه تبعا لما جئت به من الأحكام الشرعية، فإن وافقها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لأنها هوى، وإن خالفها اجتنب هواه، فحينئذ يكون مؤمنا كاملا". [مرقاة المفاتيح، ١/٢٥٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله أيضا: "والهوى لغة: مصدر: هويه، أحبه. وشرعا: ميل النفس إلى مشتهيات الطبع، دون مقتضيات الشرع.

ثم اعلم أنه روي عن ابن عباس قال: الهوى إله يعبد في الأرض، ثم تلا: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]، وفي الحديث: "**المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى**"، وجاء مرفوعا: "**ما تحت ظل السماء**

إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع"، أخرجه الخرائطي، وكذا روي عن أسماء بنت عميس مرفوعا: "**بئس العبد عبد هوى يضله، وبئس العبد عبد طمع يقوده**"، فالهوى هو البلية العظمى، فإنه منبع شهوات الدنيا.

قال النووي: "حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح".

"**حديث صحيح**"، أي إسناده. "**رويناه**"، بصيغة الفاعل أو المفعول. "**في كتاب (الحجة)**"، أي: "**في إتباع المحجة**" في عقيدة أهل السنة للحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني، وقيل: هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقديسي الشافعي الفقيه الزاهد، نزيل دمشق. "**بإسناد صحيح**" رواه محيي السنة في "المصابيح" و"شرح السنة"، وقد أخرجه أبو نعيم أيضا في كتابه "الأربعين" التي شرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار، وجياد الآثار، مما أجمع الناقلون على عدالة ناقله، ورواه الطبراني أيضا، وكذا الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم الأصفهاني. [المبين المعين لفهم الأربعين للملا علي القاري، ص: ٧٧٨-٧٨٢]

وقال صاحب التيسير رحمه الله: "معناه صحيح قطعا، وإن لم يصح إسناده، وأصله في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠]. وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده. [التيسير، ص: ٤٩٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة..."، الخ.

قوله: "**الشعبي**"، هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا. واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. [الأعلام، ٣/٢٥١]

وقد ذكر المؤلف رحمه الله هنا أسباب نزول آية الباب.

الباب التاسع والثلاثون

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ [الرعد: ٣٠]

وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ " .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه "عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر "الرحمن" أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات".

بين المؤلف رحمه الله في هذا الباب حكم من جحد اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته. من أنكر شيئا من الأسماء والصفات، أو شبه صفات الله بصفات المخلوقين فقد كفر.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر". [شرح الطحاوية، ١/٢٠٦]

وقال رحمه الله تعالى أيضا: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه ونصفه كما وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد حي قيوم قادر سميع بصير عالم يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه". [الفقه الأكبر]

وقال رحمه الله أيضا: "وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا". [المصدر السابق]

وقال رحمه الله أيضا: "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه". [شرح الطحاوية، ص: ٢٩٣]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"والضابط أن أسماء الله تعالى وصفاته قديمة أزلية أبدية، لا طريق للمخلوقات إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، إلا بتعريف الله تعالى عباده، إما بالقرآن، وإما بألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن يذكر الله تعالى باسم أو صفة لم يكن مذكورا في القرآن ولا في الحديث". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/١٤٧-١٤٨]

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

"فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك. [شرح الطحاوية ، (١/ ٢٦١)]

وقال العلامة سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "واعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية، أي يتوقف إطلاقها عليه على إذن الشارع عند أهل السنة والجماعة، ولا يجوز إطلاق اسم عليه تعالى إلا ما ورد به الشرع من الكتاب والسنة والإجماع. [تبيين المحارم، ص: ٤٢٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"والعصمة النافعة من هذا الباب أن يصف الله بما وصف به نفسه ووصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبت له الأسماء والصفات، وينفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزها عن التشبيه، ونفيك منزها عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبهه باستواء المخلوقات على المخلوق فهو مشبه، ومن قال: هو استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المنزه، اهـ". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٧٧٩]

وقال رحمه الله أيضا: "القول المجرد بالرأي والعقل المجرد في الفقه والشريعة بدعة وضلالة، فأولى أن يكون ذلك في علم التوحيد والصفات بدعة وضلالة". [شرح الفقه الأكبر، ص: ٣٢]

وقال العلامة صنع الله الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٠ هـ):

"والأصل في ذلك-أي في باب الأسماء والصفات-التمسك بالكتاب والسنة والتجانب عن الهوى والبدعة، كما عليه الصحابة والتابعون والسلف الصالحون والأئمة الكبار من أرباب المذاهب الأخيار". [سيف الله على من كذب على أولياء الله، ص: ٧٦]

قال العلامة شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٧٦ هـ):

الصفات الإلهية في القرآن:

ثم لما كان إثبات الصفات الإلهية بذكر كنهها وحقائقها ودقيق مسائلها مستحيلا في حقهم، وكان تركهم من دون إطلاع على هذه الصفات الإلهية يحرمهم من معرفة الربوبية – التي هي أنفع وسيلة في تهذيب النفوس البشرية – كان حكمة الله – تعالى – وهو أحكم الحاكمين – أن يختار من الصفات البشرية التي نعهدها ونشاهدها والتي نتمادح بها ونفتخر بالتحلي بها، صفات كريمة عديدة تستعمل لأداء معان غامضة دقيقة لا تبلغ جلالها وعظمتها عقول البشر، ثم يجعل قوله الفصل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ترياقا لداء الجهل العضال، وعلاجا لقلة البصر والإدراك، ونهى عن استعمال تلك الصفات البشرية التي يخشى منها جموح الأوهام والظنون نحو العقائد الباطلة كإثبات الولد، والبكاء، والجزع وما إلى ذلك.

خطر الخوض في الصفات بدون توقيف:

وإذا أنعمت النظر وتأملت مسألة الصفات الإلهية بدقة تجلى لك أن خطوات الإنسان على درب علمه الفطري غير المكتسب، وتمييزه للصفات التي يجوز أن تنسب إلى الله تعالى ولا يقع فيها خلل، عن الصفات التي يؤدي استعمالها إلى الأوهام الباطلة والعقائد المنحرفة، أمر دقيق خطير للغاية لا يصل غوره ولا يكتنه كنهه جمهور الناس، ولذلك قرر أن يكون علم الصفات الإلهية علما توقيفيا، ولا يسمح فيه بالبحث والكلام بحرية وإطلاق. [الفوز الكبير في أصول التفسير، ص: ٦٤-٦٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الرعد: ٣٠]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]".

أي: كما أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلا ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ وقال كل واحد من الرسل: ﴿ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ . . . الآية أي: كل رسول كان أرسل قبلك كان أمر أن يقول ما ذكر؛ كذلك أرسلناك إلى قومك رسولا، وإن كانوا يكفرون بالرحمن؛ فقل أنت ما قال أولئك الرسل: ﴿ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ الآية، لم تخل أمة عن رسول؛ كقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يشبه أن يكون هذا صلة قوله: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الرعد: ٢٧]، يقول: أرسلناك لتتلو أنباء الرسل والأمم الذين كانوا من قبلك عليهم؛ ليكون آية لرسالتك؛ ليعلموا أنك إنما علمت تلك الأنباء بالله تعالى.

وقوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾.

يقول – والله أعلم – هم يكفرون بالرحمن؛ وفي كل الخلائق آية توحيد الرحمن وألوهيته؛ ولا في كل الخلائق آية لرسالتك، وهم مع ذلك كله يكفرون بالرحمن؛ فعلى ذلك يكفرون بآيات رسالتك.

وقال أبو بكر الأصم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ هو صلة قوله: ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾، وكانوا هم أهل التعبد من الكبراء؛ فقال: لو جئتهم بقرآن سيرت به الجبال؛ أو قطعت به الأرض؛ أو كلم به الموتى، يقول: لو جئت بذلك كله كان أمرهم التكذيب والعناد؛ وهو كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ [الأنعام: ١١١] الآية وقوله: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [الحجر: ١٤] الآية، يخبر عز وجل عن عنادهم أنهم لا يؤمنون بالآية، وإن عظمت، إلا أن يشاء الله.

وقوله عز وجل: ﴿ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ كقوله: ﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١] أي: الأمر لله؛ من شاء أن يؤمن فيؤمن، ومن شاء ألا يؤمن فلا يؤمن ألبتة.

وقال بعضهم: قوله: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: يكفرون باسم الرحمن؛ لأنهم قالوا: إن محمدا كان يدعونا إلى عبادة الله وتوحيده فالساعة يدعونا إلى عبادة الرحمن وألوهيته؛ فذلك عبادة اثنين؛ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ ﴾ أي: دعائي إلى عبادة الرحمن وألوهيته وهو دعائي إلى عبادة الله، وهو واحد ليس هو باثنين ولا عدد؛ كقوله:

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: عدد الأسماء لا يوجب عدد الذات؛ إذ يكون لشيء واحد في الشاهد أسماء مختلفة؛ فاختلاف الأسماء لا يوجب اختلاف الذات؛ فعلى ذلك في الله تعالى.

وقال بعضهم: (الرحمن) اسم من أسماء الله في الكتب الأول، قالوا: كتبها رسول الله؛ أبوا أن يقرءوا به، قالوا: وما الرحمن، إنا لا نعرفه؛ فنزل: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾. والله أعلم. [تفسير الماتريدي، ٦/٣٣٩-٣٤١]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ أي يجحدون بالله البليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، ويكذبونه ويقولون: ما نعرف الرحمن إلا مسليمة الكذاب.

قيل: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، والمعروف أن الآية مكية، وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي عليه السلام وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن، فرجع إلى المشركين وقال: إن محمدا يدعو إلهين، يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمي الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية، ونزل ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية، وقيل: نزلت هذه الآية في كفار قريش حين قال لهم النبي عليه السلام اسجدوا للرحمن! قالوا: وما الرحمن؟ فقال تعالى ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هُوَ ﴾ أي الرحمن الذي كفرتم به ﴿ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي اعتمدت ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [٣٠] أي توبتي ومرجعي في الآخرة". [عيون التفاسير، ٢/٢٦٧]

دلت الآية على أن إنكار شيء من أسماء الله وصفاته كفر، وذلك ينافي توحيد الأسماء والصفات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ " .

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: **"حدثوا"** بصيغة الأمر أي كلموا الناس بما يعرفون أي بما يفهمون، والمراد كلموهم على قدر عقولهم. وفي كتاب العلم لآدم بن أبي إياس عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره "ودعوا ما ينكرون" أي ما يشتبه عليهم فهمه.

وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.

ومثله قول ابن مسعود رضي الله عنه ذكره مسلم في مقدمة كتابه بسند صحيح، قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

قوله: "**أتحبون**" الهمزة للاستفهام وتحبون بالخطاب.

قوله: "**أن يكذب**" بصيغة المجهول وذلك لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالته جهلا، فلا يصدق وجوده، فإذا أسند إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما". [عمدة القاري، ٢/٢٠٤-٢٠٥]

وقال السندي رحمه الله تعالى في شرح أثر ابن مسعود رضي الله عنه: "قوله: "**ما أنت بمحدث**" الخ، يفيد النهي عن تحميل غير الأهل، ويفيد أن الرجل لا يحمل إلا على قدر فهمه ولا يزاد عليه في التحمل". [حاشية السندي على صحيح مسلم، ص: ٧١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه "عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

خرج الأثر عبد الرزاق رحمه الله في المصنف، ٩/٢٣٣، رقم (٢١٨٢٠).

انتفض: أي ارتعد.

استنكارا لذلك: أي استنكارا لحديث الصفات، إما لأن عقله لا يحتمله، أو لكونه اعتقد عدم صحته فأنكره.

ما فرق هؤلاء: بتخفيف الراء: ما الذي أخاف هؤلاء، وبتشديد الراء، ما فرق هؤلاء بين الحق والباطل.

رقة عند محكمه: ميلا وقبولا للحكم: وهو الواضح.

يهلكون عند متشابه: ينكرون ما يتشابه عليهم معناه.

قال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "وذهب ساداتنا الحنفية إلى أن المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل النسخ ، والمتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل: "المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه القصص والأمثال ، أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ، و المتشابهات ما يؤمن به ولا يعمل به.

وأخرج الفريابي عن مجاهد قال: المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه.

وأخرج عبيد بن عمير عن الضحاك قال: المحكمات ما لم ينسخ، والمتشابهات ما قد نسخ.

وقال الماوردي: المحكم ما كان معقول المعنى ، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات ، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

وقيل: المحكم ما لم يتكرر ألفاظه ، المتشابه ما يقابله.

وقيل: غير ذلك ، وهذا الخلاف في المحكم ، والمتشابه هنا [يشير إلى آية سورة آل عمران] وإلا فقد يطلق المحكم بمعنى المتقن النظم، والمتشابه على ما يشبه بعضه بعضا في البلاغة، وهما بهذا المعنى يطلقان على جميع القرآن وعلى ذلك خرج قوله تعالى: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود : ١]، وقوله سبحانه : ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣]. [روح المعاني، ٢/٨٠]

واعلم أن المتشابه ينقسم إلى قسمين:

الأول: متشابه لا يعرف معناها إلا الله، فهو مما اختص الله بعلمه، كالعلم بحقائق الأشياء وما تؤول إليه وعواقبها، كالإخبار بما يكون، وما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب، فإن هذه الأمور وإن علمناها لكن العلم بحقائقها مما لا يعلمه إلا الله، ولهذا قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

الثاني: ومتشابه نسبي، أي يشتبه على بعض الناس دون بعض، فهو محكم عند البعض متشابه عند البعض، وهو المراد به هنا من كلام ابن عباس.

وفي الأثر دليل على ذكر آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم، وهو منهج السلف. قال أبو حاتم الرازي: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا وكيع بحديث في الكرسي، قال: فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها. فأحاديث الصفات انتشرت في زمن ابن عباس والأعمش والثوري و وكيع مما يدل على أنه لا إنكار في تحديثها. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٦٩٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر "الرحمن" أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿ **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ** ﴾".

ذكر المؤلف رحمه الله هنا سببا من أسباب نزول الآية.

الباب الأربعون

قول الله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ ﴾ [النحل: ٨٣]

باب قول الله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ ﴾ [النحل: ٨٣]

قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".

وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا".

وقال قتيبة: " "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: "**أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**" - الحديث وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب قول الله تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ ﴾ [النحل: ٨٣]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل:

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ،

يحتمل النعمة - هاهنا - محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه لكنهم أنكروه؛ كقوله: ﴿ **يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ** ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وما ذكر: ﴿ **يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

ويحتمل: (نعمت الله): يعرفون نعمة الله، وهو ما ذكر عرفوها أنها من الله (ثم ينكرونها)؛ بعبادتهم الأصنام، وصرفهم شكرها إلى غيره، كقوله: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)، مع ما يعرفون: أن الله هو خالقهم، وأن ما لهم كله من عند الله يعبدون الأصنام؛ فتكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله". [تفسير الماتريدي، ٥٤٩/٦]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ أي: يعرفون أن خالق هذه الأشياء هو الله تعالى، ثم ينكرونها ويقولون: هي بشفاعة آلهتنا، وهذا قول الكلبي. وقال السدي: يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم أنه نبي، وأنه صادق، ولا يؤمنون به. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يعرفون نعمت الله قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها وسرابيل الحديد والثياب، يعرف هذا الكافرون ثم ينكرونها أي البعث، وأكثرهم الكافرون بالتوحيد. ويقال: جاحدون بالنعم". [بحر العلوم، ٢٨٥/٢]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي نبوة محمد عليه السلام، قيل: دين الإسلام أو كل نعمة عدت في هذه السورة ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ يعني يعرفون أن خالق كلها هو الله ثم يجحدونها بعبادة غير منعمها أو يقرون إذا ذكر لهم هذه النعم أن كلها من الله لكنهم يقولون إنها بشفاعة آلهتنا أو يقولون كان هذا لآبائنا ثم ورثناهم بعدهم، و«ثم» فيه للاستبعاد ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣] أي الجاحدون بنعم الله أو بنبوة محمد عليه السلام، وقيل: الأكثر هنا بمعنى الكل". [عيون التفاسير، ٣٢١/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".

من قال هذا القول أو مثله فله حالتان:

الأولى: أن يقول هذا على سبيل جحود نعمة الله، وهذا هو الممنوع.

الثانية: أن يقول هذا على سبيل الخبر، ولم يقصد إنكار فضل الله تعالى، وهذا جائز.

وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا".

قال الفاضل الرومي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١٠٤١ هـ): "والخامس من أنواع الشرك: شرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك من جهلة المؤمنين، فإنهم لما رأوا ارتباط الشبع بأكل الطعام وارتباط الري بشرب الماء، وارتباط ستر العورة بلبس الثياب، وارتباط الضوء بالشمس، ونحو ذلك مما لا ينحصر، فهموا بجهلهم أن تلك الأشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها، إما بطبعها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط، وسبب غلطهم قياس إدراك الحس بإدراك العقل، فإن الذي شاهدوه إنما هو تأثير شيء عند شيء، وهذا هو حظ الحس، وأما تأثيره فيه فلا يدرك بالحس، بل إنما يدرك بالعقل.

...أن أهل هذا الشرك في اعتقادهم التأثير لتلك الأسباب مختلفون:

فمنهم من يعتقد أن تلك الأسباب تؤثر بطبعها وحقيقتها في الأشياء التي تقارنها، ولا خلاف في كفر من يعتقد هذا.

ومنهم من يعتقد أن تلك الأسباب لا تؤثر بطبعها وحقيقتها، بل بقوة أودعها الله تعالى فيها، ولو نزعها منها لا تؤثر. وقد تبعهم في هذا الاعتقاد كثير من عامة المؤمنين، ولا خلاف في بدعة من يعتقد هذا، وإنما الخلاف في كفره فمن كان فيه شيء من هذه المذكورات ولم يسع في إزالته عن نفسه وإصلاح شأنه يختم له بالسوء، وإن كان مع كمال الزهد والصلاح، لأن زهده وصلاحه إنما ينفعه إذا كان مع الاعتقاد الصحيح الموافق لكتاب الله وسنة رسوله، وأما إذا لم يكن مع الاعتقاد الصحيح الموافق لهما، بل كان مع الاعتقاد الفاسد المخالف لهما فلا ينفعه". [مجالس الأبرار، ص: ٢٠٤ و ٢٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال قتيبة: " "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

يعني يقول المشركون أن هذا الخير حصل بشفاعة آلهتنا، وهم يعتقدون أن آلهتهم يشفعون لهم عند الله على حصول الخير، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

قال الفاضل الرومي الحنفي رحمه الله (**المتوفى: ١٠٤١ هـ**): "من أنواع الشرك: شرك تقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إليه تعالى كشرك متقدمي عبدة الأصنام، فإنهم لما رأوا أن عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة، ونهاية الحقارة سوء أدب عظيم تقربوا إليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها، ثم إنهم لما رأوا غيبة ما اختاروا عبادته عنهم صنعوا الأصنام أمثلة لما غاب عنهم من معبوداتهم واشتغلوا بعبادتها ونيتهم في ذلك أن يتقربوا إلى ما جعلوه مثالا له وقصدهم من جميع ذلك أن يتقربوا إلى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان بعقولهم وأوقعهم في الضلال". [مجالس الأبرار، ص: ٢٠٣]

الباب الحادي والأربعون

قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢

باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل". وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك**". رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**" . رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (المتوفى: ٣٧٣ هـ): "قوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ، أي لا تقولوا له شركاء وأنتم تعلمون أنه خالق هذه الأشياء وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئا من هذه الأشياء. ويقال: كل شيء في هذه الدنيا فيه دلالة على كونه الخالق من أربعة أوجه: فوجود هذه الأشياء وكونها يدل على وجود الصانع واستقامتها تدل على توحيده، وهو استقامة الليل والنهار، والشتاء والصيف وخروج الثمرات وحدوث كل شيء في وقته، لأن المدبر لو كان اثنين لم يكن على

الاستقامة، كما قال في آية أخرى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وتجانسها يدل على أن الخالق واحد عالم حيث خلق الأشياء أجناسا مختلفة، وتمام الأشياء يدل على أن خالقها واحد قائم قادر". [بحر العلوم، ٣٤/١]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ): "﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ هو متعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل له ند ولا شريك . ويجوز أن يكون الذي «رفعا» على الابتداء وخبره «فلا تجعلوا» . ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء . المثل والند ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء ، ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق ، أو مفعول «تعلمون» متروك أي وأنتم من أهل العلم . وجعل الأصنام لله أندادا غاية الجهل ، والجملة حال من الضمير في «فلا تجعلوا» ". [تفسير النسفي، ٢٧/١]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي أمثالا تعبدونهم كعبادة الله تعالى، يعني لا تقولوا له شركاء تعبد معه، والند: المثل المخالف، أي في الأفعال والأحكام، وهو نهي من اعتقادهم أن لهم آلهة مثله قادرة على مخالفته، والفاء عطفت «لا تجعلوا» على «اعبدوا»، أي يأمركم بالعبادة، فلا تشركوا به شيئا ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] العقل والتمييز، أنه واحد، لا شريك له في خلق هذه الأشياء الشاهدة بالوحدانية، وإن آلهتكم لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه، فحقه أن تعرفوا أنعامه عليكم بها، وتعتبروا بالنظر الصحيح الموصل إلى التوحيد، فتقابلوها بالشكر لا بالشرك". [عيون التفاسير، ٣٥/١]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "والأنداد جمع ند، كعدل وأعدال أو نديد، كيتيم وأيتام – والند مثل الشيء الذي يضاده ويخالفه في أموره وينافره ويتباعد عنه وليس من الأضداد على الأصح ، وأصله من ند ندودا إذا نفر ، وقيل : الند المشارك في الجوهرية فقط ، والشكل المشارك في القدر والمساحة ، والشبه المشارك في الكيفية فقط ، والمساوي في الكمية فقط ، والمثل عام في جميع ذلك ، وفي تسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله في ذاته تعالى وصفاته ولا تخالفه في أفعاله". [روح المعاني، ١/ ١٩٣]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "وهو متعال عن الأضداد والأنداد". [العقدية الطحاوية]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ): " الضد: المخالف، والند: المثل. فهو سبحانه لا معارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مثل له، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤] ويشير الشيخ رحمه الله – بنفي الضد والند – إلى الرد على المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فعله". [شرح الطحاوية، ١/١٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك**". رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم".

قال الكاساني علاء الدين (المتوفى : ٥٨٧هـ): " وروي عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم "**من حلف بغير الله فقد أشرك**" ولأن هذا النوع من الحلف لتعظيم المحلوف وهذا النوع من التعظيم لا يستحقه إلا الله تعالى ". [بدائع الصنائع، ٦/٢٢١]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**من حلف بغير الله فقد أشرك**"؛ يعني: من حلف بغير الله وصفاته معتقدا له التعظيم فقد أشرك؛ لأنه أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به، وإذا لم يحلف به إلا من حيث العادة كما يقول: لا، وأبي! فلا بأس، هذا هو الظاهر.

قال الشيخ في "شرح السنة": وفسر هذا الحديث بعض أهل العلم على التغليظ، وهذا مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الرياء شرك"، وقد فسر بعض ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] قال: لا يرائي، وهذا التفسير يدل على أن قوله صلى الله عليه وسلم: "فقد أشرك" شرك دون شرك، يريد به: الشرك الخفي". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٧٢/٤]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**من حلف بغير الله**"، معناه: معتقدا تعظيم ذلك الغير. "**فقد أشرك**"؛ لأنه أشرك المحلوف به مع الله في التعظيم المختص به، وإلا فلا بأس، كقوله: لا وأبي، ونحو ذلك، كما جرت به العادة". [شرح المصابيح، ١٠١/٤]

وقال العيني رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "والحكمة في النهي عن الحلف بالآباء أنه يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله جلت عظمته. فلا يضاهي به غيره، وهكذا حكم غير الآباء من سائر الأشياء، وما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: أفلح وأبيه، فهي كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين". [عمدة القاري، ١٧٥/٢٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "وأما الحلف بحياة شريف، ومثله بحياة رأسك وحياة رأس السلطان فذلك إن اعتقد أن البر واجب يكفر، وفي تتمة الفتاوى. قال علي الرازي: أخاف على من قال: وحياتي وحياتك أنه يكفر، ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت: إنه شرك". [مرقاة المفاتيح، ٢٢٤٢/٦]

وقال إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ): "الحلف بغير الله إشراك بالله:

أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» .

وأخرج مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**» .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله**» .

وقد دلت هذه الأحاديث على أن الحلف يضر بالإيمان والعقيدة، فإذا صدر هذا من مسلم، فليقل لا إله إلا الله. [رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان (ص: ١٦٥)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " **رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم**"، أي خرجه الترمذي في سننه، في باب كراهية الحلف بغير الله، ٤/١١٠، رقم (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرك، ٤/٢٩٧، رقم (٧٨١٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".

قال شمس الأئمة السرخسي (المتوفى : ٤٨٣هـ): "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا"، ومراده بهذا المبالغة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من حلف بغير الله فكفارته أن يقول لا إله إلا الله**"، وقال عليه السلام: "**لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت**"، فالحلف بغير الله منهي عنه سواء كان كاذبا أو صادقا ، وليس المراد الرخصة في الحلف بالله كاذبا ، فإن الكذب حرام من غير أن يؤكده باليمين فكيف يرخص فيه مع التأكيد باليمين وقد أوله بعضهم على أن الحالف بالله تعالى، وإن كان كاذبا في خبره ، فهو معظم اسم الله تعالى في حلفه ، ويروون فيه حديثا عن رجل من بني إسرائيل عن رجل أنه حلف بالله الذي لا إله إلا هو، وكان كاذبا في يمينه فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان أنه غفر له ذلك بتوحيده ، ولكن الأول أصح . [المبسوط للسرخسي، (٣٣ / ٤٩٦)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**" . رواه أبو داود بسند صحيح".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان"، وعلة النهي عن هذا الكلام أنه يلزم من هذا الكلام الاشتراك بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواو للجمع والاشتراك، ويجوز: ثم شاء الله؛ لأن (ثم) للتراخي؛ يعني: شاءِ الله، ثم بعد مشيئة الله يشاء فلان". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٥٩/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**لا تقولوا ما شاء الله**" فيه حذف، أي: فهو كائن، أو: كان ونحوه. "**وشاء فلان**" بالعطف عليه؛ لأنه يلزم منه الاشتراك والتسوية بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواو للجمع والاشتراك. "وقولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان" لأن (ثم) للتراخي". [شرح المصابيح، ٢١٩/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان**"، فيه حذف تقديره: فهو كائن أو كان لما فيه من التسوية بين الله وبين عباده؛ لأن الواو للجمع والاشتراك "**ولكن قولوا: ما شاء الله**" أي: كان (ثم شاء فلان) أي: ثم بعد مشيئة الله شاء فلان؛ لأن ثم للتراخي، وإنما قدرنا كان قبل ثم شاء فلان، ليندفع توهم الاشتراك في الحكم ولو بالتراخي أيضا فتأمل، فإنه مسلك دقيق، وبالتحقيق حقيق؛ وحينئذ قوله: ثم شاء فلان جملة مستأنفة، أو معطوفة على الجملة السابقة، كما أشرنا إليه، وثم لتراخي الأخبار، وهذا مجمل ما ظهر لي في حل هذا المحل. وفي شرح السنة: لما كان الواو حرف الجمع والتشريك منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى، وأمر بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة من سواه بحرف ثم الذي هو للتراخي. قال الطيبي: ثم هاهنا يحتمل التراخي في الزمان، وفي الرتبة، فإن مشيئة الله تعالى أزلية، ومشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها فأين إحداهما من الأخرى؟". [مرقاة المفاتيح، ٣٠٠٨/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**رواه أبو داود بسند صحيح**"، أي خرجه أبو داود في سننه، ٤/٤٥٢، رقم: (٤٩٨٢).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان".

قال العيني رحمه الله تعالى: " والعلة في ذلك ... وهو أن بالواو يلزم الاشتراك، وبكلمة: ثم، لا يلزم لأن مشيئة الله متقدمة". [عمدة القاري، ٢٣/١٨٠]

الباب الثاني والأربعون

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق ؛ ومن حلف له بالله فليرض ؛ ومن لم يرض فليس من الله**". رواه ابن ماجه بسند حسن.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف بالله فليصدق ؛ ومن حلف له بالله فليرض ؛ ومن لم يرض فليس من الله**". رواه ابن ماجه بسند حسن.

قوله: " **لا تحلفوا بآبائكم** "، **قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ)**: "**لا تحلفوا بآبائكم**"، لأن هذا من أيمان الجاهلية، وفي رواية مسلم: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي رواية: "لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم". قال النووي: فإن قيل: هذا الحديث مخالف لقوله، صلى الله عليه وسلم: (أفلح وأبيه إن صدق) فجوابه: إن هذه كلمة تجري على اللسان لا يقصد بها اليمين، وقال غيره: بل هي من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد، ولا يراد بها القسم كما تزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد إلى النداء". [عمدة القاري، ٢٩٢/١٦]

وقال العلامة العيني رحمه الله أيضا: "والحكمة في النهي عن الحلف بالآباء أنه يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله جلت عظمته. فلا يضاهي به غيره، وهكذا حكم غير الآباء من سائر الأشياء". [المصدر السابق، ١٧٥/٢٣]

وقال العيني رحمه الله أيضا: "قال المهلب: كانت العرب في الجاهلية تحلف بآبائهم وآلهتهم فأراد الله أن ينسخ من قلوبهم وألسنتهم ذكر كل شيء سواء ويبقى ذكره تعالى لأنه الحق المعبود. والسنة اليمين بالله عز وجل". [المصدر السابق، ٢٣/ ١٧٧]

قوله: "**من حلف بالله فليصدق**"، لأن الصدق واجب والكذب حرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الصدق بر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب فجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذابا** ". [رواه البخاري، ٣٠/٨، رقم (٦٠٩٤)، ومسلم ٢٩/٨، رقم (٦٨٠٤)]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون** ". [رواه أبو داود، ٢١٧/٣، رقم (٣٢٥٠)]

قوله: "**ومن حلف له بالله فليرض**"، قال صلى الله عليه وسلم: "**رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال: "عيسى آمنت بالله وكذبت عيني**". [البخاري، ٢٠٤/٤ رقم (٣٤٤٤)]

وفي رواية: "**آمنت بالله وكذبت نفسي**". [مسلم، ٩٧/٧، رقم (٦٢٨٦)]

قال ابن القيم رحمه الله: "كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله عز و جل وقال : ما ظننت أحدا يحلف بالله تعالى كاذبا". [إغاثة اللهفان، ١١٥/١]

وفيه أن من حلف له أخوه المسلم يجب تصديقه إلا إذا دلت القرينة على كذبه.

قوله: " **ومن لم يرض فليس من الله**"،

قال السندي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٣٨ هـ): "(**فليس من الله**) أي من قربه في شيء والحاصل أن أهل القرب يصدقون الحالف فيما حلف عليه تعظيما لله ومن لا يصدقه مع إمكان التصديق فليس منهم". [حاشية السندي على سنن ابن ماجة، ٦٤٦/١]

قوله: " **رواه ابن ماجه بسند حسن**"، أي رواه ابن ماجة في سننه، في باب من حلف له بالله فليرض، ٢٤٠/٣، رقم (٢١٠١).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وسنده حسن". [فتح الباري، ٥٣٦/١١].

الباب الثالث والأربعون

قول : ما شاء الله وشئت

باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت" . رواه النسائي وصححه.

وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده" .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال: **هل أخبرت بها أحدا؟** قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول ما شاء الله وشئت".

وقد سبق بيان هذا القول في الباب الحادي والأربعون.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن قتيلة: "أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "**ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**" . رواه النسائي وصححه.

قوله: "**قتيلة**"، هي قتيلة بنت صيفي الجهنية ويقال الأنصارية وكانت من المهاجرات الأول. [أسد الغابة، ٧/٢٣٣]

قوله: "**إنكم تشركون**"، أي تقعون في الشرك.

قوله: "**وتقولون والكعبة**"، أي تحلفون بالمخلوق، والحلف بغير الله شرك.

قوله: " فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "**ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت**" .

في الحديث إثبات الإرادة والمشيئة للعبد، لكن مشيئته تابع لمشية الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وفيه قبول الحق ممن جاء به كائنا من كان.

وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله.

وفيه بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهودي على قوله: "إنكم تشركون".

وفيه أن أهل الهوى والباطل قد يفهمون الحق.

قوله: "**رواه النسائي وصححه**"، أي رواه النسائي في سننه في باب الحلف بالكعبة، ٦/٧، رقم (٣٧٧٣).

قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "فكان فيما روينا في هذا الباب [يعني: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السلام من نهيه أمته أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وأمره إياهم أن يقولوا مكان ذلك ما شاء الله ثم ما شاء محمد] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نهيه أمته أن يقولوا: ما شاء الله وشئت وأمره إياهم أن يقولوا مكان ذلك ما شاء الله ، ثم شئت. قال قائل: فإن في كتاب الله تعالى ما قد دل على إباحة هذا المحظور في هذه الأحاديث ، ثم

ذكر قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] ولم يقل ، ثم لوالديك فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله أن هذا مما كان مباحا قبل نهي رسول الله عليه السلام عن مثله في هذه الأحاديث ثم نهى عن ما نهى عنه في هذه الأحاديث فكان ذلك نسخا لما قد كان مباحا مما قد تلوته قبل ذلك ومذهبنا أن السنة قد تنسخ القرآن ؛ لأن كل واحد منهما من عند الله ينسخ ما شاء منهما بما شاء منهما ولأنا قد وجدنا كتاب الله قد دلنا على ذلك ، وهو قوله فيه: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] الآية ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك " خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ". [شرح مشكل الآثار، ١/٢١٩]

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "والحلف بغير الله تعالى حرام وشرك، قال صلى الله عليه وسلم: "**إن الله تعالى نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**"، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر أنه سمع رجلا يقول: والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**"، رواه الترمذي وحسنه.

وفي رواية للحاكم: "**كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك**"، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق"، رواه الطبراني.

ومن حلف وقال: بالله وبروحك أو برأسك، قال بعض المشايخ: كفر، ولو قال: وبتراب قدمك كفر عند الكل.

وقال ابن الهمام: أما الحلف بحياة شريف، ومثله بحياة رأسك وحياة رأس السلطان، فذلك إن اعتقد أن البر واجب فيه يكفر.

وفي تتمة الفتاوى، قال علي الرازي: أخاف على من قال بحياتي وحياتك وما أشبه ذلك الكفر، ولولا أن العامة يقولونه ولا يعلمونه لقلت أنه شرك، لأنه لا يمين إلا بالله تعالى.

فإذا حلف بغيره فقد أشرك، ومن قال: إن فعلت فهو يهودي أو نصراني أو كافر وهو يعلم أنه قد فعله، قال في الفتاوى الصغرى كفر.

وقال الفضلي رحمه الله: تبين امرأته، قال ابن الهمام في شرح الهداية: فهي يمين غموس لا كفارة فيها إلا التوبة، وهل يكفر حتى التوبة اللازمة عليه التوبة من الكفر وتجديد الإسلام، قيل: نعم، لأنه تنجيز معنى، لأنه لما علقه بأمر كائن، قال ابتداء هو كافر.

والصحيح أنه إن كان يعلم أنه يمين فيه الكفارة إذا لم يكن غموسا لا يكفر، وإن كان في اعتقاده أنه يكفر به يكفر فيهما، لأنه رضي بالكفر حيث أقدم على الفعل الذي عليه كفره، وهو يعتقد أنه يكفر إذا فعله انتهى. [تبيين المحارم، ص: ١٢٠-١٢١]

قال العلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي رحمه الله: "قد صرح في جميع كتب الحنفية متونا وشروحا وفتاوى، أنه لا يجوز القسم بغير اسم من أسماء الله تعالى، وها أنا أحرر لك نصوص المذهب بحول الله وقوته.

وقد كنت حررت في مادة (٣٦٩) من كتابي"حبل الشرع المتين"، خلاصة المذهب: أن الحلف بغير الله لا يجوز، ولا يصح القسم ولا يكون حالفا أصلا، كبالنبي، أو الكعبة أو الأولياء أو النصب أو برأسك أو بحياتك أو نحو ذلك، وهو حرام وكبيرة، لما أخرجه الترمذي في "سننه"، والحاكم في "المستدرك" وأحمد في "مسنده"، والسيوطي في "الصغير"، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من حلف بغير الله، فقد أشرك**".

وفي رواية: "**كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك**".

ولما أخرجه الديلمي في "الفردوس" وابن عساكر والعلاء المتقي في "منتخب كنز العمال"، عن أبي هريرة ويزيد بن سنان رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "**من حلف بغير الله عز وجل فليس منا، ولا يحلف أحدكم بالكعبة، فإن ذلك شرك، وليقل: ورب الكعبة**".

وذلك مذهب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله.

قال العلامة أحمد بن حجر المكي في "الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر": "الكبيرة (٤١٢): الحلف بغير الله، ومن جملته: اليمين الغموس والحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والأمانة ، ونحوها، وهي من أشدها نهيا، وتربة فلان ، وغيرها، والدليل: ما أخرجه الشيخان وغيرهما : "**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**"، وفي مسلم: "**لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم**"، والطواغي جمع طاغية وهي الصنم.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة. فقال: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك**".

وقال بعض أئمة الشافعية: إن الحلف بغير الله مكروه، وإن اعتقد التعظيم لذلك، فحينئذ كفر.

وهكذا رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "مستدركه" صححه...الخ.

قال ابن عابدين في "رد المحتار": "وهل يكره الحلف بغير الله تعالى؟ قيل: نعم، للنهي".

ثم ذكر أقوالا عجيبة سخيفة، في مقابلة النص، وهي كلها مردودة بالنص!

ثم قال: "وأما إقسامه تعالى بغيره كالضحى والنجم والليل، فقالوا: إنه مختص به تعالى، إذ له أن يعظم ما شاء وليس لنا ذلك بعد أن نهينا عنه"...الخ.

وبالجملة: إن الأدلة المانعة عن الحلف بغير الله أكثر من أن تحصر، وذكر كلها يطول، فما بينا يكفي لأهل الدين والعقول". [حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ص: ١٣٣-١٣٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. فقال: "**أجعلتني لله ندا؟! ما شاء الله وحده**" .

قوله: "**وله أيضا**"، أي للنسائي رحمه الله.

قوله: "**أجعلتني لله ندا؟**"، أي نظيرا وشبيها.

قوله: "**ما شاء الله وحده**" ،

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): قال الطيبي: فإن قلت: كيف رخص أن يقول ما شاء الله ثم شاء فلان ولم يرخص في اسمه صلى الله عليه وسلم، حيث قال: قولوا ما شاء الله وحده.

قلت (القائل هو الطيبي): فيه جوابان.

أحدهما: قال دفعا لمظنة التهمة في قولهم ما شاء الله وشاء محمد تعظيما له ورياء لسمعته.

وثانيهما: أنه رأس الموحدين ومشيئته مغمورة في مشيئة الله تعالى، ومضمحلة فيها.

أقول (القائل هو القاري): أصل السؤال مدفوع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم داخل في عموم فلان، فيجوز أن يقال ما شاء الله ثم شاء محمد، ولا يجوز أن يقال ما شاء الله وشاء محمد، فجوابه الأول خطأ فاحش؛ لأنهم لو قالوا: ما شاء الله وشاء محمد، لكان شركا جليا لا مظنة للتهمة التي ذكرها، وجوابه الثاني في نفس الأمر صحيح، لكن لا يفيد جواز الإتيان بالواو، مع أن مشيئة غيره صلى الله عليه وسلم أيضا مضمحلة في مشيئة الله تعالى سبحانه، وأيضا ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لمجرد الرخصة، ولو قال هنا قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، لكان أمر وجوب أو ندب، وليس الأمر كذلك، مع أن المشيئة المسندة إلى فلان إنما هي مشيئة جزئية لا يجوز حملها على المشيئة الكلية، كما رمزنا إليه فيما سبق من الكلام، والله سبحانه أعلم بالمرام". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٠٩)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال: **هل أخبرت بها أحدا؟** قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**".

قوله: "**ولابن ماجه**"، أي رواه ابن ماجة في سننه، في باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، ٣/٢٥٢، رقم (٢١١٨)، ولم يروه ابن ماجة رحمه الله بهذا اللفظ.

قوله: "**إنكم لأنتم القوم**"، وفي رواية ابن ماجة : "نعم القوم أنتم".

قوله: "**رأى رؤيا**"، الرؤيا: ما يرى في المنام.

ولا تثبت الأحكام الشرعية بالمنام إلا في حق الأنبياء أو تقريرهم.

وقال العلامة علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "لا اعتماد على رؤية المنام في غير حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أن الرؤى قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرائي أو غيره في هذا المقام، فلو فرض أن أحدا رأى النبي عليه الصلاة والسلام، وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام؛ فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع علماء الأعلام". [المقدمة السالمة في خوف الخاتمة، ضمن مجموع رسائل العلامة الملا علي القاري، ٧/ ٣٣٤]

دل الحديث على تحريم عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الله بالواو، لأن الواو تقتضي التشريك بين المتعاطفين وذلك يؤدي إلى الشرك بالله. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٧٧]

الباب الرابع والأربعون

من سب الدهر فقد آذى الله

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى وقالوا: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**قال تعالى**: **يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**" .

وفي رواية: "**لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من سب الدهر فقد آذى الله".

معنى السب: الشتم. [الصحاح، ١/٤٤]

الأذى: هو ما تسمعه من مكروه. [تهذيب اللغة، ١٥/٣٩]

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٠٠٠ هـ**):

"واعلم: أن الإيذاء إيصال المكروه إلى الغير قولا وفعلا أثر فيه أو لم يؤثر، وإيذاء بني آدم ربهم تعالى يؤثر فيه ولا يضره، بل يضر القائلين. فإذا كان كذلك عرفت أن معنى ﴿ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] عبارة عن فعل ما يكرهه ولا يرضى به، ولا يليق بحضرته.

واعلم أن إيذاء الله تعالى **قسمان:**

أحدهما: شرك بالله تعالى وإنكار لقدرته وعلمه كإيذاء اليهود والنصارى والمجوس بقولهم: عزير ابن الله والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وعبادتهم الأوثان وإنكارهم الحشر والنشر وغير ذلك من أنواع كفرهم "سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا" فالمؤذي بمثل هذه الإيذاءات مبعد من الله تعالى بعدا أبديا مخلدا في النار أبدا.

والثاني: ليس بشرك، ولكن عدم رضاء بقضاء الله تعالى وقدره والمخالفة لأمره ونهيه كأفعال المؤمنين من المناهي وشكاية بعضهم بعضا مما أصابه من المكروهات والمصائب ونوائب الدهر، معتقدين أنها من الله تعالى ودوران الفلك وتحول الدهر سبب لها، فهؤلاء تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم، فسبحانه، ما أحلمه وما أرحمه ﴿ **وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا** ﴾ [الكهف: ٥٨]. [تبيين المحارم، ص: ٦٠٧-٦٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى وقالوا: ﴿ **مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الجاثية: ٢٤]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي: ما قالوا: ما الحياة إلا حياة الدنيا.

ويحتمل أنهم يقولون: ﴿ **مَا هِىَ** ﴾ أي: لا حياة إلا الحياة التي دنت منا.

وقوله عز وجل: ﴿ **نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾ يخرج على وجهين:

أحدهما: أي: نموت نحن وتحيا أبناؤنا وأولادنا.

والثاني: ﴿ **نَمُوتُ** ﴾ أي: كنا ميتين فحيينا ﴿ **نَمُوتُ** ﴾ بمعنى: كنا أمواتا ﴿ **وَنَحْيَا** ﴾ أي: فصرنا أحياء، ثم لا حياة بعد تلك الحياة، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾ هذا يخرج على وجهين:

أحدهما: أي: ما يهلكنا إلا مرور الأزمنة والأوقات؛ أي: بسبب مرور الأوقات ينتهي آجالنا، ونبلغ إلى الهلاك، وكذلك قال القتبي: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ أي: إلا مرور السنين والأيام.

والثاني: أن يكون الدهر عندهم عبارة عن الأبد؛ فكأنهم يقولون في قوله: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾: وما يهلك أنفسنا إلا الدهر؛ لأن أنفسنا لم تجعل للأبد، ولا للبقاء للأبد، بل جعلت للانقضاء والفناء، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: ما هم إلا على ظن يظنون.

والثاني: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ أي: وما لهم بما قالوا: ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ - ﴿ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي: ما هم إلا على ظن يظنون؛ أي: على ظن يقولون ذلك، لا عن علم، والله أعلم". [تفسير الماتريدي، ٢٢٨/٩]

قال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي ما الحيوة إلا حيوتنا في الدنيا لا حيوة بعد الموت في الآخرة ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾ أي يموت بعضنا ويحيى بعضنا كأولادنا أو نحيي ونموت لأن الواو للجمع لا للترتيب ﴿ وَمَا يُهۡلِكُنَآ ﴾ أي لا يميتنا ﴿ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾ أي مضي الأيام والليالي وانقضاء الآجال ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ أي بما يقولون ﴿ مِنۡ عِلۡمٍ ﴾ أي برهان قطعي بل يتكلمون عن جهل ﴿ إِنۡ هُمۡ ﴾ أي ما القائلون بذلك ﴿ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [٢٤] به ظنا بلا تحقيق، لأنهم ينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وينسبون الحوادث إلى الدهر ولا يعلمون أن خالق الدهر هو الآتي بالحوادث لا الدهر والزمان". [عيون التفاسير، ١٠٥/٤]

دلت الآية على ذم من نسب الحوادث إلى الدهر وذلك إيذاء لله لأنه يكرهه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري ٦/١٣٣ رقم (٤٨٢٦)، ومسلم ٤/١٧٦٢ رقم (٢/٢٢٤٦).

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "**قال الله تعالى: "يؤذني ابن آدم**"، (**الإيذاء**): إيصال شيء يكرهه من القول أو الفعل سواء أثر فيه أو لم يؤثر فيه، وإيذاء بني آدم ربهم تعالى لم يؤثر فيه ولم يضره بل يضر القائلين، فإذا كان كذلك يكون معنى (يؤذيني ابن آدم): يقول لي ابن آدم ما أكرهه وأبغضه، ولا يليق بحضرتي.

"**يسب الدهر**" يروى: "**بسب الدهر**" بالباء الجارة وبعدها المصدر المجرور بالباء، ويروى: "**يسب الدهر**" على أنه فعل مضارع، و (**الدهر**) منصوب على أنه مفعوله.

و (**السب**): الشتم، وذكر معناه في الحديث الذي قبل هذا.

و (**الدهر**): هو الزمان من أول خلق الله تعالى العالم إلى آخر الدنيا، ويقال: بعض الزمان دهر أيضا.

"**وأنا الدهر**" يروى برفع الراء ونصبها:

فإن نصب يكون ظرفا مقدما على الفعل، فيكون التقدير: وأنا أقلب الليل والنهار في الدهر.

وان رفع يكون (**الدهر**) مضافا إليه أقيم مقام المضاف، والتقدير: وأنا خالق الدهر، أو مصرف الدهر – فحذف (خالق) أو (مصرف) وما أشبه ذلك، وأقيم (الدهر) مقامه – يؤذيني ابن آدم بشتمه الدهر بسبب فقر وقحط ومرض وما أشبه ذلك من مكروهات تصيبه، وأنا خالق الدهر ومقلب الليل والنهار، فما أصابه أصاب مني لا من الدهر؛ لأن الدهر مخلوق ومسخر لا يقدر على إيصال نفع وضر، بل النفع والضر والغنى والفقر والصحة والمرض والحياة والممات كلها بقضائي وقدري، فمن شتم الدهر فقد شتمني؛ لأن من عاب مصنوعا عاب صانعه.

فإن قيل: هذه الأحاديث تدل على أنه لا يحدث فعل ولا قول ولا نفع ولا ضر ولا غير ذلك مما يحدث إلا بقضاء الله تعالى وقدره، وإذا كان كذلك فلم يعيبون الكفار على كفرهم والعصاة على عصيانهم؟

قلنا: ليس الأمر كما يظن، بل ما يجري في العالم قسمان:

أحدهما: ما يجري على شيء ليس له اختيار فيما يصدر منه، كمرور الليل والنهار، ونزول المطر، والنفع والضر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والخسران والبرودة، والريح الطيبة وغير الطيبة، وتحرك الشجر، وغير ذلك مما لا اختيار له، فلا يجوز أن يعيب أحد شيئا من هذه الأشياء.

والقسم الثاني: ما يصدر ممن له اختيار وكسب، كالجن والإنس وغيرهم ممن له اختيار، فهؤلاء مثابون بخير يصدر منهم ويعاقبون بشر يصدر منهم؛ لأن لهم اختيارا واكتسابا، فيجوز أن يعيب أحد هؤلاء أحد على فعلهم القبيح ومخالفتهم الأنبياء والكتب، إلا أن القضاء والقدر من الله تعالى والفعل من العباد ولهم اختيار، وبحث هذه المسألة طويل ليس هذا موضعه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/١٠٧-١٠٨]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم"؛ أي: يقول في حقي ما أكرهه وأبغضه.

"**يسب الدهر**"؛ أي: يشتمه، وهو اسم لزمان مبدأ إيجاد العالم إلى انصرامه، وقد يعبر به عن المدة الطويلة.

"**وأنا الدهر**" بالرفع، قيل: هو الصواب؛ أي: حالق الدهر ومقلبه، بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فما يصيبه من حوادث الدهر هو مني؛ لأن الدهر لا يقدر على إيصال نفع وضر، أو مصدر بمعنى الفاعل؛ أي: أنا الداهر المتصرف المدبر لما يحدث، ويروى بالنصب على الظرفية مقدما على فعله وهو: "أقلب"؛ أي: أقلب "الليل والنهار" في الدهر، وإنما عقب قوله: (**أنا الدهر**)، بقوله: (**أقلب الليل والنهار**)، لرفع وهم أن الدهر حقيقة به تعالى؛ خلافا لمن زعم ذلك إذ مقلب الشيء ومصرفه يستحيل أن يكون نفسه". [شرح المصابيح، ١/٥٣]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): قوله: أقلب الليل والنهار، قرينة قوية دالة على أن المضاف في قوله: إنا الدهر. محذوف وأن أصله خالق الدهر، لأن الدهر في الأصل عبارة عن الزمان مطلقا والليل والنهار زمان، فإذا كان كذلك يطلق على الله أنه مقلب الليل والنهار، بكسر اللام، والدهر يكون مقلبا بالفتح، فلا يقال: الله الدهر مطلقا. لأن المقلب غير المقلب فافهم، وقد تفردت به من (الفتوحات الربانية) وعلى هذا لا يجوز نسبة الأفعال الممدوحة والمذمومة للدهر حقيقة، فمن اعتقد ذلك فلا شك في كفره، وأما من يجري على لسانه من غير اعتماد صحته فليس بكافر ولكنه تشبه بأهل الكفر وارتكب ما نهاه عنه الشارع فليتب وليستغفر". [عمدة القاري، ١٩/١٦٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**قال الله تعالى: يؤذيني**" بالهمز ويبدل، أي يقول في حقي (**ابن آدم**) ما أكره، وينسب إلي ما لا يليق بي، أو ما يتأذى به من يصح في حقه التأذي؛ ولذا قيل: هذا الحديث من المتشابه؛ لأن تأذي الله تعالى محال فإما أن يفوض وإما أن يئول كما تقدم، وقد يطلق الإيذاء على إيصال المكروه للغير بقول أو فعل، وإن لم يتأثر به فإيذاء الله تعالى فعل ما يكرهه، وكذا إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] (**يسب الدهر**) بصيغة المضارع استئناف بيان، وروي بحرف الجر وفتح السين وجر الدهر، يعني ظنا منه أن الدهر يعطي ويمنع ويضر وينفع. (**وأنا الدهر**) يروى برفع الراء، قيل: هو الصواب، وهو مضاف إليه أقيم مقام المضاف أي أنا خالق الدهر، أو مصرف الدهر، أو مقلبه، أو مدبر الأمور التي نسبوها إليه، فمن سبه بكونه فاعلها عاد سبه إلي؛ لأني أنا الفاعل لها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور، وأتى بأداة الدهر مبالغة في الرد على من يسبه، وهم صنفان: دهرية لا يعرفون للدهر خالقا ويقولون: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] أو معترفون بالله تعالى لكنهم ينزهونه عن نسبة المكاره إليه، فيقولون: تبا له، وبؤسا، وخيبة، ونحو ذلك. وقد يقع من بعض عوام المؤمنين جهالة وغفلة، ويروى بنصب الدهر على الظرفية أي أنا الفاعل أو المتصرف في الدهر، وقيل: الدهر الثاني غير الأول، فإنه

بمعنى زمان مدة العالم من مبدأ التكوين إلى أن ينقرض، أو الزمن الطويل المشتمل على تعاقب الليالي والأيام، بل هو مصدر بمعنى الفاعل، ومعناه أنا الداهر المتصرف المدبر المفيض لما يحدث. وقال الراغب: الأظهر أن معناه أنا فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموني (**بيدي الأمر**) : بالإفراد وفتح الياء وتسكن، ويجوز التثنية وفتح الياء المشددة للتأكيد والمبالغة، أي الأمور كلها خيرها وشرها حلوها ومرها تحت تصرفي (**أقلب الليل والنهار**) كما أشاء بأن أنقص فيهما أو أزيد، وأقلب قلوب أهلهما كما أريد". [مرقاة المفاتيح، ٩٦/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية: "**لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر**" .

قوله: "**وفي رواية**"، أي في رواية مسلم رحمه الله.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**فإن الله هو الدهر**"؛ أي: فإن الله خالق الدهر ومصرفه، فمن سب الدهر فقد سب خالقه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٥٥/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**" أي خالقه ومصرفه في الخير والشر.

وفي النهاية كان من شأن العرب تذم الدهر، وتسبه عند النوازل والحوادث، ويقولون آباءهم، وقد ذكره والدهر عنهم في كتابه العزيز، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] والدهر اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذم الدهر، وسبه، أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء، فإنهم إذا سبوه، وقع السب على الله تعالى، لأنه هو الفعال لما يريد". [شرح مسند أبي حنيفة، ص: ٣٨٨-٣٨٩]

وفي الحديث أن سب الدهر يؤذي الله سبحانه وتعالى.

الباب الخامس والأربعون

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**" .

قال سفيان مثل: شاهان شاه.

وفي رواية: "**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**" .

قوله: " **أخنع** " يعني: أوضع.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه".

ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياسا على ما في حديث الباب؛ لكونه يشبهه في المعنى، فينهى عنه. [الفتح، ص: ٥٠٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**" .

قال سفيان: "**شاهان شاه**".

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري ٤٥/٨، رقم (٦٢٠٦)، ومسلم ١٦٨٨/٣، رقم (٢١٤٣).

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " أخنع، فهو من الخنوع وهو الذل وقد فسره الحميدي عند روايته به بقوله: الأخنع الأذل.

والخانع الذليل من خنع الرجل إذا ذل.

وإنما كان: ملك الأملاك أبغض إلى الله وأكره إليه أن يسمى به مخلوق لأنه صفة الله تعالى، ولا يليق بمخلوق صفات الله وأسماؤه، لأن العباد لا يوصفون إلا بالذل والخضوع والعبودية.

قوله: "**ملك الأملاك**" بكسر اللام من ملك والأملاك جمع ملك بكسر اللام أيضا،

وقيل: التحق بذلك قاضي القضاة وإن كان اشتهر في بلاد المشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة، وقد سلم أهل الغرب من ذلك، واسم: كبير القضاة، عندهم قاضي الجماعة. قلت: أول من تسمى قاضي القضاة أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة، وفي زمنه كان أساطين الفقهاء والعلماء والمحدثين فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك، نعم يمتنع أن يقال: أقضى القضاة، لأن معناه: أحكم الحاكمين، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، وهذا أبلغ من قاضي القضاة، لأنه أفعل التفضيل، ومن جهلاء هذا الزمان من مسطري سجلات القضاة يكتبون للنائب: أقضى القضاة، وللقاضي الكبير: قاضي القضاة". [عمدة القاري، ٢١٥/٢٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**قال سفيان: شاهان شاه**"،

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى: "ومعناه بالعربي: ملك الأملاك، لأن شاهان الأملاك لأنه جمع شاه ويجمع عندهم بالألف والنون في بنى آدم، وشاه مفرد ومعناه الملك، ولكن من قاعدة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف وتقديم الصفة على الموصوف، وشاهان بسكون النون لا بكسرها. [عمدة القاري، ٢١٥/٢٢-٢١٦]

قال المباركفوري رحمه الله تعالى (**المتوفى: ١٣٥٣ هـ**): "وقد تعجب بعض الشراح من تفسير سفيان بن عيينة اللفظة العربية باللفظية العجمية وأنكر ذلك آخرون وهو غفلة منهم عن مراده وذلك أن لفظ شاهان شاه كان قد كثر التسمية به في ذلك العصر فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم.

وزعم بعضهم أن الصواب شاه شاهان وليس كذلك لأن قاعدة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف فإذا أرادوا قاضي القضاة بلسانهم قالوا موبذان موبذ فموبذ هو القاضي وموبذان جمعه فكذا شاه هو الملك وشاهان هو الملوك

واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعد الشديد ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين...". [تحفة الأحوذي، ١٠٢/٨]

وقال جار الله رحمه الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ) في قوله تعالى: "أحكم الحاكمين أى أعلم الحكام وأعدلهم، لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل. ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ، ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر". [الكشاف، ٢/٣٩٨-٣٩٩]

قال أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير في حاشية الكشاف: "ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أقضى القضاة إلى قاضى القضاة ، والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الأولى :

أن الأولى تقتضي مشاركة القضاة لأقضاهم في الوصف ، وأن يزاد عليهم ، فترفعوا أن يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المنصب ، فعدلوا عما يشاركه فيه إلى ما ليس كذلك ، فأفردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضى القضاة : أي هو الذي يقضى بين القضاة ولا يشاركهم منهم أحد في وصفه ، وجعلوا الذي يليه في الرتبة أقضى القضاة إلا أنهم إنما يعنون قاضى قضاة زمانه أو إقليمه. وإذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال «أقضاكم على» فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم ، فلا حرج إن شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الإقليم وأعلمهم : قاضى القضاة ، وأقضى القضاة ، أي قضاة زمانه وبلده ، وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا هذا اللقب. [تفسير الكشاف مع الحواشي، ٢/٣٩٨]

يعني التسمي بقاضي القضاة مطلقا لا يجوز، وإذا قيد بالزمان والعصر والبلد، فلا بأس به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية: "**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**" .

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "أغيظ رجل على الله" أفعل تفضيل من الغيظ، مجاز عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم؛ أي: أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله "يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله" استئناف لبيان تعليل تحريم

التسمية، فبين أن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكية غيره مستعارة، فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبدا لله، فيكون له الخزي". [شرح المصابيح، ٢٠٩/٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: قوله: "أخنع" يعني: أوضع.

قال الكوراني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٩٣ هـ): "أخنع" بالخاء المعجمة بعدها نون وبالعين أي: أذل وأحقر، من الخنوع". [الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ٥٢٨/٩]

الباب السادس والأربعون

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**". فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: **ما أحسن هذا فما لك من الولد؟** قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح. قال: **فأنت أبو شريح**"، رواه أبو داود وغيره.

❃ ❃ ❃

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك".

قوله: "**باب احترام أسماء الله**"، أي إكرامها وتعظيمها وعدم إهانتها، وقد نص أهل العلم على أن ذلك من تعظيم الله، وهذا وجه إدخال هذه الترجمة هنا، فمن إكرامها:

١-أنه لا يجوز أن تمتهن أو تبتذل، كأن تكتب على وسائد فيستند إليها أو أكواب فيشرب فيها.

٢-أو توضع في أشياء تستعمل وتهان، كأن تكتب على أشياء تداس بالأقدام، ومن وجد شيئا من ذلك وجب عليه رفعه أو إتلافه، أو إزالة اسم الله تعالى منه، فهذا من احترام أسماء الله سبحانه وتعالى.

٣-ومن إكرامها أن لا تسمى بها مخلوقاته.

٤-ومن إكرامها أن لا نكذب بها ولا نتأولها بإبطال معانيها.

وقوله: "**وتغيير الاسم لأجل ذلك**"، أي: إذا سمي شيء من المخلوقات باسم من أسماء الله الخاصة به، كـ "الله" أو "الرحمن" أو ما أشبه ذلك من أسمائه الخاصة به التي لا يسمى بها غيره، فإنه يجب تغيير الاسم احتراما لأسماء الله. [خلاصة التفريد في شرح كتاب التوحيد، للعبري حفظه الله ص: ٧٦٦-٧٦٧]

وقال ابن الهمام الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٦٨١ هـ): "تكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش". [فتح القدير، ١/١٧٣، ط. دار الكتب العلمية]

قال العلامة فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "ويكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على ما يفرش لما فيه من ترك التعظيم، وكذا على المحاريب والجدران لما يخاف من سقوط الكتابة، وكذا على الدراهم والدنانير". [تبيين الحقائق، ١/٥٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**". فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: **ما أحسن هذا فما لك من الولد؟** قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح. قال: **فأنت أبو شريح**"، رواه أبو داود وغيره.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**إن الله هو الحكم**" عرف الخبر وأتى بضمير الفصل فدل على الحصر، وأن هذا الوصف مختص به لا يتجاوز إلى غيره "**وإليه الحكم**" أي: منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم، ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] ، لا راد لحكمه، ولا يخلو حكمه عن حكمته. وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة، وإن لم يطلق عليه سبحانه أبو الحكم لما فيه من إيهام الوالدية والولدية، وقد غير صلى الله عليه وسلم اسم عمرو بن هشام المكنى بأبي الحكم بأبي جهل. وفي شرح السنة: الحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى، ومن أسمائه الحكم. "**فلم تكنى أبا الحكم؟**" أي: فلأي شيء وبأي سبب من أنواع الكنية تكنى بأبي الحكم؟ "**قال: إن قومي**" : استئناف تعليل "**إذا اختلفوا في شيء**": وصاروا فرقتين مختلفتين وكاد أن يقتتلا "**أتوني فحكمت بينهم**" أي: بأي نوع من الحكم "**فرضي كلا الفريقين بحكمي**" أي: لمراعاتي الجانبين والعدل بين الخصمين، وحصول الصلح من الطرفين. "**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحسن هذا**" أي: الذي ذكرته من الحكم بالعدل، أو من وجه التكنية وهو الأولى، وأتى بصيغة التعجب مبالغة في حسنه، لكن لما كان فيه من الإيهام ما سبق في الكلام أراد تحويل كنيته إلى ما يناسبه في المرام، فقال:

إذا كان الأمر كذلك "**فما لك من الولد؟**" : وأغرب المظهر في قوله: ما للتعجب، يعني: الحكم بين الناس حسن، ولكن هذه الكنية غير حسنة، وتبعه الطيبي فقال: ولما لم يطابق جواب أبي شريح قال له صلى الله عليه وسلم على ألطف وجه وأرشقه ردا عليه ذلك: ما أحسن هذا، لكن أين ذلك من هذا؟ فاعدل عنه إلى ما هو يليق بحالك من التكني بالأبناء، وهو من باب الرجوع والتنبيه على ما هو أولى به وأليق بحاله. "**قال: لي شريح، ومسلم، وعبد الله**" : ظاهر الترتيب المقتضي لعقله أنه قدم الأكبر فالأكبر، لكن الواو لدلالته على مطلق الجمع كان غير صريح في المدعى "**قال: ومن أكبرهم**" : في شرح السنة: فيه أن الأولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها.

"**قال**" أي: هانئ "**قلت: شريح**" أي: أكبرهم "**قال: فأنت أبو شريح**" أي: رعاية للأكبر سنا، فصار ببركته صلى الله عليه وسلم أكبر رتبة، وأكثر فضلا، فإنه من أجلة أصحاب علي رضي الله عنه وكان مفتيا في زمن الصحابة، ويرد على بعضهم، وقد ولاه علي رضي الله عنه قاضيا. [مرقاة المفاتيح، ٧/٣٠٠٣-٣٠٠٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**رواه أبو داود وغيره**"، أي رواه أبو داود ٧/٣٠٩، رقم (٤٩٥٥)، والنسائي ٨/٢٢٦، رقم (٥٣٨٧)، والبخاري في الأدب المفرد، ص: ٢٨٧، رقم (٨١١) وغيره.

الباب السابع والأربعون

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – أنه "قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥ – ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول".

قال علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ): "عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله: أن كل من قال قولا لزم منه استنقاص بالدين، أو استهانة به، أو بما هو مضاف إليه مما هو مضاف إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه يكفر؛ حتى لو قال للمسجد: مسيجد ، وللفقيه فقيه، أو استهان بالعلم أو بأهله، أو بالصالحين، أو استهزأ بالصلاة أو بأهلها، فإنه يكفر في جميع ذلك، ولم يخالفه أحد في جميع ذلك". [الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ص: ١٧٤-١٧٥]

وقال العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "أن الدور والارتفاع وضرب الرجل لعب واللعب حرام، وكلمة التوحيد قرآن، وجعل اللعب مقارنا إلى القرآن تخفيف بالقرآن، والتخفيف بالقرآن كفر.

وذكر في "**الخلاصة**": "من وصف الله تعالى بما لا يليق به، أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر وعده أو وعيده يكفر". [الرسالة منيرة ١٥٧/٥، ضمن مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا]

وقال ابن نجيم رحمه الله تعالى (المتوفى : ٩٧٠هـ): "ويكفر إذا أنكر آية من القرآن، أو سخر بآية منه إلا المعوذتين، ففي إنكارهما اختلاف، والصحيح كفره". [البحر الرائق، ٤٨٠/١٣]

وقال شيخي زاده رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٧٨ هـ): "إذا أنكر آية من القرآن واستخف بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يعظم في الشرع أو عاب شيئا من القرآن أو خطئ أو سخر بآية منه كفر إلا المعوذتين ففي إنكارهما اختلاف والصحيح كفره.

وفي فصول العمادية: "إذا قرأ القرآن على دق الدف والقصب يكفر"...

والحاصل أن من استعمل كلام الله تعالى في بدل كلامه هازلا كفر ". [مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٥٠٧/٢]

وجاء في (الفتاوى البزازية، ٣٣٨/٣): إدخال القرآن في المزاح، والدعابة كفر؛ لأنه استخفاف به.

وجمع محمد بن إسماعيل الرشيد الحنفي أقوال الأحناف في هذه المسألة، فكان مما أورده:

"وفي الخلاصة: من قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب يكفر، وكذا من لم يؤمن بكتاب من كتب الله تعالى، أو جحد وعدا أو وعيدا مما ذكره الله تعالى في القرآن، أو كذب شيئا منه.

وفي يتيمة الفتاوى: من استخف بالقرآن، أو بالمسجد، أو بنحوه مما يعظم في الشرع كفر.

وفي جواهر الفقه: من قيل له: ألا تقرأ القرآن، أو ألا تكثر قراءته؟ فقال: شبعت أو كرهت، أو أنكر آية من كتاب الله، أو عاب شيئا من القرآن، أو أنكر المعوذتين من القرآن غير مؤول كفر.

وفي الفتاوى الظهيرية: من قرأ آية من القرآن على وجه الهزل يكفر. [ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "من قرأ آية من القرآن على وجه الهزل يكفر، لأنه تعالى قال: ﴿ **إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤** ﴾ [الطارق: ١٣ – ١٤]. [منح الروض الأزهر في شرح فقه الأكبر، ص: ٤٥٨]

وفي فوز النجاة: "من قال لآخر: أجعل بيته مثل ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١** ﴾ [الطارق]؟ يكفر، لأنه يلعب بالقرآن". [المصدر السابق، ص: ٤٥٩]

وفي التتمة: "من أهان الشريعة أو المسائل التي لابد منها، كفر". [المصدر السابق، ص: ٤٧٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥]".

قال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ ﴾ يا محمد، أي المستهزئين بالقرآن وبك ما هذا الكلام الذي تتحدثون، وذلك حين ساروا إلى غزوة تبوك مع النبي عليه السلام، وكانوا بين يديه يقولون: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات! فيضحكون، فاطلع الله نبيه على ما قالوا، فقال احبسوا الركب فجاءهم، فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: يا نبي الله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، فقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ ﴾ من استهزائهم ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ ﴾ أي نتحدث

ونقطع الطريق كراكبي السفر ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهم ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ ثم اعتذروا عن فعلهم القبيح فقال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ أي لا تظهروا عذركم الكاذب فانه لا ينفعكم بعد ظهور سركم ﴿ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ في السر ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ في العلانية، فقيل: فيه دليل على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ بالتوبة وبترك الاستهزاء بالإخلاص ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ ﴾ في الدنيا أو في الآخرة ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ ﴾ أي بسبب كونهم ﴿ مُجْرِمِينَ ﴾ [٦٦] أي مستهزئين من غير توبة، قرئ بالنون في الفعلين وكسر الدال ونصب «طائفة» مفعولا، وبالياء في الأول والتاء في الثاني مجهولين ورفع «طائفة» لإسناد الفعل إليه". [عيون التفاسير، ٢/١٤٥-١٤٦]

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ عما قالوه ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوته إلى تبوك إذ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون: أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه الصلاة و السلام على ذلك فقال: احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قلتم: كذا وكذا قالوا: يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله : فأنا رأيت الرجل متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنا كنا نخوض ونلعب، ورسول الله عليه الصلاة و السلام يقول ما أمره الله تعالى به في قوله سبحانه : ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

وجاء في بعض الروايات أن هذا المتعلق عبد الله بن أبي رأس المنافقين. وهل أنكروا ما قالوه واعتذروا بهذا العذر الباطل أو لم ينكروه وقالوا ما قالوا فيه خلاف والإمام على الثاني وهو أوفق بظاهر النظم الجليل.

وأصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث وإذاء.

وأرادوا إنما نلعب ونتلهى لتقصر مسافة السفر بالحديث والمداعبة كما يفعل الركب ذلك لقطع الطريق ولم يكن ذلك منا على طريق الجد والاستفهام للتوبيخ وأولى المتعلق إيذانا بأن الاستهزاء واقع لا محالة لكن الخطاب في المستهزأ به أي قل لهم غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم قد استهزأتم بمن لا يصح الاستهزاء به وأخطأتم مواقع فعلكم الشنيع الذي طالما ارتكبتموه ومن تأمل علم أن قولهم السابق في سبب النزول متضمن للاستهزاء المذكور ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ أي لا تشتغلوا بالاعتذار وتستمروا عليه فليس النهي عن أصله لأنه قد وقع، وإنما نهوا عن ذلك لأن ما يزعمونه معلوم الكذب بين البطلان والاعتذار.

قيل: إنه عبارة عن محو أثر الذنب من قولهم : اعتذرت المنازل إذا درست لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه واندراسه.

وقيل: هو القطع ومنه يقال للقلفة عذرة لأنها تعذر أي تقطع وللبكارة عذرة لأنها تقطع بالافتراع، ويقال: اعتذرت المياه إذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمي عذرا والقولان منقولان عن أهل اللغة وهما على ما قال الواحدي متقاربان قد كفرتم أي أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة و

السلام والطعن فيه بعد إيمانكم أي إظهاركم الإيمان وهذا وما قبله لأن القوم منافقون فأصل الكفر في باطنهم ولا إيمان في نفس الأمر لهم.

واستدل بعضهم بالآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك". [روح المعاني، ١٠/١٣٠-١٣١]

دلت الآيتان على كفر من استهزأ بالله أو آياته أو برسوله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة- دخل حديث بعضهم في بعض- أنه "قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥ - ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه".

قوله: "**عن ابن عمر**": هو عبد الله.

وقوله: "**ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة**": والثلاثة تابعيون؛ فالرواية عن ابن عمر مرفوعة، وعن الثلاثة الآخرين مرسلة.

قوله: "**دخل حديث بعضهم في بعض**": أي: إن هذا الحديث مجموع من كلامهم، وهذا يفعله بعض أئمة الرواة كالزهري وغيره، فيحدثه جماعة بشأن قصة من القصص، كحديث الإفك مثلا،

فيجمعون هذا ويجعلونه في حديث واحد، ويشيرون إلى هذا، فيقولون -مثلا-: دخل حديث بعضهم في بعض، أو يقول: حدثني بعضهم بكذا، وبعضهم بكذا، وما أشبه ذلك.

قوله: "**في غزوة تبوك**": تبوك في أطراف الشام، وكانت هذه الغزوة في رجب حين طابت الثمار، وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة نحو ثلاثين ألفا، ولما خرجوا رجع عبد الله بن أبي بنحو نصف المعسكر، حتى قيل: إنه لا يدرى أي الجيشين أكثر: الذين رجعوا، أو الذين ذهبوا؟

مما يدل على وفرة النفاق في تلك السنة، وكانت في السنة التاسعة، وسببها أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن قوما من الروم، ومن متنصرة العرب يجمعون له، فأراد أن يغزوهم صلى الله عليه وسلم ؛ إظهارا للقوة، وإيمانا بنصر الله عز وجل.

قوله: "**ما رأينا**": تحتمل أن تكون بصرية، وتحتمل أن تكون علمية قلبية.

قوله: "**مثل قرائنا**": المفعول الأول، والمراد بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قوله: "**أرغب بطونا**": المفعول الثاني؛ أي: أوسع، وإنما كانت الرغبة هنا بمعنى السعة؛ لأنه كلما اتسع البطن رغب الإنسان في الأكل.

قوله: "**ولا أكذب ألسنا**": الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، والألسن: جمع لسان، والمراد: ولا أكذب قولا، واللسان يطلق على القول كثيرا في اللغة العربية؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ أي: بلغتهم.

قوله: "**ولا أجبن عند اللقاء**": الجبن: هو خور في النفس، يمنع المرء من الإقدام على ما يكره؛ فهو خلق نفسي ذميم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه١؛ لما يحصل فيه من الإحجام عما ينبغي الإقدام إليه؛ فلهذا كان صفة ذميمة، وهذه الأوصاف تنطبق على المنافقين لا على المؤمنين، فالمؤمن يأكل بمعي واحد: ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث

لنفسه، والكافر يأكل بسبعة أمعاء، والمؤمن أصدق الناس لسانا، ولاسيما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فإن الله وصفهم بالصدق في قوله: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

والمنافقون أكذب الناس؛ كما قال الله فيهم: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم الكذب من علامات النفاق، والمنافقون من أجبن الناس، قال تعالى: ﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [المنافقون: ٤]، فلو سمعوا أحدا ينشد ضالته؛ لقالوا: عدو، عدو، وهم أحب الناس للدنيا؛ إذ أصل نفاقهم من أجل الدنيا، ومن أجل أن تحمى دماؤهم وأموالهم وأعراضهم.

قوله: "**كذبت**": أي: أخبرت بخلاف الواقع، وفي ذلك دليل على تكذيب الكذب مهما كان الأمر، وأن السكوت عليه لا يجوز.

قوله: "**ولكنك منافق**": لأنه لا يطلق هذه الأوصاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجل تسمى بالإسلام إلا منافق، وبهذا يعرف أن من يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر؛ لأن الطعن فيهم طعن في الله ورسوله وشريعته.

فيكون طعنا في الله؛ لأنه طعن في حكمته، حيث اختار لأفضل خلقه أسوأ خلقه.

وطعنا في الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم أصحابه، والمرء على دين خليله، والإنسان يستدل على صلاحه أو فساده أو سوء أخلاقه، أو صلاحها بالقرين.

وطعنا في الشريعة: لأنهم الواسطة بيننا وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في نقل الشريعة، وإذا كانوا بهذه المثابة؛ فلا يوثق بهذه الشريعة.

قوله: "**فوجد القرآن قد سبقه**": أي: بالوحي من الله تعالى، والله عليم بما يفعلون، وبما يريدون، وبما يبيتون، قال تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [النساء: ١٠٨].

قوله: "**وقد ارتحل، وركب ناقته**": الظاهر أن هذا من باب عطف التفسير؛ لأن ركوب الناقة هو الارتحال.

قوله: "**كأني أنظر إليه**": كأن إذا دخلت على مشتق؛ فهي للتوقع، وإذا دخلت على جامد؛ فهي للتشبيه، وهنا دخلت على جامد، والمعنى: كأنه الآن أمامي من شدة يقيني به.

قوله: "**بنسعة**": هي الحزام الذي يربط به الرحل.

قوله: "**والحجارة تنكب رجليه**": أي: يمشي والحجارة تضرب رجليه، وكأنه – والله أعلم – يمشي بسرعة، ولكنه لا يحس في تلك الحال؛ لأنه يريد أن يعتذر.

قوله: "**وما يزيده عليه**": أي: لا يزيده على ما ذكر من توبيخ؛ امتثالا لأمر الله عز وجل، وكفى بالقول الذي أرشد الله إليه نكاية وتوبيخا. [القول المفيد، ٢/٢٧٣-٢٧٧]

دل الحديث المتضمن الآية على كفر من استهزأ بالله أو كتابه أو رسوله.

الباب الثامن والأربعون

قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾

فصلت: ٥٠

باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: "هذا بعملي، وأنا محقوق به".

وقال ابن عباس: "يريد من عندي".

وقوله: "إنما أوتيته على علم عندي" قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل" وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف".

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله (المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر.

فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رض ي الله عنك وسخط على صاحبيك".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال بعضهم: ﴿ هَٰذَا لِي ﴾، أي: أعطانيه من خير علمه مني.

وجائز أن يكون ما ذكرنا أنهم كانوا يتطيرون بالرسل عند البلاء والشدة، والسعة يرونها من أنفسهم؛ حيث قال: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١]. . . الآية.

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ .

كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عملوا في الدنيا، ثم يقولون: ولئن كان يذكر محمد من البعث والجزاء للأعمال والجنة؛ إن ذلك لنا دونهم، وهو قوله: ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾،

أي: إن رجعت إلى ربي على ما يقوله محمد: ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهو على ما قالوا في الدنيا: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف: ١١] لما رأوا السعة لأنفسهم في الدنيا دون المؤمنين؛ فعلى ذلك في الآخرة قالوا لنا دونهم، والله الهادي.

ثم أخبر تعالى عما ينزل بهم بأعمالهم في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾، أي: ننبئنهم بخبر ما عملوا؛ لأن ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا بمن يذيقهم العذاب الغليظ". [تفسير الماتريدي، ٩/٩٧]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ يعني: أصبناه عافية منا، وغنى، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ يعني: من بعد شدة أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ يعني: أنا أهل لهذا، ومستحق له. ويقال: أنا أحق بهذا. ويقال: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ يعني: ما أحسب القيامة كائنة، ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ يعني: الجنة ولئن كان يوم القيامة، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلي الجنة.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: لنخبرنهم، ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ من أعمالهم الخبيثة، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ يعني: لنجزينهم، ﴿مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ يعني: عذاب شديد لا يفتر عنهم". [بحر العلوم، ٣/ ٢٣٢]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ أي ما أظنها تكون قائمة ﴿

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ كما يقول المسلمون ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ﴾ عند الله ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد لا يفتر عنهم". [تفسير النسفي، ٣/ ٢٤١-٢٤٢]

وقال أحمد بن محمود الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ أي آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ أي سعة وعافية ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ أي شدة أصابته ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي أنا مستحق له بعلمي وعملي أو هذا لي لا يزول عني البتة ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ كزعم محمد ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ فرضا ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة، يقوله استهزاء بالبعث فقال تعالى ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي لنخبرنهم ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الأعمال الخبيثة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ أي لنجزينهم ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [٥٠] أي شديد لا يفتر عنهم". [عيون التفاسير، ٤/٧١]

دلت الآية على أن نسبة النعم إلى غير الله كفر بها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا ..." الخ.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى**» منصوبات على البدلية من " ثلاثة " «**فأراد الله أن يبتليهم**» أي: يمتحنهم ليعرفوا أنفسهم أي: ليعرفهم الناس أو ليعلم تعالى أحوالهم علم ظهور كما يعلمها علم بطون، قال الطيبي: هو خبر إن عند من يجوز دخول الفاء في خبرها، ومن لم يجوز قدر الخبر أي: فيما أقص عليكم، فقوله فأراد تفسير للمجمل، ولو رفع " **أبرص**" وما عطف عليه بالخبرية تعين للتفسير اهـ. يعني أن رفعها بتقدير أحدهم

أبرص أو منهم أبرص «**فبعث إليهم ملكا**» أي: في صورة رجل مسكين كما دل عليه قوله الآتي في صورته وهيئته «**فأتى الأبرص فقال**» أي: الملك «**أي شيء أحب إليك**» أي: من الأحوال، "**قال: لون حسن**" كالبياض "**وجلد حسن**" أي ناعم طري "**ويذهب عني**" بالرفع كقوله أحضر الوغى، وفي نسخة علي بصيغة المجهول أي: يزول عني «**الذي قد قذرني الناس**» بكسر المعجمة أي: كرهوا مخالطتي من أجله وهو البرص "**قال**" أي: النبي "**فمسحه**" أي: الملك «فذهب عنه قذره» بفتحتين «**وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال**» أي: الملك «فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر» (شك إسحاق)، قال الطيبي: هو إسحاق بن عبد الله أحد رواة هذا الحديث، أقول: والإبل أرجح بقرينة قوله الآتي فأعطي ناقة بصيغة الجزم «**إلا أن الأبرص أو الأقرع**» استثناء من الشك «**قال أحدهما: الإبل، وقال الأخر: البقر**» أي: لم يشك إسحاق في هذا بل في التعيين؛ قاله الطيبي "**قال**" أي: النبي "**فأعطي**" أي: طالب الإبل لا الأبرص كما جزم به ابن حجر "**ناقة عشراء**" بضم العين وفتح الشين والمد: التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم أطلق على الحامل مطلقا "**فقال**" أي: الملك «**بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن**» بفتح العين وتسكن «**ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، قال: وأعطي شعرا حسنا، فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر**» بالنصب والرفع «**به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا**». قيل: هي التي عرف منها كثرة النتاج وقيل: الحامل "**فأنتج**" بصيغة الفاعل من الإنتاج، قال الطيبي: هكذا الرواية ومعناه تولي الولادة والمشهور نتج والناتج للإبل كالقابلة للنساء، وقال ابن حجر: أي: استولد الناقة والبقرة "**هذان**" أي: الأبرص والأقرع "**وولد**" فعل ماض معلوم من التوليد بمعنى الإنتاج "**هذا**" أي: الأعمى "**فكان لهذا**" أي: للأبرص «**واد من الإبل ولهذا**» أي: للأقرع «**واد من البقر ولهذا**» أي: للأعمى «**واد من الغنم**»، "**قال**" أي: النبي صلى الله عليه وسلم "**ثم أنه**" أي: الملك «**أتى الأبرص في صورته**» أي: التي جاء الأبرص عليها أول مرة "**وهيئته**"، قال الطيبي: ولا يبعد أن يكون الضمير راجعا إلى الأبرص لعله يتذكر حاله ويرحم عليه بماله،

والأول أظهر في الحجة عليه حيث جاءه في صورته التي تسبب في جماله وحصول كثرة ماله "**فقال**" أي: له "**رجل مسكين**" أي: أنا "**قد انقطعت بي الحبال**" أي: الأسباب "**في سفري**"، قال الطيبي: الباء للتعدية، قال السيد جمال الدين: فيه تأمل لأن المعنى لا يساعد التعدية، والأصوب أن يقال بالباء بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] اهـ. والأظهر أن الباء للسببية والملابسة كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] والحبال بكسر المهملة بعدها موحدة جمع الحبل وهو العهد والزمان والوسيلة وكل ما ترجو فيه خيرا أو فرجا أو تستدفع به ضررا والحبل هاهنا السبب، فكأنه قال: انقطعت بي الأسباب، وفي شرح الشيخ ابن حجر العسقلاني أي: الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق، ولبعض رواة مسلم "**الحيال**" بالمهملة والتحتانية جمع حيلة أي: لم تبق لي حيلة، ذكره السيد جمال الدين وقال ابن الملك وفي بعض نسخ البخاري " الجبال " بالجيم وهو جمع جبل أي: طال سفري وقعدت عن بلوغ حاجتي "**فلا بلاغ**" أي: كفاية "**لي اليوم إلا بالله**" أي: إيجادا وإمدادا "**ثم بك**" أي: سببا وإسعادا وفيه من حسن الأدب ما لا يخفى حيث لم يقل وبك، وثم لتراخي الرتبة والتنزل في المرتبة، قال الطيبي: أمثال ذلك من الملائكة ليست إخبارا بل من معاريض الكلام كقول إبراهيم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩] اهـ. وكقولهم: " ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً ﴾ [ص: ٢٣] " الآية.

"**أسألك**" أي: مقسما عليك أو متوسلا إليك «**بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال**» أي: الإبل "**بعيرا**" مفعول أسألك أي: أطلب منك بعيرا «**أتبلغ به في سفري**» أي إلى مقصودي أو وطني «**فقال: الحقوق كثيرة**» أي: حقوق المال كثيرة علي ولم أقدر على أدائها أو حقوق المستحقين كثيرة فلم يحصل لك البعير، وقد أراد به دفعه وهو غير صادق فيه "**فقال: إنه**" أي: الشأن "**كأني أعرفك**" ونكتة التشبيه المغالطة لتمكنه المكابرة «**ألم تكن أبرص**» ؟ أي: قد كنت أبرص "**يقذرك الناس**" بفتح الذال أي: يكرهونك ويستقذرونك وهو حال كقوله "**فقيرا**" أو هذا خبر ثان وهو الأظهر لقوله "**فأعطاك الله**" أي: مالا أو جمالا ومالا «**فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا**»

حال "**عن كابر**" أي: كبيرا أخذا عن كبير أو كبيرا بعد كبير والمعنى حال كوني أكبر قومي سنا ورياسة ونسبا وأخذا عن آبائي الذين هم كذلك حسبا، ونعم من قال من أرباب الحال:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

وهذا من باب الاكتفاء في الجواب فإنه يلزم عرفا من التكذيب في شيء تكذيبه في آخر "**فقال**" أي: الملك «**له إن كنت كاذبا**» أورد بصيغة الماضي لأنه أراد المبالغة في الدعاء عليه كذا في فتح الباري ووجهه غير ظاهر، وقيل: ذكر (إن) دون (إذا) مع أن كذبه كان مقطوعا به عند الملك لقصد التوبيخ وتصوير أن الكذب في مثل هذا المقام يجب ألا يكون إلا على مجرد الفرض والتقدير اهـ. وفيه ما فيه، والأظهر أنه عدل عن "**إذا كذبت**" إلى قوله "**إن كنت كاذبا**" بصيغة الماضي وبالوصف الدال على المتصف بالكذب غالبا للإشارة إلى أن مثل هذا يستحق الدعاء عليه، ولا يبعد أن تكون إن بمعنى إذا كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] «**فصيرك الله إلى ما كنت**» من البرص والفاقة أي: جعلك حقيرا فقيرا «**قال: وأتى الأقرع في صورته**» لم يقل هنا وهيئته اختصارا أو اكتفاء «**فقال له مثل ما قال لهذا**» أي: لهذاك «**ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت**»، قال ميرك: فإن قلت لم دخل الفاء في الجزاء وهو فعل ماض قلت هو دعاء اهـ. أي: هذا في معنى الدعاء فلذا جاز دخول الفاء وإن جعل خبرا يكون التقدير فقد صيرك الله «**قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل**» أي: مسافر «**انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال**» اعترافا وتحدثا بنعمة الله «**قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك**» بفتح الهمزة والهاء وفي نسخة بضم الهمزة وكسر الهاء أي: لا أستفرغ طاقتي "**اليوم بشيء**" أي: بمنع شيء "**أخذته لله تعالى**" كذا قاله الطيبي، ولا يخفى أن هذا المعنى لا يناسب المقام بل الأولى أن يقال معناه لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني أو تأخذه من مالي كما نقله الشيخ ابن حجر العسقلاني عن القاضي عياض، والله أعلم، ذكره السيد جمال الدين، «**قال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم**» أي: أنت ورفيقاك والمعنى اختبرتم، هل تذكرون سوء

حالتكم وشدة خدمتكم أولا وتشكرون نعمة ربكم عليكم آخرا؟ «**فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك**» بصيغة المجهول فيهما. [مرقاة المفاتيح، ٤/١٣٢٧-١٣٢٩]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري ٤/١٧١، رقم (٣٤٦٤) ومسلم ٤/٢٢٧٥، رقم (٢٩٦٤).

من فوائد الحديث:

١- إثبات معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم. **٢-** نسبة النعمة إلى غير الله كفر بها وسبب لزوالها. **٣-** نسبة النعمة إلى الله شكر لها وسبب لبقائها. **٤-** إثبات المشيئة للمخلوق ولكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته. **٥-** إثبات صفة الرضا لله تعالى. **٦-** إثبات صفة السخط لله تعالى. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٩٤]

وفيه جواز السؤال بالله لقوله: (أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن).

-أن الابتلاء يظهر الحقائق كما قال الملك (فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)، فواجب على العبد أن ينسب الفضل إلى الله من جميع الوجوه خلقا وإيجادا وفضلا وإحسانا، وأن الله مبتليه بالنعم كما يبتليه بالنقم وأن النعم منه وحده فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوفيقه. وانظر حال سليمان عليه السلام لما رأى من فضل الله قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠]، ولم يقل هذا من كرامتي أو لعلمي واستحقاقي ثم قرأ ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [النمل: ٤٠]، بخلاف حال قارون الذي قال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

وما أجمل قول ابن القيم: "وليحذر كل الحذر من طغيان:

"أنا" ،

"ولي" ،

"وعندي"،

فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها:

إبليس

وفرعون،

وقارون،

فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليس،

و ﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون،

و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون.

وأحسن ما وضعت "أنا" في قول العبد أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترف ونحوه .

"ولي"، في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل.

و"عندي" في قوله: "اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي". [خلاصة التفريد للعبري حفظه الله، ص: ٧٩٦-٧٩٧]

الباب التاسع والأربعون

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآية

باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله **﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾**"، رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: **﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾** ، قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا".

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"**﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾** يعني: أعطاهما **﴿ صَٰلِحًا ﴾** خلقا آدميا سويا **﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾** قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر جعلا له شركا بكسر الشين وجزم الراء، وقرأ الباقون

شركاء بالضم ونصب الراء. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى التسمية، وهو اسم يقوم مقام المصدر ومن قرأ بالضم فمعناه: جعلا له شركاء يعني: الشريك في الاسم، وإنما ذكر الشركاء وأراد به الشريك يعني: الشيطان. فإن قيل: من قرأ بالكسر كان من حق الكلام أن يقول جعلا لغيره شركا، لأنهما لا ينكران أن الأصل لله تعالى، وإنما جعلا لغيره شركا أي نصيبا.

قيل له: معناه جعلا له شركاء يعني: ذا شرك. فذكر الشرك والمراد به شركه كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية فضرب الله تعالى بهذا مثلا للكفار يعني: كما أن آدم وحواء أعطاهما ورزقهما فأشركوا في عبادته.

ثم نزه نفسه عن الشرك فقال تعالى: فتعالى الله عما يشركون أي هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك". [بحر العلوم، ١/ ٥٧٤-٥٧٥]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴾ أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ أي آتى أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي آتى أولادهما دليله ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ حيث جمع الضمير ، وآدم وحواء بريئان من الشرك ، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك ، مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها ، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزي وعبد قصي وعبد الدار". [تفسير النسفي، ١/٤٠٥]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي أعطى آدم وحواء ولدا ﴿ صَٰلِحًا ﴾ أي صحيح البدن كما طلبا ﴿ جَعَلَا ﴾ أي جعل آدم وحواء ﴿ لَهُۥ ﴾ أي لله ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ بكسر الشين، أي ذوي شرك، إذ الشرك ليس لهما أو الشرك بمعنى الإشراك، أي أحدثا إشراكا له تعالى، وقرئ شركاء جمع شريك، وأراد بلفظ الجمع الشيطان للمبالغة، يعني جعلاه شريكا له تعالى عنه ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ أي في الولد الذي أعطاهما بتسميته عبد الحارث من غير اعتقاد لذلك، روي: «أن إبليس خدعهما مرتين، مرة في السماء ومرة في الأرض»، وقيل: الضمير في «جعلا» وفي «آتاهما» لأولادهما، ففيه حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، تقديره: فلما آتى أولادهما صالحا جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما بأن سمى بعضهم ولده عبد الشمس وبعضهم عبد العزى وبعضهم عبد يغوث أو عبد يعوق إلى غير ذلك، وهذا التأويل حسن، لأن آدم وحواء بريئان من الشرك، ويؤيد ذلك التأويل قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [١٩٠] أي الله علا وجل من أن يوصف بالشرك. [عيون التفاسير، ٢/٩٨-٩٩]

وقال العلامة إسماعيل الدهلوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٤٦ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠].

وقد دلت الآية على قلة وفاء الإنسان وكنوده، وكفره بالنعمة، فقد خلقه الله، ورزقه زوجا يأنس بها، وجعل بينهما مودة ورحمة، فلما قرب المخاض، دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين،

فلما رزقا الولد، أقبلا على غير الله بالخضوع والنذر، وتقديم القرابين، فمنهم من يأخذ الولد إلى قبر، ومنهم من يحمله إلى نصب، أو الأولياء المقربين، ومنهم من يقلده قلادة، ومنهم من يقيد رجله بقيد، ومنهم من يسمي ولده عبد النبي، والله غني عن عبادتهم ونذورهم، فلا يضرونه، ولا ينقصون من ملكه شيئا، ولكن على أنفسهم يجنون، ويستحقون سخط الله ولعنته". [رسالة التوحيد، ص: ١٥٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب".

وكلامه رحمه الله في كتابه "مراتب الإجماع، ص: ١٥٤".

قوله: "**حاشا عبد المطلب**"، وقد أجمع أهل العلم على تحريم كل اسم معبد لغير الله، قال ابن حزم : حاشا عبد المطلب ؛ لأنه جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (أنا ابن عبد المطلب). ومن المعلوم أن هذا شيء كان متقدماً ولا يمكن تغييره، لكن جاء في بعض الصحابة من اسمه عبد المطلب ولم يغير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه، كما غير بعض الأسماء التي هي معبدة لغير الله، قالوا: فدل هذا على أن اسم عبد المطلب مستثنى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغيره، ولكن كما هو معلوم عند التسمية يختار الاسم الذي لا إشكال فيه، وأما هذا ففيه إشكال، كيف وقد جاء فيه أنه معبد لغير الله؟ لكن كون الرسول صلى الله عليه وسلم أقره وكان في بعض أقاربه من يسمى عبد المطلب ولم يغير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه، فدل على أن التسمية في ذلك جائزة، لكن الأولى خلافها، وذلك بأن يكون التعبيد لله عز وجل فقط. [شرح سنن أبي داود، لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد، ١/٣٨٦].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله ﴿ **جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا** ﴾"، رواه ابن أبي حاتم".

قوله: "**لما تغاشاها**"، أي جامعها.

قوله: "**أيل**"، أي ذكر الوعال.

قوله: "**رواه ابن أبي حاتم**"، أي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٤ رقم (٨٦٥٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

قوله: "**وله بسند صحيح**"، أي لابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٤ رقم (٨٦٥٩).

حكم شرك الطاعة: أنه من اتخاذ الأرباب من دون الله، فمن أطاع غير الله في معصية الله، أو في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، واعتقد ذلك بقلبه: فقد اتخذ ذلك المتبوع ربا من دون الله.

وقد جعله الله ورسوله شركا.

أما إن كان إيمانه بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا، لكنه أطاعه في معصية الله، كما يفعل المسلم فيما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. [موسوعة العقيدة، ٤/١٦٥٤]

الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة:

الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة، فشرك الطاعة قد يكون أكبر وأصغر، بخلاف الشرك في العبادة فلا يكون إلا أكبر. [خلاصة التفريد، ص: ٨١٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا".

قوله: "**وله بسند صحيح**"، أي لابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٦٣٣ رقم (٨٦٤٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما".

أي ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره معنى قول مجاهد عن الحسن البصري وسعيد بن جبير وغيرهما.

ذكر في الباب قصة آدم وحواء، وقد اختلف في ثبوتها على قولين:

القول الأول: أنها قصة باطلة ولا تصح، وممن قال بذلك الحسن البصري وابن كثير، وعلل بعض العلماء لهذا بعلل منها:

١-أن مثل هذه الأخبار لا تتلقى إلا بالوحي، وليس لهذه القصة إسناد صحيح.

٢-أن الأنبياء معصومون من الشرك.

٣-لو كانت ثابتة فلماذا لم يذكر الله توبتهما من الشرك، والله إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ذكر توبتهم.

٤-أن فيها أن إبليس جاء إليهما، وقال: أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، وليس هذا بمدخل لمن يريد الإغواء.

٥-أن الناس حين يأتون آدم للشفاعة يعتذر بذكر ذنبه حين أكل من الشجرة، ولو ثبت وقوعه في هذا الشرك لكان أعظم، فلم لم يذكره!

٦-قال إبليس: "لأجعلن له قرني أيل..."، فإن كانا صدقاه في أنه قادر فهذا شرك في الربوبية، وإن كانا لم يصدقاه فلا يمكن أن يقبلا قوله.

٧-قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير جمع، ولو كان آدم وحواء لقال: (عما يشركان).

وهؤلاء يوجهون الآية بأن المراد: تعالى الله عما يشركون، أي: ذرية آدم وحواء.

قال الشنقيطي- وقد ذكر في الآية وجهين-: "معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١] ، أي بتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ ، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده:

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَـمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ ﴾ [الأعراف: ١٩٠ – ١٩١] ، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير، والعلم عند الله تعالى". [أضواء البيان، ٢/٤٦-٤٧]

القول الثاني: أن القصة ثابتة بتعدد أسانيدها، وهؤلاء وجهوا ما وقع من آدم وحواء: بأنه تشريك في الطاعة، وكل طاعة للشيطان أو للهوى، ففيهما نوع من التشريك، ولم يقع منهما شرك أكبر ولا أصغر وليس في القصة نقص في مقام آدم وحواء، ويشهد له تفسير قتادة: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته". [بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤١٧-٤١٨]

الباب الخمسون

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ الأعراف: ١٨٠

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: "﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾: يشركون".

وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]".

الإلحاد لغة: هو الميل عن الشيء. **قال ابن فارس رحمه الله (المتوفى: ٣٩٥ هـ)**: "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق(٤) والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الجدث". [مقاييس اللغة، ٥/١٩٠]

وقال الزبيدي رحمه الله (المتوفى: ١٢٠٥ هـ): "وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء". [تاج العروس، ٩/١٣٥]

والإلحاد اصطلاحا: هو الميل عن الحق.

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ): "**الإلحاد**: العدول عن الحق وإدخال ما ليس فيه، وقال أهل معاني: الإلحاد في أسماء الله تعالى تسمية ما لم يسم ولم ينطق به كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم". [تبيين المحارم، ص: ٤٢٤]

وقال ابن كمال باشا الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٩٤٠ هـ): "**الملحد**: هو من مال عن النهج المستقيم وعدل عن سنن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر ونحو من أنحاء الضلالة أي نحو كان،

من ألحد بمعنى مال، يقال: ألحد في دين الله، أي مال وعدل...وبالجملة: الملحد أوسع فرق الكفر حدا". [تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق، ٤٤٣/٥، ضمن مجموع رسائل العلامة ابن كمال باشا]

أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: " الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع :

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلها وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [المائدة: ٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر .

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا". [بدائع الفوائد، ١٧٩/١-١٨٠]

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ وذلك أن رجلا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن. فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجل فقال: «ادع الله أو ادع الرحمن رغما لأنف المشركين» . ويقال: ولله الأسماء الحسنى يعني: الصفات العلى فادعوه بها. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة ومن أسمائه عز وجل الرحمن الرحيم» ...

ثم قال: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ قرأ حمزة يلحدون بنصب الياء والحاء.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء يلحدون فمن قرأ بالنصب فمعناه: وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني: يجورون ويمارون في أسمائه ويعدلون، فسموا اللات والعزى. ومن قرأ بالضم فمعناه: وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه.

وأصل الإلحاد هو الميل ولهذا سمي اللحد لحدا لأنه في ناحية". [بحر العلوم، ١/٥٦٩-٥٧٠]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

" ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والجبار والمتكبر ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ فسموه بتلك الأسماء ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخي يا رفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك". [تفسير النسفي، ١/٦٢٠]

قال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ ، قيل: تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وتعالى وعما يليق بشأنه عز شأنه أثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم التامة، وسيأتي إن شاء الله تعالى وجه آخر لذكر ذلك.

والمراد بالأسماء كما قال حجة الإسلام الغزالي وغيره الألفاظ المصوغة الدالة على المعاني المختلفة، والحسنى تأنيث الأحسن أفعل تفضيل، ومعنى ذلك أنها أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها.

وقيل : المراد بالأسماء الصفات ويكون من قولهم طار اسمه في البلاد أي صيته ونعته ، والجمهور على الأول لقوله عز اسمه: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ لأنه إما من الدعوة بمعنى التسمية كقولهم : دعوته زيدا أو بزيد أي سميته أو من الدعاء بمعنى النداء كقولهم : دعوت زيدا أي ناديته ، وعلى التقديرين إنما يلائم ظاهر المعنى الأول على ما قيل.

﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل يقال : ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه ، وقرأ حمزة هنا وفي [فصلت: ٤٠] «يلحدون» بالفتح من الثلاثي والمعنى واحد ، وروى أبو عبيدة عن الأحمر أن ألحد بمعنى مارى وجادل ، ولحد بمعنى مال وانحرف ، واختار الواحدي قراءة الجمهور قال : ولا يكاد يسمع لأحد بمعنى ملحد ، والإلحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسدا كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة ، وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال : يلحدون بها ، وما قيل : إنه أريد بالأسماء التسميات فلذا ترك الإضمار ليس بشيء ، ومن فسر الإلحاد في الأسماء بما ذكر ذهب إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية يراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع فكل اسم ورد في هذه الأصول جاز إطلاقه عليه جل شأنه وما لم يرد فيها لا يجوز إطلاقه وإن صح معناه". [روح المعاني، ١١٢/٥-١١٣]

وقال أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ): "...عن ابن مسعود، قال: كنت مستندا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر- قرشي

وثقفيان، أو ثقفي وقرشيان- كثير لحم بطونهم؛ قليل عفة قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمعه، وإذا لم نرفع لم يسمع، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣] فهذا هو الإلحاد في الصفات. وأنت تعلم أن ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الإلحاد في الأسماء والصفات فوق ما كان عليه أهل الجاهلية، فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ومنهم من قال: ليس لله صفات قامت به، ومنهم من قال: صفاته ليست عين ذاته ولا غيره، ومنهم من قال: إن صفاته غيره، ومنهم من قال: إن الله لم يتكلم بالكتب التي أنزلها، وأثبتوا له الكلام النفسي، وأنه لم يكلم أحدا من رسله، إلى غير ذلك من الإلحاد الذي حشوا به كتبهم ملؤوها من الهذيان، وظنوا أن الآية مختصة بأهل الجاهلية، وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها. ومن بصره ونور قلبه، أعرض عن أخذ عقائده من كتب هؤلاء الطوائف، وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على نصوص الكتاب والسنة". [فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، ص: ٢٣٤-٢٣٥].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: " ﴿ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾: يشركون".

روى هذا الأثر ابن أبي حاتم عن قتادة في تفسيره ٥/١٦٢٣ رقم (٨٦٨٦)، ولم يروه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وقوله: "**وعنه**": أي: ابن عباس رضي الله عنهما.

تسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز نوع من أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٢٣/٥، رقم (٨٥٨٤).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

"**الأعمش**" هو سليمان بن مهران الكوفي الفقيه ثقة حافظ ورِع مات سنة ١٤٧هـ رحمه الله.

قوله: "**يدخلون فيها ما ليس منها**"، أي يسمون الله بما لم يسم نفسه ولم يسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٢٣/٥، رقم (٨٥٨٧).

الباب الحادي والخمسون

لا يقال: السلام على الله

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يقال: السلام على الله".

قال العيني الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٥ هـ): "وجه النهي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فمن هذا الوجه لا يوجه القول بالسلام على الله". [البناية شرح الهداية، ٢/٢٦٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١/٢١٢، رقم (٨٣٥)، ومسلم رحمه الله في باب التشهد في الصلاة، ٥٥-(٤٠٢).

قوله: "**في الصلاة**"، أي في التشهد.

قوله: "**السلام على الله**"، والسلام مصدر بمعنى السلامة، واسم من أسمائه، وصف به مبالغة في كونه سليما من النقائص، أو إعطائه السلامة،... والسلام على الله، بمعنى الاعتراف بسلامته تعالى من كل نقص، فـ"على" فيه، بمعنى (اللام) .

قوله: "**السلام على فلان وفلان**"، يعنون الملائكة.

قوله: "**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**"، أي: "لأن معنى السلام عليك هو الدعاء بالسلامة من الآفات، أي: سلمت من المكاره أو من العذاب، وهذا لا يجوز لله تعالى، فإن الله هو السلام، أي: هو الذي يعطي السلام لعباده، فأنى يدعى له وهو المدعو على الحالات؟

وورد في الدعاء: اللهم أنت السلام أي المختص به لا غيرك لتعريف الجزأين الدال على الحصر، ومنك السلام، أي: حصوله لا من غيرك، وإليك يعود السلام، أي: ما صدر من غيرك من السلام، فإنما لهم صورة، وأما حقائقه فراجعة إليك". [مرقاة المفاتيح، ٢/٧٣١]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**لا تقولوا: السلام على الله**"؛ يعني: قول الرجل للرجل: السلام عليك، معناه: أنت آمن من شري، وهذا اللفظ لا يجوز أن يقال لله؛ لأنه منزه عن أن يلحقه ضرر.

قوله: "**فإن الله هو السلام**"؛ يعني: هو الذي يخلص عبادَه ويحفظهم عن الآفات، ولا تصل إليه آفة وضرر. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/١٥٦]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "معنى (السلام): هو الدعاء بالسلامة من آفات الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا لا يجوز لله". [شرح المصابيح، ٢/٢٣]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " وحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر التسليم على الله وعلمهم أن ما يقولونه عكس ما يجب أن يقال فإن كل سلامة ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها. **وقال الخطابي**: المراد أن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا السلام على الله فإن السلام منه بدىء وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافة السلام إليه، أنه ذو السلام من كل نقص وآفة وعيب. ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة عن الآفات والمهالك.

وقال النووي: معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالى يعني السالم من النقائص وقيل المسلم أولياءه وقيل المسلم عليهم. **وقال ابن الأنباري**: أمرهم أن يصرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة وغناه سبحانه وتعالى عنها". [عمدة القاري، ٦/١١٠]

وأفاد الحديث أن السلام على الله ناف للتوحيد؛ وذلك أن السلام دعاء بالسلامة من العيوب والنقائص، والله منزه عن ذلك. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٠٩]

الباب الثاني والخمسون

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكره له**" .

ولمسلم: "**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**" .

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى" **باب قول**: **اللهم اغفر لي إن شئت**". أي ما جاء في النهي عن الاستثناء في الدعاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت**، **اللهم ارحمني إن شئت**، **ليعزم المسألة** ؛ **فإن الله لا مكره له**". ولمسلم: "**وليعظم الرغبة**، **فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله ٧٤/٨ رقم (٦٣٣٩)، ومسلم رحمه الله ٢٠٦٣/٤، رقم (٩/٢٦٧٩).

قوله: "**لا يقل أحدكم**: **اللهم اغفر لي إن شئت**..."،

قال المظهري الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " نهى عن قول: (**إن شئت**) في الدعاء؛ لأن هذا شك في قبول الدعاء، ولأن لفظ يشأ، فإذا قلت: (إن شئت) جعلته مخيرا، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى، فإنه لا حكم لأحد عليه، وليس لأحد أن يكرهه، بل هو فعال لما يريد، فكيف يجوز أن يقال: (إن شئت)، بل يعزم السائل مسألته، وليسأل من غير شك وتردد، بل ليكن مستيقنا في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخل عنده، وقدير لا يعجز عن شيء.

قوله: "**لا مكره**"؛ يعني: لا يقدر أحد أن يكرهه على أمر، ولا حكم لأحد عليه، بل يفعل ما يشاء، فإذا لم يكن له مكره، ولم يكن لأحد عليه حكم، فلا يجوز أن يقال له: اغفر لي إن شئت.

قوله: "**لا يتعاظمه شيء أعطاه**": الضمير في (أعطاه) يرجع إلى (شيء)؛ يعني: لا يعظم عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات والمعدومات في أمره يسير، يقال: تعاظم زيدا هذا الأمر؛ أي: كبر عليه وعسر عليه. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/١١٩-١٢٠]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت"؛ لأن هذا شك في قبول الدعاء، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى؛ لأنه كريم وقدير.

"**وليعزم مسألته**" أي: ليقطع وليجزم فيها من غير شك وتردد بالإجابة.

"**أنه**": بفتح الهمزة في الرواية المعتبرة: مفعولا له للعزم؛ أي: لأنه "يفعل ما يشاء"، أو مفعولا به للمسألة؛ أي: ليعزم مسألته فعل ما يشاء.

"**لا مكره له**"؛ أي: لا يقدر أحد أن يكرهه على فعل أمر وتركه، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

"وفي رواية: ولكن ليعزم وليعظم الرغبة؛ فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه"؛ أي: لا يعظم ولا يكبر عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات والمعدودات في أمره يسير. [شرح المصابيح، ٣/٦٩-٧٠]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**لا مكره له**) : أي: لله على الفعل أو لا يقدر أحد أن يكرهه على فعل أراد تركه، بل يفعل ما يشاء فلا معنى لقوله: إن شاء؛ لأنه أمر معلوم من الدين بالضرورة، فلا حاجة إلى التقييد به، مع أنه موهم لعدم الاعتناء بوقوع ذلك الفعل أو لاستعظامه على الفاعل على المتعارف بين الناس، والله أعلم". [مرقاة المفاتيح، ٤/١٥٢٤]

دل الحديث على تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة لأن ذلك يشعر بضعف الافتقار إلى الله وذلك مناف للتوحيد. [الجديد، ص: ٤١١]



لا يقول: عبدي وأمتي

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**" .

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب لا يقول: عبدي وأمتي".

أورد المؤلف هذا الباب في كتابه "كتاب التوحيد" لأنه كتاب جامع ذكر فيه التوحيد، وذكر فيه ما يكون من كماله وتمامه، وذكر ما ينافيه ويضاده، وذكر ما يكمله، وذكر ما ينافي كماله.

وهذا باب مما ينافي كمال التوحيد فلهذا ذكره "باب لا يقول: عبدي وأمتي" ، يعني: لا يقول العبد عندما يخاطب جاريته أو غلامه بعبدي وأمتي، تأدبا مع الله عز وجل، بل يقول: فتاي وفتاتي وغلامي وخادمي، ونحو ذلك، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله، هذا من باب كمال التأدب مع الله عز وجل والاعتراف بأنه سبحانه هو المالك لكل شيء وهو رب كل شيء سبحانه وتعالى، بخلاف ما إذا قيل: عبد فلان، أو إماء فلان، فهذا ليس من باب الإضافة إلى نفسه، بل من باب الإخبار، وهو أسهل. [شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالى ص: ٤٢٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٣/١٥٠ رقم (٢٥٥٢) ومسلم رحمه الله ٤/١٧٦٥ رقم (٢٢٤٩).

قوله: "**ربك**": الرب هو الخالق المربي المتصرف، وهو من الأسماء الخاصة بالله إذا قطع عن الإضافة.

قوله: "**سيدي**": السيد هو المقدم في قومه ومنه المالك؛ لأنه مقدم على مملوكه.

قوله: "**مولاي**": المولى هو كثير التصرف.

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (**المتوفى: ٨٥٥ هـ**): " قوله: (**أطعم**) بفتح الهمزة أمر من الإطعام، (**وربك**) منصوب مفعوله.

قوله: (**وضيء**) ، أمر بمن: وضأه يوضئه.

قوله: (**اسق**) ، بكسر الهمزة: أمر من سقاه يسقيه، تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج.

قوله: (**وليقل سيدي ومولاي**)، وقال الكرماني: السياق يقتضي أن يقال: سيدك ومولاك، لتناسب: ربك.

قلت: الأول خطاب للسادات. والثاني: للمماليك. أي: لا يقول السيد المملوك: أطعم ربك، إذ فيه نوع من التكبر، ولا يقول العبد أيضا لفظا يكون فيه نوع تعظيم له، بل يقول: أطعمت سيدي ومولاي ونحوه.

قلت: روى مسلم والنسائي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في ذا الحديث نحوه، وزاد: "**ولا يقل أحدكم مولاي، فإن مولاكم الله**".

قلت: اختلفوا في هذه الزيادة على الأعمش، منهم من ذكرها، ومنهم من حذفها، وقال عياض: حذفها أصح، وقال القرطبي: المشهور حذفها، قال: وإنما صرنا إلى الترجيح للتعارض مع تعذر الجمع وعدم العلم بالتاريخ.

وسبب النهي عن قول: أطعم ربك، ونحوه ما ذكرناه في أوائل الكتاب.

وقال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لأحد غير الله: رب، كما لا يجوز أن يقال: إله.

قلت: النهي عند الإطلاق، وأما الإضافة فيجوز، كما في ﴿ **ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾ [يوسف: ٤٢] ونحو ذلك، ويحتمل أن يكون النهي للتنزيه، وما ورد من ذلك فلبيان الجواز.

وقيل: هو مخصوص بغير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد ما في القرآن، إذ المراد النهي عن الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة.

فإن قلت: ذكر قوله: (**أطعم ربك، وضيء ربك، اسق ربك**) ، أمثلة تدل على التخصيص أم لا؟

قلت: لا، وإنما ذكرت دون غيرها لغلبة استعمالها في المخاطبات.

قوله: (**ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي**) ، زاد مسلم في روايته، من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: (**كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله**) ، فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى العلة، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله عز وجل، ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه.

قوله: (**وليقل: فتاي وفتاتي**) ، زاد مسلم: وجاريتي، فأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يؤدي المعني مع السلامة من التعاظم، لأن لفظ: الفتى والغلام، لا يدل على محض الملك كدلالة العبد، فقد كثر استعمال الفتى في الحر، وكذلك الغلام والجارية، وقال النووي: المراد بالنهي من استعمله على جهة التعاظم لا من أراد التعريف. [عمدة القاري، ١٣/١١٢-١١٣]

وقال الخطابي: لا يقال أطعم ربك، لأن الإنسان مربوب مأمور بإخلاص التوحيد وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم. وأما غيره من سائر الحيوان والجماد فلا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الدابة". [عمدة القاري، ١٣/١١١]

وفي الحديث النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الباب الرابع والخمسون

لا يرد من سأل بالله

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**". رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب لا يرد من سأل بالله". هذا الباب في النهي عن رد من سأل بالله.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "**من استعاذكم بالله فأعيذوه**"، و (استعاذ): إذا طلب أحد أن يدفع عنه شرا، و (أعاذ): إذا دفع عنه الشر الذي يطلب منه دفعه؛ يعني: إذا طلب أحد منكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله، مثل أن يقول: يا فلان! بالله عليك أن تدفع عني شر فلان وإيذاءه، أو احفظني من شر فلان، فأجيبوه واحفظوه؛ لتعظيم اسم الله.

قوله: "**ومن صنع إليكم معروفا**"؛ أي: من أحسن إليكم إحسانا.

"**فكافئوه**"؛ أي: فأحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم، (المكافأة) مهموز باللام: مثل المجازأة.

قوله: "**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**"؛ يعني: فإن لم تجدوا من المال ما تكافئوه فكافئوه بالدعاء.

قوله: "**حتى تروا أن قد كافأتموه**"؛ يعني: كرروا الدعاء له حتى تعلموا أن قد أديتم حقه.

وقد جاء في حديث آخر: "**من صنع إليه معروف، فقال: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء**".

فبدليل هذا الحديث من قال لأحد: جزاك الله خيرا مرة واحدة فقد أدى حقه، وإن كان حقه كثيرا.

وكانت عادة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذا دعا لها السائل أن تجيبه بمثل ما يدعو لها السائل، ثم تعطيه من المال ما تعطيه، فقيل لها: أتعطين السائل المال وتدعين له بمثل ما يدعو لك؟ فقالت: لو لم أدع له لكان حقه بالدعاء لي أكثر من حقي بالصدقة، فأدعو له بمثل ما يدعو، حتى أكافئ دعاءه بدعائي؛ لتخلص لي صدقتي". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٥٥٢-٥٥٣]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**من استعاذ بالله**"؛ أي: من التجأ إليكم من شر أحد، واستغاث لديكم بالله، مثل أن يقول: بالله ادفعوا عني شر فلان وإيذاءه.

"**فأعيذوه**"؛ أي: أغيثوه وارحموه؛ تعظيما لاسم الله تعالى.

"**ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا**"؛ أي: أحسن إليكم إحسانا،"فكافئوه": من المكافأة؛ أي: أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم.

"**فإن لم تجدوا ما تكافئونه** ": من المال وغير ذلك.

"**فادعوا له**"؛ أي: فكافئوه بالدعاء؛ يعني: كرروا الدعاء.

"**حتى تروا**"؛ أي: تظنوا "**أن قد كافأتموه**"، وأديتم حقه". [شرح المصابيح، ٤٩٢/٢]

وقال العيني الحنفي رحمه الله تعالى: "وهذا الحديث جامع لأنواع الخير من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب". [شرح أبي داود للعيني، ٤٢٤/٦]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**من استعاذ**" أي من سأل منكم الإعاذة مستغيثا "**بالله فأعيذوه**"، قال الطيبي: أي من استعاذ بكم وطلب منكم دفع شركم أو شر غيركم عنه، قائلا: بالله عليك أن تدفع عني شرك، فأجيبوه وادفعوا عنه الشر، تعظيما لاسم الله تعالى، فالتقدير من استعاذ منكم متوسلا بالله مستعطفا به، ويحتمل أن تكون الباء صلة استعاذ، أي من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له، بل أعيذوه وادفعوا عنه، فوضع أعيذوا موضع ادفعوا ولا تتعرضوا مبالغة "**ومن سأل بالله فأعطوه**" أي تعظيم لاسم الله وشفقة على خلق الله، "**ومن دعاكم**" أي إلى دعوة "**فأجيبوه**" أي إن لم يكن مانع شرعي "**ومن صنع إليكم معروفا**" أي أحسن إليكم إحسانا قوليا أو فعليا "**فكافئوه**" من المكافأة أي أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم، لقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧] "**فإن لم تجدوا ما تكافئوه**" أي بالمال، والأصل تكافئون فسقط النون بلا ناصب وجازم إما تخفيفا أو

سهوا من الناسخين، كذا ذكره الطيبي والمعتمد الأول لأن الحديث على الحفظ معول، ونظيره: كما تكونو يول عليكم، على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة، "**فادعوا له**" أي للمحسن يعني فكافئوه بالدعاء له "**حتى تروا**" بضم التاء أي تظنوا وبفتحها أي تعلموا أو تحسبوا "**أن قد كافأتموه**" أي كرروا الدعاء حتى تظنوا قد أديتم حقه". [مرقاة المفاتيح، ١٣٥٥/٤]

قوله: "**رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح**"، أي رواه أبو داود ٥٢/٢ رقم (١٦٧٤)، و ٤٨٩/٤ رقم (٥١١١)، والنسائي ٨٢/٥ رقم (٢٥٦٧).

قال سنان الدين الأماسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠٠٠ هـ):

"**السؤال قسمان:**

أحدهما: جائز.

والآخر: غير جائز،

ومما يدل على الأول قوله صلى الله عليه وسلم: "**للسائل حق وإن جاء على فرس**".

وفي رواية: "**ردوا السائل ولو بظلف محرق**"، ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه، والإعطاء إعانة.

والحاصل أن السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح لضرورة أو حاجة مهمة قريبة إلى الضرورة، وإن كان عنه بد فهو حرام. وإنما كان الأصل فيه الحرمة، لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

الأول: إظهار الشكوى، كما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله شنيعا على سيده، فكذا سؤال العبد شنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا للضرورة، كما لا تحل الميتة إلا ضرورة.

والثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى بل عليه أن يذل لمولاه، فإن فيه عزة، والإذلال لغير الله تعالى لا يجوز إلا للضرورة.

والثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبا، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع منه ربما استحى وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة...

ضعف بعض الفقراء من الجوع، فقيل له: لِـم لا تسأل، والسؤال عليك الآن حلال؟!

فقال: أخاف أن أسأل الناس فيردوني محروما مع قدرتهم على الإعطاء، فيهلكهم الله تعالى، فينبغي للعاقل أن لا يرد سائلا ولو بشيء قليل خيفة أن يكون صادقا في سؤاله فيهلك الراد محروما له". [تبيين المحارم، ص: ٧٠٥ وما بعدها]

الباب الخامس والخمسون

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" . رواه أبو داود.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة".

معنى السؤال:

قال ابن فارس: "السين والهمزة واللام كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالا ومسألة. ورجل سؤلة: كثير السؤال". [مقاييس اللغة، ٩٥/٣]

وقال الرازي: "السؤل ما يسأله الإنسان وقرئ ﴿ **أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ** ﴾ [طه: ٣٦] بالهمز وبغيره و سأله الشيء وسأله عن الشيء سؤالا و مسألة وقوله تعالى ﴿ **سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾ [المعارج: ١] أي عن عذاب واقع قال الأخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سأل يسأل والأمر منه سل ومن الأول اسأل ورجل سؤلة بوزن همزة كثير السؤال و تساءلوا سأل بعضهم بعضا". [مختار الصحاح، ١ / ٣٢٦]

وقال المناوي: "السؤال طلب الأدنى من الأعلى". [التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ٤١٧]

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "السؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة ، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد. إن قيل كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة ومعلوم أن الله تعالى يسأل عباده نحو ﴿ **وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ** ﴾ [المائدة: ١١٦]، قيل إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالا عن المعرفة، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيت كقوله

تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨] ولتعرف المسئول. والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار، تقول سألته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: ١]. وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن نحو ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢] ويعبر عن الفقير إذا كان مستدعيا لشيء بالسائل نحو: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ١٠] وقوله: ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩] ". [المفردات، ص: ٢٥٠]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" . رواه أبو داود.

قوله: " **لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " هذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه: لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله، مثل أن تقولوا لأحد: يا فلان! أعطني شيئا بوجه الله، أو بالله؛ فإن اسم الله تعالى أعظم من أن يسأل به شيء من متاع الدنيا لأحد، بل اسألوا به الجنة، مثل أن تقولوا: بالله، ويا ربنا نسألك الجنة بوجهك الكريم.

والأمر الثاني: أن يكون معناه: لا يسأل الله شيئا من متاع الدنيا، بل اسألوا الله الجنة ورضاه؛ فإن متاع الدنيا لا قدر له". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥٥٣/٢-٥٥٤]

وقال الطيبي رحمه الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ): "وفي الوجهين نظر". [الكاشف عن حقائق السنن، ١٥٦٧/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "لا ينبغي أن يقال: يا فلان! أعطني شيئا بوجه الله أو بالله؛ فإن اسمه أعظم أن يسأل به متاع الدنيا، بل اسألوا به الجنة، مثل أن تقول: يا ربنا! نسألك الجنة بوجهك الكريم". [شرح المصابيح، ٤٩٣/٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "أي لا يسأل بوجه الله شيء إلا الجنة، مثل أن يقال: اللهم إنا نسألك بوجهك الكريم أن تدخلنا جنة النعيم، ولا يسأل روي غائبا نفيا ونهيا ومجهولا، ورفع الجنة، ونهيا مخاطبا معلوما مفردا، ونصب الجنة، قال الطيبي: أي لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله، مثل أن تقولوا: أعطني شيئا بوجه الله أو بالله، فإن اسم الله أعظم من أن يسئل به متاع الدنيا، بل اسألوا به الجنة، أو لا تسألوا الله متاع الدنيا بل رضاه والجنة". [مرقاة المفاتيح، ١٣٥٥/٤]

وقال أبو الحسن السندي الحنفي رحمه الله تعالى (١١٣٨ هـ): " قوله: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**"؛ إذ كل شيء حقير دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب فصار التوسل به تعالى فيها مناسب، والله تعالى أعلم. [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٢٥٨/٢]

قوله: "**بوجه الله**"، فيه إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ): "له يد ووجه ونفس بلا كيف". [الفقه الأكبر]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): " [وله] أي لله سبحانه [يد ووجه ونفس] أي كما يليق بذاته وصفاته [فما ذكر الله في القرآن من ذكر الوجه] أي كقوله تعالى: ﴿

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٩١]

وقال الشيخ سليمان رحمه الله تعالى: "وفيه إثبات الوجه خلافا للجهمية ونحوهم فإنهم أولوا الوجه بالذات، وهو باطل إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجها، فلا يسمى الإنسان وجها ولا تسمى يده وجها، ولا تسمى رجله وجها، والقول في الوجه عند أهل السنة كالقول في بقية الصفات، فيثبتونه لله على ما يليق بجلاله وكبريائه من غير كيف ولا تحديد، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل". [التيسير، ص: ٥٩٤]

قوله: "**رواه أبو داود**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب "كراهية المسألة بوجه الله تعالى"، ١٢٦/٢ رقم (١٦٧١).

وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى أنه قال: "يعجبني أن السائل إذا سأل لوجه الله تعالى لا يعطى له شيء لأن الدنيا خسيس فإذا سأل لوجه الله تعالى فقد عظم ما حقره الله تعالى فلا يعطى له زجرا". [فتاوى قاضيخان، ١٥٨/٣]

قال ابن عابدين رحمه الله: "(قوله سأل) أي طلب من شخص شيئا من الدنيا الحقيرة (قوله يعجبني أن لا يعطيه شيئا) محمول على ما إذا لم يعلم ضرورته.

أقول: وليتأمل المنع مع ما ذكره شيخ مشايخنا الجراحي مما عند الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا**" يعني قبيحا، ولأبي داود والنسائي وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه "**من يسأل بوجه الله فأعطوه**" وللطبراني "**ملعون من سأل بوجه الله وملعون من يسأل بوجه الله فيمنع سائله**"

اهـ، إلا أن يحمل على السؤال من غير الدنيا أو على ما إذا علم عدم حاجته وأن سؤاله للتكثير، تأمل". [رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين الحنفي، ٣٩٧/٦]

صور السؤال بوجه الله تعالى مع بيان حكمها

١–سؤال الله بوجهه أمرا دينيا أو أخرويا وهذا صحيح.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**".

وقد قال العلماء هنا: إن وجه الله جل جلاله يسأل به الجنة ، ولا يجوز أن يسأل به غيرها إلا ما كان وسيلة إلى الجنة ، أو كان من الأمور العظيمة التي هي من جنس السؤال بالجنة ، أو من لوازم السؤال بالجنة كالنجاة من النار ، وكالتثبيت عند السؤال ، ونحو ذلك .

فالأمر المطلوب الجنة أو ما قرب إليها من قول أو عمل ، والنجاة من النار أو ما قرب إليها من قول وعمل ، فهذا يجوز أن تسأل الله جل وعلا إياه متوسلا بوجهه العظيم سبحانه وتعالى .

وأما غير الوجه من الصفات أو من الأسماء فالأدب أن لا يسأل به إلا المطالب العظيمة ، أما المطالب الوضيعة أو غيرها مما ليس بعظيم ، فلا يتوسل إليها بصفات الله الجليلة العظيمة ، بل يقال : اللهم أعطني كذا ، اللهم أسألك كذا ، والله أعلم ". [التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص: ٥٢٨]

٢–سؤال الله بوجهه أمرا دنيويا وهذا غير جائز.

وقال أبو الحسن السندي الحنفي رحمه الله تعالى (١١٣٨ هـ): " إذ كل شيء حقير دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب فصار التوسل به تعالى فيها مناسب، والله تعالى أعلم. [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٢٥٨/٢]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "من غير الجائز أن يسأل الله جل وعلا بنفسه أو بوجهه أو بصفة من صفاته أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب، فإن الله جل جلاله لا يسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة؛ بل يسأل بها أعظم المطلوب". [التمهيد، ص: ٥٢٧]

٣–سؤال غير الله بوجه الله أمرا دنيويا، وهو غير جائز.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **ملعون من سأل بوجه الله عز وجل وملعون من سئل بوجه الله عز وجل ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا**". [رواه الطبراني في كتاب الدعاء، ٥٨١/١]

ذهب بعض العلماء إلى تحريم سؤال المخلوق بوجه الله أمرا دنيويا استدلالا بهذا الحديث.

٤-سؤال غير الله بوجه الله أمرا دينيا، فهذا مشروع.

وقد جاء في الأحاديث ما يدل على جواز أن يسأل غير الله بوجه الله أمرا دينيا، كما في حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه و سلم حين أتيته فقلت والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك ولا آتى دينك وجمع بهز بين كفيه وقد جئت امرأ لا أعقل شيئا إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا؟ قال: بالإسلام قلت وما آيات الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة كل مسلم على مسلم محرم إخوان نصيران لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملا وتفارق المشركين إلى المسلمين". [مسند الإمام أحمد، ٥/٤ رقم (٢٠٠٥٥)]

الشاهد من الحديث: قوله: " وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا؟".

قوله: "أسألك بوجه الله عز وجل"، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقره عليه، فدل على أن السؤال بوجه الله عز وجل مشروع. واللّه تعالى أعلم. [ذخيرة العقبى، ٨٨/٢٣]

حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: تحريم رد من سأل بوجه الله، ووجوب إعطائه، ما لم يسأل ممتنعا وهو قول الحنفية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة وعد بعض الشافعية وبعض الحنابلة رد السائل بوجه الله كبيرة من الكبائر.

القول الثاني: كراهة رد من سأل بوجه الله تعالى، واستحباب إعطائه وعدم رده خائبا، وهو قول لبعض الشافعية وبعض الحنابلة. [أحكام المسألة، ص: ٢٤٢]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ألا أخبركم بشر الناس منزلا**" أي: مرتبة عند الله (قيل: نعم) أي: قالوا: بلى" قال: "**الذي يسأل بالله**" على بناء المجهول "**ولا يعطي**" بصيغة المعلوم "**به**" أي: بالله أو بهذا السؤال، قال الطيبي: الباء كالباء في كتبت بالقلم أي: يسأل بواسطة ذكر الله أو للقسم والاستعطاف أي: بقول السائل أعطوني شيئا بحق الله، وهذا مشكل إلا أن يكون السائل متهما بحق الله ويظن أنه غير مستحق، وقال ابن حجر: أي مقسما عليه بالله استعطافا إليه وحملا له على الإعطاء، بأن يقال له بحق الله أعطني كذا لله ولا يعطي مع ذلك شيئا، أي: والصورة أنه مع قدرة علم اضطرار السائل إلى ما سأله، وعلى هذا حمل قول الحليمي أخذا من هذا الحديث وغيره: إن رد السائل بوجه الله كبيرة اهـ. [مرقاة المفاتيح، ٤/١٣٣٠]

الباب السادس والخمسون

ما جاء في الـ"لو"

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**" .

❃ ❃ ❃

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "**باب ما جاء في اللو**"، أي: من الوعيد والنهي عن الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر، لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات، مما لا يمكن استدراكه.

فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة. [فتح المجيد، ص: ٥٥٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله (**المتوفى: ٣٧٣** هـ): "﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ﴾ أي يقولون لو كان ديننا حقا ﴿ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾. قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه يقولون: هل لنا من الأمر من شيء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل إن الأمر كله لله. وقال الضحاك: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ يعني القدر خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ بضم اللام، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالرفع جعله اسما مستأنفا، ومن نصب جعله نعتا للأمر". [بحر العلوم، ١/٢٥٨]

قال أحمد الأياثلوغي الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "﴿ يَقُولُونَ ﴾ للنبي عليه السلام ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أي أمر النصرة ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ و«من» زائدة فيه، وهو مبتدأ، خبره «من الأمر»، و«لنا» تبيين، والجملة بدل من «يظنون» بدل اشتمال، لأن سؤالهم كان صادرا عن الظن، ويجوز أن يكون «يقولون» استئنافا ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ ﴾ بالرفع مبتدأ، خبره ﴿ لِلَّهِ ﴾ والجملة خبر «إن»، وبالنصب تأكيدا للاسم، أي جميع الأمر لله من النصرة والغلبة ولأوليائه المؤمنين، قال تعالى: وإن جندنا لهم الغالبون، فأنكروا ذلك فأخبر الله بقوله ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾أي ما لا يظهرون من قولهم ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ كما قال محمد: إن الأمر لله ولأوليائه ﴿ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ أي لما قتل أحد من المسلمين في هذه المعركة". [عيون التفاسير، ١/١٨٧]

فوائد الآية:

١. أن الخير والشر مقدر من الله عز وجل.

٢. أن الشدائد تظهر الحقائق.

٣. الاعتراض على القدر من علامات النفاق الاعتقادي.

٤. الأسباب لا تمنع الأقدار.

مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على تحريم الاعتراض على القدر.

مناسبة الآية للتوحيد: حيث دلت الآية على وجوب الاستسلام للقضاء والقدر؛ لأن ذلك من كمال التوحيد. [الجديد، ص: ٤٢١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]".

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله (المتوفى: ٣٣٣ هـ): " وقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ... ﴾. وقيل: لإخوانهم في الدين، ومعارفهم من المنافقين: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ ولم يخرجوا إلى الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾.

وقيل: لإخوانهم في النسب والقرابة، وليسوا بإخوانهم في الدين والولاية؛ كقوله عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ ليس بأخيهم في الدين ولا في الولاية؛ ولكن كان أخاهم في النسب والقرابة.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ وقعدوا عن الخروج في الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾ في الغزو". [تفسير الماتريدي، ٥٢٧/٢]

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ): ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ من المنافقين ﴿ وَقَعَدُواْ ﴾ عن الجهاد ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ في القعود عن الجهاد ﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾أي في الغزو. ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ﴾ في حال حضر ﴿ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في مقالتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول لما نزلت هذه الآية " فادرؤوا عن أنفسكم الموت "مات يؤمئذ سبعون نفسا من المنافقين". [بحر العلوم، ٢٨٩/١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**" .

قوله: "**في الصحيح**"، أي رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه ٢٠٥٢/٤ رقم (٢٦٦٤).

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): "**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**"؛ أي: عن العمل بما أمرت، ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة، بل كمال الإيمان أن ينتفع أحدهما بالآخر.

"**وإن أصابك شيء**" مما تكرهه "**فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله**"؛ أي: كذا وكذا؛ أي: كان ذلك بتقدير الله ومشيئته، "**وما شاء الله فعل**"، لا مرد له، ومعناه: لا تنازع القدر ولا تتأسف على الفائت.

"**فإن لو**"؛ أي لفظة (لو) "**تفتح عمل الشيطان**"؛ أي: تقع فاتحة كلام يفضي إلى عمل الشيطان؛ لأن التكذيب بالقدر وعدَم الرضا بصنع الله من عمل الشيطان، قيل: النهي عن تلفظ (لو) إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأما قوله صلى الله عليه وسلم في قلب الحج إلى العمرة: "لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي" فليس من هذا القبيل، وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم، وتحريضهم على التحلل من أعمال الحج إلى أعمال العمرة". [شرح المصابيح، ٤٣٦/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**احرص**" : بكسر الراء، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ** ﴾ [النحل: ٣٧] وفي نسخة بفتحها، ففي القاموس: حرص كضرب وسمع، والمعنى كن حريصا "**على ما ينفعك**" أي: من أمور الدين "**واستعن بالله**" أي: على فعلك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله "**ولا تعجز**" بكسر الجيم، ومنه قوله تعالى جل جلاله: أعجزت وفي نسخة بالفتح ففي القاموس: عجز كضرب وسمع أي: ولا تعجز عن الحرص والاستعانة، فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطيك قوة على طاعته إذا استقمت على استعانته، وقيل: معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت، ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة به، فإن كمال الإيمان أن يجمع بينهما.

قال الطيبي رحمه الله: يمكن أن يذهب إلى اللف والنشر، فيكون قوله "احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد" بيانا للقوي "**ولا تعجز**" بيانا للضعيف "**وإن أصابك شيء**" أي: من أمر دينك أو دنياك "**فلا تقل لو أني فعلت**" أي: كذا وكذا "**كان**" أي: لصار "**كذا وكذا**" : فإن هذا القول غير سديد، ومع هذا غير مفيد فإنه قال تعالى جل شأنه: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا** ﴾ [التوبة: ٥١] وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: "**ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**". وقد قال تعالى: ﴿ **لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٥٣] "**ولكن قل**" أي: بلسان القال أو لسان الحال. "**قدر الله**": بتشديد الدال أي: قل قدر الله، ويجوز

تخفيفها. أي: قل قدر الله كذا وكذا. أي: وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره. "**وما شاء**" أي: الله فعله "**فعل**": فإنه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، "**فإن لو**" أي: كلمة الشرط أو إن "**تفتح عمل الشيطان**".

قال الشاطبي رحمه الله: ولم ولو وليت تورث القلب انفلاقا.

قال بعض شراح المصابيح، أي: أن قول "لو" واعتقاد معناها يفضي بالعبد إلى التكذيب بالقدر، أو عدم الرضا بصنع الله ؛ لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد، قال: لو فعلت كذا لم يكن كذا، وقد قدر في علم الله أنه لا يفعل إلا الذي فعل، ولا يكون إلا الذي كان، وقد أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله قبل ذلك، ولكن قدر الله وما شاء فعل،

ولم يرد كراهة اللفظ بـ"لو" في جميع الأحوال وسائر الصور، وإنما عنى الإتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتأسف على ما فاته من أمور الدنيا، وإلا فقد ورد في القرآن مثل: ﴿ **لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤] . وفي الحديث: "**لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت**" لأنه لم يرد به منازعة القدر.

وقال القاضي رحمه الله: قوله: "**فإن لو تفتح**" أي: لو كان الأمر لي وكنت مستبدا بالفعل والترك كان كذا وكذا، فيه تأسف على الفائت، ومنازعة للقدر وإيهام بأن ما كان يفعله باستبداده، ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر إليه من حيث أن "لو" تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيما مضى، ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث فسخ الحج إلى العمرة "**ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت**" ليس من هذا القبيل، وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة.

وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله، وقال القاضي عياض رحمه الله: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأما "**قول أبي بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا**" ، فهذا لا حجة فيه، لأنه إنما أخبر عن مستقبل، وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذا**" وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر، فلا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل

لولا المانع وعما هو في قدرته، وأما الماضي فليس في قدرته، وأما معنى قوله: فإن لو تفتح عمل الشيطان، أنه يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: وقد جاء استعمال "**لو**" في الماضي كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي**"، فالظاهر إنما ورد فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم، وأما من قاله متأسفا على ما فات من طاعة الله أو هو معتذر من ذلك فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر استعمال "**لو**" الموجودة في الأحاديث. [مرقاة المفاتيح، ٣٣١٨/٨-٣٣١٩]

دل الحديث على تحريم الاعتراض على القدر.

الباب السابع والخمسون

النهي عن سب الريح

باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**" . صححه الترمذي.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب النهي عن سب الريح".

قال الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠ هـ): "الريح: ياؤها واو، صيرت ياء لانكسار ما قبلها، وتصغيرها: رويحة، وجمعها: رياح وأرواح". [العين، ٢٩٢/٣]

وقال الجوهري رحمه الله (المتوفى: ٣٩٣ هـ): " والريح: واحدة الرياح والأرياح، وقد تجمع على أرواح، لأن أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها". [الصحاح، ٣٦٧/١]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الريح من روح الله". [رواه أبو داود، ٤٢٦/٧ رقم (٥٠٩٧)]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: (الريح من روح الله تعالى)؛ أي: من رحمة الله تعالى...

والريح كيف تكون من رحمة الله تعالى مع أنه تجيء بالعذاب؟

جواب هذا الإشكال: أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم؛ فذلك العذاب يكون رحمة للمؤمنين خلصوا من أيدي الكفار الذين أهلكوا بالريح.

ويحتمل أن تكون (الريح) هنا مصدرا بمعنى الفاعل كـ (عدل) بمعنى (العادل)، وحينئذ يكون معناه: من رائح الله؛ أي: من الأشياء التي تجيء من حضرة الله بأمر الله كالمطر والحرارة والبرودة وغير ذلك، فتارة تجيء للراحة بأمر الله، وتارة تجيء للعذاب بأمر الله تعالى، فإذا كان مجيئها بأمر الله، فلا يجوز سبها بأن يلحق منها ضرر إلى أحد، بل ليتوب ذلك الأحد؛ بل جميع الناس إلى الله تعالى، ويستعيذون به من عذابه". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٧٨/٢]

وقال السندي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٣٨ هـ): "الريح" من روح الله، "الروح" بالفتح بمعنى النفس والفرح والرحمة، فإن قلت: كيف يكون الريح من رحمته تعالى مع أنها تجيء بالعذاب؟، قلت: إذا كان عذابا للظلمة يكون رحمة للمؤمنين، وأيضا الروح بمعنى الرائح، أي: الجائي من حضرته تعالى بأمره تارة للكرامة وأخرى للعذاب، "فلا تسب" بل تجب التوبة عندها؛ ولأنها تأديب والتأديب حسن ورحمة". [فتح الودود في شرح سنن أبي داود، ٤/٦٧٤]

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٧٠ هـ): "والريح من أعظم منن الله تعالى على عباده، وعن كعب الأحبار لو حبس الله تعالى الريح عن عباده ثلاث أيام لأنتن أكثر أهل الأرض. وفي بعض الآثار: أن الله تعالى خلق العالم وملأه هواء ولو أمسك الهواء ساعة لأنتن ما بين السماء والأرض. وذكر غير واحد من العلماء أنه يكره سب الريح". [روح المعاني، ٨/١٤٥]

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها الله رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء". [التيسير، ص: ٦٠٣]

وقال إسماعيل الحنفي رحمه الله (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "قال بعض المشايخ : لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الأفعال وجهل بحقائق الأمور ، ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه يعلم أن الريح لا تتحرك بنفسها بل لها محرك". [روح البيان، ٣/١٣٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**". صححه الترمذي".

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"**لا تسبوا الريح**" : فإن المأمور معذور.

"**فإذا رأيتم ما تكرهون**" أي: ريحا تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها، أو تأذيتم لشدة هبوبها.

"**فقولوا**" أي: راجعين إلى خالقها وآمرها.

"**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به**": على بناء المفعول.

"**ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**". [مرقاة المفاتيح، ١١١٧/٣]

قوله: "**صححه الترمذي**"، أي رواه الترمذي في سننه ٥٢١/٤ رقم (٢٢٥٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الملا علي القاري رحمه الله أيضا: " (**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح**) أي: باعتبار ذاتها، (**وخير ما فيها**) أي: باعتبار صفاتها، (**وخير ما أمرت به**) أي: من خالقها لطفا وجمالا، (**ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**) أي: من صانعها قهرا وجلالا". [الحرز الثمين للحصن الحصين، ١١٢١/٣]

الخلاصة: سب الريح لا يجوز، لأن الريح مسخرة مدبرة، وحقيقة المسبة عائدة على مدبرها وهو الله تعالى. فمسبتها مسبة لله تعالى واعتراض عليه، وهو قدح في التوحيد. [انظر: موسوعة العقيدة والأديان، ١٥٢٩/٣]

الباب الثامن والخمسون

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٤

باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر.

وفتش نفسك، هل أنت سالم.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالك ناجيا.

❁ ❁ ❁

أراد المؤلف رحمه الله بهذا الباب التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ**﴾ الآية، [آل عمران: ١٥٤].

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٣٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ**﴾، قيل: يظنون بالله ألا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ذا في غير المؤمنين.

وقيل: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ**﴾ [ظنونا] كاذبة، إنما هم أهل شرك وريبة في أمر الله، يقولون: [(لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا)].

وقوله عز وجل: ﴿**يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ**﴾:

قيل: يقولون بعضهم لبعض: (هل لنا من الأمر من شيء)، يعني بالأمر: النصر والغنيمة.

وقيل: قالوا ذلك للمؤمنين.

﴿**قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾: يعني النصر والفتح كله بيد الله. ﴿**يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَ**﴾: والذين يخفون قولهم: لو أقمنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا، وقيل: يقولون: ﴿**لَوۡ كَانَ لَنَا**

﴿ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ ﴾ ، قالوا: ليس لنا من الأمر من شيء؛ إنما الأمر إلى محمد، ولو كان الأمر لنا ما خرجنا إلى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾: قيل: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ ﴾ كما يقولون: ﴿ لَبَرَزَ ﴾ ، يعني: لخرج من البيوت ﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ ﴾ ؛ ليقتلوا.

وقيل: من كتب عليه القتل يظهر الذي كتب عليه حيث كان.

وقيل: إذا كتب على أحد القتل لأتاه، ولو كان في البيت، وكقوله: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء: ٧٨]، وقيل: متى كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا أبدا؟! وفي هذا بيان أن الآجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الأعمار: إن كان قتلا فقتل، وإن كان موتا فموت، لا على ما قالت المعتزلة: إن القتل تعجيل عن أجله المكتوب له وعليه، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾، والابتلاء هو الاستظهار؛ كقوله عز وجل: ﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩] تبدي وتظهر، وذلك يكون بوجهين: يظهر بالجزاء مرة، ومرة بالكتاب، يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء، وكذلك إذا كانت سيئة، أو يعلم ذلك بالكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ ، أي: ليظهر الله للخلق ما في صدورهم مما مضى، وليجعله ظاهرا لهم.

﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ من الذنوب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " الابتلاء والتمحيص هما واحد ".

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، يقول: هو عالم بما في صدورهم من سرائرهم، ولكن يجعلها ظاهرا عندكم.

ويحتمل الابتلاء -هاهنا- الأمر بالجهاد؛ ليعلموا المنافق منهم من المؤمن، والله أعلم. [تفسير الماتريدي المسمى بـ "تأويلات أهل السنة" ٢/ ٥١٠-٥١٢]

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ في حكم المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي النصر والغلبة ﴿ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ ولأوليائه المؤمنين وإن جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للأمر ولله خبر إن كله بصري وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبران ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ خوفا من السيف ﴿ يَقُولُونَ ﴾ في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أي قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ أي علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم ﴿

﴿ لَبَرَزَ ﴾ من بينكم ﴿ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾ مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بخفياتها". [مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٠٣-٣٠٤)]

دلت الآية على تحريم سوء الظن بالله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ [الفتح: ٦]".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ وظنهم ترك التصديق بالله تعالى ورسوله، مخافة ألا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [الفتح: ١٢] .

ثم قال: ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ يعني: عاقبة العذاب والهزيمة ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ ﴾ في الدنيا ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ ﴾ في الآخرة ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴾ يعني: بئس المصير الذي صاروا إليه". [بحر العلوم، ٢/٣١٢]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَيُعَذِّبَ ﴾ عطف على «ليدخل»، أي الفتح والمغفرة لك لعذب ﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ من أهل المدينة ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ منهم، والمراد من ظن ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ ظنهم ترك الإيمان بالله ورسوله مخافة أن لا ينصرف محمد عليه السلام ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ﴾ المذمة ﴿ ٱلسَّوْءِ ﴾ بالضم والفتح، أي عاقبة العذاب الشديد والهزيمة، قيل: "السوء" بالفتح غالب فيما يراد ذمه من كل شيء، "والسوء" بالضم الشر الذي هو نقيض الخير ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي انتقم منهم بالهزمية ﴿ وَلَعَنَهُمْ ﴾ في الدنيا بالقتل والطرد من الرحمة ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ﴾ جهنم في الآخرة ﴿ وَسَآءَتْ ﴾ جهنم ﴿ مَصِيرًا ﴾ [٦] أي مرجعا ومقاما لهم يصيرون إليه في الآخرة. [عيون التفاسير، ٤/١٢٥]

وقال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ صفة لطائفتي أهل النفاق وأهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والإضافة فيه كالإضافة في سيف شجاع من حيث أن المضاف إليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الأمر السوء وهو أن الله لا ينصر رسوله ولا يرجعهم إلى مكة فاتحين والى المدينة سالمين كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسل والمؤمنون إلى أهليهم أبدا...

وفي التأويلات النجمية: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ في ذاته وصفاته بالأهواء والبدع وفي أفعاله وأحكامه بالظلم والعبث". [روح البيان، ٩/١٤]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٢٥ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ يعنى ظانين أن الله لا ينصر رسوله والمؤمنين ولا يرجع النبي عليه السلام إلى المدينة سالما أو أن له تعالى شريكا، فالمفعولان محذوفان وقوله: ﴿ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ ﴾ أي ظن الأمر السوء منصوب على المصدرية والسوء عبارة عن رداة الشيء وفساده يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ جملة دعائية يعنى يجعل الله عليهم دائرة الهلاك والعذاب لا يتخطاهم أو دائرة ما يظنون ويتربصون بالمؤمنين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الأصل مصدران- ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ ﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ جهنم". [تفسير المظهري، ٥/٩]

فوائد الآية:

١. المنافقون أشد خطرا على المسلمين من الكفار.

٢. تحريم سوء الظن بالله.

٣. من أسلوب القرآن تقديم الرجل على المرأة في الخطاب.

٤. سوء الظن بالله من علامات النفاق الاعتقادي.

٥. إثبات صفة الغضب لله عز وجل على وجه يليق بجلاله.

٦. جواز لعن الكفار على سبيل العموم.

٧. إثبات أن النار موجودة الآن. [الجديد، ص: ٤٢٩]

الباب التاسع والخمسون

ما جاء في منكري القدر

باب ما جاء في منكر القدر

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا فليس مني**" .

وفي رواية لأحمد: "**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**".

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**".

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم" حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في منكر القدر".

معنى القدر لغة وشرعا

والقدر: بالفتح، وتسكن ما يقدره الله تعالى من القضايا. [مرقاة المفاتيح، ١٤٧/١]

القدر: وهو مصدر قدر يقدر قدرا، وقد تسكن داله، ومنه ليلة القدر التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى، ومنه حديث الاستخارة: "**فاقدره لي**". [مرقاة المفاتيح، ٩٨٦/٣]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"الإيمان بالقدر هو التصديق بأن ما قدره الله في أزله لابد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه، فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه، لا خالق سواه، ولا محدث إلا إياه، خلق الخلق وصنعتهم وأوجد قدرتهم وحركتهم". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٨٦]

مراتب القدر

للقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب جل جلاله بالأشياء قبل كونها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في إثبات هذه المرتبة: "وكان الله عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦]

وقال رحمه الله أيضا: "ويعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا، ويعلم كيف يكون فناؤه...

يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال إيمانه من غير أن يتغير علمه وصفته". [المصدر السابق، ص: ١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ): "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

وقال رحمه الله أيضا: "وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه". [المصدر السابق، ص: ٣١]

وقال رحمه الله أيضا: "وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه". [المصدر السابق، ص: ٣٢]

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في تقرير هذه المرتبة: "ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦-١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه". [العقيدة الطحاوية، ص: ٣٢]

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦-١٧]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: "كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن ". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

المرتبة الرابعة: خلقه لها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ص: ١٦]

وقال رحمه الله أيضا: "وكان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق". [المصدر السابق، ص: ١٨]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "خالق بلا حاجة... خلق الخلق بعلمه". [العقيدة الطحاوية، ص: ١٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: " واعلم: أن الإيمان بالقدر على قسمين:

أحدهما: الإيمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر، وما يجازون عليه، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

ثانيهما: أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر وكفر وإيمان، وهذا القسم تنكره القدرية كلهم، والأول لا ينكره إلا قليلون، وكفرهم بإنكاره كثيرون، ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم، وإلا كفروا كما نص عليه الشافعي وأحمد وغيرهما". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩٠]

وقال رحمه الله أيضا: "روي أنه كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم يسأله عن القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن بن علي رضي الله عنه: "من لم يؤمن بقضاء الله، وقدره، خيره وشره، فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وأن الله تعالى لا يطاع استكراها، ولا يعصى بغلبة لأنه تعالى مالك لما ملكهم وقادر على ما أقدرهم عليه، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا، فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك، ولو أجبر الله الخلق على الطاعة، لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزا في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم، والسلام". [مرقاة المفاتيح، ١/٥٩-٦٠، والمبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩٢-١٩٣]

وقال رحمه الله أيضا: "ثم اعلم بأن الإيمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق، لأن إتيان المقدورات وأحكامها المختلفة على ما هو حقها في أزمنة وأمكنة مخصوصة يدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدر لها.

ويستلزم أيضا العلم بصفاته، كسعة علمه ورحمته على العالمين، وآثار قدرته وأنوار حكمته للمخلوقين، ونفوذ قضائه فيهم مطيعين أو مكرهين، والعلم بكمال صنعه وأفعاله العلية وأن الحوادث مستندة إلى الأسباب الإلهية". [المبين المعين لفهم الأربعين، ص: ١٩١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله تعالى: "هذا الذي قاله بن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية .

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات، قال: والقائل بهذا كافر بلا خلاف، وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة.

قال غيره ويجوز أنه لم يرد بهذا الكلام التكفير المخرج من الملة، فيكون من قبيل كفران النعم إلا أن قوله "**ما قبله الله منه**" ظاهر في التكفير، فإن إحباط الأعمال إنما يكون بالكفر إلا أنه يجوز أن يقال في المسلم لا يقبل عمله لمعصيته، وإن كان صحيحا كما أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة غير محوجة إلى القضاء عند جماهير العلماء، بل بإجماع السلف، وهي غير مقبولة، فلا ثواب فيها على المختار عند أصحابنا والله أعلم". [شرح النووي على مسلم، ١/١٥٦]

وقال محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: "أن ابن عمر رضي الله عنهما يرى أن المكذب بالقدر كافر لا تقبل منه النفقة، حيث قال: "لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر". [التعليق على صحيح مسلم، ١/٨٧]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى، وكذب بالقدر، نقض التوحيد". [القدر للفريابي، ص: ١٤٣]

وقال الحسن البصري رحمه الله: "من كفر بالقدر، فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله خلق خلقا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء بقدر، والعافية بقدر". [القدر للفريابي، ص: ١٨٨]

وقال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "أي: يؤمن بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، بحيث لا يخطر بقلبه شك وتردد في شيء منها، فمن شك في شيء منها فهو كافر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١/٤٠]

قوله: " **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "و(الإيمان): من الأمن وسكون النفس وزوال الخوف عن القلب، (أمن زيد): إذا زال عنه الخوف، وزال عن قلبه التحرك والقلق الذي كاد عليه من الخوف، و (آمن زيد عمرا) على وزن أفعل: إذا أزال عنه الخوف، وأسكن قلبه عن التحرك من الخوف، و (المؤمن): اسم فاعل منه، وهو: الذي أمن قلبه؛ أي: جعل قلبه ساكنا مطمئنا بما أخبره المخبر من غير أن يجعل للشك أو التردد في قلبه سبيلا.

وإنما يكون الإيمان ثابتا في قلب المؤمن إذا حصل له يقين بما أخبره المخبر، واليقين ضد الشك والظن، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من ظن أو شك فيما أخبر به المخبر، فليس بمؤمن البتة، ومن ضرورة تصديق المخبر قبوله جميع أوامر الشارع ونواهيه عن الطوع والرغبة، ومن ترك مأمورا أو فعل منهيا فانظر، فإن كان تركه المأمور وفعله المنهي عن تكذيبه المخبر في ذلك فهو كافر، وإن ترك المأمور تكاسلا، وهو يعلم أنه حق، فليس بكافر، ولكنه عاص مستحق للعقوبة؛ إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عاقبه، وكذا فعل المنهي.

وأما الأشياء الستة التي أخبر رسول الله عليه السلام جبريل:

فأحدها: الإيمان بالله، ومعنى الإيمان بالله: أنك تعتقد أن الله تعالى قديم أزلي أبدي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]، وليس القديم إلا ذاته وأسماؤه وصفاته، وما سوى الله وأسمائه وصفاته فهو مخلوق خلقه الله.

والثاني: الإيمان بملائكته، وهو: أن يعتقد أن الملائكة عباد الله، يعبدونه ولا يشركون به شيئا، ولا يعصونه لحظة، ولا يفترون عن عبادته لمحة، ومن قال: ليس لله ملائكة، فهو كافر، ومن قال: الملائكة موجودون، ولكنهم بنات الله، فهو كافر أيضا، بل هم روحانيون مخلوقون، ولا يأكلون ولا يشربون، وهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فهم يهلكون بأمر الله تعالى، ويعودون إلى ما كانوا قبل الهلاك من الحال، كما أن الإنس والجن وغيرهم يحشرون.

والثالث: الإيمان بكتبه، وهو: أن يعتقد أن جميع ما أنزل على رسله من الكتب كلام الله القديم غير مخلوق، وصار جميعها منسوخا بحكم الله تعالى إلا القرآن، فإنه محكم لا ينسخ إلى يوم القيامة؛ لأنه لا نبي بعد محمد عليه السلام.

ومن رأى كتابا من كتب الله غير القرآن فلا يجوز أن ينظر إليه بالحقارة، فإن حقر منها شيئا صار كافرا، بل يجب إعزازها وإكرامها؛ لأنها كتب الله، ولكن لا يجوز العمل بها، فهل يجوز إتلافها أم لا؟ فانظر؛ إن كان لحربي، يجوز إتلافها عليه، كما يجوز إتلاف سائر أمواله وقتل نفسه، وإن كان لذمي، لا يجوز إتلافه عليه، كما لا يجوز قتل الذمي ولا إتلاف ماله؛ لأن كتبهم مال كما أن مصحف القرآن عندنا مال؛ يباع ويشترى، وطريق إتلاف كتب الحربي بغسلها؛ لأنه ليس فيه تحقير، وأما التحريق بالنار فالأدب أن لا يحرق، فإن حرق لم يأثم في أصح القولين.

والرابع: الإيمان برسله، وهو: أن يعتقد أن جميع رسل الله مبعوثون إلى الخلق بالحق، والإيمان بهم واجب، وهم خير البشر، وأدنى الأنبياء خير من أكمل الأولياء.

وقولنا: (أدنى الأنبياء) أردنا به: أن الأنبياء بينهم تفاوت، فبعضهم أفضل من بعض، كما قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ولا يجوز لأحد أن يفضل نبيا على نبي من تلقاء نفسه؛ لأن فضل أحد على أحد شيء لا يعلمه أحد إلا أن ينبئه الله تعالى في كلامه أو يبينه الرسول عليه السلام، فما وجدنا في القرآن والحديث من فضل نبي على نبي نقول به، وما لم نجده لا نقول به، بل نقول: لا نفرق بين أحد من رسله، ولكن يجوز أن نقول: الرسول خير من النبي، ونبينا محمد خير من جميع الرسل والنبيين.

والخامس: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان به: أن يعتقد أن الله يبعث الخلق بعد الموت، ويقفهم في عرصات يوم القيامة، ويضع الميزان، ويحاسب الخلق بالحق، ولا يظلم أحدا؛ فبعضهم يدخلهم الجنة بفضله، وبعضهم يدخلهم النار بعدله.

والسادس: **الإيمان بالقدر خيره وشره**، ومعنى القدر: ما قدر الله تعالى وقضى به، فالمسلمون به على طوائف في القدر؛ فطائفة تقول: كل ما يجري في العالم من الأقوال والأفعال والحركات والسكنات كلها بقضاء الله تعالى وقدره، لا اختيار للعباد فيه، وسمي هذه **الطائفة**: **جبرية**، ومعنى الجبر: القهر والإكراه على الفعل، يقولون: أجرى الله تعالى على عباده أفعالهم وأقوالهم بغير اختيار منهم فيها وهذا المذهب باطل، فإن قالوا هذا القول؛ ليسقطوا عن أنفسهم التكليف، ويشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان الخطاب بهم، فقد كفروا بهذا القول، وهذا القول مفض إلى إبطال الكتب والرسل؛ لأنه إذا لم يكن للعباد اختيار فلا يكونون مكلفين، ومجيء الكتب والرسل إلى غير المكلف غير صواب، وإن قالوا هذا القول لا عن اعتقاد إبطال الكتب والرسل، بل لتعظيم الله وتحقير أنفسهم وعجزهم عن دفع قضاء الله، فليسوا بكافرين بهذا القول، ولكن صاروا مبتدعين فاسقين؛ لأنهم خالفوا الإجماع في الاعتقاد.

والطائفة الثانية: القدرية، وهم يقولون: إن ما يجري في العالم من الأفعال والأقوال، من الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والعصيان الاختيارية، كلها بأفعال العباد واختيارهم، لا تقدير لله تعالى فيها.

وهذا المذهب أيضا باطل؛ فإن قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى، صاروا بهذا القول كافرين؛ لأن العجز على الله تعالى غير جائز البتة، وإن قالوا هذا القول لا عن اعتقاد تجويز عجز على الله تعالى بل، عن خطأ ظنونهم واجتهاداتهم في هذا القول، ولتنزيه الله تعالى عن تقدير أفعالهم القبيحة، ولأنهم لا يجوزون أن يخلق الله تعالى فعلا قبيحا، فليسوا بكافرين بهذا القول، ولكن صاروا مبتدعين فاسقين؛ لأنهم خالفوا الإجماع، ومن هذه الطائفة قوم يقولون: الخير بتقدير الله تعالى، والشر ليس بتقديره، وهذا أيضا خطأ.

والطائفة الثالثة: هم أهل السنة والجماعة، وهم يقولون: جميع ما يجري في العالم من الخير والشر، والكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وغير ذلك، كلها بتقدير الله تعالى وقضائه، ولكن للعباد اختيارها، فالتقدير من الله، والكسب من العباد، ويخلق الله تعالى الأفعال في العباد كل فعل في الوقت الذي قدره في الأزل، والتقدير والفعل يجريان معا، لا يجري الفعل بدون تقدير الله، ولا التقدير بحصول الأفعال في العباد بدون اختيارهم واكتسابهم، فهم مثابون بالخير ومعاقبون بالشر بسبب أن لهم اختيارا في الفعل.

ومن لم يكن له اختيار كالمجنون والصبي والنائم والمغمى عليه والمكره، فهم كالمرتعش في أنه لا مؤاخذة عليهم بأفعالهم فيما هو حق الله تعالى، وأما ما هو حق العباد، كإتلاف المال وقتل النفس، فهم يؤاخذون بالغرم.

والمرتعش: هو الذي تتحرك أعضاؤه بغير اختياره من علة، والثواب والعقاب يتعلقان بما في العبد من الاختيار.

وعلة تكريره عليه الصلاة والسلام لفظة (تؤمن)، فقال: "**وتؤمن بالقدر خيره وشره**" للتأكيد؛ لأن الإيمان بالقدر أحوج إلى المبالغة فيه؛ لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ظاهر مشهور

عند المسلمين، وأما الإيمان بالقدر لا يعلمه كل أحد إلا حاذق في علوم الدين، فلأجل هذا أكد وكرر لفظة: (تؤمن) عند لفظ (القدر). [المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٤١-٤٤)]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم في صحيحه، في باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ٢٨/١ رقم (١٠٢).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا فليس مني**" .

قوله: "**لن تجد طعم الإيمان**": هذا يفيد أن للإيمان طعما كما جاءت به السنة وطعم الإيمان ليس كطعم الأشياء المحسوسة؛ فطعم الأشياء المحسوسة إذا أتى بعدها طعام آخر أزالها، لكن طعم الإيمان يبقى مدة طويلة، حتى إن الإنسان أحيانا يفعل عبادة في صفاء وحضور قلب وخشوع لله عز وجل فتجده يتطعم بتلك العبادة مدة طويلة؛ فالإيمان له حلاوة وله طعم لا يدركه إلا من أسبغ الله عليه نعمته بهذه الحلاوة وهذا الطعم. [القول المفيد، ٤١٨/٢]

قوله: "**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب...**".

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح، من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: "وعرشه على الماء".

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا. ولا يخلو قوله : "**أول ما خلق الله القلم**"... إلخ.

إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: "اكتب"، كما في اللفظ: "أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب" بنصب "أول" و "القلم"، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع "أول" و "القلم"، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم فيتفق الحديثان إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم وفي اللفظ الآخر: "لما خلق الله القلم قال له: اكتب"، فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير : إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١].

والقلم الثاني : قلم الوحي: وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله وأصحاب هذا القلم هم: الحكام على العالم والأقلام كلها خدم لأقلامهم وقد رفع النبي صلى الله عليه و سلم لله ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي". [شرح العقيدة الطحاوية، ٢٦٣/١]

قوله: "**فليس مني**"، **قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ)**: "**فليس مني**" تكون للزجر والوعيد، ويكون معناه: فليس من المقتدين والعاملين بسنتي. [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢٤٦/١]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**فليس مني**"؛ أي: من المقتدين بي والعاملين بسنتي". [شرح المصابيح، ١٥١/١]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**فليس مني**)، أي: من أشياعي". [مرقاة المفاتيح، ٢٢٨/١]

وقال رحمه الله تعالى أيضا: "أي ليس هو على سنتي وطريقتي". [المصدر السابق، ١٩٣٥/٥]

وقال العلامة محمد بن صالح رحمه الله: "من مات على غير هذا فليس مني"، وهذه البراءة مطلقة؛ لأن من لم يؤمن بالقدر فهو كافر كفرا مخرجا عن الملة". [القول المفيد، ٢/٤٣٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية لأحمد: "**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**".

رواه الإمام أحمد في المسند، ٥/٣١٧ رقم (٢٢٧٥٧)، وتمام الرواية: "يا بني إن مت ولست على ذلك، دخلت النار".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**".

رواه ابن وهب في "القدر"، في باب أن أول ما خلق الله القلم، ص: ١٢١ رقم (٢٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم". حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه".

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(وعن ابن الديلمي رضي الله عنه) : هو أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو الضحاك فيروز الديلمي، ويقال له الحميري؛ لنزوله في حمير، وهو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن. قال محمد بن سعيد: ومن أهل الحديث من يقول: فيروز بن الديلمي، وهو واحد. وفد فيروز على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب المدعي للنبوة، قتله في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ووصل خبر قتله إياه إليه في مرض الموت فقال عليه الصلاة والسلام: "قتله الرجل الصالح فيروز، فاز فيروز،

فاز فيروز" ، ويقال: إن فيروز ابن أخت النجاشي، روى عن ابن الضحاك، وعبد الله، وغيرهما، توفي في خلافة عثمان، وقيل: في زمن معاوية بعد الخمسين كذا في "تهذيب الأسماء". قال ميرك شاه: هذا كلام صحيح في نفس الأمر ليس المراد من ابن الديلمي في هذا المحل هو فيروز الديلمي، بل المراد ابن الضحاك بن فيروز، وهو تابعي مقبول من أوساط التابعين، وأبوه معدود في الصحابة، وله أحاديث، ويحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن فيروز أخا الضحاك، وهو ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة، وهذا الاحتمال عندي أظهر، والله أعلم اهـ.

وقد ذكر المصنف في أسماء الرجال للمشكاة ابن الديلمي هو: الضحاك بن فيروز؛ تابعي حديثه في المصريين، روى عن أبيه، والديلمي بفتح الدال منسوب إلى الديلم، هو الجبل المعروف بين الناس، وفيروز بفتح الفاء، وسكون الياء تحتها نقطتان، وضم الراء، وبالزاي: (قال: أتيت أبي بن كعب) : أقرأ الصحابة رضي الله عنهم. قال المصنف: هو أبي بن كعب الأكبر الأنصاري الخزرجي، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا المنذر، وعمر أبا الطفيل، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنصار، وعمر سيد المسلمين، مات بالمدينة سنة تسعة عشر، روى عنه خلق كثير. (فقلت له) : بحكم قوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] (وقد وقع في نفسي شيء من القدر) أي: حزازة، واضطراب عظيم من جهة أمر القضاء والقدر باعتبار العقل لا بموجب النقل. قال ابن حجر؛ أي: من بعض شبه القدر التي ربما تؤدي إلى الشك فيه كاعتقاد أن الإنسان يخلق فعل نفسه كما قالته المعتزلة، أو أنه مجبور على الفعل كما قالته الجبرية فكيف يعذب، وأنا أريد الخلاص منه أي: من هذا المبحث. (فحدثني) أي: بحديث (لعل الله أن يذهبه من قلبي) أي: رجاء أن يزيل ذلك مني، وقال أولا في نفسي، وثانيا من قلبي إشعارا بأن ذلك تمكن منه، وأخذ بمجامعه من ذاته، وقلبه كذا قاله الطيبي، والأظهر أن الحزازة تنشأ من الخطرات النفسية، والثبات والاطمئنان من الصفات القلبية، ثم قوله: أن يذهبه: خبر لعل أعطاه حكم عسى في دخول أن في خبره، (فقال) أي:

أبي رضي الله عنه متحريا غاية البيان الشافي، وغاية الإرشاد الوافي (لو) أي: فرض (أن الله عذب أهل سماواته) من الملائكة المقربين (وأهل أرضه) : من الأنبياء والمرسلين (عذبهم) : وفيه إشكال، ودفعه أن الشرطية غير لازمة الوقوع (وهو غير ظالم لهم) : الواو للحال لأنه متصرف في ملكه، وملكه فعذابه عدل، وثوابه فضل. قيل فيه إرشاد عظيم، وبيان شاف لإزالة ما طلب منه؛ لأنه يهدم منه قاعدة الحسن، والقبح العقليين لأنه مالك الجميع، فله أن يتصرف كيف شاء، ولا ظلم أصلا (ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) أي: الصالحة؛ إشارة إلى أن رحمته ليست بسبب من الأعمال، وإيجابها إياها إذ هي لا توجبها عليه، كيف وهي من جملة رحمته بهم، فرحمته إياهم محض فضل منه تعالى عليهم، فلو رحم الأولين والآخرين فله ذلك، ولا يخرج عن حكمة غايته أنه أخبر أن المطيعين لهم الثواب، وأن العاصين لهم العقاب كما هو مثبت في أم الكتاب، فالأمر المقدر لا يتبدل، ولا يتغير، وهذا هو الصواب في الجواب (ولو أنفقت مثل أحد) : بضمتين جبل عظيم قريب المدينة المعظمة (ذهبا) تمييز (في سبيل الله) أي: مرضاته، وطريق خيراته (ما قبلها الله) أي: ذلك الإنفاق، أو مثل ذلك الجبل (منك) : وهو تمثيل على سبيل الفرض لا تحديد؛ إذ لو فرض إنفاق ملء السماوات والأرض كان كذلك (حتى تؤمن بالقدر) أي: بأن جميع الأمور الكائنة خيرها، وشرها، وحلوها، ومرها، ونفعها، وضرها، وقليلها، وكثيرها، وكبيرها، وصغيرها، بقضائه وقدره، وإرادته وأمره وأنه ليس فيها لهم إلا مجرد الكسب، ومباشرة الفعل، والمراد هنا كمال الإيمان، وسلب القبول مع فقده يؤذن بأن المبتدعة لا تقبل لهم أعمال أي: لا يثابون عليها ما داموا على بدعتهم، ويؤيده خبر: أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته، وفيه إشعار بأن أهل البدعة ليسوا من المتقين؛ لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] وأنه لا يحبهم فإن الله يحب المتقين. (وتعلم) : تخصيص بعد تعميم (أن ما أصابك): من النعمة، والبلية، أو الطاعة، والمعصية مما قدره الله لك أو عليك (لم يكن ليخطئك) أي: يجاوزك (وأن ما أخطأك): من الخير، والشر (لم يكن ليصيبك): وهذا وضع موضع المحال كأنه قيل: محال أن يخطئك، وفيه ثلاث مبالغات: دخول أن، ولحوق اللام المؤكدة

للنفي، وتسليط النفي على الكينونة، وسرايته في الخبر، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١] ، وفيه حث على التوكل والرضا، ونفي الحول والقوة، وملازمة القناعة، والصبر على المصائب (ولو مت): بضم الميم من مات يموت، وبكسرها من مات يميت، (على غير هذا) أي: على اعتقاد غير هذا الذي ذكرت لك من الإيمان بالقدر (لدخلت النار): يحتمل الوعيد، ويحتمل التهديد، (قال) أي: ابن الديلمي (ثم أتيت عبد الله بن مسعود): صاحب السجادة، والمخدة، والنعلين، والمطهرة رضي الله عنه (فقال مثل ذلك) أي: مثل جواب أبي في سؤالي (قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان) : مر ذكره، وهو صاحب سر النبي صلي الله عليه وسلم، وأبوه اسمه حسيل بالتصغير، واليمان لقب له، وقتل بأحد شهيدا رضي الله عنهما (فقال مثل ذلك) : فالحديث من طرقهم صار موقوفا (ثم أتيت زيد بن ثابت) : أفضل كتبة الوحي، وأفرض الصحابة.

قال المصنف: هو زيد بن ثابت الأنصاري، كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، كان له حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة إحدى عشرة سنة، وكان أحد فقهاء الصحابة الأجلة القائم بالفرائض، وهو أحد من جمع القرآن، وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من المصحف في زمن عثمان، روى عنه خلق كثير، مات بالمدينة سنة خمس وأربعين، وله ست وخمسون سنة. (فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك). فصار الحديث من طريقه مرفوعا. قال الطيبي: في سؤاله من الصحابة واحدا بعد واحد، واتفاقهم في الجواب من غير تغيير، ثم انتهاء الجواب إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم دليل على الإجماع المستند إلى النص الجلي، فمن خالف ذلك فقد كابر الحق الصريح. [مرقاة المفاتيح، ١/١٨٨-١٩٠]

رواه أحمد ٤٦٥/٣٥ رقم (٢١٥٨٩، ٢١٦١١)، وأبو داود ٥١/٥ رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه ٢٩/١ رقم (٧٧) .

وكل هذه الأحاديث فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر.

الباب الستون

ما جاء في المصورين

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**" ، أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**" .

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**" .

ولهما عنه مرفوعا: "**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**" .

ولمسلم عن أبي الهياج قال: "**قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته**" .

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في المصورين". أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**" ، أخرجاه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**ذهب يخلق كخلقي**"؛ أي: طفق يصور صورة يشبه صورة خلقتها؛ يعني: لا يقدر أحد أن يخلق مثل ما أخلق، فإن الخلق ليس بتصوير صورة مجردة عن الروح، بل الخلق أن يصور صورة وينفخ فيها الروح، فلا يقدر أحد على نفخ الروح في الصورة إلا الله". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٥/٦٣-٦٤]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): " قال الله تعالى: ومن أظلم"، (من) هذه للاستفهام. "ممن ذهب"؛ أي: أراد وطفق "يخلق كخلقي"؛ أي: يصور صورة شبه صورة خلقتها. "فليخلقوا ذرة"، والأمر للتعجيز". [شرح المصابيح، ٨٣/٥]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**قال الله تعالى: ومن أظلم**": أي لا أحد أظلم "**ممن ذهب**": أي أراد وطفق وشرع "**يخلق**" أي: خلقا كما في رواية "**كخلقي**" أي يصور صوره تشبه صورة خلقتها، فإن زعموا ذلك "**فيخلقوا**" أمر تعجيز "**ذرة**" أي نملة صغيرة أو هباء في هواء أو مثلهما من غير أسباب خلقتها "**ليخلقوا**" : الظاهر أن "**أو**" هذه للتنويع ويحتمل الترديد "**حبة**" أي من الحبوب "**أو شعيرة**" أي حبة خاصة و "**أو**" للتقسيم". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٢/٧]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١٦٧/٧ رقم (٥٩٥٣)، ومسلم ١٦٧١/٣ رقم (٢١١١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله ١٦٨/٧ رقم (٥٩٥٤) ومسلم رحمه الله ١٦٦٨/٣ رقم (٩٢/٢١٠٧).

قوله: "**يضاهئون بخلق الله**"، **قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى**: "(يضاهون) أصله: يضاهيون، فنقلت ضمة الياء إلى الهاء وحذفت الياء، لسكونها وسكون الواو؛ أي: يشابهون بالله في عمل الصور؛ يعني: التصوير لا ينبغي لأحد سوى الله تعالى، فمن صور صورة فقد ظلم نفسه واستحق العذاب". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٦٣/٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: " وروي: "عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون**"؛ أي: يشابهون "**بخلق الله**"، فيفعلون ما يضاهي خلقه؛ أي: مخلوقه، أو يشبهون فعلهم بفعله في التصوير والتخليق، فإن اعتقد ذلك فهو كافر يزيد عذابه بزيادة قبح كفره، وإلا فالحديث محمول على التهديد". [شرح المصابيح، ٥/٨٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "قال: **أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون**: بضم الياء وسكون الهاء والواو، وفي نسخة بكسر الهاء وضم همز قبل الواو وهما لغتان قراءتان في قوله تعالى: ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التوبة: ٣٠] ، والأول هو زيادة الأشهر والأكثر، "**بخلق الله**": أي يشابهون عملهم التصوير بخلق الله. قال القاضي: أي يفعلون ما يضاهي خلق الله أي مخلوقه، أو يشبهون فعلهم بفعله، أي في التصوير والتخليق". [مرقاة المفاتيح، ٧/٢٨٥١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٣/٨٢ رقم (٢٢٢٥)، ومسلم رحمه الله تعالى ٣/١٦٧١ رقم (٢١١٠).

قال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: "**كل مصور في النار، يجعل له**"؛ أي: يخلق في القيامة "**بكل صورة**"؛ أي: بعدد كل صورة "**صورها**"، في الدنيا "**نفس، فتعذبه**"؛ أي: تلك النفس ذلك المصور "**في جهنم**". [شرح المصابيح، ٥/٨٣-٨٤]

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "**كل مصور**" أي فاعل صورة "**في النار يجعل**" بصيغة المفعول، وفي نسخة ببناء الفاعل على ما ضبطه النووي في شرح مسلم أي يجعل الله "**له بكل صورة صورها نفسا**" ونصبه على صيغة الفاعل ظاهر، وأما على صيغة المفعول ففي بعض نسخ المصابيح،

وهو المطابق لرواية الجامع الصغير نفس بالرفع وهو ظاهر أيضا، وأما أكثرها بصيغة المفعول ونصب نفسا، وهو المطابق لما في جامع الأصول، وأكثر نسخ المصابيح فهو مشكل، لكن توجيهه أنه أسند إلى الجار والمجرور. "**فتعذبه**" بصيغة التأنيث أي تعذبه تلك النفس، وأسند الفعل إليها مجازا ؛ لأنها السبب والباعث على تعذيبه، وفي بعض النسخ بالياء أي فيعذبه الله، وفي نسخة فيعذب به على صيغة المجهول أي بسبب تصوير تلك النفس "**في جهنم**". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٣/٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولهما عنه مرفوعا: "**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**" .

قوله: "**ولهما**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ١٦٩/٧ رقم (٥٩٦٣)، ومسلم رحمه الله تعالى ١٦٧١/٣ رقم (٢١١٠/١٠٠).

قوله: "**عنه**"، أي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: وكلف يحتمل أن يكون عطفا تفسيريا لقوله: عذب وأن يكون نوعا آخر. قوله: أن ينفخ فيها أي: أن ينفخ الروح في تلك الصورة. قوله: وليس بنافخ أي: ليس بقادر على النفخ". [عمدة القاري، ١٦٧/٢٤]

وقال رحمه الله أيضا: " وفيه: ما قاله القرطبي: يستفاد من قوله: (وليس بنافخ) جواز التكليف بما لا يقدر عليه، قال: ولكن ليس مقصود الحديث التكليف، وإنما المقصود منه تعذيب المكلف وإظهار عجزه عما تعاطاه مبالغة في توبيخه وإظهار قبح فعله". [المصدر السابق، ٤٠/١٢]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: " (ومن صور صورة) : أي ذات روح أو مطلقا (عذب وكلف) : أي في ذات الروح تغليظا (أن ينفخ) : أي الروح كما في رواية (فيها) : أي في تلك الصورة (وليس بنافخ)". [مرقاة المفاتيح، ٢٨٥٤/٧]

وقال رحمه الله أيضا: "أي فيلزم أن يكون عذابه سرمدا، وهو محمول على الوعيد الشديد، أو على فرض الاستحلال". [المصدر السابق، ٢٨٥٧/٧]

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله (المتوفى: ١١٧٦هـ):

النهي عن التصاوير في الثياب والمنازل:

ومنها: صناعة التصاوير في الثياب والجدران والأنماط، فنهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، ومدار النهي شيئان:

أحدهما: أنها أحد وجوه الإِرفاه والزينة فإنهم كانوا يتفاخرون بها ويبذلون أموالا خطيرة فيها فكانت كالحرير، وهذا المعنى موجود في صورة الشجر وغيرها.

وثانيهما: أن المخامرة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح باب عبادة الأصنام وينوه أمرها ويذكرها لأهلها، وما نشأت عبادة الأصنام في أكثر الطوائف إلا من هذه، وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان ولذلك أمر بقطع رأس التماثيل لتصير كهيئة الشجر، وخف فساد صناعة صور الأشجار.

قال صلى الله عليه وسلم: "**إن البيت الذي فيه الصورة لا تدخله الملائكة**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه في جهنم**".

وقال صلى الله عليه وسلم: "**من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ**".

أقول: لما كانت التصاوير فيها معنى الأصنام، وقد تحقق في الملأ الأعلى داعية غضب ولعن على الأصنام وعبدتها وجب أن يتنفر منها الملائكة، وإذا حشر الناس يوم القيامة بأعمالهم تمثل عمل المصور بالنفوس التي تصورها في نفسه وأراد محاكاتها في عمله لأنها أقرب ما هنالك وظهر إقدامه على المحاكاة، وسعيه أن يبلغ فيها غاية المدى في صورة التكليف بأن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ". [حجة الله البالغة، ط. إحياء العلوم (٢/ ٥١٩-٥٢٠)]

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله (المتوفى: ٣٢١ هـ): "فلما أبيحت التماثيل بعد قطع رءوسها الذي لو قطع من ذي الروح ، لم يبق ، دل ذلك على إباحة تصوير ما لا روح له ، وعلى خروج ما لا روح لمثله من الصور ، مما قد نهي عنه في الآثار". [شرح معاني الآثار ٤/٢٨٧]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن أبي الهياج قال: "**قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: " قوله: "**ألا أبعثك**"، أي: ألا أرسلك على أمر قد بعثني رسول الله عليه السلام إليه. "**لا تدع**"؛ أي: لا تترك "**تمثالا**"؛ أي: صورة وشكلا يشبه شكل الحيوان، (**التمثال**): ما يجعل على مثال شيء يشبهه، "**إلا طمسته**"؛ أي: إلا محوته، فإن جعل صورة الحيوان محرم إلا على الفراش. "**ولا قبرا مشرفا**"؛ أي: قبرا مرتفعا، "**إلا سويته**": أي: أزلت ارتفاعه، وليس معنى التسوية هنا جعل القبر مستويا على وجه الأرض بحيث لا يعلم أنه قبر، بل هذا لا يجوز في قبور المسلمين، بل السنة: أن تجعل قبور المسلمين مرتفعة من الأرض بقدر شبر: إما مسطحا، وإما مسنما، ولا ترفع أكثر من شبر". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/٤٤٦-٤٤٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "(وعن أبي الهياج) بتشديد التحتية. (الأسدي) بفتح السين ويسكن. (قال: قال لي علي: ألا أبعثك) بتشديد اللام للتخصيص وقيل بفتحها للتنبيه. (على ما بعثني عليه) أي: أرسلني إلى تغييره، ولذا عدي بـ"على". قال التوربشتي: أي: ألا أرسلك للأمر الذي أرسلني له. (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وإنما ذكر تعديته بحرف على لما في البعث من معنى الاستعلاء والتأمير، أي: هلا أجعلك أميرا على ذلك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن لا تدع) أن مصدرية، ولا نافية، خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أن لا تدع وقيل أن تفسيرية ولا ناهية أي: لا تترك. (تمثالا) أي: صورة. (إلا طمسته) أي: محوته وأبطلته، والاستثناء من أعم الأحوال، في الأزهار قال العلماء: التصوير حرام، والمحو واجب، حيث لا يجوز الجلوس في مشاهدته. (ولا قبرا مشرفا) هو

الذي بني عليه حتى ارتفع دون الذي أعلم عليه بالرمل والحصباء، أو محسومة بالحجارة ليعرف ولا يوطأ. (إلا سويته) في الأزهار قال العلماء: يستحب أن يرفع القبر قدر شبر، ويكره فوق ذلك، ويستحب الهدم، ففي قدره خلاف، قيل إلى الأرض تغليظا، وهذا أقرب إلى اللفظ، أي: لفظ الحديث من التسوية، وقال ابن الهمام: هذا الحديث محمول على ما كانوا يفعلونه من تعلية القبور بالبناء العالي، وليس مرادنا ذلك بتسنيم القبر بل بقدر ما يبدو من الأرض، ويتميز عنها، والله سبحانه أعلم". [مرقاة المفاتيح، ١٢١٦/٣]

دل كل هذه الأحاديث على تحريم تصوير ذوات الأرواح.

الباب الحادي والستون

ما جاء في كثرة الحلف

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**". أخرجاه.

وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل (الله) بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**" رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**".

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" .

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى" باب ما جاء في كثرة الحلف".

معنى الحلف في اللغة:

الحلف هو اليمين، كما تقول: حلف يحلف حلفا، وأصلها العقد بالعزم والنية. [الكاشف عن حقائق السنن للطيبي، ٢٤٣٩/٨]

وفي الشرع: "تقوية أحد طرفي الخبر بالمقسم به". [عمدة القاري للعيني الحنفي، ١٦٣/٢٣]

قال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ): "تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله". [روح البيان، ١٧١/٦]

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحلف بقوله: "**إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق**". [صحيح مسلم، ٥٦/٥ رقم (٤٢١٠)]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وقول الله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] ".

قال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] فبروا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا". [تفسير النسفي، ٤٧٢/١]

وقال أبو سعود رحمه الله تعالى (المتوفى: ٩٨٢ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] بأن تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى إذا حلفتم وقيل بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم وقيل: احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها". [تفسير أبي سعود، ٧٥/٣]

وقال إسماعيل حقي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١١٢٧ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر وبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير فان عجز عن البر أو رأى غير المحلوف عليه خيرا منه فله حينئذ أن يحنث ويكفر كما قال الفقهاء من اليمين المنعقدة ما يجب فيه البر كفعل الفرائض وترك المعاصي لان ذلك فرض عليه فيتأكد باليمين. ومنها ما يجب فيه الحنث كفعل المعاصي وترك الواجبات وفى الحديث (من حلف أن يطيع الله فليطعه ومن حلف أن يعصيه فلا يعصه) . ومنها ما يفضل فيه الحنث كهجران المسلم ونحوه وما عدا هذه الأقسام الثلاثة من الأيمان التي يستوي فيها الحنث والبر يفضل فيه البر

حفظا لليمين ولا فرق فى وجوب الكفارة بين العامد والناسي والمكره في الحلف والحنث لقوله عليه السلام (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق واليمين)". [روح البيان، ٢/٤٣٤]

وقال محمد ثناء الله المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٢٥ هـ) في تفسير قوله تعالى: "﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] قيل أراد به ترك الحلف أي لا تحلفوا لكل أمر والصحيح أن المراد منه حفظ اليمين عن الحنث وإيفاء ما أوجب على نفسه القيام بمقتضاه ويؤيده قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة: ١] والحكم في الباب أن المحلوف عليه أن كان طاعة لزمه الوفاء بها وهل له أن يعدل عن الوفاء إلى الكفارة مع القدرة على الوفاء قال أبو حنيفة واحمد ليس له ذلك عملا بهذه النص وقال الشافعي الأولى أن لا يعدل فان عدل جاز ولزمه الكفارة وعن مالك روايتان كالمذهبين وكذا أن حلف على أمر مباح ليس تركه خيرا من فعله وان كان المحلوف عليه معصية يجب عليه أن يحنث ويكفر لأن إثم المعصية لازم وإثم الحنث مكفر بالكفارة وان حلف على ترك أمر مستحب فالأولى أن يحنث ويكفر قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] يعنى حاجزا مانعا من الحسنات، وقال عليه السلام "**كفر عن يمينك وائت بالذي هو خير**". عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: "إني احلف لا أعطى أقواما ثم يبدو لي أن أعطيهم فاطعم عشرة مساكين صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو نصف صاع من قيح". وعن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا حلف لم يحنث حتى نزلت آية الكفارة وكان بعد ذلك يقول: "لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وقبلت رخصة الله"، رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والبخاري وابن مردوية". [تفسير المظهري، ١/١١٣٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**". أخرجاه.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): " قوله: "منفقة" بفتح الميم؛ أي: جاعل المتاع رابحا. "للسلعة": المتاع. قوله: "ممحقة" بفتح الميم؛ أي: مزيلة مذهبة للبركة". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣/٤٠٤]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "الحلف منفقة للسلعة": – بفتح الميم –؛ أي: مظنة وسبب لنفاقها وموضع له. "ممحقة للبركة"؛ أي: مظنة لمحق البركة وذهابها وموضع له". [شرح المصابيح، ٣/٣٩٧]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "**الحلف**" : أي إكثاره أو الكاذب منه "**منفقة**": بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه، وكذا ممحقة. ذكره ميرك، "**للسلعة**": بالكسر أي مظنة وسبب لنفاقها أي: رواجها في ظن الحالف "**ممحقة للبركة**": أي: سبب لذهاب بركة المكسوب إما بتلف يلحقه في ماله، أو بإنفاذه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل، أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه، أو ورثه من لا يحمده، وروي بضم الميم وكسر ثالثه". [مرقاة المفاتيح، ٥/١٩٠٩]

قوله: "**أخرجاه**"، أي رواه البخاري رحمه الله تعالى ٣/٦٠ رقم (٢٠٨٧)، ومسلم رحمه الله تعالى ٣/١٢٢٨ رقم (١٦٠٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وعن سلمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل** (الله) **بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**" رواه الطبراني بسند صحيح.

(**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة**) استهانة بهم وغضبا عليهم بما انتهكوا من محرماته وخالفوا من أوامره (**ولا يزكيهم**) لكونهم لم يزكوا أحكامه (**ولهم عذاب أليم**) يعرفون به ما جهلوا من عظمته واجترحوا من حرمته (**أشيمط زان**) في النهاية الشمط الشيب (**وعائل مستكبر**) أي فقير ذو عيال لا

يقدر على تحصيل مؤونتهم ولا يطلب من بيت المال أو من الناس المتكبر فهو آثم لإيصال الضرر إلى عياله (**ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**) فيه أن المن صفة ذم في حق العبد إذ لا يكون غالبا إلا عن بخل وكبر وعجب ونسيان منن الله عليه. (تنبيه) قال القونوي : سر ما تقرر في الحديث أن الزنا في الشباب له فيه نوع عذر فإن الطبيعة تنازعه وتتقضاه وأما الشيخ فشهوته ضعفت وقوته انحطت فإذا كان زانيا فليس ذلك إلا لكونه مفسدا بالطبع فهو مجبول على الفساد فلذلك وصف ذاتي له فيستلزم النتائج الرديئة وأما العائل المستكبر فالعائل الفقير والمستكبر الذي يتعاني الكبر وهذا ينقسم أعني التكبر إلى قسمين ذاتي وصفاتي فالتكبر الصفاتي محصور في موجبين المال والجاه فالتكبر من الناس وإن كان قبيحا شرعا وعقلا لكن لأصحاب الجاه والمال فيه صورة عذر وأما عادمهما إذا تكبر فلا عذر له بوجه فالتكبر إذن صفة ذاتية له فلا جرم ينتج نتيجة رديئة ويأتي نحو ذلك التوجيه في الخلاف". [فيض القدير، ٣/٤٣٦-٤٣٧]

قوله: "**رواه الطبراني بسند صحيح**"، أي رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦/٥٧ رقم (٥٩٨٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**".

قال العيني الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٥ هـ): " قوله: (**قرني**) أي: أهل قرني الذين أنا فيهم، وهم الصحابة. قوله: (**ثم الذين يلونهم**) أي: ثم قرن الذين يلون قرني وهم التابعون. قوله: (**ثم الذين يلونهم**) وهم أتباع التابعين. قوله: (**ينذرون**) بكسر الذال وضمها. قوله: (**ولا يفون**) وفي رواية الكشميهني: ولا يوفون، وأصله. يوفيون، لأنه من أوفى إيفاء استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فاجتمع ساكنان وهم الياء والواو فحذفت الياء فصار: يوفون، على وزن يفعون ولم تحذف الواو لأنها علامة الجمع، وكذا الكلام في: لا يفون. قوله: (**ويخونون**) أي خيانة ظاهرة حتى لا يؤتمنون

أي: لا يعتقدونهم أمناء. قوله: (**ويشهدون**) أي: يتحملون الشهادة بدون التحميل، أو يؤدونها بدون الطلب، وشهادة الحسبة في التحمل خارجة عنه بدليل آخر. قوله: (**ويظهر فيهم السمن**) بكسر السين وفتح الميم أي: يتكثرون بما ليس فيهم من الشرف، أو يجمعون الأموال أو يغفلون عن أمر الدين، لأن الغالب على السمين أن لا يهتم بالرياضة، والظاهر أنه حقيقة في معناه لكن إذا كان مكتسبا لا خلقيا، ويقال معنى: (**ويظهر فيهم السمن**) أنه كناية عن رغبتهم في الدنيا وإيثارهم شهواتها على الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه من الشهوات التي لا تنفد والنعيم الذي لا يبيد يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القوت والبلغة وتأخير شهواتهم إلى الآخرة. [عمدة القاري، ٢٣/٢٠٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "وفيه عن ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" .

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى: " قوله: "**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**"؛ يعني: يشهد من غير أن يستشهد، ثم يحلف بأن يقول: والله إني لصادق فيما شهدت به.

وقوله: "**ويمينه شهادته**"؛ أي: يحلف بأن يقول: إني لصادق فيما أشهد به، ثم يشهد، ويحتمل أن يكون هذا مثل هذا في سرعة الشهادة واليمين، وحرص الرجل عليهما؛ يعني: يحرص عليهما، وشرع فيهما حتى لا يدري أنه بأيهما يبتدئ، فكأنه يسبق شهادته يمينه، ويمينه شهادته من قلة مبالاته بالدين.

وإنما تكون الشهادة مذمومة قبل أن يستشهد إذا علم صاحب الحق أن له في ذلك الحق شاهدا، فإذا كان كذلك لا يجوز للشاهد أن يشهد حتى يطلب صاحب الحق منه الشهادة، وكذلك لا يجوز اليمين إذا وجبت عليه يمين قبل أن يستحلفه صاحب الحق، فلو حلف قبل أن يستحلفه ولم يعتد

بحلفه، بل يلزمه إعادة الحلف إذا استحلفه صاحب الحق". [المفاتيح في شرح المصابيح، ٣٢٤/٤-٣٢٥]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى: "**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" وذلك عبارة عن تكثير شهادة الزور واليمين الفاجرة.

وقيل: أن يكون متهما في شهادته لاشتهاره بالزور، فيروج شهادته تارة باليمين قبلها بأن يقول: والله إني لصادق، ثم يشهد، أو بالعكس، وهذا مثل في سرعة الشهادة واليمين والحرص عليهما حتى لا يدري بأيهما يبتدئ من قلة مبالاته بالدين". [شرح المصابيح، ٢٩٠/٤]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى: "(**ثم يجيء قوم**) وفي رواية: أقوام (**تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه**): بالرفع ؛ أي: وتسبق يمينه (**شهادته**): قيل: ذلك عبارة عن كثرة شهادة الزور واليمين فتارة يحلفون قبل أن يأتوا بالشهادة، وتارة يعكسون. وقال المظهر: هذا يحتمل أن يكون مثلا في سرعة الشهادة واليمين، وحرص الرجل عليهما، والإسراع فيهما، حتى لا يدري أنه بأيهما يبتدئ، وكأنه تسبق شهادته يمينه ويمينه شهادته من قلة مبالاته بالدين. قال النووي: واحتج به المالكية في رد شهادة من حلف معها، والجمهور على أنها لا ترد". [مرقاة المفاتيح، ٢٤٤٤/٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

قوله: (**يضربونا**) وروى يضربوننا، أي: على الجمع بين اليمين والشهادة، والمراد من العهد هنا اليمين. [عمدة القاري ١٧١/١٦]

قوله: (**يضربوننا**) أي ضرب التأديب أي يضربون رجالنا على الحرص على الشهادة واليمين يعني يأمروننا بالانكفاف عنهما والاحتياط فيهما وعدم الاستعجال بهما قال المهلب (**على الشهادة**) أي على قول الرجل أشهد بالله ما كان كذا على معنى الحلف، فكره ذلك كما كره الحلف وإن كان صادقا فيها، أي قال إبراهيم النخعي: كانوا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد، ... وقال بعضهم

معناه يضربوننا على الجمع بين اليمين والشهادة. [الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ١٤/٢٠٠]

قال أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الحنفي (المتوفى ٨٩٣ هـ): "(قال إبراهيم) هو النخعي (**كان أصحابنا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد**) أي: بهذين اللفظين فإنهن من ألفاظ اليمين. قال ابن الأثير: العهد قد يكون بمعنى اليمين. [الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ١٠/٢٦٥]

وقال صاحب التيسير رحمه الله تعالى: "وذلك لكثرة علم التابعين وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم". [تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٦٤٨]

الباب الثاني والستون

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال –، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ١، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا" رواه مسلم.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه". الذمة: هي العهد والميثاق، والمصنف لما ذكر تعظيم اليمين بالله واحترامها وعدم ابتذالها تعظيما لله، ناسب أن يذكر بعده

الوفاء بالعهود، فإن فيها تعظيما لله جل وعلا، كما أن نقض العهود فيه عدم تعظيم له، وذلك قادح في التوحيد. [خلاصة التفريد للعبري حفظه الله، ص: ١٤٩]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ يقول: إذا حلفتم بالله فأتموا له بالفعل. ويقال: أوفوا بعهد الله أي: العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهود التي بينكم وبين الناس. ثم قال: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي: لا تنكثوا العهود بعد تغليظها، وتشديدها، ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ أي: شهيدا على إتمام العهود والوفاء بها. ويقال: حفيظا على ما قال الفريقان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ في وفاء العهد والنقض". [بحر العلوم، ٢/٢٨٨-٢٨٩]

وقال النسفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧١٠ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ أيمان البيعة ﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا

﴿ تَفۡعَلُونَ ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به". [تفسير النسفي المسمى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" (٢/ ٢٣٠)] دلت الآية على وجوب الوفاء بالعهد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال: **اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله...**" الخ.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ): "(**إذا أمر**) بتشديد الميم؛ أي: جعل أحدا (**أميرا على جيش، أو سرية أوصاه**) أي: ذلك الأمير (**في خاصته**) أي: في حق نفسه خصوصا وهو متعلق بقوله: (**بتقوى الله**) وهو متعلق بأوصاه،

وقوله: (**ومن معه**) معطوف على خاصته ؛ أي: وفيمن معه (**من المسلمين**)،

وقوله: (**خيرا**) نصب على انتزاع الخافض ؛ أي: بخير. قال الطيبي: ومن محل الجر، وهو من باب العطف على عاملين مختلفين، كأنه قيل: أوصى بتقوى الله في خاصة نفسه، وأوصى بخير فيمن معه من المسلمين، وفي اختصاص التقوى بخاصة نفسه، والخير بمن معه من المسلمين إشارة إلى أن عليه أن يشدد على نفسه فيما يأتي ويذر، وأن يسهل على من معه من المسلمين ويرفق بهم، كما ورد: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» . (**ثم قال: اغزوا بسم الله**) أي: مستعينين بذكره (**في سبيل الله**) أي: لأجل مرضاته وإعلاء دينه (**قاتلوا من كفر بالله**) جملة موضحة لاغزوا...

(**ولا تقتلوا وليدا**) أي: طفلا صغيرا. قال ابن الهمام: والصبي والمجنون يقتلان في حال قتالهما، وكذا الصبي الملك والمعتوه الملك ؛ لأن في قتل الملك كسر شوكتهم". [مرقاة المفاتيح، ٢٥٢٨/٦]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): قوله: "**أوصاه في خاصته بتقوى الله**"؛ يعني: أوصاه في أمر نفسه، وفي أمر من معه من الجيش، فأما وصيته إياه في أمر نفسه أن يقول له: اتق الله، ووصيته إياه في أمر الجيش أن يأمره بحفظ مصالحهم، وأمره إياهم بما فيه الخير.

قوله: "**ولا تغلوا**"؛ أي: ولا تسرقوا شيئا من الغنيمة.

"**ولا تغدروا**"؛ أي: ولا تحاربوا الكفار قبل أن تدعوهم إلى الإسلام.

"**ولا تمثلوا**"؛ أي: ولا تجعلوا المثلة، وهي قطع الأعضاء؛ يعني: من قتلتموه فاتركوه ولا تقطعوا أعضاءه.

"**ولا تقتلوا وليدا**"؛ أي: ولا تقتلوا الأطفال بل اسبوهم، وكذلك النساء.

"**وإذا لقيت**" هذا خطاب مع أمير الجيش.

قوله: "**إلى ثلاث خصال، أو خلال**": هذا شك من الراوي في أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: (ثلاث خصال)، أو (ثلاث خلال)، و (الخصال): جمع الخصلة، و (الخلال): جمع خلة – بفتح الخاء – وهي الخصلة.

"**فأيتهن ما أجابوك**"، (ما) هنا زائدة.

"**وكف عنهم**"؛ يعني: فإذا فعلوا شيئا من هذه الخصال اتركهم ولا تقتلهم.

"**ادعهم إلى الإسلام**" هذا هو الخصلة الأولى،

"**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**"؛ يعني: فلما أسلموا فمرهم بالانتقال من دار الكفار إلى دار المسلمين.

"**فلهم ما للمهاجرين**"؛ أي: فإن انتقلوا من دارهم إلى دار المسلمين فأخبرهم أن حكمهم حكم المهاجرين من حصول الثواب واستحقاق الفيء، وذلك الاستحقاق كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم كان ينفق على المهاجرين مما أتاه الله من الفيء، ولم يعط من الفيء شيئا لأعراب المسلمين.

"**وعليهم ما على المهاجرين**"؛ يعني: يجب عليهم الخروج إلى الجهاد إذا أمرهم الإمام، سواء كان بإزاء العدو من به الكفاية أو لم يكن، بخلاف غير المهاجرين فإنه لم يجب عليهم الخروج إلى الجهاد إذا كان بإزاء العدو من به الكفاية، هكذا قال الخطابي.

"**منها**"؛ أي: من دار الكفار.

"**فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين**"، (الأعراب): أهل البادية؛ يعني: فإن لم ينتقلوا إلى دار المسلمين فلن يكون حكمهم حكم المهاجرين، بل حكمهم حكم المسلمين الذين لازموا أوطانهم في البادية لا في دار الكفار.

"**يجري عليهم حكم الله**" من وجوب الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الأحكام، ويجري عليهم القصاص أو الدية والكفارة إذا قتلوا أحدا، وليس لهم من الفيء والغنيمة شيء وإذا لم يجاهدوا، بخلاف المهاجرين، فإن رسول الله ينفق عليهم من الفيء وإن لم يجاهدوا.

"**فإن هم أبوا**"؛ يعني: فإن لم يقبلوا الإسلام.

"**فسلهم الجزية**" اعلم أن الجزية عند الشافعي لا تؤخذ إلا من المجوس وأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى عربا كانوا أو عجما.

وقال مالك: تؤخذ من جميع الكفار إلا من المرتد ومشركي قريش.

وقال أبو حنيفة: تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس ومن الوثني إذا كان من العجم.

وعن أحمد روايتان: رواية كأبي حنيفة، ورواية كالشافعي.

اعلم أن الخصال الثلاثة غير متضحة تحتاج إلى تبيينها:

فإحدى الخصال: الإسلام والتحول إلى دار المسلمين.

وثانيها: الإسلام وترك التحول.

وثالثها: الجزية.

"فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله".

"**الذمة**": العهد؛ يعني: فإن قال أهل القلعة من الكفار لأمير جيش المسلمين: اجعل لنا ذمة الله وذمة رسول الله، فلا تقل؛ أيها الأمير: جعلت لكم ذمة الله وذمة رسوله، بل قل: جعلت لكم ذمتي، أو ذمتي وذمة أصحابي، فإنهم لو نزلوا ثم نقضوا عهدكم أهون من أن ينقضوا عهد الله وعهد رسوله.

"وإن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ ".

يعني إن اشترط أهل القلعة معك وقالوا: إنا ننزل من القلعة بما تحكم علينا باجتهادك، فاقبل منهم هذا الشرط؛ لأنك تقدر على اجتهادك فيهم: من قتلهم، أو ضرب الجزية عليهم، أو استرقاقهم، أو المن، أو الفداء، فأي شيء رأيت فيه المصلحة لجيشك من هذه الأشياء فاحكم به، وإن قالوا: ننزل بما يحكم الله علينا – أي: بما يوحي على نبيه فينا – فلا تقبل هذا الشرط منهم؛ لأنك

لا تدري أن الله ينزل الوحي على نبيه فيهم أو لم ينزل.

ومع أن زمان النبي زمان الوحي لا يجوز للإمام أن يشترط نزول أهل قلعة بحكم الله، فكيف يجوز بعد النبي لإمام أو لأمير جيش أن يشترط نزول أهل قلعة بحكم الله على واحد من الأشياء المذكورة على التعيين؛ لأن أحدا لا يعرف مراد الله تعالى، بل يشترط الإمام مع أهل القلعة النزول بما يقتضي إليه اجتهاده من الأشياء المذكورة. [المفاتيح في شرح المصابيح (٣٩٣/٤- ٣٩٧)]

فوائد الحديث:

١. مشروعية بعث الأمراء وتوجيههم إلى فعل الحق.

٢. تحريم الغلول والغدر والتمثيل وقتل الولدان.

٣. وجوب دعوة المشركين إلى الإسلام قبل قتالهم إذا لم تبلغهم الدعوة، واستحباب ذلك إن كانت الدعوة قد بلغتهم.

٤. يدعو أمير الجهاد الكفار إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية فإن أبوا فالقتال، وذلك عام في الكفار من المشركين وغيرهم.

٥. استحباب الهجرة ودعوة المسلمين إليها.

٦. أن الغنيمة والفيء خاصة بالمهاجرين، وليس للأعراب منها شيء إلا إذا جاهدوا.

٧. لا يجوز إعطاء ذمة الله أو ذمة نبيه أحدا.

٨. تحريم نقض العهد.

٩. ليس كل مجتهد مصيبا، وإنما المصيب واحد، وهو الموافق لحكم الله في نفس الأمر.

مناسبة الحديث للباب:

حيث دل الحديث على وجوب حفظ ذمة الله وذمة نبيه عن النقض.

مناسبة الحديث للتوحيد:

حيث دل الحديث على وجوب حفظ ذمة الله وذمة رسوله عن النقض؛ لأن نقض ذمة الله استخفاف به وذلك مناف للتوحيد. [الجديد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٦٤-٤٦٥]

الباب الثالث والستون

ما جاء في الإقسام على الله

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**" ، رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في الإقسام على الله".

الإقسام على الله: هو الحلف على الله أن يفعل كذا، كأن يقول: أقسمت عليك يا رب أن تفعل لي كذا، ونحو ذلك، والمصنف ذكر في الباب ما جاء من الأدلة على تحريم الحلف على الله، لأن من تألى وحلف على الله، فقد أساء الأدب معه سبحانه وتجرأ عليه.

الإقسام على الله تعالى لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: يكون جائزا، إذا كان الإقسام على الله هو على جهة حسن الظن به، وباعثه الطمع في رحمة الله وقوة الرجاء به، وصادر من عبد من أولياء الله، وفي أمر طاعة ومصلحة لا في معصية فيجوز، وقد يجيب الله قسمه لكرامته عليه، وسابقة طاعاته، وخبيئة من صالحاته.

ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك: "**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**"، وحديث حارثة بن وهب رضي الله عنه مرفوعا: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره**"...

الحالة الثانية: يكون ممنوعا، إذا صدر:

١-على وجه التحجير على الله في فضله، كمن يقول: والله لا يغفر الله لفلان، أو والله لا يرزق فلانا.

٢-أو يقع من غير أهله-وهم أهل الصلاح-.

٣-أو يقع ودافعه العجب بالنفس، والكبر، ونحو ذلك.

قال السعدي رحمه الله: "أما الإقسام على الله، فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله".

الحالة الثالثة: الإقسام على الله بحق شخص من الناس، كمن يقول: أقسمت عليك يا رب بحق الولي فلان ونحو ذلك، فهذا منهي عنه باتفاق العلماء". [بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٨٢-٤٨٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**" ، رواه مسلم.

قوله: "**جندب بن عبد الله رضي الله عنه**"، هو جندب [بضم أوله والدال تفتح وتضم] ابن عبد الله ابن سفيان البجلي ثم العلقي بفتحتين ثم قاف أبو عبد الله وربما نسب إلى جده له صحبة ومات بعد الستين. [تقريب التهذيب للعسقلاني، ١٤٢/١]

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ): "قوله: "**من ذا الذي**"؛ أي: من الذي "**يتألى**"؛ أي: يحلف.

قوله: "**وأحبطت عملك**"؛ أي: أبطلت قسمك؛ أي: جعلت حلفك كاذبا أيها الحالف على أني لا أغفر عبدي فلانا.

وهذا الحديث يحكم بأنه لا يجوز الحكم بأن الله تعالى لا يغفر لفلان أو يعذب فلانا، وكذلك لا يجوز أن يقال: يغفر الله لفلان جرما؛ لأن أحدا لا يعلم مشيئة الله وإرادته في عباده، بل نرجو للمطيع ونخاف على العاصي، وإنما نجزم القول في حق من جاء فيه نص عن رسول الله عليه السلام". [المفاتيح في شرح المصابيح، ١٨٢/٣]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٥٤ هـ): "**وإن الله قال: من ذا الذي يتألى علي**"؛ أي: يحلف باسمي. "**أني لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**"؛

أي: أبطلت قسمك وجعلته كذبا أيها الحالف، أني لا أغفر لعبدي فلان، قد غفرت له على خلاف زعمك وأدخلته الجنة على رغمك". [شرح المصابيح، ١٤١/٣]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"(وعن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث) أي: حكى لأصحابه (**أن رجلا**): يحتمل أنه من هذه الأمة أو من غيرهم (**قال: والله لا يغفر الله لفلان**): قاله استكثارا، أو استكبارا لذنبه، أو تعظيما لنفسه حين جنى عليه، كما يصدر عن بعض جهلة الصوفية (**وأن الله تعالى**) : بفتح الهمزة، أي: وحدث أن الله تعالى وبكسرها. أي: والحال أن الله تعالى (**قال: من ذا الذي يتألى علي**): بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة أي: يتحكم علي ويحلف باسمي (**أني لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان**) أي: رغما لأنفك (**وأحبطت عملك**)، قال المظهر: أي: أبطلت قسمك وجعلت حلفك كاذبا، لما ورد في حديث آخر: " «من يتأل على الله يكذبه» " فلا متمسك للمعتزلة أن ذا الكبيرة مع عدم الاستحلال يخلد في النار، كالكفر يحبط عمله.

قال الطيبي: هذا استفهام إنكار، والظاهر أن يقال: أنت الذي يتألى علي، ويدل عليه قوله: وأحبطت عملك، وإنما عدل عن الخطاب أولا شكاية لصنيعه إلى غيره، وإعراضا عنه على عكس الحديث السابق، ولا يجوز لأحد الجزم بالجنة أو النار إلا لمن ورد فيه نص، كالعشرة المبشرة بالجنة، فإن قلنا: إن قوله هذا كفر فأحبطت عملك، ظاهر. وإن قلنا: إنه معصية فكذا على مذهب المعتزلة، وأما على مذهب أهل السنة، فيكون محمولا على التغليظ. اهـ.

وفيه أنه يبعد كونه كفرا، وعلى التنزل فقوله ظاهر أي: على مذهبنا، لأن في مذهب الشافعي يشترط للإحباط موته على الكفر، لا يعرف في مذهبه المعتزلي أن كل معصية تحبط جميع الأعمال، ثم حمله على ما ذكرناه أولى من حمله على التغليظ، مع أنه لا ينافيه، والله تعالى أعلم. [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦١٨-١٦١٩)]

قوله: "**رواه مسلم**"، أي خرجه مسلم رحمه الله في صحيحه، ٢٠٢٣/٤ رقم (٢٦٢١).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

قال أبو هريرة: "**تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**"، يعني: هذه الكلمة -أوبقت-يعني: أهلكت- "**دنياه وآخرته**" لأنها خطيرة، حيث قال: "**والله لا يغفر الله لفلان**"، فقال الله: "**قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**" مما اجترأت على الله، هذا وعيد عظيم يفيد الحذر من الجرأة على الله، وأن الإنسان قد يتكلم بكلمة تهلكه، كما في الحديث. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**"، رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وفي اللفظ الآخر: "**يزل بها في النار سبعين خريفا**".

وفي اللفظ الآخر: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يتبين فيها-يعني: ما يتثبت فيها-يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**".

فالواجب على المؤمن وعلى طالب العلم وعلى الغيور لله: أن يتثبت، وأن يحفظ لسانه، وأن لا يتكلم إلا عن بصيرة، وأن لا يعمل إلا عن بصيرة. [شرح كتاب التوحيد لسماحة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله تعالى، ص: ٤٧٦-٤٧٧].

الباب الرابع والستون

لا يستشفع بالله على خلقه

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **سبحان الله ! سبحان الله !** فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: **ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد**" ، وذكر الحديث، رواه أبو داود.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب لا يستشفع بالله على خلقه".

(استشفع) طلب الناصر والشفيع ويقال استشفع فلانا وبه واستشفع إلى فلان واستشفع في الأمر وعليه. [المعجم الوسيط، ٤٨٧/١]

والاستشفاع مأخوذ من الشفاعة وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله..."، الخ.

قوله: "**عن جبير بن مطعم رضي الله عنه**"، هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة في السنة ٥٩ هـ. وعده الجاحظ من كبار النسابين. وفي الإصابة: كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة. له ٦٠ حديثا. [الأعلام، ١١٢/٢]

قوله: "**أعرابي**"، نسبة إلى الأعراب وهم الذين يسكنون البادية.

قوله: "**نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال**"، وفي رواية أبي داود رحمه الله: "جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام".

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

قوله: "**جهدت الأنفس، وجاع العيال، ونهكت الأموال**"، الحديث.

(**الجهد**): المشقة، وبالضم: الطاقة.

(**الأنفس**): جمع نفس، والنفس: الروح والدم والجسد، والمراد بها ها هنا الجسد.

(**وجاع**): فعل ماض من الجوع، وهو ضد الشبع.

(**العيال**): جمع عائل، من (**عال**) إذا افتقر.

وعيال الرجل: من يتمونه من الزوجة والأولاد والعبيد والإماء.

"**نهكت**" إذا نقصت، يقال: نهكته الحمى إذا جهدته ونقصته من قوته.

"**الأنعام**": جمع نعم، وهو الإبل والبقر والغنم.

"**الاستسقاء**": طلب السقي، و"**الاستشفاع**" طلب الشفاعة.

"**سبحان الله**"، نصب على المصدر، ولا يتغير نصبه لأنه من مصادر لا تنصرف، (سبحان الله) كلمة تقال عند التعجب "الشأن": الأمر والحال، "ويحك"؛ يعني: أتى أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكيا عن قلة المطر والجدب.

فقال: يا رسول الله! أخذت النفوس في الفتك والشدة، والعيال في الجوع والعبرة، وهلكت المواشي والضروع، ونقصت الثمار والزروع، فاطلب من الله سبحانه أن يسقينا بلطفه بغيث مدرار ومغيث، ونحن نطلب الشفاعة بوجودك على الله سبحانه، ونطلب الشفاعة أيضا بالله سبحانه عليك؛ يعني: نجعلك شفيعا على الله سبحانه؛ ليجيب دعاءنا، ونجعله تعالى شفيعا عليك؛ ليحصل مقصودنا، بأن تستسقي لنا من الله سبحانه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم.

"**سبحان الله**"، متعجبا عن قوله: (**إنا نستشفع بالله عليك**).

"**فما زال**"؛ أي: فما دام "يسبح"؛ أي: يكرر التسبيح "**حتى عرف ذلك**"؛ أي: التغير "في وجوه أصحابه" صلى الله عليه وسلم؛ أي: ساءهم تكرير التسبيح منه صلى الله عليه وسلم، وتوهموا أنه

غضب من هذا السؤال، فخافوا من غضبه، وتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الحزن رق لهم، وقطع التسبيح، وبين عظمة الرب حتى نزه أن يجعل أحدا من الخلق وسيلة إليه، فإنه أعظم من ذلك.

ثم قال: "**ويحك! شأن الله أعلى وأجل أن يستشفع على أحد**"، ثم قال: "أتدري"؛ أي: أتعلم وتعرف "ما الله؟ "؛ أي: ما عظمة الله سبحانه؟ وطفق يقرر عظمة الله سبحانه وتعالى". [المفاتيح في شرح المصابيح (٦/ ٧٨-٨٠)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله تعالى (٨٥٤ هـ): "عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: "**جهدت الأنفس**"؛ أي: حملت فوق طاقتها.

"**وجاع العيال**"، عيال الرجل: من يمونه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك.

"**ونهكت الأموال**"؛ أي: نقصت.

"**وهلكت الأنعام**": جمع النعم بفتح النون والعين، وهي الإبل والبقر والغنم.

"**فاستسق الله**"؛ أي: اطلب السقي "**لنا، فإنا نستشفع بك**"؛ أي: نطلب الشفاعة بوجودك "**على الله، ونستشفع بالله عليك**"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**سبحان الله، سبحان الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك**"؛ أي: التغير.

"**في وجوه أصحابه**"؛ يعني: ساءهم تكرير التسبيح منه صلى الله عليه وسلم، وتوهموا أنه عليه السلام غضب من هذا السؤال، فخافوا من غضبه، فتغيرت وجوههم؛ خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الخوف، رق لهم صلى الله عليه وسلم وقطع التسبيح.

"**ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد؛ شأن الله أعظم من ذلك**"؛ أي: من أن يستشفع به على أحد.

"**ويحك، أتدري ما الله**"؛ أي: ما عظمة الله سبحانه وتعالى. [شرح المصابيح لابن الملك (٦/ ١٧٨-١٧٩)]

وقال الملا علي القاري رحمه الله (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

(**وعن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**) أي: جاءه (**أعرابي**) أي: بدوي (**فقال: جهدت الأنفس**) ، بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة، والمعنى حملت فوق طاقتها (**وجاع العيال**) ، عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك. (**ونهكت**) : بضم النون وكسر الهاء أي نقصت (**الأموال**) ، أي التي تنمو من الأمطار (**وهلكت الأنعام**) ، وهو جمع نعم محركة الإبل والبقر والغنم، كما أخبر الله عنها بقوله: (ثمانية أزواج)، (**فاستسق الله لنا**) ، أي: فاطلب الله للسقي بالمطر من أجل معاشنا الذي هو زاد معادنا (**نستشفع**) أي: نطلب الشفاعة (**بك**) أي: بوجودك وحرمتك وبعظمتك (**على الله، ونستشفع الله**) أي: نستجير ونستغيث به (**عليك**) . في أن تشفع لنا عنده بأن يوفقك على مساعدتنا، لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهنا للتساوي في القدر، أو التشارك في الأمر، والحال أن الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقال: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] أنكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستعظم الأمر لديه، وتعجب من هذه النسبة إليه.

(**فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: سبحان الله**) ، أي تنزيها له عن المشاركة (**سبحان الله**) ، كرره تأكيدا، أو ذكر الثاني تعجبا (**فزال يسبح حتى عرف ذلك**) ، بصيغة المجهول أي حتى تبين أثر ذلك التغير إلى وجوه أصحابه) ، لأنهم فهموا من تكرير تسبيحه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غضب من ذلك، فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى، فلما أثر فيهم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت إليهم (**ثم قال: ويحك**) : بمعنى ويلك إلا أن الأول فيه معنى الشفقة عن المزلة والمزلقة، والثاني دعا عليه بالهلكة والعقوبة، فالمعنى اعلم أيها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه (**إنه**) أي: الشأن (**لا يستشفع**) : بصيغة المجهول (**بالله على أحد شأن الله**) : استئناف تعليل أي لأن شأنه العلي وبرهانه الجلي (**أعظم من ذلك**) ، أي من أن يستشفع به على أحد.

قال الطيبي، يقال: استشفعت بفلان على فلان ليشفع لي إليه فشفعه أجاب شفاعته، ولما قيل: إن الشفاعة هي الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه إلى ذي سلطان عظيم منع صلى الله عليه وسلم

أن يستشفع بالله على أحد، وقوله ذلك إشارة إلى أثر هيبة أو خوف استشعر من قوله سبحان الله تنزيها عما نسب إلى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد وتكراره مرارا. (ويحك) : كرره تأكيدا لزجره وتبيينا لأمره (أتدري ما الله) ؟ أي عظمته التي تدل على عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته". [مرقاة المفاتيح، ٣٦٦٣/٩]

وقال نعمان الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣١٧هـ): "ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن وجلالة القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعا إلى من هو دونه في القدر، وأسفل منه في الدرجة، وتعالى الله أن يكون مشبها لشيء أو مكيفا بصورة خلق، أو مدركا بحد، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير". [جلاء العينين، ص: ٣٩٨]

وقال الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦ هـ):

"كل كلمة تدل على الجهل بالله وإساءة الأدب معه لا يحل السكوت عليها:

أخرج أبو داود عن جبير بن مطعم قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " سبحان الله سبحان الله " فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: " ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله، إن عرشه على سماواته هكذا، وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» .

وقد علمنا من هذا الحديث شدة استنكار النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، وكيف فزع لذلك، واستشعر الخشية وهيبة الله، وجعل يسبح الله، ويكثر من التسبيح والتنزيه، وتغيرت وجوه الناس من الهيبة والدهشة، وأوضح أن من يستشفع به على أحد يكون عادة أحط شأنا من الذي يشفع عنده، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا يستشفع به عند أحد، وقد جرت العادة أن يستشفع عند من يملك الأمر، ببعض خاصته، وأهل

المنزلة عنده، فيحقق الرغبة ويعطى السؤال إرضاء لهذا الشفيع، وتشريفا لقدره، والله هو الذي يملك زمام الأمور، وغيره ضعيف عاجز، مفتقر إلى الله، فكيف يستشفع به على أحد من خلقه، فجميع الأنبياء والأولياء إذا قيسوا بعظمة الله وجبروته، كانوا أقل من ذرة، وإن العرش الذي أحاط بالسماوات والأرضين كالقبة، ليئط به أطيط الرحل بالراكب، فليس في طاقة مخلوق أن يشرح عظمته أو أن يتخيلها، فمن يجرؤ على أن يتدخل في مملكته، وينفذ فيها أمره، إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يحتاج في ذلك إلى وزير أو مشير، يصرف أمورا لا يأتي عليها الإحصاء، ولا يبلغها الاستقصاء، في أقل من طرفة عين، فكيف يشفع عند غيره، ومن الذي يستبد بالأمور دونه؟.

يا للعجب إن محمدا صلى الله عليه وسلم الذي شرفه الله على جميع خلقه لا يكاد يسمع من أعرابي جلف كلمة تدل على جهله بالله، وقصور عقله، أن يملأه الخوف أو المهابة، فيفيض في بيان عظمة الله التي ملأت العالم من العرش إلى الفرش، وما بال أقوام طالت ألسنتهم، وحملهم الطيش والجرأة، فتشدقوا بكلام تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا، وبدأوا يتكلمون عن الله جلت عظمته، كأن بينه وبينهم دالة أو قرابة، فقال بعضهم: إني اشتريت ربي بدانق، ومنهم من يقول: أنا أكبر من ربي بسنتين، ويقول الثالث: إذا تجلى ربي في صورة غير صورة شيخي، لم أرفع إليه بصري، ويقول شاعر: إني أحمل قلبا قد جرح بحب محمد صلى الله عليه وسلم وعطفه، فأنا منافس لله تعالى أغار منه على حبيبي، وقال بعضهم: قل عن الله ما شئت متفننا، واذهب في الجنون مذاهب، ولكن إياك إياك أن تدخل في حمى محمد، وأن تغلب فيه على أمرك، ويقول بعضهم: إن الحقيقة المحمدية أفضل من الحقيقة الإلهية، أعاذنا الله عن أمثال هذه الشطحات، والافتراءات، وقد أحسن شاعر فارسي إذ قال: نسأل الله التوفيق للأدب، فإن قليل الأدب بعيد عن فضل الله.

وقد اعتاد بعض الناس إذا عرضت لهم حاجة، أو ألمت بهم ملمة، أن يقرأوا ورد "يا شيخ عبد القادر جيلاني شيئا لله " .

في عدد مخصوص، ومدة مخصوصة، ودل هذا الحديث على كراهة هذا التعبير وشناعته، فإنه سؤال للشيخ عبد القادر الجيلاني، وتوسل بالله تعالى إليه، والعكس أصح، فيجوز التوسل بدعاء الشيخ إلى الله، لا التوسل بالله إليه.

والحاصل أنه لا يجوز التلفظ بكلمة تشم منها رائحة الشرك، أو إساءة أدب مع الله فإن الله هو المتعالى، الغني، القادر، الملك الجبار، لا يبالي بأحد، إذا شاء بطش على شيء دق وصغر، وإذا شاء عفا عن كبير ولو كان مثل جبل، ولا يصح أن يتكلم الإنسان بلفظ ظاهره إساءة الأدب، وباطنه الإجلال والتعظيم، ويقول المتكلم تكلمت بالكلمة الفلانية وإنما أقصد غيرها، فإن الألغاز والمعميات لها مجالات كثيرة، وهي لا تليق بالله تعالى، ولا نعرف عاقلا يهزأ بملكه أو بأبيه، أو يستعمل معهما الصنائع البديعية، والكنايات الأدبية، التي اخترعها الأدباء، بل يكون كلامه واضحا يصدر عن وعي ويدل على أدب، إن مجال هذه الأساليب الأدبية هي مجالس الإخوان والنوادي الأدبية. [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان" (ص: ١٥٩-١٦٢)]

هل يستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم؟

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز ذلك وتكون شفاعته بطلب الدعاء منه، وأما بعد حياته صلى الله عليه وسلم فلا يجوز.

الباب الخامس والستون

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: "**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**" . رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا فقال: "**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** " . رواه النسائي بسند جيد.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك".

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا..."، الخ.

قال المظهري الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٢٧ هـ):

"قوله: "**قولوا قولكم أو بعض قولكم**"؛ يعني: قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق، ولا يليق بالمخلوق.

"**ولا يستجرينكم الشيطان**"، (الجري) - غير مهموز -: الوكيل؛ يعني: لا يجعلنكم الشيطان ولا يتخذنكم وكلاء نفسه في الإضلال والتكلم بكلمات الكفر والبدع والفسق.

والجريء - مهموز -: الشجاع، فعلى هذا معناه: لا يجعلنكم أصحاب جرأة؛ أي: شجاعة على التكلم بما لا يجوز.

ذكر هنا: "**أن مطرفا قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم**"، هذا سهو، بل الصواب أن يقال: مطرفا قال: إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم . [المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ١٩٨)]

وقال ابن الملك الحنفي رحمه الله (المتوفى: ٨٥٤ هـ):

"وعن مطرف بن عبد الله [بن] الشخير أنه قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا"، سلك القوم فيه على عادتهم في الخطاب مع رؤسائهم، فكرهه صلى الله عليه وسلم لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي صلى الله عليه وسلم والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، وحول الأمر فيه إلى الحقيقة.

"فقال: **السيد هو الله**؛ أي: الذي يملك أمور الخلق ويسوسهم هو الله تعالى، وأما العبد فسيادته قاصرة، قيل: إنما منعهم أن يدعوه سيدا مع أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم"؛ لأنهم قوم حديثوا عهد بالإسلام، فحسبوا أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا.

"فقلت: أنت أفضلنا فضلا وأعظمنا طولا"؛ أي: عطاء.

"فقال: **قولوا قولكم**"؛ أي: قولوا مجموع ما قلتم من قولكم: (أفضلنا فضلا وأعظمنا طولا).

"**أو بعض قولكم**" بأن تقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما.

أو معناه: قولوا قول أهل ملتكم، فخاطبوني بما يخاطبونني: بالنبي والرسول، ودعوا التكلف في الثناء.

"**ولا يستجرينكم الشيطان**"؛ أي: لا يتخذنكم جريه؛ أي: وكيله، وهو من الجري: الوكيل؛ لأنه يجري مجرى موكله، يريد: تكلموا بما حضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان تنطقون عنه في الإضلال والكفر والبدع، أو من الجرأة -بالهمزة- وهو الشجاعة، فالمعنى: لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. [شرح المصابيح لابن الملك (٥/ ٢٦٩-٢٧٠)]

وقال الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ):

"(وعن مطرف) : بتشديد الراء المكسورة (ابن عبد الله بن الشخير) : بكسر فتشديد خاء معجمة وفي نسخة بالتعريف. قال المؤلف في فصل التابعين: مطرف عامري بصري، روى عن أبي ذر وعثمان بن أبي العاص، وفد أبوه على النبي صلى الله عليه وسلم في بني عامر، روى عنه ابناه مطرف ويزيد. (قال) أي: قال أبي: (انطلقت) : كما في سنن أبي داود، ذكره السيد جمال الدين، وهو المفهوم من أسماء الرجال (في وفد بني عامر إلى رسول الله) أي: قاصدين ومتوجهين إليه (صلى الله عليه وسلم فقلنا) أي: بعدما وصلنا (أنت سيدنا، فقال: " السيد الله) ، وفي نسخة السيد هو الله. بزيادة ضمير الفصل لمزيد تأكيد إفادة الحصر مبالغة في تعظيم ربه وتواضع نفسه، فحول الأمر فيه إلى الحقيقة مراعاة لآداب الشريعة والطريقة، أي: الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم هو الله سبحانه، وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية ؛ حيث قال: "**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**" أي: لا أقول افتخارا، بل تحدثا بنعمة الله وإخبارا بما أمرني الله، وإلا فقد روى البخاري عن جابر: أن عمر كان يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا. اهـ. وهو بالنسبة إلى بلال تواضع، والله أعلم. (فقلنا: وأفضلنا فضلا) أي: مزية ومرتبة ونصبه على التمييز (وأعظمنا طولا) أي: عطاء للأحباء وعلوا على الأعداء، والواو الأولى استئنافية لربط الكلام، أو من قبيل العطف على التوهم. (فقال: **قولوا قولكم**) أي: مجموع ما قلتم، أو هذا القول ونحوه (**أو بعض قولكم**) أي: اقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما، ويمكن أن تكون " أو " بمعنى " بل " أي: بل قولوا بعض ما قلتم مبالغة في التواضع، وقيل: قولوا قولكم الذي جئتم لأجله وقصدتموه ودعوا غيركم مما لا يعنيكم، ونظيره «قوله – صلى الله عليه وسلم – لجويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد: " دعي هذه وقولي ما كنت تقولين» ، أو قولوا قولكم المعتاد المسترسل فيه على السجية دون المستعمل للإطراء والتكلف لمزيد الثناء "، وحاصله لا تبالغوا في مدحي فضلا عن غيري (**ولا يستجرينكم الشيطان**) أي: لا يتخذنكم جريا بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية، أي: كثير الجري في طريقه ومتابعة خطراته، وقيل: هو من الجراءة بالهمزة أي: لا

يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. وفي النهاية أي: لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي: رسولا ووكيلا، وذلك أنهم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى: تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه. هذا زبدة الكلام في مقام المرام.

وقد تكلف الطيبي ؛ حيث قال: وأفضلنا عطف على قوله سيدنا كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا، فكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكل وخص الرد بالسيد، فأدخل الراوي كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه، والذي يدل على كراهة الكل قوله: قولوا قولكم، أي: بقول أهل ملتكم وما هو من شعار المسلمين، وذلك قولهم: رسول الله ونبي الله، وقال المظهر: قوله: " قولوا قولكم " يعني: قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بالمخلوق.

وقال الخطابي: أراد صلى الله عليه وسلم بقوله: " قولوا بقول أهل دينكم أو ملتكم، وادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله في كتابه، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ؛ لأني لست كأحد منهم، إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالرسالة والنبوة، فسموني رسولا ونبيا. وقال التوربشتي: سلك القوم في الخطاب معه مسلكهم مع رؤساء القبائل، فإنهم يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب، فكره ذلك ؛ لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر". [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٧٤-٣٠٧٥)]

قوله: "**رواه أبو داود بسند جيد**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب في الجهمية، ٣٦٩/٤ رقم (٤٧٢٨).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن أنس رضي الله عنه: "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا فقال: "**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا**

محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله " . رواه النسائي بسند جيد.

قوله: "**رواه النسائي**"، أي رواه النسائي في السنن الكبرى ١٠٣/٩ رقم (١٠٠٠٧).

قال الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٢٤٦ هـ):

" تأذي النبي صلى الله عليه وسلم بالغلو في شخصه، والزيادة على ما وصفه الله به:

وأخرج رزين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"، رواه النسائي.

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يبالغ فيه الناس ويطروه شأن الأمراء والملوك الذين يحبون المبالغة والملق، فإنهم لا شأن لهم بدين هؤلاء الندماء والشعراء، واعتقادهم، فلا عليهم إذا فسدت عقيدتهم، أو باءوا بالإثم، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان مربيا عطوفا على أمته: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكانت عنايته مصروفة إلى إصلاح عقيدتهم وتقويم دينهم.

وقد جرت العادة أن المحبين يبالغون في مدح من يحبونهم، ويسرفون في ذلك لينالوا رضاهم، ويدخلوا السرور عليهم، وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته من أشد الأمم حبا لنبيها، وامتنانا له، ومعرفة لفضله، وقد خاف أن تبالغ أمته في مدحه بدافع هذا الحب فتتخطى الحدود وتسيء الأدب مع الله أحيانا، فيتلف بذلك دينها وتهلك، وتعادي النبي وتؤذيه، لذلك صرح بأنه لا يرضى بالمبالغة والغلو، وأن اسمه ما سماه به أهله، وناداه به ربه، ليس له من أسماء الله شيء، وأنه ولد كما يولد سائر الناس من أب وأم، وحسبه فخرا أن يكون عبدا لله، ولكنه يمتاز عن سائر عباد الله بالرسالة، والناس عنها في جهل وغفلة، لا سبيل لهم إليها إلا عن طريقه، فليرجعوا إليه ويلوذوا به في تعلم دين الله، وفي معرفة أحكامه وشرائعه. [رسالة التوحيد المسمى بـ "تقوية الإيمان" (ص: ١٧٢-١٧٣)]

الباب السادس والستون

ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ الزمر: ٦٧

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي رواية لمسلم: "**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله**".

وفي رواية للبخاري: "**يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**"، أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: "**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**

ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" .

وروى عن ابن عباس قال: "**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**".

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**".

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**".

وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**" أخرجه أبو داود وغيره.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ".

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٧٣ هـ) في تفسير قوله تعالى:

"﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ أي: ما عظموا الله حق عظمته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عرفوا الله حق معرفته. وذلك أن اليهود والمشركين، وصفوا الله تعالى بما لا يليق بصفاته، فنزل: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ

ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ وفيه تنبيه للمؤمنين، لكيلا يقولوا مثل مقالتهم، ويعظموا الله حق عظمته، ويصفوه حق صفته، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ". [بحر العلوم، ١٩٣/٣]

وقال الأياثلوغي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٨٦٠ هـ): " وفيه تنبيه للناس على عظمته ليعرفوه حق معرفته ويعظموه حق عظمته ولا يصفوه كما وصفه اليهود والمشركون بنسبة الولد إليه والشريك ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] أي نزه نفسه تنزيها وتعظم عما يصفون له مما لا يليق بذاته وصفاته، قيل: فيه معنى التعجب، أي ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عن إضافة الشريك إليه". [عيون التفاسير، ٤٥/٤]

قال العلامة أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٤٢هـ):

"قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه، فما قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال إنه لم يرسل إلى خلقه رسولا ولا أنزل كتابا بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه من إهمال خلقه وتركهم سدى، وخلقهم باطلا عبثا.

ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فنفى سمعه وبصره، وإرادته، واختياره، وعلوه فوق خلقه، وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد، أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم، فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما

يشاؤون بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى، فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون، تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا.

وكذلك ما قدره من لم يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره، بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه، يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وتعرج الملائكة والروح إليه وتنزل من عنده، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، فصانه عن استوائه على سرير الملك، ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه.

وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه، فنفى حقيقة محبته وإتيانه واستوائه على عرشه، وتكليمه موسى عليه السلام من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قدروا الله حق قدره.

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا، وجعله يحل في مخلوقاته وجعله عين هذا الوجود". [غاية الأماني، ١/٣٥٤-٣٥٥]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع..."، الخ.

قوله: "**حبر**"، بفتح الحاء وكسرها و العالم بالفتح وما يكتب به بالكسر، أي عالم من علماء اليهود.

قوله: "**إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع**"، وفيه إثبات صفة الإصبع لله سبحانه وتعالى. وورد في صحيح مسلم (٥١/٨ رقم ٦٩٢١) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**".

وورد في سنن ابن ماجة (١/١٣٨ رقم ١٩٩) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه**".

وقال الإمام ابن قتيبة الدينوري رحمه الله (المتوفى: ٢٧٦ هـ): "ولا نقول أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضاتنا، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئا منا". [تأويل مختلف الحديث، ص: ٣٠٣]

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "لا يشبهه شيء من الأشياء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري، ط. دار النفائس، ص: ١٥]

قوله: "**والثرى على إصبع**"، الثرى أي: التراب الندي.

قوله: "**فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه**"، (نواجذه) بالنون والجيم والذال المعجمة، وقال الأصمعي: هي الأضراس كلها لا أقصى الأسنان، والأحسن ما قاله ابن الأثير: النواجذ من الإنسان الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان، والمراد الأول لأنه صلى الله عليه وسلم، ما كان يبلغ به الضحك حتى يبدو آخر أضراسه، كيف وقد جاء في صفة ضحكه: (جل ضحكه التبسم)، وإن أريد بها الأواخر فالوجه فيه أن يراد مبالغة مثله في الضحك من غير أن يراد ظهور نواجذه في الضحك، وهو أقيس القولين لاشتهار النواجذ بأواخر الأسنان. [عمدة القاري، ١٩/١٤٤]

قوله: "**تصديقا لقول الحبر**"، أي موافقة، وهذا قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال النووي رحمه الله: وظاهر السياق يدل على أنه ضحك تصديقا بدليل قراءته الآية التي تدل على صحة ما قال الحبر. [شرح النووي على مسلم ١٧/١٣٠]

قال ابن التين: "تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكه صلى الله عليه وسلم تعجبا وإنكارا لما قال الحبر". [فتح الباري، ٨/٥٥١]

قوله: " ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]".

قوله: "**قبضته**"، القبضة في اللغة هي ما قبضت عليه بجميع كفك.

(القبضة) من الشيء ما قبضت عليه من ملء كفك يقال أعطاه قبضة من تمر أو سويق كفا منه. [المعجم الوسيط، ٧١١/٢]

قال الفراء: "القبضة بالكف كلها". [لسان العرب، ٦٨/٧]

والقبضة: هي ما يقبض باليد، وليس المراد بها الملك كما قيل، نعم، لو قال: والأرض في قبضته؛ لكان تفسيرها بالملك محتملا.

قوله: "جميعا": حال من الأرض، فيشمل بحارها وأنهارها وأشجارها وكل ما فيها، الأرض كلها جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات على عظمها وسعتها مطويات بيمينه، قال الله عز وجل ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[الأنبياء: ١٠٤]. [القول المفيد، ٥٢٣/٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض**". [رواه البخاري ١٢٦/٦ رقم (٤٨١٢)]

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال: عن ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب تعالى نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به ".

مطويات من الطي الذي هو ضد النشر ، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه. [تفسير الكشاف، ٤/١٤٤]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وفي رواية لمسلم: "**والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله**".

قوله: "**في رواية مسلم**"، أي رواه مسلم في صحيحه ٤/٢١٤٧ رقم (٢٧٨٦).

قوله: "**يهزهن**" أي يحركهن، وفيه إشارة إلى حقارتها.

قوله: "**فيقول: أنا الملك**" أي: القادر القوي القاهر "**أنا الله**" أي: المعبود بالحق المستحق للمعبودية والعبادة في الباطن والظاهر". [مرقاة المفاتيح، ٨/٣٥٠٧]

قوله: "وفي رواية للبخاري: "**يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**"، أخرجاه.

أي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه رقم (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ومسلم رحمه الله في صحيحه رقم (٢٧٨٦).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: "**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**" .

قوله: " **ثم يأخذهن بيده اليمنى**"، فيه إثبات صفة يد اليمنى، وفيه دلالة على عظمة الرب سبحانه وتعالى.

والأدلة على إثبات صفة اليد من كتاب الله تعالى ومن السنة الصحيحة المحكمة الصريحة:

١-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]

٢-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].

٣-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الفتح: ١٠].

٤-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

٥-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

٦-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

٧-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: "**يا آدم أما ترى الناس خلقك الله بيده**". [رواه البخاري ٩/١٤٩ رقم (٧٤١٠)]

٨- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار – وقال – أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يده – وقال – عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**". [رواه البخاري ٩/١٥٠ رقم (٧٤١١)]

٩- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة**". [رواه البخاري ٨/١٣٥ رقم (٦٥٢٠)]

١٠- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحاج آدم وموسى عليهما السلام: "**قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده**". [رواه البخاري رحمه الله ٨/١٥٧ رقم (٦٦١٤)، ومسلم رحمه الله ٨/٤٩ رقم (٦٩١٢)]

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ): "وله يد ووجه ونفس فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته، أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف". [الفقه الأكبر مع شرحه للقاري ص: ١٦]

وقال علي بن محمد البزدوي الحنفي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٤٨٢ هـ): "وكذلك إثبات اليد والوجه حق عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف و إنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات فصاروا معطلة". [أصول البزدوي، ص: ١٠ ، ومع شرحها كشف الأسرار للعلاء الدين البخاري (المتوفى: ٧٣٠ هـ) ١/٦٠، وشرح الفقه الأكبر للقاري ص: ٩٣]

وقال شمس الأئمة السرخسي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٤٨٣ هـ): "وكذلك الوجه واليد على ما نص الله تعالى في القرآن معلوم وكيفية ذلك من المتشابه فلا يبطل به الأصل المعلوم، والمعتزلة خذلهم الله لاشتباه الكيفية عليهم، أنكروا الأصل فكانوا معطلة بإنكارهم صفات الله تعالى، وأهل السنة والجماعة نصرهم الله أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص، وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية، فلم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله تعالى به الراسخين في العلم فقال: ﴿ **وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [آل عمران: ٧]. [أصول السرخسي ١/١٧٠]

وقال أبو المنتهى المغنيساوي الحنفي (المتوفى في حدود ١٠٠٠ هـ): "(**فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف**)، أي أصلها معلوم ووصفها مجهول لنا، فلا يبطل الأصل المعلوم بسبب التشابه، والعجز عن درك الوصف إدراك، وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: أن الكيفية مجهولة، والبحث عنها بدعة. (**ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته**

لأن فيه) أي: في هذا القول **(إبطال الصفة)** التي دل على ثبوتها القرآن، **(وهو)** أي إبطال الصفة **(قول أهل القدر والاعتزال)**. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٢٦]

وقد أقر العلامة الملا علي القاري رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٠١٤ هـ) كلام الإمام أبي حنيفة والإمامين البزدوي والسرخسي رحمهما الله تعالى، وكلام هؤلاء الأئمة صريح في أن تأويل الصفات تعطيل لها. [شرح الفقه الأكبر، ص: ٩١-٩٣]

وقال القاري رحمه الله تعالى أيضا: "ولا يقال إن الرضى إرادة الإكرام، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريده ولا يشاؤه وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب ويرضى ما لا يريده ويكره ويسخط ويغضب لما أراده، ويقال لمن تأول الغضب بإرادة الانتقام، والرضى بإرادة الإنعام والإكرام، لـِم تأولت ذلك الكلام؟

فلابد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا، هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا مائل إلى ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه يزداد بوجوده وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذلك، فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة،

قيل له: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات

الله لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لابد أن يثبت شيئا لله على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به ووجود الباري كما يليق به.[شرح الفقه الأكبر، ص: ٩٥-٩٦]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وروى عن ابن عباس قال: "**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم**".

قوله: "**في كف الرحمن**"، هكذا ساقه المؤلف، وفي السنة للإمام عبد الله وتفسير ابن جرير بلفظ (في يد الله)، إلا أن صفة الكف لله تعالى ثابتة في أحاديث أخر صحيحة كما في الحديث: "**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**" رواه مسلم ٧٠٢/٢ رقم (١٠١٤).

قوله: "**إلا كخردلة في يد أحدكم**"، حبة نبات صغيرة جدا، يضرب بها المثل في الصغر والقلة، وهذا يدل على عظمته سبحانه، وأن السموات وما فيهن والأرض ومن فيهن كلهم في قبضة الخالق لا يثقله حملهم ولا يخفى عليه شيء من عملهم، كما ثبت عن وهب بن منبه أنه قال: (ما الخلق في قبضة الله إلا كخردلة هاهنا من أحدكم). [خلاصة التفريد ص: ٩٧٦]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: " عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.

ومن المعلوم – ولله المثل الأعلى – أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف". [شرح العقيدة الطحاوية، ٣٧٤/٢]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**".

قوله (**ترس**): هو شيء من جلد أو خشب يحمل عند القتال يتقي به السيف والرمح ونحوهما، فلو ألقيت سبعة دراهم لكانت صغيرة جدا، والكرسي كالقبة على السموات، السموات في داخله صغيرة، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه قائم بنفسه وليس شيئا معنويا، وفيه رد على من تأوله بمعنى الملك وسعة السلطان، ويشهد له ما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: (المرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره أحد). [خلاصة التفريد، ص: ٩٧٧-٩٧٨]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**".

قوله: (فلاة) أي: مفازة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن ابن مسعود قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قوله: "**والعرش فوق الماء**"، ثم فوق الماء عرش الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، فكما أن في الأرض بحرا يغمرها فكذلك في السماء بحر آخر غير البحر الذي في الأرض، وهذا البحر الذي في السماء بحر هائل عمقه خمسمائة عام.

إذا يكون العرش هو أعظم المخلوقات، أعظم من هذا البحر، وأعظم من الكرسي، وأعظم من السموات، وأوسعها، وأعظمها، والله سبحانه وتعالى أضافه إلى نفسه فقال: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾

[البروج: ١٥]، ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، فتمدح سبحانه وتعالى به وذلك لأنه خلق عظيم، ولا خلق فيه عبر عظيمة يدل على عظمة خالقه.

قوله: "**والله فوق العرش**"، وفيه إثبات صفة الفوقية والعلو لله سبحانه وتعالى.

والنصوص الواردة في إثبات صفة الفوقية والعلو لله سبحانه وتعالى:

١-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ** ﴾ [البقرة: ٢٩]،

٢-وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ** ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

٣-وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ** ﴾[يونس: ٣]،

٤-وقوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ** ﴾ [الرعد: ٢]،

٥-وقوله تعالى: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥]،

٦-وقوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا** ﴾ [الفرقان: ٥٩]،

٧-وقوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [السجدة: ٤]،

٨-وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد: ٤]،

٩-وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]،

١٠-وقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٨]،

١١-وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]،

١٢-وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]،

١٣-وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]،

١٤-وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: ٥]،

١٥-وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]،

١٦-وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]،

١٧-وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية: ٢]،

١٨-وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]، وغيرها من الآيات التي تدل على هذه الصفة.

الأحاديث التي تدل على صفة الفوقية والعلو وهي:

١ – منها حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: (كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فأطلقتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم، فأسفت فصككتها فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فعظم ذلك على، فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ فقال: **أدعها**، فدعوتها، فقال لها: **أين الله؟** قالت: في السماء، قال: **من أنا؟** قالت: أنت رسول الله، قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**)، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

٢ – ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**)، متفق عليه.

٣ – حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة: (**ألا هل بلغت**) فقالوا: نعم، يرفع أصبعه إلى السماء ينكتها إليهم ويقول: (**اللهم اشهد**)، أخرجه مسلم.

٤ – حديث أبي هريرة: (**إن الله لما قضى الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**)، متفق عليه.

٥ – حديث أبي سعيد الطويل في الخوارج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني الوحي صباحا ومساء**).

٦ – حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**).

٧ – حديث أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: (**زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات**).

وفي لفظ أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (**زوجنيك الرحمن من فوق عرشه**). صحيح رواه البخاري.

٨ – حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها**)، أخرجه مسلم.

٩ – حديث أبي هريرة أيضًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإنه يتقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تصير مثل الجبل**)، أخرجه البخاري.

١٠ – حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن معاذ يوم بني قريظة: (**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات**).

١١ – حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل: (**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**).

وفي رواية: (**فآتي باب الجنة فيفتح لي فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه أو سريره فأخر له ساجدا**).

١٢ – حديث أبي هريرة وغيره في نزول الرب تبارك وتعالى هو حديث متواتر ولفظه (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال هكذا حتى يطلع الفجر**).

وقد ورد في بعض الروايات (لا أسأل عن عبادي غيري) فهل يعقل نزول إلا ممن هو عال؟

لكن بعض العلماء يمارون في حديث النزول ويعترضون عليه بأن في كل لحظة من الزمان ثلث ليل آخر، فهلا اعترضوا بذلك على قائله عليه الصلاة والسلام؟.

وإذا كان هذا هو مبلغ إيمان هؤلاء بكلام نبيهم، فماذا نملك نحن لهم؟ اللهم إنها فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء.

١٣ - حديث الإسراء والمعراج، وهو متواتر أيضًا، وفيه: (ودنا الجبار فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدني) وفيه أيضا أن موسى قال لنبينا عليهما الصلاة والسلام (**ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف**) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**مازلت أرجع بين ربي وبين موسى**).

ونجتزئ بهذا القدر من السنة المطهرة، وكلها أحاديث متونها وأسانيدها كالشمس في الإشراق، ولكن المعطل الجاحد بما في قلبه من غرض التعطيل لا يسيغها بل يشرق بها.

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا

وأورد بعد ذلك ما يتسع له المجال من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى الذين هم أعرف بالله ودينه وكتابه، وأشد تنزيها له من هؤلاء النافين الجاحدين.

١ - أخرج البخاري في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر قال: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر رضي الله عنه: (أيها الناس: إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإنه قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء، فإن إلهكم لم يمت).

٢ - قال عمر رضي الله عنه في شأن خولة بنت ثعلبة: (هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات).

٣ - قال عبد الرحمن بن غنم: سمعت عمر بن الخطاب يقول: (ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضي بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ورهبة، وجعل كتاب الله مرآة عينيه).

٤ - روى عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: (العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم).

٥ – وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (من قال سبحان الله والحمد لله والله أكبر، تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجئ بهن وجه الرحمن عز وجل).

٦ – وصح عنه كذلك أنه قال: (إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى إذا تيسر له، نظر الله إليه من فوق سبع سموات، فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار).

وصح عن عائشة أنها قالت يوم قتل عثمان: (وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت، ولكن علم الله فوق عرشه أني لم أحب قتله).

٨ – روى الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر) وهذا القول محفوظ كذلك عن ربيعة الرأي ومالك بن أنس وأبي جعفر الترمذي وغيرهم.

٩ – كان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: (حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات).

١٠ – قال نوف البكالي – من وعاظ التابعين – (إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال أنا ربك الأعلى).

١١ – وروى الالكائي عن ثابت البناني قال: (كان داود يطيل الصلاة ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول إليك رفعت رأسي، نظر العبيد إلى أربابها، يا ساكن السماء).

١٢ – روى مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ [المجادلة: ٧] قال: (هو على عرشه وعلمه معهم – وفي لفظ – هو فوق العرش وعلمه معهم حيث كانوا)...[من بداية الأحاديث إلى هنا من كلام محمد خليل هراس رحمه الله تعالى]

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٥٠ هـ):

"من قال: لا اعرف ربي في السماء أو في الأرض، فقد كفر. وكذا من قال: إنه على العرش ولا ادري العرش أفي السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل، ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء. وعليه ما روى في الحديث أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال وجب علي عتق رقبة أفتجزىء هذه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **أمؤمنة أنت؟** فقالت: نعم. فقال: "**أين الله؟**"، فأشارت إلى السماء. فقال: "**اعتقها فإنها مؤمنة**". [الفقه الأبسط، ص: ١٣٥ وشرح الطحاوية، ص: ٢٦٧]

روى البيهقي في كتاب " الأسماء والصفات ٣٣٨/٢" بإسناده إلى نعيم ابن حماد قال : سمعت نوح بن أبي مريم أبا عصمة يقول: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشره آلاف من الناس تدعو إلى رأيها، فقيل لها : إن ههنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة . فأتته فقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إليها وقد وضع كتابا : **الله تبارك وتعالى في السماء دون الأرض** .

فقال له رجل : أرأيت قول الله عز وجل :﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ [الحديد: ٤]؟

قال : هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه .

قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة رضي الله عنه فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وفيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع في قوله : إن الله عز وجل في السماء ، وقد رواه الذهبي في كتاب " العلو " من طريق البيهقي ".

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى (المتوفى: ٧٩٢ هـ):

"ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته. وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في

بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استتابته بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش – مشهورة، رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره". [شرح الطحاوية، ص: ٢٦٧]

قال بشار بن موسى الخفاف: جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول يتكلمون! قال: وما يقولون: قال: يقولون: الله في كل مكان، فقال أبو يوسف: علي بهم، فانتهوا إليهم وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول وبالآخر شيخ، فقال أبو يوسف –ونظر إلى الشيخ–: لولا أن فيك موضع أدب لأوجعتك فأمر به إلى الحبس، وضرب الأحول وطوف به". [مختصر العلو للعلي العظيم، ص: ١٥٤–١٥٥]

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي يقول: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي–وحبس رجلا في التجهم "فتاب" فجئ به إليه ليمتحنه–فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد.

كان هشام بن عبيد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين". [المصدر السابق، ص: ١٨١]

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى (المتوفى: ٣٢١ هـ) في بيان عقيدة أهل السنة عامة وللحنفية خاصة: "والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه". [العقيدة الطحاوية]

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: "والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة ((من)) المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ [النحل: ٥٠] .

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله: ﴿ **وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ** ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١] .

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] . وقوله صلى الله عليه وسلم: «فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم» .

الرابع: التصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] .

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] . وقوله: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] .

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدخان: ١ – ٥] .

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾

[الأنبياء: ١٩] . ففرق بين ((من له)) عموما وبين ((من عنده)) من ملائكته وعبيده خصوصا، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: «أنه عنده فوق العرش» .

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون ((في)) بمعنى ((على)) ، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة ((على)) مختصا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبا في الأكثر لأداة ((ثم)) الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا**".

والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع، ...

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: أنتم مسئولون عني، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا. نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلا: اللهم اشهد. فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله،

وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: اللهم اشهد، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ " الأين " كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلا بوجه: " أين الله "، في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته صلى الله عليه وسلم لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] .

فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.

السابع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم: "**أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار**".

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس: ٥٨]. ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم رواه الإمام أحمد في المسند، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه.

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية. ولهذا طرد الجهمية النفيين، وصدق أهل السنة بالأمرين معا، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذبا بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!

وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك! [شرح الطحاوية، ٣٧٦/١-٣٨٠، ط. مكتبة المعارف]

خطأ من ظن أن السماء قبلة الدعاء

واعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض؟ وأجيب على هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء - لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو إن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء -: فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة. والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازا، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك. ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته! هذا لا يخطر في قلب ساجد. لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سمع وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا. وإن من أفضى به النفي إلى هذه الحال حري أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية. [شرح العقيدة الطحاوية، ٣٩٢/٢-٣٩٤، وروح المعاني ١١٥/٧-١١٦، وجلاء العينين، ص: ٤١٠-٤١١، وغاية الأماني ٥٧١/١-٥٧٢]

قوله: "**لا يخفى عليه شيء من أعمالكم**"،

أي مع علوه على خلقه لا يتصور أحد أنه بعيد عن عباده، بل له هذا العلو، ومع هذا لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، فهو سبحانه وتعالى فوق العرش وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه شيء:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾ [آل عمران: ٥]،

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣]،

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿ مَعَكُمْ ﴾ أي: بعلمه سبحانه وتعالى وإحاطته، لا تخفون عليه، ولا تخفى عليه أعمالكم خيرها وشرها، وكل ما يصدر من عباده، فإنه يعلمه سبحانه وتعالى من الطاعات والمعاصي والخير والشر، كله يعلمه سبحانه وتعالى، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. [خلاصة التفريد، ص: ٩٨٣]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: " وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**" أخرجه أبو داود وغيره.

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى: "فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله وعظم مخلوقاته وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه و سلم ويدل على كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه وبالله التوفيق". [التيسير، ص: ٦٧٨]

قوله: " **أخرجه أبو داود وغيره**"، أي رواه أبو داود في سننه، في باب في الجهمية والمعتزلة، ٦٤٣/٢، رقم (٤٧٢٣) و(٤٧٢٥)، والإمام أحمد في مسنده ٢٠٦/١، رقم (١٧٧٠)، والدارمي في الرد على الجهمية ص: ٥٠، والترمذي في سننه ٤٢٤/٥، رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجة في سننه ١٣٣/١، رقم (١٩٣).

هذا ما تيسير جمعه في هذا الشرح، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح وأن يجعله خالصا لوجهه وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى أعلم، وصلى الله على خير خلقه نبيينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، أجمعين. قد تم هذا الشرح بعون الله وتوفيقه وفضله يوم الأربعاء ٢٢/جمادي الأولى/١٤٤٢ هـ الموافق بـ ٦/يناير/٢٠٢١ م.

فهرست الموضوعات